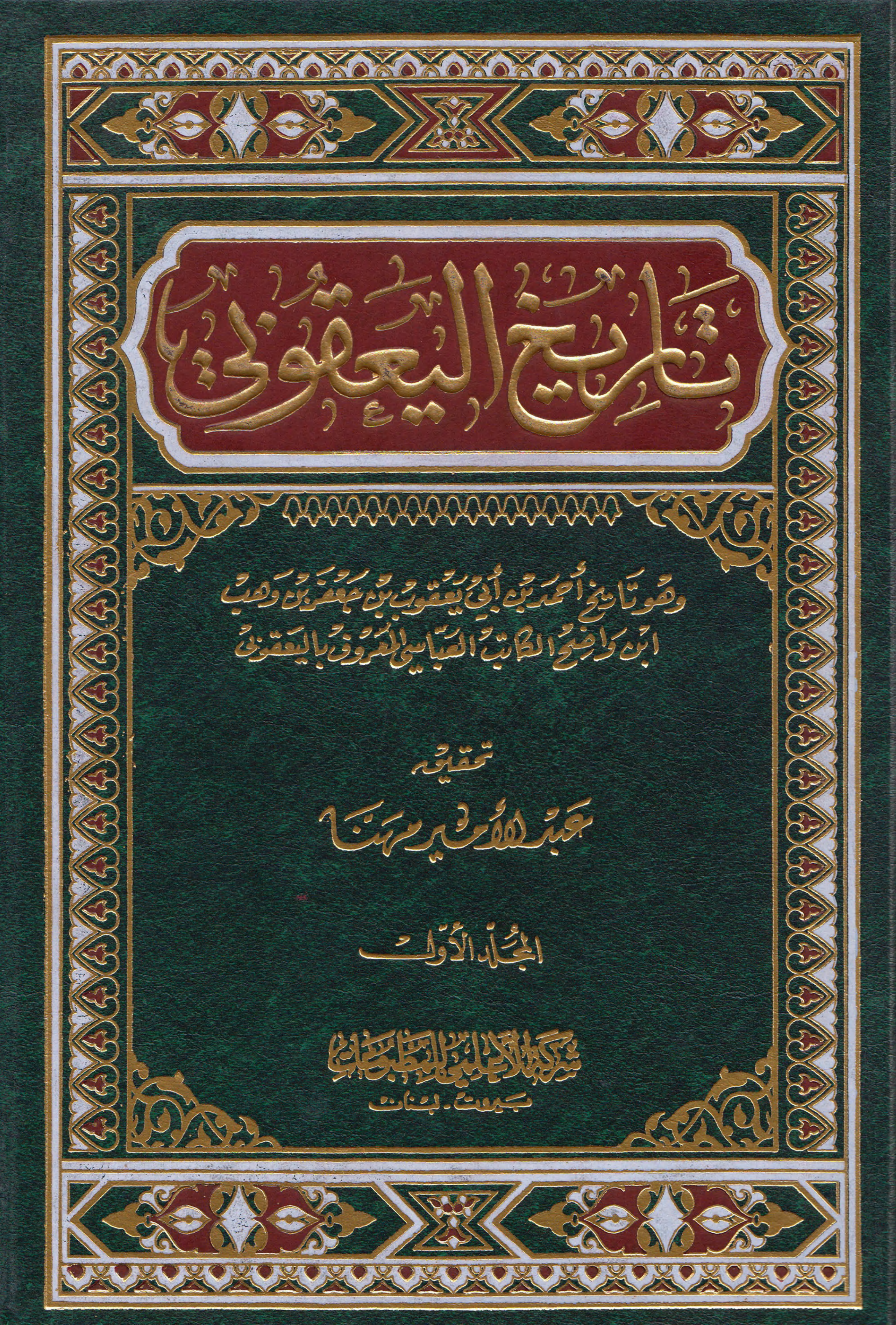

تاريخ اليعقوبي
وهو تاريخ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي
تحقيق
عبد الأمير مهنا
المجلد الأول
شركة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

تاريخ اليعقوبي

وهو تاريخ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي

تحقيق

عبد الامير مهنا

المجلّد الأوّل



الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

Published by Alaalami co.

شركة الأعلمي للمطبوعات

Beirut Airport Road
Tel: 01/450426 Fax: 01/450427
E-mail: alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com



بيروت - طريق المطار - مفرق حارة حريك
قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

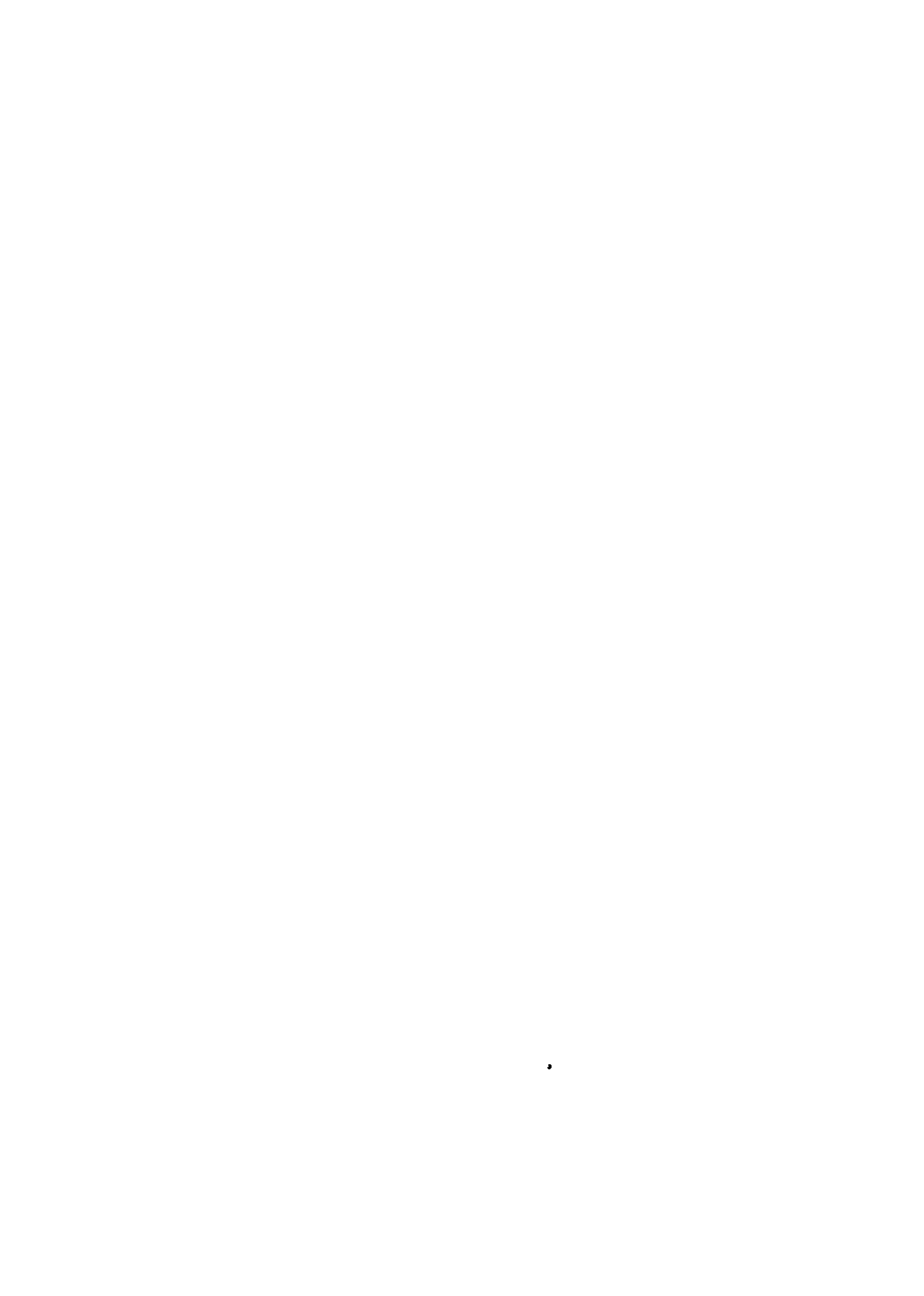
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اليعقوبي ونهجه في تأريخه

نسبه :

هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الاخباري العباسي . لقّب بالمصري والأصبهاني والكاتب واليعقوبي .

إن الفهارس والمعاجم التي تعتبر مصدراً هاماً في التعرف على حياة العلماء وذوي الشأن كانت ضنينة بمعلوماتها عن اليعقوبي ، ولهذا لم نتوصل إلى معرفة كل جوانب حياته ومنها معرفة تاريخ ولادته . وهناك إشارة إلى أنه وُلد في بغداد ، ونشأ وترعرع فيها لكنه غادرها مبكراً إلى أرمينيا ، حيث أمضى فترة شبابه هناك في خدمة الطاهريين[1] .

وفاته :

اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقال ياقوت: سنة ٢٨٤ ، ونقل غيره ٢٨٢ ، وقيل ٢٧٨ أو بعدها ، ورجّحت أخيراً رواية ناشر الطبعة الثانية من التاريخ إذ وجد في كتاب البلدان (ص ١٣١ طبعة النجف) أبياتاً لليعقوبي نظمها ليلة عيد الفطر سنة ٢٩٢ هـ . فوفاته إذاً كانت في حدود سنة ٢٩٢ هـ ـ ٩٠٥ م .

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب .

وظائفه :

ليس لدينا معلومات كافية عن مدى تقلّد اليعقوبي للوظائف الحكومية، إلّا أن المعروف عن عائلته أنها كانت مقرّبة إلىٰ السلطة الحاكمة حتى إنها حملت نسب العائلة العباسية الحاكمة .

وحسب ما عرفناه عن حياة اليعقوبي أنه لم يخدم في بغداد لأنه غادرها مبكراً . ويُفترض أنه خدم في الدولة الطاهرية لأنه بقي فيها مدة طويلة . أمّا عن دقة معلوماته فجاءت نتيجة لمركزه عند أُمراء الأقاليم كالطاهريين والطولونيين ومركز عائلته مكّنه من أن يحصل على أدقّ المعلومات من مصادرها الأصلية ، لذلك حازت معلومات اليعقوبي على ثقة لدىٰ الباحثين والمتتبعين .

عائلته ومذهبه :

يرجع اليعقوبي إلى واضح ، جدّه الأعلىٰ ، ويظهر أنه كان من الموالي ، وأن بعض المراجع القديمة قد أكدته وسمّته بواضح بن عبد الله المنصوري الخصي ، لكنها لم تحدّد أصله . أمّا المراجع الحديثة فقد اختلفت هي الأُخرىٰ في إعطاء التحديد الدقيق لأصله . والمعتقد أن واضحاً كان على المذهب الشيعي ، هذا المذهب الذي لقي عطفاً وتأييداً في بلاد فارس واعتنقه معظم الفارسيين ، وبما أن واضحاً كان على هذا المذهب فإن ذلك يدفعنا إلى الاعتقاد بانتمائه الفارسي .

كان واضح من معتنقي المذهب الشيعي الاثنا عشري ، ومن المتعصبين لهذا المذهب حتى إنه ضحّى بحياته نتيجة لهذا التعصّب . فحين كان مسؤولاً على بريد مصر قام بتهريب إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب إلى المغرب . وقد دفع حياته ثمناً لهذه المساعدة ، وإن كان هناك خلاف حول من قتل واضحاً .

وقد استمر أبناؤه وأحفاده يحملون هذه الميول وظلّت تلك الميول في

اليعقوبي لكنها معتدلة، ونستطيع أن نلاحظها من خلال كتاباته وخاصّة في تاريخه هذا حيث نجده قد أسهب في ذكر أقوال الأئمّة عند ذكر وفياتهم ، وكذلك حين تطرق إلى إسلام الإمام علي وخبر السقيفة وجمع القرآن وما قاله في وفاة الإمام الحسين بن علي . . . كل هذه الأدلّة وغيرها تؤكد تشيّعه .

عصر اليعقوبي :

عاصر اليعقوبي حقبة القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي ـ ذلك العصر الذي بلغت فيه الحضارة الإسلامية درجة كبيرة في مضمار التقدم والازدهار في شتّى ميادين المعرفة . وهذا التقدم الحضاري هو نتاج تفاعل عدّة عوامل منها: طبيعة الدين الإسلامي الذي كرّم العلم والعلماء ، ثم تشجيع الخلفاء للعلم ، وكذلك المركز الاجتماعي الرفيع للعلماء . وقد عاش اليعقوبي في هذا المحيط الاجتماعي ولا بدّ أنه تأثّر به.

آثاره العلمية :

ممّا لا يحتاج إلى إثبات أن اليعقوبي كان على مستوى عقلي رفيع واطلاع متنوع وثقافة علمية واسعة مكّنته من أن يتحفنا بإنتاج علمي غني كان بمثابة الأساس الذي بنيت فوقه عقول الأجيال اللّاحقة إنتاجها العلمي . فقد ذكر ياقوت الحموي تصانيف اليعقوبي المتنوعة التي تشتمل على :

١ ـ كتاب التاريخ ، كبير .
٢ ـ كتاب أسماء البلدان مجلداً .
٣ ـ كتاب في أسماء الأُمم السالفة صغير .
٤ ـ كتاب مشاكلة الناس لزمانهم ، رسالة .

وقد سارت بقية كتب التراجم على خطى الحموي في ذكر تلك المؤلفات . إلّا أن التنقيب والبحث أظهرا لنا إنتاجاً علمياً آخر لليعقوبي غير الذي ذكره الحموي في معجمه ومنه :

١ ـ كتاب المسالك والممالك الذي أشار إليه أبو الفدا ، وكتاب البلدان .

٢ ـ فتوح المغرب ، كتبه في المغرب لكنه ضاع ،أشار إليه فازيليف : العرب والروم ص ٢٣٦ .

٣ ـ كتاب خاص عن الطاهريين ، أشار إليه بروكلمان في الجزء الأوّل من تاريخ الأدب العربي .

٤ ـ يُستدل من كلام اليعقوبي أن له كتاباً تاريخياً ذكر فيه فتح أفريقيا ، وفي ذلك يقول في كتاب البلدان (طبعة النجف ط ٣ ص ١٠٣) : «وقد ذكرنا فتح أفريقيا وأخبارها في كتاب أفردناه» . .

التطوير الذي أحدثه اليعقوبي في مناهج التاريخ :

اتبع المؤرخون الأوائل منهجاً دقيقاً وصارماً للتأكد من صحة الخبر وصدقه إذ استخدموا منهج الإسناد ، ونقصد به سلسلة الرواة الذين يمكن أن نتبع آثار الرواية عن طريقهم إلى شاهد العيان الأصلي ، وقد تفرّعت هذه الطريقة من دراسة الحديث ، واستمرّت عند بعض مؤرخي القرن الرابع الهجري كالطبري الذي كان فقيهاً قبل أن يصير مؤرخاً . وكان لهذا المنهج الفضل في الحصول على أصدق الأحاديث النبوية ، وأصدق الروايات أيضاً .

لكن ، بعد تقادم الزمن وتطوّر الأحداث السياسية في العالم العربي والإسلامي وظهور الأحزاب السياسية واختلاف وجهات نظرهم حول العديد من القضايا السياسية والدينية أصبح يُثار الشك في صحة الكثير من الأحاديث والحوادث المروية، ومن هنا بدأت تظهر لهذا المنهج بعض العيوب.

استمرّ المؤرخون العرب يتبعون هذا المنهج إلى أن جاء اليعقوبي في القرن الثالث الهجري حيث ابتدع منهجاً جديداً في الكتابة هو منهج الكتابة المرسلة دون إسناد ، التي تعنى بالخبر في ذاته ومناقشته .

لقد سار المؤرخون العرب في تنظيم موضوعاتهم على المنهج

الحولي أو حسب السنين . فكانوا يتتبعون الحوادث ويسجّلونها حسب سنواتها ، وكانت مختلف الحوادث تجمع في كل سنة وتربط فيما بينها بكلمة «وفيها» فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية فيستخدم الجملة الآتية : «ثم دخلت سنة كذا» أو «جاءت سنة كذا» وقد وُجّه إلىٰ هذا المنهج عدّة انتقادات ، ومع ذلك ظل متّبعاً على الرغم من تلك الانتقادات إلى أن ابتدع اليعقوبي منهجه الجديد الذي هو حسب الموضوعات ، وكان هناك منهج آخر في كتابة التاريخ قوامه : الدول أو عهود الخلفاء أو الحكام .

فالكتابة حسب هذا المنهج قوامها الأشخاص ، بخلاف المنهج السابق القائم على ترتيب السنين . وقد فضّل هذا المنهج على سابقه نظراً لأنه أسنى وأسمى ولاتّصافه بالترتيب والتنظيم.

وكان اليعقوبي من الأوائل الذين اتخذوا هذا المنهج أساسًا في تنظيم موضوعات تاريخية ، ولهذا اعتُبر من أقدم من كتب في تاريخ الدول وفي العهود.

وتُعتبر كتابة اليعقوبي في هذا المنهج من الأمثلة الجيدة بالنسبة لمن كتب فيه . فإذا ما قارنّا المنهج الذي اتبعه اليعقوبي في تنظيم موضوعات كتابه هذا بالمنهج المتّبع في الوقت الحاضر لا نجد فرقاً كبيراً بينهما ، لذلك شُبّه تنظيمه لموضوعات كتابه بالتنظيم المتّبع في الكتب الحديثة .

وممّا تجدر إليه الإشارة بأنه كانت هناك محاولات في الكتابة حسب هذا المنهج وأن له جذوراً في التاريخ الفارسي ، لكن الكتابة فيه كانت بدائية أوّلية لم تستحق الذكر ، إذ استطاع اليعقوبي بعقليته الناقدة وبصيرته النافذة أن يبلور من هذه الأوليات منهجاً محدّد المعالم واضح الاتجاه ، اتّبعه المؤرخون اللاحقون وساروا عليه ، وليس في ذلك عيب أو نقص على اليعقوبي ، وإنما العيب على المقلّد والناقل ، أمّا المطوّر والمجدّد فيكون له الفضل وله السبق.

وبالفعل ، أصبحت تلك الكتابات الأولية المجردة على يد اليعقوبي ذات شأن وتأثير على مسيرة الثقافة والتطور الحضاري ، وإلاَّ لماذا لم يتطوّر على يدٍ غير يد اليعقوبي ؟ .

اليعقوبي إذاً شأنه شأن غيره من علماء العرب الذين أحسنوا استخدام المواد المبعثرة التي كانوا يلتقطونها من كل مكان وجمعوها ثم صبّوها فخرجت متمازجة متجانسة استطاعوا أن ينتجوا منها نتاجاً مطبوعاً بطابع قرائحهم وعقولهم حيث تتمثّل فيها الوحدة والصفات الفائقة .

هذا المنهج في كتابة التاريخ سار عليه العديد من المؤرخين الفطاحل كالمسعودي الذي جمع الحوادث التاريخية تحت رؤوس موضوعات تتعلّق بالشعوب أو الأسرات والدول والحكام . . .

كتابته في التاريخ العالمي :

كانت الموضوعات التاريخية التي تناولها المؤرخون العرب في القرنين الأولين للهجرة محدودة وضيّقة الأفق ، إذ اقتصرت على سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه وأخبار الغزوات في العهدين الأموي والراشدي ومن أسهم فيها ، لذلك كانت كتب السيرة والمغازي والأنساب تدخل في عداد الكتب التاريخية . ثم تطوّر معنى التاريخ إلى معناه الشائع المعروف باستعمال كُتب الحوليات لهذه الكلمة ، مثل تاريخ الرسل والملوك للطبري ، وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني .

ففي القرن الثالث الهجري إذاً ظهرت التطورات في كتابة التاريخ حيث بدأت فيه الكتابة في التاريخ العالمي ، إذ خرج المؤرخ المسلم من الإطار الإسلامي المحدود إلى المجال العالمي .فمنذ بداية هذا القرن ظهرت ثلاثة أنواع من كتب التاريخ العالمي سبقها كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري الذي يبدأ من آدم عليه السلام ويستعرض تاريخ عرب الجاهلية والفرس ثم تاريخ صدر الإسلام دون التعرض لسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وينتهي بنهاية الملك يزدجرد حيث يلاحظ اهتمامه الشديد بالتاريخ الفارسي .

أما الكتب العالمية الثلاثة التي ظهرت منذ بداية هذا القرن فهي :

- تاريخ اليعقوبي ويتضمّن الجزء الأوّل منه موضوعات متعدّدة ابتدأ فيها بقصة التوراة، ثمّ وصف الأناجيل الأربعة، واستعرض التاريخ الجاهلي، ولكنه اضطر إلى التعرض لموضوعات ثقافية عامة عندما لم يجد مادة في التاريخ السياسي ، فأخذ يحدثنا عن الإغريق والهنود والعرب ، وعن بعض الموضوعات العامة مثل كتب أرسطو وأبقراط والشعراء الجاهليين . ويقوم تنظيمه على أساس التعاقب الزمني للشخصيات كالملوك والأنبياء وغيرهم .
- تاريخ الرُسل والملوك لابن جرير الطبري الذي ظهر في القرن الرابع الهجري ، وقد طبق الطبري في كتابته منهج الكتابة الحولية واهتمّ بإيراد تراجم للخلفاء في سنيّ وفاتهم .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، والتنبيه والإشراف للمسعودي (ت : ٣٤٦ هـ) والكتاب الأوّل موسوعة تجمع بين الدراسة التاريخية والجغرافية .

فاليعقوبي والطبري والمسعودي إذاً يمثلون مؤرخي العرب في كتابة التاريخ العالمي في القرنين الثالث والرابع الهجري.

من كل ذلك نخرج بأن اليعقوبي كان من الأوائل الذين كتبوا في التاريخ العالمي . وأن تاريخه كان أول الأنواع الثلاثة من التواريخ العالمية ، وبذلك يكون تاريخه فاتحة عمل للمؤرخين اللاّحقين الذين سلكوا هذا المسلك كالطبري والمسعودي ومسكويه وغيرهم.

منهج اليعقوبي في كتابة تاريخه :

أوّلاً : منهجه في اختيار مادة تاريخه :

من دراسة تاريخه نجده قد ابتعد عن الإسناد ، كما سبق وذكرنا ، واعتمد منهج الكتابة المرسلة نظراً لاستقرار الأسانيد من قبله . وممّا يؤسف له أن تضيع مقدمة الجزء الأوّل من كتابه التاريخ وهو الجزء الذي يعرض

فيه بالضرورة بيان مصادره . كما فقدت من مقدمته عدّة صفحات تشمل قصة الخليقة.

وإذا رجعنا إلى مقدمة الجزء الثاني من تاريخه نراه قد وضع فيها لنفسه منهج عمل طبقه وسار عليه وفيها قال اليعقوبي :«ألّفنا كتابنا هذا على ما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار والتأريخات ولم نذهب إلى التفرّد بكتاب نصنّفه ونتكلّف منه ما قد سبقنا إليه غيرنا ، لكنّا قد ذهبنا إلى جمع المقالات والروايات لأننا قد وجدناهم قد اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمال ، وزاد بعضهم ونقص فأردنا أن نجمع ما انتهى إليه مما جاء به كل امرىءٍ منهم» .

إن اليعقوبي قد حدّد منهج عمله في هذه المقدمة . وإذا كان قد طبّقه في تاريخه الجزء الثاني ، فلا بدّ وأنّه اتّبع الشيء نفسه في كتابة تاريخه الجزء الأول. ونستطيع أن نستشف في مقدمة الجزء الثاني بعض الشيء عن خطّته في كتابه ، جزئه الأوّل حيث قال : إنه لمّا انقضى كتابنا الأوّل الذي اختصرنا فيه ابتداء كون الدنيا وأخبار الأوائل من الأُمم المتقدمة والممالك المتفرقة والأسباب المتشعّبة ألّفنا كتابنا هذا .

فمنهجه هنا كان يقوم أولاً على الاختصار ، وثانياً على عدم التطويل .

ولذلك نراه قد اقتصد في ذكر الأشعار في كتابيه إذ كان تضمين الشعر قاعدة في الأسلوب لم يفكر أحد في مناقشتها . وإذا ما تصفّحنا المؤلفات التاريخية على اختلاف أنواعها قلما نجد كتاب تاريخٍ خالياً تماماً من الاقتباسات الشعرية . وإذا كانت المادة التاريخية المطلوب معالجتها واسعة جداً وأراد المؤرخ أن يختصر في كتابته فقد يفكّر في حذف الأشعار .

وقد صرّح اليعقوبي بهذه النية في مقدمة الجزء الثاني حيث قال : «وجعلناه كتاباً مختصراً حذفنا منه الأشعار ، وتطويل الأخبار» . لذلك جاء كتابه مركزاً خالياً من حشو الكلام ، مبتعداً عن ذكر الخرافات والأساطير التي درج المسعودي على ذكرها ، وابتعد عن الأخذ بالتاريخ الفارسي واعتبره

مليئاً بالخرافات ، وفي ذلك يقول : «ولهم أخبار قد أُثبتتْ رأينا أكثر الناس ينكرونها ويستبشعونها لأن مذهبنا حذف كل مستبشع» .

وهنا نراه قد استخدم منهج النقد العلمي القائم على التحليل والمقارنة والاستنتاج ، وعدم الانسياق في تصديق الأخبار دون تحليلها . هذا إذا ما علمنا أن كثيراً من الأساطير اليهودية والنصرانية قد تسرّبت إلى التاريخ العربي تحت ستار التفسير الإسلامي ، وتسرّبت التواريخ الفارسية أيضاً وتصديق بعض المؤرخين لها وأخذهم بها دون تدقيق بسبب عدم التمييز بين العناصر الأُسطورية وشبه الأُسطورية وبين العناصر التاريخية[1] .

فاليعقوبي ذو العقلية العلمية لم يندفع في ذلك التيار الذي جرف غيره في تصديق الخرافات والأساطير ، بل نراه استخدم عقله في نقد وتحليل الأخبار قبل الأخذ بها .

وقد استخدم النقد ثانية في التاريخ الفارسي ، ولم يكتفِ بنقد تلك الخرافات وعدم تصديقها وتمثيلها باللعبات والهزل ، بل نراه قد أنحى باللوم على عقلاء فارس لسكوتهم على مثل هذه الخزعبلات وعدم تكذيبها أو تصحيحها .

وقد استخدم النقد أيضاً حين تطرق إلى التاريخ المصري القديم فاعتبر معتقداتهم الدينية من صنع الكهان . فاليعقوبي والحالة هذه يكون أوّل من استخدم النقد في مصادره من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية . لذلك كانت معلوماته التاريخية التي اعتمدها في تاريخه ما قبل الإسلام من أدق المعلومات وأصدقها[2] .

أمّا منهجه في اختيار روايات التاريخ الإسلامي ، فمن مراجعة مقدمة التاريخ الإسلامي نراه قد وضع في تلك المقدمة المنهج الذي سار عليه في

---

(١) راجع هاملتون جب : الحضارة الإسلامية ص ١٥٤ .

(٢) راجع فرانتز روزنثال : علم التاريخ ص١٣٠ .

اختيار الروايات إذ يقول : «قد ذهبنا إلى جمع المقالات والروايات لأنّا قد وجدناهم قد اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمال، وزاد بعضهم ونقص بعض فأردنا أن نجمع ما انتهى إلينا ممّا جاء به كل امرىء منهم لأن الواحد لا يحيط بكل العلم».

نستنتج من هذه المقدمة أن اليعقوبي قد اتّبع منهجاً قائماً على جمع المقالات ودراستها ومقارنتها واختيار ما أجمع عليه الرواة . فمنهجه إذاً قائم على الاختيار والتأليف لا على النقل والسرد . وفي ذلك يقول : «ولم نذهب إلى التفرد بكتاب نصنّفه ونتكلّف منه ما قد سبقنا إليه غيرنا» . فاليعقوبي إذاً كان دقيقاً في معلوماته صادقاً في رواياته مما أعطى لمؤلفاته القيمة العلميّة ولرواياته التقدير من قبل الباحثين والمؤلفين .

ومن منهجه أيضًا الاختصار والتركيز ، لا الحشو والتطويل ، وفي ذلك يقول اليعقوبي : «وجعلناه كتاباً مختصراً ، حذفنا منه الأشعار وتطويل الأخبار» .

وقد سار على هذا المنهج في تاريخه الإسلامي أيضاً ، كما سار في تاريخه ما قبل الإسلام ؛ فابتعد عن الإسناد لأنه وصل في عصره إلى حالة من الاستقرار والثبات ، ولأن منهج الإسناد فيه حشو وتطويل . إذ كثيراً ما تتضخّم المجلدات بتكرار المادة الواحدة أو التي تكاد تكون واحدة لتغيّر سند رواتها .

وكما رأيناه في كتابة الجزء الأوّل حين ابتعد عن الإكثار من الأشعار ، نراه يطبّق القاعدة نفسها في جزئه الثاني حيث اقتصر على عدد محدود من الأشعار لأن ذكر الأشعار فيها تطويل خاصّة تلك التي لا علاقة لها بسير الأحداث .

الخلاصة :

إذا توخّينا الدقة لا بدّ من مراجعة تاريخه بجزئيه إذ نراه في جزئه الأوّل قد اكتفى بإيراد الأخبار غير مسندة إلى أصحابها وما ذلك إلاّ لصعوبة

استخدام النقد في التاريخ القديم[1] ، أوّلاً . ولعدم وجود نظام حساب الزمن لفترة ما قبل الإسلام ، ثانياً. لذلك اكتفى بذكر المصدر في بعض الأحيان . أمّا في الغالب الأعمّ فإنه يذكر الحادثة مجردة . فحين تطرق إلى قصة خروج آدم وحواء من الجنّة اكتفى بذكر مصدره حيث يقول : «وأخرج الله آدم وحواء مما كان فيه ، فيما يقول أهل الكتاب» . فمصدره الذي استقى منه هذه الرواية هم أهل الكتاب . ثم نراه يعتمد في تحديد الطوالع على أصحاب الحساب ما شاء الله ، كما نراه قد اعتمد على الكتب المقدسة . وذكر أهل العلم كمصدر له حيث يقول :

«قال أهل العلم» ثم نراه يعتمد على الكتب القديمة كمرجع له فيخصّها بالذكر . . .

أمّا بقية كتابه فيكون خالياً من أي إسناد أو ذكر أي مصدر . ورغم ذلك نرى أن معلومات اليعقوبي عن التاريخ القديم حازت على ثقة البحاثة والعلماء . إذ إن أدق الأخبار عن التاريخ اليهودي والنصارى (بما فيهم الرومان) توجد فيما عدا الكتب الإسلامية الأندلسية والغربية عند اليعقوبي ، وإلى حدٍ أقلّ عند حمزة الأصفهاني ، وعند أبي الفدا الذي يعتمد على أبي عيسى بن المنجّم[2] . أمّا عن اقتصاره في ذكر الأشعار فنراه قد امتنع عن ذكر أي بيت شعر في التاريخ القديم لملوك الأمم القديمة ونراه يبدأ بإيرادها في التاريخ العربي القديم ، ويضعها في مناسباتها . فحين تطرّق إلى ملوك اليمن ذكر بيتيْ شعر ، ذكرهما حسب متطلبات البحث . ثم ذكر خمسة أبيات بمناسبة كسوة الكعبة من قبل تبع بن حسّان أحد ملوك اليمن . ثم ذكر أربعة أبيات في سيف بن ذي يزن ، ثم ذكر بيت شعر لمالك بن فهم ، ذكره حين رماه ابنه وقتله قال :

أُعلّمه الرماية كل يومٍ ... فلما اشتدّ ساعده رماني

---

(١) الحضارة الإسلامية ص ١٥٤ .

(٢) علم التاريخ ص ١٣٠ .

ثم نراه يزيد ذكر الشعر كلما اقترب من العهد الإسلامي فذكرها في ملوك الشام . أمّا ملوك الحيرة فقد زاد فيها إيراد الشعر فقالها في حدود الثمان مرّات، وقد زاد ذكره لأبيات الشعر حين تطرّق إلى ذكر أولاد إسماعيل .

هذا ما يخصّ تاريخه القديم ، أما تاريخه الإسلامي فنراه اقتصد في ذكر الشعر إلى درجة كبيرة بحيث لم تتعدَّ عدد المرات التي ذكر فيها الشعر في فترة الرسالة العشر مرات ، وفي فترات متباعدة . .

أمّا العصر الراشدي فنراه قد اقتصر في إيـ اده للشعر على المناسبات ، لذلك كان عدد الأبيات التي قالها محدود . وإذا استعرضنا عدد الأبيات التي ذكرها في العصر الأُموي نراها من القلّة بحيث لم تتجاوز الخمسة والعشرين بيتاً . والتي ذكرها جميعها وُضعت في مكانها المناسب من سياق حوادث التاريخ .

ولما اقترب من العصر العباسي نرى عدد المرات التي ذكر فيها أبيات الشعر قليلة جداً .

من كل ما سبق نستطيع أن نتأكّد من التزام اليعقوبي لمنهجه الذي وضعه لنفسه والذي سار عليه دون أن يحيد عنه ، فهو حين قام بإنجاز هذا السفر لم يكن الغرض منه تطويل الأخبار أو ملؤه بالأشعار بمناسبة وغير مناسبة ، وإنما الهدف هو الوصول إلى إنجاز تاريخ يضم الحوادث التاريخية المهمة التي تقنع القارىء وتوصل إلى ملء الفراغ الذي كان اليعقوبي يعتقده في المؤرخين السابقين ، لذلك جاء تاريخه موجزاً مركزاً .

ثانياً : منهجه في تنظيم موضوعات كتابه :

في تاريخه ما قبل الإسلام (الجزء الأوّل) اتخذ اليعقوبي الموضوعات أساساً في تنظيم موضوعات تاريخه ، لكنه اتّبع ترتيب هذه الموضوعات ترتيباً زمنياً ، أي على أساس التعاقب الزمني للشخصيات كالأنبياء والملوك وغيرهم ، ثم يتلو ذلك الكلام عن عيسى بن مريم والأناجيل الأربعة ، ثم

يتناول تاريخ الأمم القديمة كملوك الرومان وملوك الموصل ونينوى وملوك بابل ، وملوك الهند ، ثم يتناول اليونانيين وإنجازاتهم العلمية ، ويتناول بعد ذلك ملوك اليونانيين وملوك الرومان والوثنية ، ثمّ ملوك الرومان المنتصرة . ثمّ ملوك الفرس ، ثمّ ممالك الجربى ثمّ ملوك الصين .

ثمّ نراه يتناول الممالك التي قامت في أفريقيا كمملكة مصر في شمال شرق إفريقيا وممالك البربر والأفارقة في الشمال والشمال الغربي من أفريقيا ، ثمّ تناول ممالك الحبشة والسودان . وهنا نلاحظ اليعقوبي قد اتّبع تنظيماً إقليمياً فريداً حيث ابتدأ من شمال شرق أفريقيا مبتدئاً بمصر ثم غرب مصر وشمال أفريقيا ، ثم نراه يعود ليأخذ الممالك التي في جنوب مصر كممالك الحبشة والسودان ثم مملكة البجة .

إن اليعقوبي باتباعه هذا التنظيم يعود إلى طبيعته الجغرافية إذ إن اليعقوبي لم يكن مؤرخاً فحسب بل كان جغرافياً أيضاً .

وبعد أن انتهى اليعقوبي من تاريخ الأمم القديمة نراه يدخل في تاريخ العرب القديم مبتدئاً بتاريخ اليمن القديم متناولاً ملوكها ، ثم ملوك الشام ثم ملوك الحيرة في العراق ، وبعد ذلك يتطرّق إلى حرب كندة ثمّ يستعرض أولاد إسماعيل بن إبراهيم ، وبعد ذلك يدخل في أديان العرب القديمة ، ثمّ يتناول موضوعات أخرى متفرقة كحكام العرب وأزلام العرب ، وأخيراً شعراء العرب.

من خلال هذا الاستعراض نلاحظ أولاً أن اليعقوبي قد اتّبع في كتابته لتاريخه التسلسل التاريخي للفترات ، وبتناوله لهذه الموضوعات كان قد طبّق فكرته عن التاريخ العالمي بصورة شاملة . وثانياً نراه قد كتب تاريخه بموجب خطة وضعها لنفسه مقدماً وسار عليها . فالتاريخ القديم إذاً كتبه كمقدمة وكتمهيد للتاريخ الإسلامي ، لذلك كانت موضوعاته متسلسلة متناسقة الترتيب ومتوازية متساوية في الاهتمام لم يفرق بين موضوع وآخر عكس الدينوري في كتابه الأخبار الطوال حيث نراه يركز على بعض

الحوادث ويوضحها بالتفصيل كالتاريخ الإيراني مثلاً ، لكنه لا يهتم بتاريخ الرسل ثمّ يعطي إلمامة وجيزة بفترة الرسالة مما جعل كتابه يخلو من التنسيق .

منهجه في تنظيم موضوعات التاريخ الاسلامي :

في تاريخه الإسلامي نراه قد انتهج المنهج السابق نفسه وهو الذي يقوم على أساس الموضوعات في فترة الرسالة ثم يشق طريقاً جديداً في كتابته حين يتناول تاريخ الخلفاء إذ يتناولهم خليفة خليفة إلى أن ينتهي إلى آخر خليفة كان يعاصره .

وقد بدأ تاريخه بمقدمة وضح فيها الأهداف من وراء إنجاز هذا الكتاب والأسباب التي دفعته إلى كتابته ، ثم ذكر فيها طريقته في الحصول على الروايات والأخبار ، كما حدّد فيها مصادره التي استقى منها تلك الروايات والأخبار .

إن اليعقوبي بعمله هذا يكون قد قام بعمل مشابه لما يقوم به المؤلفون المعاصرون حيث لا يخلو أي كتاب من كتبهم من مقدمة . ثم بعد ذلك يتناول موضوعات كتابه مبتدئاً بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : مولده وحياته حتى وفاته .

وقد تناول خلال ذلك حوادث تاريخية عاصرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كحرب الفجار وحلف الفضول ، وبناء الكعبة ، وتزويجه لخديجة بنت خويلد . بعد ذلك تناول فترة الرسالة إلى تاريخ هجرته إلى المدينة وتطرق خلالها إلى موضوعات عدّة كالمبعث ثم الإسراء والنذارة والهجرة إلى الحبشة ثم حصار قريش للرسول وخبر الصحيفة ، ثم وفاة القاسم ابن الرسول ، ثمّ ما نزل من القرآن بمكة ، ثمّ وفاة خديجة زوجته وأبي طالب عمه ، وخروج الرسول إلى الطائف ثمّ قدوم الأنصار إلى مكة ، ثمّ خروجه من مكة قاصداً المدينة .

ثم تناول اليعقوبي حياة الرسول في المدينة وتضمّنت عدّة موضوعات

كقدوم الرسول إلى المدينة وافتراض الصوم والصّلاة، وما نزل من القرآن من آيات . ثم تناول غزواته كغزوة بدر الكبرى وغزوة أُحد . وتطرّق الى الوقعات الحربية الأخرى كوقعة بني النضير ووقعة الخندق ووقعة بني المصطلق وغزوة الحديبية ووقعة خيبر ، ثم فتح مكة ووقعة حنين ثمّ غزاة مؤتة ثمّ ذكر غزوات الرسول التي لم يكن فيها قتال وذكر الأمراء على السرايا والجيوش .

ثمّ نراه يذكر موضوعات أُخرى متفرقة كوفود العرب الذين قدموا على رسول الله ، ثمّ خطب الرسول ومواعظه وحجة الوداع ثمّ الوفاة ، وأتبع ذلك ببعض الموضوعات الخاصّة بالرسول كصفة رسول الله ﷺ والمشبهين به ثمّ نسبه ﷺ وأُمهاته إلى إبراهيم والعواتك والفواطم اللاتي ولدنه .

والملاحظ في هذا التنظيم أنه اتبع فيه الترتيب الزمني ما أمكنه ذلك .

أما الموضوعات التي لا يمكنه ترتيبها كأسماء زوجات النبي ، أو الفرائض الإسلامية فنراه قد وضعها بعد كلامه عن تاريخ النبوة وقبل كلامه عن حجة الوداع ووفاة الرسول . أي أنه وضعها وضعاً لا يتنافى مع سياق الموضوعات ونستطيع أن نقول إنه رتّبها ترتيباً منطقياً .

أما بقية الكتاب فقد سار فيه على أساس العهود ، أي عهد كل خليفة إلاَّ أنه مع ذلك راعى خطة تسلسل الحوادث على السنين .

فاليعقوبي إذاً اتخذ عهد كلّ خليفة منذ توليته حتى نهاية عهده منهجاً رئيسياً في إكمال بقية كتابه ، فابتدأ تطبيق هذا المنهج من بداية العهد الراشدي حتى العصر العباسي .

فابتدأ العصر الراشدي بخبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر ، وذكر فيها كل التطورات التي رافقت ذلك الاجتماع ، ثم بعد ذلك يتناول عهد أبي بكر ، وقد ابتدأ الكلام عنه بذكر تاريخ بيعته ، وعادة اليعقوبي أن يذكر الطوالع ، إلاَّ أنه هنا لم يذكرها نظراً لأن توليته الخلافة كانت في اليوم

نفسه الذي مات فيه الرسول ﷺ وقد حدّدت الطوالع في وفاة الرسول ، لذلك لم يكرّرها لأنها معروفة . ثم كلمة موجزة عن حياته ثم يستعرض الحوادث التي استجدت في خلافته ، ويختم كلامه عن أبي بكر وتاريخ وفاته وذكر قائمة بأسماء عماله وأسماء من كان يعتمد عليهم من الفقهاء . وقد اتبع الخطة نفسها مع عمر . إلاّ أنه زاد عما ذكره عن أبي بكر بذكر صفاته .

أما بقية الخلفاء حتى نهاية كتابه فقد ذكرهم بالأسلوب نفسه الذي طبقه مع عمر ، أي ذكر تاريخ التولية والطوالع التي كانت عند تولّيه ، ثم يختمها بصفات الخليفة وبقائمة بأسماء ولاته وموظفيه كالفقهاء وأمراء الحج والحملات الحربية وأُمرائها .

كما ذكرنا أنه رغم اتباعه هذا المنهج في إنجاز كتابه، لكنه استعان بالمنهج الحولي حيث ضمّن عدّة حوادث حدثت في السنة . وعلى سبيل المثال لا الحصر نراه قد استخدم هذا المنهج في خلافة عمر بن الخطاب . فقد ذكر في سنة توليته الخلافة وهي سنة ثلاث عشرة للهجرة الحوادث التي حدثت في هذه السنة .

واستمرّ اليعقوبي يستعمل هذا المنهج في السنوات التالية حتى وفاة عمر بن الخطاب ؛ إلاّ أنه لم يستعمله أساساً في التطبيق إذ نراه يتركه ويستمر في الاسترسال في الشرح متجاوزاً حوادث السنوات التالية . فمثلاً نراه في خلافة عثمان يستمر في استخدامه منذ تاريخ ولايته سنة ٢٤ هـ والسنوات التالية حتى سنة ٣٢ هـ. أما السنوات التالية بعد هذا التاريخ فيهملها ولا يذكرها إذ يذكر الحوادث مرسلة دون تحديد سنوات حدوثها حتى سنة مقتله وهي سنة ٣٥ هـ . ونرى الشيء نفسه في خلافة معاوية إذ يذكر سنة توليه ٤٠ هـ والسنوات التالية لهذا التاريخ حتى سنة ٤٤ هـ ، لكنه فجأة يترك ذكر السنين التالية ليدخل في موضوع جديد وهو وفاة الحسن بن علي . وسنة جديدة هي سنة ٤٩ هـ وهي سنة وفاة الحسن . واستمر اليعقوبي يستعمل هذا الأسلوب في بقية الخلفاء الأمويين ثم

العباسيين أيضاً كما جاء في خلافة أبي جعفر المنصور ، إذ لم يذكر السنوات التي بين سنة ١٤٨-١٥١هـ ويذكر حوادثها مرسلة. كذلك لم يذكر السنوات التي بين سنة ١٥٥ - ١٥٨ هـ كما نراه يذكره غير منتظم في بقية الخلفاء كعهد هارون الرشيد وغيره .

من هنا نرى أن اليعقوبي لم يستعمل المنهج الحولي استعمالاً ثابتاً كما استعمله الطبري مثلاً وإنما استعان به لتثبيت الحوادث المهمة ومدى اتصالها .

إن المنهج الذي اتبعه اليعقوبي في كتابة تاريخه كان منهجاً علمياً أضفى عليه المكانة والقيمة العلمية لدى الباحثين والمتتبعين ، فنرى مثلاً المستشرق مرغليوت قد أغدق المدح على هذا المنهج حيث يقول: «ويشبه ترتيبه المادة طبقاً للعهود الترتيب المتّبع في الكُتب الحديثة ذات الطبيعة المشابهة»[1] .

وعلى الخطة التي إتبعها في إنجاز كتابه إطراء وثناء حيث يقول : «ويتبع في كتابة تاريخه خطة لا بدّ أنها احتاجت إلى قسط طيب من البحث لتحقيقها»[2] .

النتائج :

نستخلص من كل ما ذكرنا عن منهجه ما يأتي :

١ - إنه طبّق منهجه الذي أوجده والذي يدور حول صحة سند الخبر في كتابة تاريخه إذ وجدناه قد ابتعد عن منهج الإسناد القديم لأن الحقائق التاريخية قد اكتمل تحقيقها ووصلت إلى حالة من الاستقرار في زمانه .

---

(١) دراسات عن المؤرخين العرب ص١٤٠ .

(٢) دراسات عن المؤرخين ص ١٣٩ .

٢ ـ اتخذ اليعقوبي لنفسه خطة عمل وضعها في مقدمة تاريخه وسار عليها ولم يحد عنها لذلك اختصر في ذكر الأشعار وابتعد عن ذكر كل ما هو غير معقول ، فأمعن في استخدام النقد في مصادره ، واليعقوبي في هذه الحالة يكون من الأوائل الذين استخدموا منهج النقد التاريخي .
وهنا تكون لنا وقفة قصيرة تتطلب توضيح نقطتين مهمتين تتعلقان بمنهجه وهما :

أوّلاً : إن اليعقوبي في اختياره الروايات وجمعها كان يعمل فيهما النقد ، فقد نقد التاريخ الفارسي والتاريخ المصري القديم . . .

ثانياً : بدأت عنده فكرة تفسير الحوادث وتعليلها ووضع قوانين لها لكنها كانت بداية أولية تستحق التمعّن .

هكذا كانت عقلية اليعقوبي التي رفضت الروايات الوهمية وابتعدت عن ذكر كل حادثة غير معقولة . وليس هذا ببعيد عنه فاليعقوبي يحمل عقلية علمية منفتحة تعتمد على البحث والتدقيق .

أسلوبه في كتابة تاريخه :

لقد عرفنا من سيرة اليعقوبي ومكانته العلمية أنه قد حصل على طرق صالحة في العربية في نحوها وصرفها وآدابها . كما عني عناية فائقة في مطلع حياته بقراءة الكتب والمراجع حتى إنه كانت لديه مكتبة تاريخية غنية لم يبق منها إلاّ النزر اليسير[١] . فتعرّف على مختلف أساليب الكتابة التي كانت قبله وفي عصره ، وقد تعاطى الشعر وأوضح ما يكون ذلك في كتابه الجغرافي (البلدان) حين مدح آل طولون حيث قال :

ذهب الملك والزينة لمّا مضى بنو طولون[٢]

وله شعر في وصف سمرقند ، لكنه في نظمه هذه الأبيات الشعرية

---

(١) فرانتز : علم التاريخ ١٨٤ ـ ١٨٥ .
(٢) البلدان : ط ٣ النجف ص ١٢٦ .

فهو فيها ناظم غير شاعر . وقد اطلع على نظم غيره من الشعراء حيث أودع العديد من أبياتهم في تاريخه . لذلك أصبحت لغته قوية جداً يصعب أن نجد في كتابه لحناً أو غلطاً أو استعمالاً عامياً ، فإذا كان النادر من ذلك فإنه من سهو القلم .

إن عناية اليعقوبي بدراسة عدد ضخمٍ من المؤلّفات التاريخيّة والأدبية واشتهاره بقوة الحافظة جعلته يطلع على أساليب عدد كبير من الكتاب والمؤلفين على مدى أزمان طويلة فتعرّف على أساليبهم مما أكسبه خبرة قوية .

مميزات أسلوبه :

لقد تميّز أُسلوب اليعقوبي بالطراوة والحبك ولم يعنَ بالصنعة البيانية وتزيق الألفاظ كغيره من المؤلّفين وهذا أمر طبيعي فيما نرى ، لأن للكلمة مكانتها عند اليعقوبي . إنه الناقد الذي يختار العبارة المناسبة للتعبير عمّا يريد بصورة دقيقة . فهو أُسلوب علمي قبل كل شيء لأن أُسلوب الصنعة البلاغية يتجلّى فيه دائماً الابتعاد عن الدقة . هذا إذا ما علمنا أن اليعقوبي كان صاحب منهج تاريخي بدا في غاية الوضوح في كتابه التاريخ وأخبار الأُمم السالفة ولم نجد فيهما استطراداً لا في ذكر الحوادث ولا في ذكر عادة التقليد . فهو يعطي للحادثة مغزاها ودلالتها تمكن القارىء من أن يتحسّسها ويتذوقها ويتعايش معها ثم يكتبها بأُسلوب علمي مفهوم وبيان سلس وأُسلوب جذاب إذ إن أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره .

ونستطيع أن نتحسّس حلاوة أُسلوبه وطراوته من قراءتنا لتاريخه إذ إننا ما أن نبدأ القراءة حتى نشعر بجاذبية خفيّة تشدّنا إلى الكتاب وتلصقنا به والرغبة في تتبّع حوادثه تغمرنا والشوق إلى التعرّف إلى ما بعدها يجرّنا ونتمّ قراءته ونبغي المزيد دون مللٍ أو سأم .

إن مقدرة اليعقوبي على صياغة الألفاظ ليست هي الوحيدة التي يتميز بها وإنما القدرة على إعطاء الوضوح للفكرة التي يريد التعبير عنها . لذلك كان تاريخه بكل ما فيه من حوادث وروايات تضفي عليها طابع

الـوضوح والانسجـام خاليـاً من كل لفظ نشـاز أو تعبيـر غـريب وصـدق من قال : «إن اليعقوبي يملـي عليك في تاريخـه الوقـائع والحـوادث الصحيحة حتى كـأنـك شـاهـدتهـا بنفسـك ورأيتهـا بعينيـك ببيـانٍ سلسٍ وأسلوب جذّاب[1] .

الجانب الديني والجانب الثقافي في الكتاب :

من خلال قراءتنا لتاريخ اليعقوبي نستطيع أن نقول إنه أعطى للنواحي الدينية خاّصة لما قبل الإسلام اهتماماً كبيراً ، إذ نراه قد ابتـدأ كلامـه بقصة الخليقـة ثم تلاه بتـاريخ الأنبيـاء حيث وضح فيـه قصة آدم وحـواء ثم تـلاه بأولاد آدم وقد وضح اليعقوبي فيها كيف تناقل أبناء آدم وأحفاده الرسالة .

ثمّ تطرق إلى قصة النبيّ نوح وشرح سفينته وما تلا ذلك ثمّ ذكر أبناء نوح الثلاثة : سام وحام ويافث . وقد أولى لأبناء سام اهتمامـاً خاصّـاً حيث ذكرهم بالتسلسل حتـى تأريـخ ابن ناحور الذي سمـاه بإبـراهيم خليل الله . ثمّ بعـد ذلك نـراه قد اهتم بقصـة التـوراة وقصـة إبـراهيم عليه السلام ومن بعـده إسحاق بن إبراهيم ثمّ يعقوب ثمّ أولاد يعقوب وسمّاهم بالأسباط وكانوا اثني عشر ولداً .

وقـد تلى بعد ذلـك قصة مـوسى فأورد خـلالهـا العشـر الآيـات التي أوحاها الله سبحانه إلى مـوسى والتي أمره أن يكتبهـا في لوحي زمـرد فكتبها على مـا أمره الله . وبعـد ذلك تـطرق إلى أنبيـاء إسـرائيـل وملوكهم الـذين جاؤوا بعد موسى .

إن اليعقوبي بإيراده هذه النصوص يكون قـد اعتمد على كُتب اليهـود القـديمة ومنهـا التوراة ، إذ إن التـوراة كانت تعتبـر من المصـادر الأسـاسيـة للتاريخ اليهودي ، وبالإضـافة إلى التـوراة نراه قـد اعتمد على كتب يهـودية أُخرى كالزبور مثلاً .

واستطاع اليعقوبي أن يعطي توضيحـاً عن تاريـخ اليهود القـديم يمكن أن يكـون مصـدراً مهمـاً للبـاحثين والمتتبعين خـاصّـة وأن الكُتب اليهـوديـة

---

(1) مقدمة كتاب البلدان لليعقوبي ط ٣ النجف .

القديمة فُقدت وما هو موجود منها الآن ليست كتبهم الأساسية بل هي كُتب محوّرة بما يتلاءم مع طموحاتهم . فالتلمود الذي يُعتبر من الكُتب المقدسة والذي وضعه حكماء إسرائيل وفلاسفتها يعتبر الدستور الذي يحدّد أهداف المتعصبين منهم ، فهو إذاً كتاب موضوع وليس من كتبهم القديمة التي جاءت إلى نبيّهم موسى ، وإلاّ كيف يرضى الله أن يفرّق بين البشر ويجعل اليهود أبناء الله وأحباءه أمّا باقي المخلوقات فهو بذور حشرات وسائمة كالأنعام كما جاء في تلمودهم .

كما أعطى توضيحات تاريخية عن بعض المواقع الجغرافية منها ما اندثر كمدينتيْ سدوم وعمورة من أرض فلسطين ، ومنها ما زالت باقية كبئر زمزم وكيف ظهر الماء فيها ، ثم بناء الكعبة على يد إبراهيم وكذلك بناء بيت المقدس ومدينة بيت المقدس وهي القدس الحالية ، كما أعطى تفسيرات لأصل كثير من الأسماء : كعرفات والمزدلفة وصلاة الجمعة ويوم التروية والبلقاء من أرض الشام . . . وغيرها كثير ممّا يعطي لتاريخ اليعقوبي قيمة علمية لتفسير المواقع والأسماء ممّا يشبه المعاجم .

كما أولى الدين المسيحي اهتماماً لا يقل عن اهتمامه بالدين اليهودي حيث أورد قصة عيسى بن مريم ثم تناول الأناجيل الأربعة : متّى ، ومرقص ، ولوقا ويوحنّا .

وقد أورد نصوصاً من تلك الأناجيل معتمداً على الكُتب المقدسة الأصلية للمسيحيين والتي استطاع أن يحصل عليها من مصادرها كالكنائس خاصّة وأنها كانت تُعتبر مصدراً مهماً للتاريخ القديم . هذا وقد أعطى اليعقوبي لأديان العرب القديمة أيضاً اهتماماً ملحوظاً ويتمثّل هذا الاهتمام في مقالاته عن أديان العرب قبل الإسلام وذكر أصنامهم وأسمائها وإثباته تلبيات القبائل عند قدومهم إلى مكة للحج .

الجانب الثقافي :

بالإضافة إلى اهتمامه بالناحية الدينية نرى اليعقوبي قد أعطى اهتماماً

الإسـلامي ويبـدأ ببعض الحكميـات عن أهميـة المعـرفـة وبنقـل ذلـك عن عليّ بن أبي طالب[1] .

إن من يقرأ تاريخ اليعقوبي يجـد أنه اهتم اهتمـاماً ملحـوظاً بـالجانب الـديني والجانب الثقـافي في كتابـه وتطرّق كـذلك إلى أمـور أخـرى كثيـرة سيقف عليها القارىء . .

لقد كلّفتني مشكورةً مؤسّسة الأعلمي قراءة هذا الكتاب وضبطه لإعادة طبعه من جديد نظراً لصعـوبة الحصـول على نسخٍ منـه ، ولحاجـة المكتبة الإسلامية والعربية إليه ، فكانت هذه المعلومات الموجزة التي أثبتّها هنا في المقـدمة والتي أخـذتها من كتـاب «اليعقوبي المؤرّخ والجغـرافي» لـلأستـاذ يـاسين الجعفـري ، وكتابـه خلاصـة جهد متـواصل قـدّمـه في بحث مفصّـل شـامـل ودراسة مسهبة كـاملة عن اليعقوبي وكتـابيه : التـاريخ والبلدان . . . وكـانت هذه الهوامش التي شـرحت فيها مـا رأيت أنه بحـاجة إلى شـرح ، آملاً أن أكون وُفّقتُ في ذلك ، والله الموفّق والمستعان .

بيروت في ١٩٩٣/١/١ م
الموافق الثامن من رجب سنة ١٤١٣ هـ

عبد الأمير علي مهنا

---

(١) فرانتز : علم التاريخ ص ١٨٤ .

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

. . . .

. . . . على آدم[١] ،

فلم يطاوعه شيء ممّا خلق الله جلّ وعزّ إلاّ الجنّة ، فلمّا رأى آدم ما في الجنّة من النعيم قال : لو كان سبيل إلى الخلود ؟ فطمع فيه إبليس لمّا سمع ذلك منه ، فبكى ونظر إليه آدم وحواء يبكي ، فقالا له : ما يُبْكيك ؟ قال[٢] : لأنّكما تفارقان هذا ، وما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة ، إلاّ أن تكونا ملكَيْن ، أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنّي لكما لمن الناصحين .

وكان لباس آدم وحواء ثياباً من نور[٣] ، فلمّا ذاقا من الشجَرَة ، بَدَتْ لهما سَوْآتهما[٤] ، فزعم أهل الكتاب أن مكث آدم في الأرض ، قبل أن

---

(١) هكذا بياض في الأصل في جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة .

(٢) في الكامل في التاريخ : «أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة» .

(٣) في الكامل : «وكان لباسها الظُّفْر» ويقال : «ظفّر الثوب» : أي طيّبه بالأظفار وهي أقطاع ذات رائحة عطرة .

(٤) سوأتهما : عورتهما .

يدخل الجنّة ، كان ثلاث ساعات[1] ، ومكث هو وحواء في النعيم والكرامة ، قبل أن يأكلا من الشجرة فتبدو لهما سوآتهما ، ثلاث ساعات ، فلمّا بدت لآدم سوأته أخذ ورقة من الشجرة ، فوضعها على نفسه ، ثم صاح : ها أنا يا رب عريان قد أكلت من الشجرة التي نهيتني عنها ، فقال الله : إرجع إلى الأرض التي منها خُلقت ، فإنّي مسخّر لك ولولدك طير السماء ، ونون البحار[2] .

وأخرج الله آدم وحواء ممّا كانا فيه ، فيما يقول أهل الكتاب ، في تسع ساعات من يوم الجمعة[3] ، وهبطا إلى الأرض ، وهما حزينان باكيان ، وكان هبوطهما على أدنى جبل[4] من جبال الأرض إلى الجنّة ، وكان ببلاد الهند ، وقال قوم : على أبي قُبَيْس ، جبل بمكّة ، ونزل آدم في مغارة في ذلك الجبل سمّاها مغارة الكنز ، ودعا الله أن يقدّسها .

وروى بعضهم أن آدم لمّا هبط كثر بكاؤه ، ودام حزنه على مفارقة الجنّة ، ثم ألهمه الله سبحانه أن قال : لا إلٰه إلاّ أنت ، سبحانك ، وبحمدك ، عملتُ سوءاً وظلمت نفسي ، فاغفر لي إنّك أنت الغفور الرحيم ! فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه واجتباه[5] ، وأنزل له من الجنّة ، التي كان فيها ، الحجر الأسود[6] ، وأمره أن يصيّره إلى مكّة ، فيبني له بيتاً ، فصار إلى مكّة وبنى البيت ، وطاف به ، ثم أمره الله أن يضحّي له ، فيدعوه ويقدّسه ، فخرج معه جبريل حتى وقف بعَرَفات[7] ، فقال له جبرائيل : هذا الموضع أمرك ربّك أن تقف له به. ثم مضى به

---

(١) جاء في «مروج الذهب» «فمكثا ثلاث ساعات ، وهو ربع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا .

(٢) النون : الحوت . وذو النون : لقب يونس أي يونان النبيّ .

(٣) وهو اليوم السادس من نيسان باتفاق المؤرخين .

(٤) وهو جبل الراهون في جزيرة سرنديب .

(٥) اجتباه : اختاره واصطفاه .

(٦) الحجر الأسود : حجر في أحد أركان الكعبة يستلمه الحجّاج عند طوافهم .

(٧) عرفات هو موضع الوقوف ، تعارف فيه آدم وحواء ، كما جاء في الكامل لابن الأثير .

إلى مكّـة ، فاعتـرض له إبليس ، فقـال: ارمِه ! فـرماه بـالحصى ، ثم صار إلى الأبـطح[١] ، فتلقّته المـلائكة ، فقـالت له : بـرّ حجّـك يـا آدم ! لقـد حججنا هذا البيت قبلك ألفي عام .

وأنـزل الله ، عزّ وجـلّ ، الحنـطة على آدم[٢] ، وأمـره أن يـأكـل من كـدّه ، فحرث وزرع ، ثمّ حصـد ، ثمّ داس ، ثمّ طحن ، ثم عجن ، ثم خبز ، فلمّا فرغ عرق جبينه ، ثم أكل ، فلمّا امتلأ ثقل ما في بطنه ، فنـزل إليه جبرائيل ، ففجّه[٣] ، فلمّا خرج ما في بطنه وجد رائحة تُكْره ، فقـال : ما هذا ؟ قال له جبرائيل : رائحة الحنطة .

ووقـع آدم على حواء ، فحملت ، وولـدت غلامـاً وجـاريـة ، فسمّى الغلام قابيل ، والجارية لُوبِذا[٤] ، ثم حملت فولدت غلاماً وجارية ، فسمّى الغـلام هابيـل والجاريـة اقليما . فلمّـا كبر ولـده وبلغوا النكـاح ، قـال آدم لحواء : مري قابيل ، فليتزوّج اقليما التي ولدت مع هابيل ، ومـري هابيـل فليتزوّج لوبِذَا التي ولدت مع قابيـل ، فحسده قـابيل أن يتـزوّج بأختـه التي ولدت معه .

وقد روى بعضهم أن الله عزّ وجلّ أنزل لهابيـل حـوراء[٥] من الجنّة ، فزوّجه بهـا ، وأخرج لقـابيل جنّيـة ، فزوّجـه بها ، فحسـد قابيـل أخاه على الحوراء ، فقال لهما آدم : قرّبا قرباناً ! فقرّب هابيل من تين زرعه ، وقرّب قـابيل أفضـل كبش في غنمه ، فقبل الله قربان هابيـل ، ولم يقبـل قـربـان قـابيل ، فازداد نَفاسَـة وحسداً ، وزيّن لـه الشيـطان قتـل أخيـه ، فشـدخـه

---

(١) الأبطح : جبل بمكة .

(٢) ذكـر المسعودي فـي المـروج» أن آدم لما هبط من الجنـة أُخرج منهـا ومعه صـرة من الحنطة وثلاثون قضيباً من شجرات الجنة مودعة أصناف الثمـار .

(٣) فجّه : شقّه .

(٤) في «المروج» : لويذاء .

(٥) حوراء هنا : فاتنة حسناء .

بالحجارة ، حتى قتله[1] ، فسخط الله على قابيل ولعنه ، وأنزله من الجبل المقدَّس إلى أرض يُقال لها نود .

ومكث آدم وحواء ينوحان على هابيل دهراً طويلاً ، حتى يُقال إنّه خرج من دموعهما كالنهر[2] ، ووقع آدم على حواء ، فحملت ، فولدت غلاماً ، بعد أن أتى له مائة وثلاثون سنة ، فسمّاه شيثاً ، فكان أشبه ولد آدم بآدم ، ثمّ زوّج آدم شيثاً ، فولد له غلام بعد أن أتت عليه مائة وخمس وستّون سنة ، فسمّاه انوش ، ثمّ وُلد لانوش غلام ، فسمّاه قينان ، ثم وُلد لقينان غلام ، فسمّاه مهلائيل ، فهؤلاء وُلدوا في حياة آدم وعلى عهده .

ولما حضرت آدم الوفاة جاءه شيث ابنه وولده وولد ولده ، فصلّى عليهم ودعا لهم بالبركة ، وجعل وصيّته إلى شيث وأمره أن يحفظ جسده ويجعله ، إذا مات ، في مغارة الكنز[3] ، وأن يوصي بنيه وبني بنيه ، ويوصي بعضهم بعضاً عند وفاتهم ، إذا كان هبوطهم من جبلهم ، أن يأخذوا جسده حشمة ، فيجعلوه وسط الأرض ، وأمر شيثاً ابنه أن يقوم بعده في ولدهم ، فيأمرهم بتقوى الله وحسن عبادته ، وينهاهم أن يخالطوا قابيل اللعين وولده ، ثم صلّى على بنيه أُولئك وأولادهم ونسائهم ، ثم مات لست خلون من نيسان ، يوم الجمعة ، في الساعة التي خلق فيها ، وكانت حياته تسعمائة سنة وثلاثين سنة اتّفاقاً .

شيث بن آدم

وقام بعد موت آدم ابنه شيث ، وكان يأمر قومه بتقوى الله ، سبحانه ،

---

(١) قتله في برية قاع ببلاد دمشق من أرض الشام .

(٢) ذكر أن آدم مرض أحدعشر يوماً قبل وفاته . قال ابن عباس : «لما مات آدم قال شيث لجبرائيل : صلّ عليه فقال : تقدّم أنت فصلّ على أبيك فكبر عليه ثلاثين تكبيرة ، فأما خمس فهي الصلاة ، وأما خمس وعشرون فتفصيلاً لآدم» .

(٣) في معجم البلدان لياقوت :«مغارة الكنز موضع في جبل أبي قبيس دفن فيه آدم كتبه فيما زعموا» .

والعمل الصالح[1]، وكانوا يسبحون الله ويقدّسونه ، وأبناؤهم ونساؤهم ليس بينهم عدَاوة ، ولا تحاسد ، ولا تباغض ، ولا تُهمة ، ولا كذب ، ولا خُلف ، وكان أحدهم إذا إراد أن يحلف قال : لا ودمِ هابيل .

فلمّا حضرت وفاة شيث أتاه بنوه وبنو بنيه ، وهم يومئذ أنوش ، وقينان ، ومهلائيل ، ويرد ، وأخنوخ ، ونساؤهم وأبناؤهم ، فصلّى عليهم ، ودعا لهم بالبركة ، وتقدّم إليهم ، وحلّفهم بدم هابيل ألاَّ يهبط أحد منهم من هذا الجبل المقدّس ، ولا يتركوا أحداً من أولادهم يهبط منه ، ولا يختلطوا بأولاد قابيل الملعون ، وأوصى إلى انوش ابنه ، وأمره أن يحتفظ بجسد آدم ، وأن يتّقي الله ، ويأمر قومه بتقوى الله وحسن العبادة ، ثم توفي يوم الثلاثاء لسبع وعشرين ليلة خلت من آب على ثلاث ساعات من النّهار ، وكانت حياته تسعمائة واثنتي عشرة سنة .

انوش بن شيث

وقام انوش بن شيث ، بعد أبيه ، بحفظ وصيّة أبيه وجدّه[2] ، وأحسن عبادة الله ، وأمر قومه بحسن العبادة ، وفي أيّامه قُتل قابيل الملعون ، رماه لمك الأعمى بحجر ، فشدخ رأسه ، فمات[3] . وكان قد وُلد لأنوش قينان بعد أن أتت له تسعون سنة . ولمّا حضرت أنوش الوفاة اجتمع إليه بنوه وبنو بنيه : قينان ، ومهلائيل ، ويرد ، واخنوخ ، ومتوشلح ، ونساؤهم وأبناؤهم ، فصلّى عليهم ، ودعا لهم بالبركة ، ونهاهم أن يهبطوا من جبلهم المقدّس ، أو يَدَعوا أحداً من بنيهم أن يختلطوا بولد قابيل اللعين[4] ، وأوصى قينان بجسد آدم ، وأمرهم أن يصلّوا عنده ويقدّسوا الله كثيراً ، وتوفي لثلاث خلون من تشرين الأول ، حين غابت الشمس ، وكانت حياته تسعمائة وخمساً وستّين سنة .

---

(١) ذكر أنه بنى الكعبة بالحجارة والطين .
(٢) ذكر ابن الأثير في «الكامل»: إنه لم يزل مقيماً بمكة يحجّ ويعتمر إلى أن مات .
(٣) قتله بنفس الطريقة التي قتل فيها هو أخاه هابيل .
(٤) روي أن كثيراً من الملاهي أحدثها ولد قابيل .

قينان بن انوش

وقام قينان بن أنوش ، وكان رجلاً لطيفاً ، تقيّاً ، مقدّساً ، فقام في قومه بطاعة الله وحسن عبادته ، واتّباع وصيّة آدم وشيث ، وكان قد وُلد له مهلائيل بعد أن أتت عليه سبعون سنة .

فلمّا دنا موته اجتمع إليه بنوه وبنو بنيه مهلائيل ، ويرد ، ومتوشلح ، ولمك ، ونساؤهم وأبناؤهم ، فصلّى عليهم ، ودعا لهم بالبركة ، فأقسم عليهم بدم هابيل أن لا يهبط أحد منهم من جبلهم المقدّس إلى وُلد الملعون قابيل ، وجعل وصيّته إلى مهلائيل ، وأمره أن يحتفظ بجسد آدم . ومات قينان وكانت حياته تسعمائة سنة وعشرين سنة .

مهلائيل بن قينان

ثم قام بعد قينان مهلائيل[1] بن قينان ، فقام في قومه بطاعة الله تعالىٰ ، واتّباع وصيّة أبيه ، وكان قد وُلد له يرد ، بعد أن أتت عليه خمس وستّون سنة .

فلمّا دنا موت مهلائيل أوصى إلى ابنه يرد وأوصاه بجسد آدم ، ثم توفي مهلائيل لليلتين خلتا من نيسان ، يوم الأحد ، على ثلاث ساعات من النهار ، وكانت حياته ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة .

يرد بن مهلائيل

ثم قام بعد مهلائيل يرد ، وكان رجلاً مؤمناً ، كامل العمل لله ، سبحانه ، والعبادة له ، كثير الصلاة بالليل والنهار ، فزاد الله في حياته ، وكان قد وُلد له اخنوخ ، بعد أن أتت عليه اثنتان وستّون سنة ، وفي الأربعين ليرد تمّ الألف الأوّل .

ولمّا مضى من حياة يرد خمسمائة سنة نقض بنو شيث العهود

---

(١) أمّه خالته «سمعن» ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم .

والمـواثيق التي كانت بينهم ، فجعلوا ينـزلـون إلى الأرض التي فيهـا بنـو قـابيـل ، وكـان أوّل نـزولهم أن الشيـطان اتّخـذ شيـطانين من الإنس اسم أحدهما يوبل ، والآخـر توبلقين ، فعلّمهمـا أصناف الغنـاء والزمـر ، فصنع يـوبل المـزامير والـطنابيـر والبرابط[1] والصـور[2] . وصنع تـوبلقين الطبـول والدفوف والصنوج ، ولم يكن لبني قابيـل عمـل يشغلهـم ، ولا ذكر لهم إلاّ أمام الشيطان ، وكانوا يركبون المحـارم والمآثم ، ويجتمعـون على الفسق ، وكـان ذوو السنّ من رجالهم ونسـائهم أشدّ في ذلـك من شبّانهم ، فكـانـوا يجتمعـون ، فيزمـرون ويضربـون بالـطبول والـدفـوف والبـرابط والصنـوج ، ويصيحون ، ويضحكون ، حتى سمع أهل الـجبل من بنـي شيث أصواتهـم ، فاجتمع منهم مـائة رجـل على أن يهبطوا إلى بني قـابيل ، فينـظروا ما تلك الأصـوات ، فلمّا بلغ ذلـك يـرد أتـاهم ، فنـاشـدهم الله ، وذكّـرهم وصيّـة آبـائهم ، وحلف عليهم بدم هـابيل ، وقـام فيهم اخنـوخ بن يـرد ، فقـال : اعلموا أنّهُ مَن عصى منكم أبانا يرد ، ونقض عهود آبـائنا ، وهبط من جبلنـا لم نَـدَعْه يصعـد أبداً ، فـأبوا إلاَّ أن يهبـطوا ، فلمّـا هبـطوا اختلطوا ببنـات قابيل ، بعد أن ركبوا الفواحش .

فلمّـا دنا مـوت يرد اجتمـع إليه بنـوه وبنو بنيـه اخنوخ ، ومتـوشلح ، ولمك ، ونوح ، فصلّى عليهم ، ودعا لهم بالبـركة ، ونهـاهم أن يهبطوا من الجبـل المقدّس ، وقـال : إنّكم لا محـالـة تهبـطون إلى الأرض السفلى ، فأيّكم كان آخر هبوطـاً فليهبط بجسد أبينـا آدم ، ثم ليجعله وسط الأرض ، كما أوصانـا ، وأمر اخنـوخ ابنه ألاّ يـزال يصلّي في مغارة الكنـز ، ثم توفي يـوم الجمعـة لليلة خلت من آذار ، حين غـابت الشمس ، وكـانت حيـاتـه تسعمائة سنة واثنتين وستّين سنة .

اخنوخ بن يرد [3]

ثم قام بعد يـرد اخنوخ بن يـرد ، فقام بعبـادة الله ، سبحانـه ، ولمّا

(١) البربط : العود .

(٢) الصور : البوق . وكان قديماً كناية عن قرن ينفخ فيه .

(٣) رواية الكامـل : حنوخ بن يرد . وهو إدريس النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أتت لـه خمس وستّون سنة وُلد لـه متوشلح ، وأخـذ بنـو شيث ونسـاؤهم وأبناؤهم في الهبوط ، فعظم ذلك على اخنوخ ، فدعـا ولده متـوشلح ولمكاً ونوحاً ، فقال لهم : إنّي أعلم أن الله معذّب هـذه الأُمّة عـذاباً عـظيماً ليس فيه رحمة .

وكان اخنوخ أول من خطّ بـالقلم ، وهو إدريس النبيّ ، فـأوصى ولده أن يخلصـوا عبادة الله ، ويستعملوا الصـدق واليقين ، ثم رفعـه الله بعـد أن أتت له ثلاثمائة سنة[1] .

متوشلح[2] بن اخنوخ

ثم قام متوشلح بن اخنوخ بعبادة الله تعـالىٰ وطاعتـه ، وكان لمّـا أتت عليـه مائـة وسبع وثمـانون سنـة ، وُلد لـه لمك ، فـأوحى الله إلى نوح في عصره ، وأعلمه أنّه باعث الطوفان على الناس ، وأمره أن يعمل السفينة من الخشب ، ولمّـا كملت لنوح ثـلاثمائـة سنة وأربـع وأربعـون سنـة تمّ الألف الثاني .

وتوفي متوشلح في إحدى وعشرين من أيلول ، يوم الخميس ، وكانت حياته تسعمائة وستّين سنة .

لمك[3] بن متوشلح

فقام لمك بعد أبيه بعبادة الله وطاعته ، وكان قـد وُلد لـه بعد أن أتت عليه مائة واثنتان وثمانون سنة ، وكثرت الجبابرة في عصره ، وذلك أنّـه كان لمّا وقع بنو شيث في بنات قابيل ولدت منهم الجبابرة .

---

(١) روى صاحب«المروج» : «والصـابئة تـزعم أنه هـو هرمس ، ومعنى هـرمس عطارد ، وهـو الذي أخبـر الله عزّ وجـلّ في كتابـه أنه رفعـه مكانـاً علياً . . . وهـو أول من درز الدروز ، وخاط بالإبرة ، وأنزل عليه ثلاثون صحيفـة ، وكان قـد نزل قبـل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة . . .» .

(٢) زعموا أن من ولده البلغار والروس والصقالبة .

(٣) حدث في أيامه كوائن واختلاط في النسل .

ثم دنا موت لمك ، فدعا نوحاً ، وساماً ، وحاماً ، ويافثاً ، ونساءهم ، ولم يكن بقي من أولاد شيث في الجبل أحد غيرهم إلاّ هبطوا إلى بني قابيل ، فكانوا ثمانية أنفس ، ولم يكن لهم أولاد قبل الطوفان ، فصلّى عليهم ودعا لهم بالبركة ، ثمّ بكى ، وقال لهم : إنّه لم يبق من جنسنا أحد إلاّ هؤلاء الثمانية الأنفس ، وأسأل الله الذي خلق آدم وحواء وحدهما ، ثم كثّر ولدهما ، أن ينجيكم من هذا الرجز الذي أعدّ للأمّة السوء ، ويكثّر ولدكم ، حتى يملأوا الأرض ، ويعطيكم بركة أبينا آدم ، ويجعل في ولدكم الملك ، وأنا متوفّى ، ولن يفلت من أهل الرجز غيرك يا نوح ، فإذا أنا مت فاحملْني ، واجعلني في مغارة الكنز ، فإذا أراد الله أن تركب السفينة ، فاحملْ جسد أبينا آدم ، فاهبطْ به معك ، ثم اجعلْه وسط البيت الأعلى من السفينة ، ثم كن أنت وبنوك في طرف السفينة الشرقي ، ولتكن امرأتك وكنائنك[١] في طرف السفينة الغربيّ ، وليكنْ جسد آدم بينكم ، فلا تجوزوا إلى نسائكم[٢] ولا تجز نساؤكم إليكم ، ولا تأكلوا ولا تشربوا معهنّ ، ولا تقربوهنّ ، حتى تخرجوا من السفينة ، فإذا ذهب الطوفان وخرجتم من السفينة إلى الأرض ، فصلّ أنت عند جسد آدم ، ثم أوْصِ ساماً أكبر بنيك ، فليذهبْ بجسد آدم ، حتى يجعله في وسط الأرض ، وليجعل معه رجلاً من أولاده يقوم عليه ، وليكن حبراً لله حياته لا ينكح امرأة ، ولا يبني بيتاً ، ولا يهريق دماً ، ولا يقرّب قرباناً من الدوابّ ، ولا الطير ، فإن الله مرسل معه ملكاً من الملائكة يدلّه على وسط الأرض ويؤنسه .

وتوفي لمك لسبع عشرة ليلة خلت من آذار يوم الأحد، على تسع ساعات من النهار، وكانت حياته سبعمائة وسبعاً وسبعين سنة[٣] .

---

(١) وكنّ ثلاث كنائن ، أزواج أولاده الثلاثة سام وحام ويافث .

(٢) أي لا تعبروا إليهن .

(٣) رواية المسعودي : «وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة» .

نـوح

وأوحى الله عزّ وجلّ إلى نوح في أيّام جدّه اخنوخ ، وهو إدريس النبيّ ، وقبل أن يرفع الله إدريس ، وأمره أن ينذر قومه ، وينهاهم عن المعاصي التي كانوا يركبونها ، ويحذرهم العذاب ، فأقام على عبادة الله تعالىٰ والدعاء لقومه ، وحبس نفسه على عبادة الله تعالىٰ والدعاء لقومه ، لا ينكح النساء خمسمائة عام ، ثم أوحى الله إليه أن ينكح هيْكل بنت ناموسا بن اخنوخ ، وأعلمه أنّه باعث الطوفان على الأرض ، وأمره أن يعمل السفينة التي نجّاه الله وأهله فيها، وأن يجعلها ثلاثة بيوت سفلاً ووسطاً وعلواً، وأمره أن يجعل طولها ثلاثمائة ذراع بذراع نوح، وعرضها خمسين ذراعاً ، وسمكها ثلاثين ذراعاً ، ويصيّر حواليها رفوف الخشب ، ويكون البيت الأسفل للدواب والوحش والسباع ، ويكون الأوسط للطير ، ويكون الأعلى لنوح وأهل بيته ، ويجعل في الأعلى صهاريج الماء ، وموضعاً للطعام . فولد له بعد أن أتت عليه خمسمائة سنة .

ولما فرغ نوح من عمل السفينة ، وكان ولد قابيل ، ومن اختلط بهم من ولد شيث ، إذا رأوه يعمل الفلك سخروا منه ، فلمّا فرغ دعاهم إلى الركوب فيها ، وأعلمهم أن الله باعث الطوفان على الأرض كلها حتى يطهرها من أهل المعاصي ، فلم يجبه أحد منهم ، فصعد هو وولده إلى مغارة الكنز ، فاحتملوا جسد آدم(١) ، فوضعوه في وسط البيت الأعلى من السفينة ، يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من آذار ، وأدخل الطير البيت الأوسط ؛ وأدخل الدواب والسباع البيت الأسفل ، وأطبقها حين غابت الشمس .

وأرسل الله الماء من السماء ، وفجّر عيون الأرض ، فالتقى الماء على أمر قد قُدر ، وأخذ الأرض كلّها والجبال ، وأظلمت الدنيا ، وذهب

---

(١) في رواية المسعودي : «فلما فرغ من السفينة أتاه جبرائيل عليه السلام بتابوت آدم فيه رمّته» .

ضوء الشمس والقمر ، حتّى كان الليل والنهار سواء ، وكان الطالع في ذلك الوقت الذي أرسل الله تعالىٰ فيه الماء ، فيما يقول أصحاب الحساب : السرطان ، والشمس ، والقمر ، وزحل ، وعطارد ، والرأس ، مجتمعة في آخر دقيقة من الحوت ، فاتّصل الماء من السماء والأرض أربعين يوماً ، حتّى علا فوق كلّ جبل خمس عشرة ذراعاً ، ثم وقف بعد أن لم تبق بقعة من الأرض إلاّ غمرها الماء وعلاها .

ودارت السفينة الأرض كلّها حتى صارت إلى مكّة ، فطافت حول البيت أسبوعاً ، ثمّ انكشف الماء بعد خمسة أشهر ، فكان ابتداؤه لسبع عشرة ليلة خلت من أيار إلى ثلاث عشرة ليلة خلت من تشرين الأوّل .

وروى بعضهم أن نوحاً ركب السفينة أول يوم من رجب ، واستوت على الجوديّ في المحرّم ، فصار أول الشهور بعده ، وأهل الكتاب يخالفون في هذا .

ولمّا استوت على الجوديّ ، وهو جبل بناحية الموصل[1] ، أمر الله تعالىٰ ماء السماء فرجع من حيث جاء ، وأمر الأرض فبلعت ماءها ، فأقام نوح بعد وقوف السفينة أربعة أشهر ، ثم بعث الغراب ليعرف خبر الماء ، فوجد الجيف طافية على الماء ، فوقع عليها ولم يرجع ، ثم أرسل الحمامة ، فجاءت بورقة زيتون ، فعلم أن الماء قد ذهب ، فخرج لسبع وعشرين من أيار ، فكان ، بين دخوله السفينة وخروجه ، سنة كاملة وعشرة أيام ، فلمّا صار إلى الأرض هو وأهله بنوا مدينة ، فسمّوها ثمانين[2] .

ولمّا خرج نوح من السفينة ورأى عظام الناس تلوح غمّه ذلك وأحزنه ،

---

(١) في مروج الذهب : «والجودي : جبل ببلاد باسورى ، وجزيرة ابن عمر ببلاد الموصل ، وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ ، وموضع جنوح السفينة على رأس هذا الجبل إلى هذه الغاية» .

(٢) لأنهم كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة ، ودثر عقبُ هؤلاء الثمانين نفساً ، وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة من ولده ، وقد أخبر الله عزّ وجلّ بذلك بقوله : ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ .

وأوحى الله إليه: إنّي لن أرسل الطوفان على الأرض بعدها أبداً ، ولمّا خرج نوح من السفينة أقفلها بقفل ودفع المفتاح إلى سام ابنه ، ثم زرع نوح ، وغرس كرماً ، وعمر الأرض .

وإن نوحاً يوماً لنائم إذ انكشف ثوبه ، فرأى حام ابنه سوأته ، فضحك ، وخبّر أخويْه ساماً ويافثاً ، فأخذا ثوباً حتى أتياه به ، ووجوههما مصروفة عنه ، فألقيا الثوب عليه ، فلمّا انتبه نوح من نومه ، وعلم الخبر ، دعا على كنعان بن حام ، ولم يدع على حام ، فمن ولده القبط والحبشة والهند .

وكان كنعان أول من رجع من ولد نوح إلى عمل بني قابيل ، فعمل الملاهي والغناء والمزامير والطبول والبرابط والصنوج ، وأطاع الشيطان في اللعب والباطل .

وقسم نوح الأرض بين ولده[1] ، فجعل لسام وسط الأرض ، والحرم وما حوله ، واليمن وحضرموت ، إلى عمان ، إلى البحرين ، إلى عالج ويَبْرين ، ووبار ، والدوّ والدهناء ، وجعل لحام أرض المغرب والسواحل ، فولد كوش بن حام ، وكنعان بن حام النوبة والزنج والحبشة .

ونزل يافث بن نوح ما بين المشرق والمغرب ، فولد له جومر ، وتوبل ، وماش ، وماشج ، ومأجوج ، فولد جومر الصقالبة ، وولد توبل برجان ، وولد ماش الترك والخزر ، وولد ماشج الاشبان ، وولد مأجوج يأجوج ومأجوج ، وهم في شرقي الأرض من جهة الترك ، وكانت منازل الصقالبة وبرجان أرض الروم ، قبل أن يكون الروم ، فهؤلاء ولد يافث .

وعاش نوح ، بعد خروجه من السفينة ، ثلاثمائة وستّين سنة[2] ، ولمّا حضرت وفاة نوح اجتمع إليه بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وبنوهم ، فأوصاهم ، وأمرهم بعبادة الله تعالىٰ ، وأمر ساماً أن يدخل السفينة ، إذا

(١) ما عدا «يام» الذي تخلّف عنه فقال له : «يا بني إركب معنا» .

(٢) وجدتُ في التوراة أن نوحاً عاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنة ، فجميع عمر نوح تسعمائة وخمسون سنة[وقد قيل غير ذلك] .

مات ، ولا يشعر به أحد ، فيستخرج جسد آدم ، ويذهب معه بِمَلْكَيْزَدَق بن لمك بن سام ، فإن الله اختاره ليكون مع جسد آدم في وسط الأرض ، في المكان المقدّس، وقال له : يا سام! إنّك إذا خرجت أنت وملكيزدق بعث الله معكما ملكاً من الملائكة يدلّكما على الطريق ، ويريكُما وسط الأرض ، فلا تعلمنّ أحداً ما تصنع ، فإنّ هذا الأمر وصيّة آدم التي أوصى بها بنيه ، وأوصى بها بعضهم بعضاً ، حتى انتهى ذلك إليك ، فإذا بلغتما المكان الذي يُريكما الملك ، فضَعْ فيه جسد آدم ، ثمّ مر ملكيزدق ألاّ يفارقه ، ولا يكون له عمل إلاّ عبادة الله ، سبحانه وتعالىٰ ، وأمره أن لا ينكح امرأة ، ولا يبني بنياناً ، ولا يهريق دماً ، ولا يلبس ثوباً ، إلاَّ من جلود الوحش ، ولا يقص شعراً ولا ظفراً ، وليجلس وحده ، وليكثر حمد الله ، ثم مات في أيار يوم الأربعاء ، وكانت حياته تسعمائة سنة وخمسين ، كما حكى الله تعالىٰ ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً .

سام بن نوح[1]

وقام سام بن نوح ، بعد أبيه ، بعبادة الله تعالىٰ وطاعته ، وكان قد ولد له ارفخشد ، بعد أن أتت عليه مائة سنة وسنتان ، ثم انطلق ، وفتح السفينة ، فأخذ جسد آدم ، فهبط به سرّاً من أخويه وأهله ، ودعا أخويه يافثاً وحاماً ، فقال لهما : إنّ أبي أوصى إليّ وأمرني أن آتي البحر ، فأنظر في الأرض ثم أرجع ، فلا تتحرّكوا حتى آتيكم ، واستوصوا بامرأتي وبنيّ خيراً ؛ فقال له أخواه : إذهبْ في حفظ الله ، فإنّك قد علمت أن الأرض خربة ونخاف عليك السباع . قال سام : إن الله تعالىٰ يبعث ملكاً من الملائكة ، فلا أخاف ، إن شاء الله تعالىٰ ، شيئاً . ودعا سام ابنه لمكاً فقال له ولامرأته : يا وَزْدق ! أرسلا معي ابنكما ملكيزدق يؤنسني في

(١) تقول رواية المسعودي بأنه سكن وسط الأرض من بلاد الحرم إلى حضرموت إلى عمان إلى عالج ، وقد قال عنه والده : مبارك سام ، بينما قال عن أخيه حام : ملعون حام ، عبد عنيد يكون لإخوته .

الطريق . فقالا له : إذهب راشداً ! فقال سام لأخويه وأهله وولده : قد علمتم أن أبانا نوحاً قد أوصى إليّ ، وأمرني أن أختم السفينة ، فلا أدخلها أنا ، ولا أحد من الناس ، فلا يقربنّ السفينة منكم أحد .

ثمّ إن ساماً خرج ومعه ابنه ، فعرض لهما الملك ، فلم يزل معهما حتى صار بهما إلى الموضع الذي أُمروا أن يضعوا جسد آدم فيه ، فيقال إنّه بمسجد منىً عند المنارة ، ويقول أهل الكتاب : بالشأم في الأرض المقدّسة ، فانفتحت الأرضون ، فوضعوا الجسد فيها ، ثمّ انطبقت عليه . وقال سام لملكيزدق بن لمك بن سام : إجلسْ هٰهنا ، وأحسنْ عبادة الله ، فإنّ الله يرسل إليك في كلّ يوم ملكاً من الملائكة يؤنسك ؛ ثم سلّم عليه ، وانصرف ، فأتى أهله ، فسأله ابنه لمك عن ملكيزدق ، فقال : إنّه قد مات في الطريق ، فدفنته ؛ فحزن عليه أبوه وأُمّه .

ثمّ حضرت ساماً الوفاة فأوصى إلى ابنه ارفخشد ، ومات سام يوم الخميس لسبع خلون من أيلول ، وكانت حياته ستمائة سنة .

ارفخشد[1] بن سام

ثم قام ارفخشد بن سام بعبادة الله تعالىٰ وطاعته، وكان قد ولد له شالح بعد أن أتت عليه مائة وخمس وثمانون سنة، وقد تفرّق ولد نوح في البلاد، وكثرت الجبابرة والعُتاة منهم ، وأفسد ولد كنعان بن حام ، وأظهروا المعاصي .

ولمّا حضرت ارفخشد الوفاة جمع إليه ولده وأهله وأوصاهم بعبادة الله تعالىٰ ومجانبة المعاصي ، وقال لشالح ابنه : إقبلْ وصيّتي ، وقم في أهلك بعدي عاملاً بطاعة الله تعالىٰ . ومات يوم الأحد لسبع بقين من نيسان ، وكانت حياته أربعمائة وخمساً وستّين سنة .

---

(١) كان القيّم في الأرض بعد والده سام .

شالح[1] بن ارفخشد

ثمّ قام شالح بن ارفخشد في قومه يأمرهم بطاعة الله تعالىٰ ، وينهاهم عن معاصيه ، ويحذرهم ما نال أهل المعاصي من الرجز والعذاب . وكان قد ولد له عابر بعد أن أتت عليه مائة وثلاثون سنة ، ثم حضرته الوفاة ، فأوصى إلى ابنه عابر بن شالح ، وأمره أن يتجنّب فعل بني قابيل اللعين ؛ ومات يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من آذار ، وكانت حياته أربعمائة وثلاثين سنة .

عابر[2] بن شالح

ثمّ قام عابر بن شالح يدعو قومه إلى طاعة الله تعالىٰ ، ويحذر بني سام بن نوح أن يختلطوا بولد كنعان بن حام ، المغيّر دين آبائه ، والمرتكب للمعاصي . وكان قد ولد له فالغ ، بعد أن أتت عليه مائة وأربع وثلاثون سنة ، ثم حضرته الوفاة ، فأوصى إلى ابنه فالغ ، فقال له : يا بنيّ ! إن ولد قابيل اللّعين ، لمّا أكثروا العمل بمعاصي الله ، سبحانه وتعالىٰ ، ودخل معهم ولد شيث بعث الله عليهم الرجز ، فلا تدخل أنت ولا أهلك في ملّة بني كنعان .

ومات عابر يوم الخميس لثلاث وعشرين من تشرين الأوّل ، وكانت حياته ثلاثمائة وأربعين سنة ، وقيل مائة وأربعاً وستّين سنة .

فالغ بن عابر

ثمّ قام بعد عابر فالغ ابنه يدعو الناس إلى طاعة الله تعالىٰ ، فكان في زمانه اجتماع ولد نوح ببابل ، وذلك أن ماش بن ارم بن سام بن نوح صار إلى أرض بابل ، فولد نمرود الجبّار[3] ونبيط وهو أبو النّبط ، وهو أول

---

(١) ورد في روايات أخرى «شالخ» .
(٢) كانت في أيامه كوائن وتنازع في مواضع من الأرض .
(٣) هو ابن كوش بن حام ، وقد ضرب به المثل بالجبروت والصيد .

من استنبط الأنهار ، وغرس الأشجار ، وعمر الأرض ، وكان لسانهم جميعاً السّرْيانيّ ، وهو لسان آدم ، فلمّا اجتمعوا ببابل قال بعضهم لبعض : لنبنينّ بنياناً أسفله الأرض وأعلاه السماء[1] ! فلمّا أخذوا في البنيان قالوا : نتّخذه حصناً يحرزنا من الطوفان ؛ فهدم الله حصنهم ، وفرّق الله ألسنتهم على اثنين وسبعين لساناً ، وتفرّقوا على اثنتين وسبعين فرقة من موضعهم ذلك ، فكان في ولد سام تسعة عشر لساناً ، وفي ولد حام ستّة عشر لساناً ، وفي ولد يافث سبعة وثلاثون لساناً ؛ فلمّا رأوا ما هم فيه اجتمعوا إلى فالغ بن عابر فقال لهم : إنّه لا يسعكم أرض واحدة مع افتراق ألسنتكم ، فقالوا : اقسموا الأرض بيننا ، فقسم لهم فصار لولد يافث بن نوح الصين والهند والسند والترك والخزر والتبّت والبلغر والديلم وما والى أرض خراسان ، وكان ملك بني يافث في ذلك الزمان جم شاذ .

وصار لولد حام أرض المغرب وما وراء الفرات إلى مسقط الشمس .

وصار لولد سام الحجاز واليمن وباقي الأرض.

وكان قد ولد له ارغو بعد أن أتت عليه ثلاثون سنة ، وحضرت فالغ الوفاة ، فأوصى إلى ابنه ارغو ، ومات فالغ يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من أيلول ، وكانت حياته مائتي سنة وتسعاً وثلاثين سنة[2] .

ارغو[3] بن فالغ

ثمّ قام ارغو بن فالغ بعد أبيه ، وقد تفرّقت الألسن على اثنتين وسبعين فرقة ، لبني سام تسع عشرة فرقة ، ولولد حام ستّ عشرة فرقة ، ولولد يافث سبع وثلاثون ، وكان في زمانه نمرود الجبّار ، وكان مسكنه

---

(١) هذا البنيان مشهور ببرج بابل .

(٢) رواية المسعودي :«مائتي سنة وثلاثين سنة» .

(٣) ورد في روايات أخرى: «ارعو ورعو بن فالغ» .

ببابل ، وكان الذي ابتدأ بناء الصرح ، وأول من عمل التاج ، وملك سبعاً وستّين سنة .

وكان قد ولد لارغو ساروغ ، بعد أن أتت عليه اثنتان وثلاثون سنة . ولمّا أتت لارغو أربع وسبعون سنة من عمره كمل الألف الثالث .

وحضرت ارغو الوفاة ، فأوصى ابنه ساروغ ، وتوفي ارغو يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من نيسان ، وكانت حياته مائتي سنة .

ساروغ بن ارغو

وقام ساروغ بن ارغو في ولد سام ، بعد موت أبيه ، وقد كثرت الجبابرة ، وعتت[1]في الأرض . وكان في زمن ساروغ أوّل ما عُبدت الأصنام ، وكان أوّل شأن الأصنام أن الناس كان إذا مات لأحدهم الميّت الذي يعزّ عليهم من أب أو أخ أو ولد صنع صنماً على صورته ، وسمّاه باسمه ، فلمّا أدرك الخلف الذي بعدهم ظنّوا ، وحدّثهم الشيطان ، أنّه إنّما صُنعت هذه لتُعبَد ، فعبدوها ، ثم فرّق الله دينهم ، فمنهم من عبد الأصنام ، ومنهم من عبد الشمس ، ومنهم من عبد القمر ، ومنهم من عبد الطير ، ومنهم من عبد الحجارة ، ومنهم من عبد الشجر ، ومنهم من عبد الماء ، ومنهم من عبد الريح ، وفتنهم الشيطان وأضلّهم وأطغاهم[2].

وكان قد ولد له ناحور ، بعد أن أتت عليه مائة وثلاثون سنة . ولمّا حضرت ساروغ الوفاة أوصى ابنه ناحور ، وأمره بعبادة الله تعالىٰ ، ومات ساروغ لثلاث بقين من آب يوم الأحد ، وكانت حياته مائتين وثلاثين سنة .

ناحور بن ساروغ

وكان ناحور مكان أبيه ، فكثرت عبادة الأصنام في زمانه ، فأمر الله سبحانه الأرض ، فزلزلت عليهم زلزلة شديدة ، حتى سقطت تلك

---

(١) عتت : ظلمت .

(٢) أطغاهم : جعلهم طغاة .

الأصنام ، فلم يكترثوا بذلك ، وأعادوا أصناماً مكانها . وفي زمانه ظهر السحر ، والكهانة ، والطيرة ، وذبح الناس أولادهم للشياطين ، وجعلت المكاييل والموازين .

وكانت حياة ناحور مائة وثمانياً وأربعين سنة[١] ، وكانت جبابرة ذلك العصر عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ، وكانوا قد انتشروا في البلاد ، وكانت منازلهم بين أعالي حضرموت إلى أودية نجران ، فلمّا عاثوا وعتوا بعث الله تبارك وتعالىٰ هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ، فدعاهم إلى عبادة الله تعالىٰ ، والعمل بطاعته ، واجتناب المحارم ، فكذّبوه ، فقطع الله عنهم المطر ثلاث سنين ، فوجّهوا وفداً لهم إلى البيت الحرام يستسقي لهم ، فأقاموا يطوفون بالبيت ويسعون أربعين صباحاً .

ثم رفعت لهم سحابتان : إحداهما بيضاء فيها غيث ورحمة ، والأُخرى سوداء فيها عذاب ونقمة ، وسمعوا صوتاً يناديهم : اختاروا أيّتهما شئتم! فقالوا: اخترنا السوداء! فمرّت، وهي على رؤوسهم، فلمّا قربت من البلاد قال لهم هود : إن هذه السحابة فيها عذاب قد أظلّكم ! فقالوا : بل هو عارض ممطرنا ، فأقبلت ريح سوداء لا تمر بشيء إلّا أحرقته ، فما نجا منهم إلّا هود ، ويُقال إنّه نجا لقمان بن عاد ، وعاش حتى عمّر عمر سبعة نسور .

ولمّا مضت عاد صار في ديارهم بنو ثمود بن جازر بن ثمود بن ارم بن سام بن نوح ، وكانت ملوكهم تنزل الحِجْر ، فلمّا عتوا بعث الله إليهم صالح بن تالح بن صادوق بن هود نبيّاً ، فسألوه أن يأتيهم بآية ، فأخرج الله لهم ناقة من الأرض معها فصيلها[٢] ، فقال لم صالح : إن لهذه الناقة يوماً ترِد فيه الماءَ ، ولكم يوماً ، فاحذروا أن تصدّوها عن الماء ! فكذبوه ، فقام

---

(١) رواية الكامل : «مائة سنة وستاً وأربعين سنة» .

(٢) الفصيل : صغير الناقة .

رجل منهم يُقال لـه قِدار ، فعقـرها[1] وضـرب عرقـوبها بـالسيف ، فارتفـع فصيلهـا على نشز[2] من الأرض ، ثمّ رغـا[3] ، فبعث الله عليهم العذاب ، فما فَلَتَ منهم إلاّ امرأة يقال لها الذريعة ، وضرب العرب بقدار المثل .

تارخ [4] بن ناحور

وكان تارخ بن نـاحور ، هـو أبو إبـراهيم خليل الله ، في عصـر نمرود الجبّار[5] ، وكان نمرود أول من عبد النار وسجد لها ، وذلك أنّه خرجت نار من الأرض ، فأتاها ، فسجد لها ، وكلّمه منهـا شيطان ، فبنى عليهـا بنيّة ، وجعل لها سدنة [6] .

وفي ذلـك العصـر تعـاطى النـاس علم النجـوم ، وحسبـوا الكسـوف للشمس والقمر والكواكب السائرة والراتبة ، وتكلّموا في الفلك والبروج .

وكان الذي علّم نمرود ذلك رجلاً يُقال لـه سطق[7] ، وكـان تـارخ ، وهو آزر أبو إبراهيم ، مع نمرود الجبّار ، فحسب المنجّمون لنمرود ، فقالوا له : إنّه يولد في مملكته مولود يعيب دينه ، ويزري عليه ، ويهدم أصنامه ، ويفرّق جمعه ، فجعل لا يولد في مملكته مـولود إلاَّ شقّ بـطنه ، حتى ولـد إبـراهيم ، فستره أبواه ، وأخفيا أمـره ، وصيّـراه في مغـارة حيث لايعلم بـه أحد ، وكان مولده بكوثا ربّا ، وكان مـولد إبـراهيم بعد أن أتت لتـارخ مائـة وسبعون سنة ، وعاش تارخ أبوه مائتي سنة وخمس سنين[8] .

---

(١) عقرها : ذبحها .
(٢) النشز : المرتفع من الأرض .
(٣) رغا : صات . والرغاء هو صوت الناقة .
(٤) في مروج الذهب : «تـارح» وهو آزر أبو إبراهيم الخليل .
(٥) هو نمرود بن كنعان .
(٦) السدنة : الستر .
(٧) هكذا في الأصل .
(٨) في رواية المسعودي : «مائتين وستين سنة» .

إبـراهيـم

ونشأ إبراهيم في زمان نمرود الجبّـار ، فلمّا خـرج من المغارة[1] التي كان فيها قلّب طرفه في السمـاء ، فنظر إلى الـزهرة ، فـرأى كوكبـاً مضيئاً ، فقال : هذا ربّي ، فإنّ له علوّاً وارتفـاعاً ، ثمّ غـاب الكوكب ، فقـال : إن ربي لا يغيب ، ثم رأى القمر لمّا طلع ، فقـال : هذا ربّي ، فلم يلبث أن غـاب القمر ، فقال: لئن لم يهدني ربّي لأكـوننّ من القوم الضّـالّين ، فلمّا جـاء النهـار طلعت الشمس، فقـال: هـذا ربّي، هـذا أنـور وأضـوأ، فلمّـا غابت الشمس قال : غـابت ، وربّي لا يغيب ، كما قصّ الله خبـره وأمره ، فلمّـا كملت سنّه جعـل يعجب إذ رأى قـومـه يعبـدون الأصنـام ، ويقـول : أتعبـدون ما تنحتـون ؟ فيقولـون : أبوك علّمنـا هذا . فيقـول : إنّ أبي لمن الضّـالّين ! فظهـر قولـه في قومـه ، وتحدّث النـاس بـه ، وأرسله الله نبيّـاً ، وبعث إليـه جبرائيـل ، فعلّمه دينـه ، فجعل يقـول لقومـه : إنّي بريء ممّـا تشركون[2] .

وبلغ خبـره نمـرود ، فـأرسـل إليـه فيهـا ، ثمّ جعـل إبـراهيم يكسـر أصنـامهم ، فيقول : ادفعي عن نفسـك ، فـألهب نمـرود نـاراً ووضعـه في منجنيق[3] ورمى بـه فيها ، فـأوحى الله إليـها أن كـوني برداً وسـلامـاً على إبراهيم[4] ، فجلس وسط النار مـا تضرّه ، فقـال نمرود : من اتّخـذ إلهاً ، فليتّـخذْه مثل إله إبراهيم ، فأمن معه لوط ، وكان لـوط ابن أخيه خـاران بن تارخ .

وأمـر الله ، عزّ وجلّ، إبراهيم أن يخـرج من بلاد نمـرود إلى الشـأم

---

(١) كان قد خبيء في المغارة حتى لا يعلم به نمرود الجبّار فيقتله .

(٢) قال الله تعالى : ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون**﴾ .
[سورة الزخرف ؛ الآية : ٢٦]

(٣) المنجنيق : آلة حربية قديمة ترمى بها الحجارة .

(٤) في سورة الأنبياء : ﴿**قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**﴾ . الآية : ٦٩ .

الأرض المقدّسة ، فخرج إبراهيم وامرأته سارة[1] بنت خاران بن ناحور عمّه ، ولوط بن خاران ، مهاجرين حيث أمرهم الله ، فنزلوا أرض فلسطين، وكثر ماله ومال لوط، فقال إبراهيم للوط: إن الله قد كثّر لنا مالنا وماشيتنا ، فانتقل منّا حتى تنزل مدينتي سدوم وعمورة ، بالقرب من الموضع الذي كان فيه إبراهيم . فلمّا صار لوط إلى مدينة سدوم وعمورة[2] ونزلها أتاه ملك تلك الناحية ، فقاتله، وأخذ ماله، فمضى إبراهيم حتى استنقذ ماله .

ووسّع الله ، عزّ وجلّ ، على إبراهيم في كثرة المال ، فقال : ربّ ما أصنع بالمال ، ولا ولد لي ؟ فأوحى الله ، عزّ وجلّ ، إليه : إنّي مكثر ولدك ، حتى يكونوا عدد النجوم .

وكان لسارة جارية يُقال لها هاجر ، فوهبتها لإبراهيم[3] ، فوقع عليها ، فحملت ، وولدت إسماعيل ، وإبراهيم يومئذ ابن ستّ وثمانين سنة ، وقال الله : إنّي مكثر ولدك وجاعل فيهم الملك الباقي مدى الدهر ، حتى لا يدري أحد ما عددهم .

فلمّا ولدت هاجر غارت سارة ، وقالت : أخرجْها عنّي وولدها ! فأخرجها ، ومعها إسماعيل ، حتى صار بهما إلى مكة ، فأنزلهما عند البيت الحرام ، وفارقهما ، فقالت له هاجر : على مَن تَدَعُنا ؟ قال : على ربّ هذه البنيّة ! فقال : اللّهمَّ إنّي أسكنت ابني بوادٍ غير ذي زرع ، عند بيتك المحرّم .

ونفد الماء الذي كان مع هاجر ، فاشتدّ بإسماعيل العطش ، فخرجت

---

(١) رواية الطبري : انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام فلقي إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حرّان وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها . .

[الطبري ١ ص ١٧١]

(٢) مدينتان بائدتان .

(٣) وقد فعلت سارة ذلك لأنها كانت عاقراً .

هاجر تطلب الماء ، ثمّ صعدت إلى الصفا[١] ، فرأت بقربه طائراً واقفاً ، فرجعت ، فإذا بالطائر قد فحص[٢] برجله الأرض ، فخرج الماء ، فجمعته لئلّا يذهب ، فهي بئر زمزم .

وعمل قوم لوط المعاصي ، وكانوا يأتون الذكران من العالمين ، وذلك أن إبليس ، لعنه الله تعالىٰ ، تراءى لهم في صورة غلام أمرد[٣] ، ثم أمرهم أن ينكحوه ، فاشتهوا ذلك حتى تركوا نكاح النساء ، وأقبلوا على نكاح الذكران ، فنهاهم لوط ، فلم ينتهوا ، وجاروا في الأحكام حتى ضُرب بهم في الجور المثل ، وقالوا : أجور من حكم سدوم ! وكان الرجل منهم ، إذا نال أحداً بمكروه ، فضربه ، أو سحّه ، قال له : أعْطِنِي أجْراً على فعلي بك . وكان لهم حاكمان يُقال لهما شقرى وشقروني يحكمان بالجور والظلم والعُدوان .

ولما كثر عمل قوم لوط وجورهم بعث الله ، عزّ وجلّ ، ملائكة لهلاكهم ، فنزلوا بإبراهيم ، وكان يضيف الأضياف ، ويعمل القرى[٤] ، فلمّا نزلوا به قرّب إليهم عجلاً مشويّاً[٥] ، فلمّا رآهم لا يأكلون نكرهم ، فعرّفوه بأنفسهم ، وقالوا : إنّا رسل ربّك لهلاك أهل هذه القرية ، يعنون سدوم القرية التي كان فيها قوم لوط ، فقال لهم إبراهيم : إنّ فيها لوطاً ، قالوا : نحن أعلم بمن فيها ، لننجّينّه وأهله ، إلّا امرأته[٦] .

وكانت سارة امرأة إبراهيم واقفة ، فعجبت من قولهم ، فبشّروها بإسحاق فقالت : أألِد وأنا عجوز[٧] ، وهذا بعلي شيخ كبير ؟ وكان إبراهيم

---

(١) الصفا : جبل بمكة .
(٢) فحص : حفر .
(٣) الأمرد : الشاب طرّ شاربه ولم تنبت لحيته .
(٤) القِرى : الضيافة .
(٥) يقول الله جلّ ثناؤه ﴿فجاء بعجلٍ حنيذ﴾ أي مشويّ .
(٦) يعني زوجته «سارة» .
(٧) «يا ويلتي أألدُ وأنا عجوز» .

ابن مـائة سنـة ، وهي بنت تسعين ، فلمّـا أتـوا إلى لـوط ، ورأتهم امـرأتـه دخّنت لقومها ، فجاءوا إلى لوط ، فقالوا : إدفع إلينا أضيـافك ! فقـال : لا تفضحونِ في ضيفي ! فلمّا أكثروا صدّهم جبرائيل ، فأعماهم ، فقالوا لـه : إنّـا مهلكـوهم . قـال : فمتى ؟ قـالـوا : الصبـح . قــال : تؤخّـرونهم إلى الصبح ؟ قال له جبرائيل : أليس الصبح بقـريب ؟ فلمّا كـان السحَر قـال له جبـرائيل : أُخـرجْ، ثمّ قلبها عليهم . ويُقـال نـزلت عليهم نـار ، فلم ينـج منهم أحد ، وكانت امرأة لوط فيهم فمسخت ملحاً ، فما بقي منهم مخبر .

ووهب الله لإبـراهيم إسحـاق بن سـارة ، فعجب النـاس من ذلــك ، وقالوا : شيخ ابن مائة سنة ، وعجوز بنت تسعين سنة ! فخرج إسحاق أشبه شيء بإبراهيم .

وكان إبراهيم يزور إسماعيل وأُمّه في كلّ وقت . وبلغ إسماعيـل حتى صار رجلاً ، ثم تزوّج امرأةً من جرهم[1] ، فزاره إبراهيم مرّة ، فلم يلْقـه ، وكـانت أُمـه قـد مـاتت ، فكلّم امـرأتـه فلم يـرضَ عقلهـا ، وســألهـا عن إسماعيل ، فقالت : في الرعي ! فقال : إذا جاء فقولي له غيّرْ عتبة بـابك ! فلمّا انصرف إسماعيل من رعيه قالت لـه امرأتـه : قد جـاء هنا شيـخ يسأل عنك . فقال إسماعيل : فما قال لك ؟ قالت قـال لي : قولي لـه غيّرْ عتبـة بـابـك . قـــال : أنتِ خليّـة ! فـطلقهـا ، وتـــزوّج الحيفـاء بنت مضــاض الجرهميّة ، فعاد إليهم إبراهيم من الحول[2] ، فوقف ببيت إسمـاعيل ، فلم يجـده ، ووجد امـرأته[3] ، فقـال : كيف حالكم ؟ قـالت : بخيـر ! قـال : هكـذا فليكن ! أين زوجـك؟ قـالت : ليس بحـاضـر ، إنـزلْ! قـال : لا يمكنني . قـالت : فأعـطني رأسك أقبّله ! ففعـل ذلـك ، وقـال : إذا جـاء زوجك فأقرئيه السَّلام ، وقولي له : تمسّكْ بعتبة بابـك . فلمّا انصـرف جاء

(١) وهي امرأة فظة غليظة كما يروي الطبري .
(٢) الحول : العام ، أي العام التالي .
(٣) وكانت سهلة طلقة على ذمة الطبري .

إسماعيل ، فأخبرته امرأته بخبر إبراهيم ، فوقع على موضع قدمه يقبّلها .

ثمّ إن الله تعالىٰ أمر إبراهيم أن يبني الكعبة ، ويرفع قواعدها ، ويؤذّن في الناس بالحجّ ، ويريهم مناسكهم ، فبنى إبراهيم وإسماعيل القواعد حتى انتهى إلى موضع الحجر ، فنادى إبراهيمَ أبو قبيسٍ : إنّ لك عندي وديعة ! فأعطاه الحجر ، فوضعه ، وأذّن إبراهيم في الناس بالحجّ ، فلمّا كان يوم التروية قال له جبرائيل : تروّ من الماء ، فسمّيت التروية ، ثم أتى مِنى ، فقال له : بتْ بها ، ثمّ أتى عرفات ، فبنى بها مسجداً بحجارة بيض ، ثمّ صلّى به الظهر والعصر ، ثمّ عمد به إلى عرفات ، فقال له : هذه عرفات فاعرفْها ، فسمّيت عرفات .

ثمّ أفاض به من عرفات ، فلمّا حاذى المَأزِمَيْن قال له : ازدلِفْ[1] ، فسمّيت المزدلفة ، وقال له : اجمع الصّلاتَيْن ، فسميت جمْع ، وصار إلى المَشْعَر ، فنام عليه ، فأمره الله أن يذبح ابنه ، فالرواية تختلف في إسماعيل وإسحاق[2] ، فيقول قوم : إنّه إسماعيل لأنّه الذي وضع داره وبيته وإسحاق بالشأم ، ويقول قوم : إنّه إسحاق لأنّه أخرجه وأخرج أُمّه معه ، وكان يومئذ غلاماً ، وإسماعيل رجل قد وُلد له .

وقد كثرت الروايات في هذا وهذا ، واختلف الناس فيهما ، فلمّا أصبح إبراهيم صار إلى مِنى وقال للغلام : زوّرْني بالبيت ، وقال لابنه : إنّ الله أمرني أن أذبحك ! فقال : يا أبت افْعَل ما تُؤمر! فأخذ السكّين ، وأضجعه على جمرة العقبة ، وطرح تحته قرطان[3] حمارٍ ، ثمّ وضع الشفرة

---

(١) ازدلف : تقرّب .

(٢) يروي الطبري في تاريخه : «وقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كلا القولين ، لو كان فيهما صحيح لم نعْدُه إلى غيره ، غير أن الدليل من القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال : هو إسحاق أوضح وأبين منه على صحة الأخرى . . . غير أن «هذا الحديث» موقوف على العباس بن عبد المطلب غير مرفوع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

[الطبري ١ : ١٨٥]

(٣) القرطان : ما يوضع على ظهر الحمار من جلد وسواه .

على حَلْقِه ، وحوّل وجهه عنه ، فقلب جبرائيل الشفرة ، فنظر إبراهيم ، فإذا الشفرة مقلوبة ، ففعل ذلك ثلاث مرّات ، ثمّ نودي : يا إبراهيم قد صدَّقت الرؤيا .

وأخذ جبرائيل الغلام ، وانحطّ الكبش من قُلّة[1] ثَبير ، فوضعه تحته ، فذبحه ، فأهل الكتاب يقولون : إنّه كان إسحاق ، وإنّه فعل به هذا في بريّة الأموريّين بالشأم ، فلمّا فرغ إبراهيم من حجّه وأراد أن يرتحل أوصى إلى ابنه إسماعيل أن يقيم عند البيت الحرام ، وأن يقيم للناس حجّهم ومناسكهم ، وقال له : إن الله مكثر عدده ، ومثمر نسله ، وجاعل في ولده البركة والخير .

وتوفّيت سارة عند مصيرهم إلى الشأم ، فتزوّج إبراهيم قطورة ، فولدت له أولاداً كثيراً، وهم : زمرن ، ويقشن ، ومدن ، ومدين ، ويشباق ، وشوح . وتوفي إبراهيم ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لعشر خلون من آب ، وكانت حياته مائة وخمساً وتسعين سنة .

إسحاق بن إبراهيم

ولمّا توفي إبراهيم بالشأم قام إسحاق بعده وتزوّج رفقا بنت بتوئيل ، فحملت فثقل حملها ، فأوحى الله ، عزّ وجلّ ، إلى إسحاق : إنّي مخرج من بطنها شعبَيْن وأمّتَيْن ، فأجعل الأصغر أعظم من الأكبر ! فولدت رفقا عيصو ويعقوب توأمين ، وخرج عيصو أولاً ، وخرج يعقوب بعده ، وعقبه مع عقب عيصو ، فسمّي يعقوب .

وكان إسحاق يوم وُلد له ابن ستّين سنة، وكان إسحاق يحبّ عيصو، ورفقا تحبّ يعقوب ،وسكن إسحاق وادي جارر، وكان قد ذهب بصره، فقال لابنه عيصو : خذ سيفك وقوسك ، واخرجْ ، فصدْ لي صيداً حتى آكل وأبارك عليك قبل أن أموت ، فسمعت رفقا أمّه ذلك ، فقالت ليعقوب : إصنع لأبيك طعاماً! إذهب إلى الغنم، فخذ جديين، فاصنع طعاماً، وقرّبه

---

(١) قلة : قمة .

لأبيك ، حتى تقع عليك البركة . فقال : أخاف أن يلعنني . فقالت : إن لعنك كانت لعنتك عليّ . فمضى يعقوب ، وأخذ جديين ، فذبحهما ، وطبخهما ، وقرّبهما إليه .

وكان عيصو مشعر[1] الذراع ، فأخذ يعقوب جلد الجديين ، فوضعهما على ساعديه ، فلمّا قرّب الطعام من أبيه قال : النغمة نغمة يعقوب ، والمسحة مسحة عيصو . ثمّ بارك عليه ، ودعا له ، وقال له : كنْ رأساً على إخوتك .

وجاء عيصو بصيده ، فقال له إسحاق : من قدّم إليّ الطعام ، فباركته ، ومباركاً يكون ؟ قال : خدعني أخي يعقوب ! قال له إسحاق : قد جعلته رأساً عليك ، وعلى إخوته . ثم دعا له ، وقال : على سمية الأرض تنزل[2] .

وأمر إسحاق يعقوب أن يصير إلى حرّان ، فيكون عند لابان بن بتوئيل بن ناحور، أخي إبراهيم، وخاف إسحاق عيصو عليه، وأمره أن لا يتزوّج من نساء الكنعانيّين ، فصار إلى حرّان إلى خاله لابان ، فكانت حياة إسحاق مائة وخمساً وثمانين سنة[3] .

يعقوب بن إسحاق

ثمّ إن إسحاق قال ليعقوب : إنّ الله قد جعلك نبيّاً ، وجعل ولدك أنبياء ، وجعل فيك الخير والبركة ؛ وأمره أن يسير إلى الفدّان ، وهو موضع بالشأم ، فسار إلى الفدّان ، فلمّا دخلها رأى امرأة معها غنم على البئر تريد

(١) مشعر الذراع : كثيف الشعر .

(٢) يروي المسعودي : «فدعا ليعقوب بالرياسة على إخوته والنبوة في ولده ، ودعا لعيص بالملك في ولده» .

[مروج الذهب ١ : ٤٧]

(٣) دفن مع أبيه الخليل ، ومواضع قبورهم مشهورة ، وذلك على ثمانية عشر ميلاً من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد إبراهيم ومراعيه .

[مروج الذهب ١ : ٤٧]

أن تسقي غنمهـا ، وعلى رأس البئـر حجـر لا يـرفعـه إلاّ عـدّة رجـال ، فسألهـا: مَنْ هي ؟ فقـالت : أنا بنت لابـان ، وكان لابـان خال يعقـوب ، فزحزح يعقوب الحجر ، وسقى لها ، وسار إلى خاله ، فزوّجه إيّاها ، فقـال يعـقـوب: إنّ التي كانت مسمـاة لي راحيل أختهـا . فقال: هـذه أكبر ، وأنا أزوّجك أيضاً راحيل ؛ فتزوّجهما جميعاً .

ودخـل بليا أوّلاً ، فـأولدهـا روبيـل ، وشمعـون ، ولاوي ، ويهـوذا ، ويشاجر وزفولون ، وجارية يُقال لها دينا ، ثمّ زوّجه خـاله بـابنته الأُخـرى ، وهي راحيل ، فأبطأ عليها الولد ، حتى عظم ذلك عليهـا ، ثم وهب الله ، سبحانه وتعالىٰ ، يوسف ، وبنيامين .

ووقـع يعقوب بـزلفا جـارية كـانت لليا ، فـولدت منـه كاذ ، وآشـر ، ونفتالي .

ووقع بوليدة راحيل ، فولدت دان ، وقال قوم إنّ يعقوب تزوّج راحيل قبـل ليا ، وقـال أهل الكتـاب تـزوّجهمـا جميعـاً في وقت واحـد ، فمـاتت راحيل ، وبقيت ليا .

وكان يوسف أحبّ ولد يعقوب إلى يعقـوب لأنّه كـان أجملهم وجهاً ، وكانت أُمّه أحبّ نسـائه إليـه ، فحسده إخـوته ذلـك[1] ، فأخـرجوه معهم ، وكان من خبرهم ما قصّه الله ، عـزّ وجلّ ، في كتـابه العـزيز ، حتى بيـع ، واستُعبـد ، وغاب عن أبيـه أربعين سنة ، ثم ردّه الله ، سبحـانـه ، عليـه ، وجمعهم ويوسف بمصر على ما قد قصّه الله في كتابه .

وولد ليوسف بمصر عدّة أولاد ، فأقام يعقوب بمصر سبع عشرة سنة ، ولمّا حضرته الوفـاة أوصى يوسف ولـده ألاّ يدفنـه بمصر ، وتـوفي وله مـائة وأربعون سنة .

---

(١) فألقوه في غيابة الجب ، وكـان في البئر مـاء فسقط فيه ثم أوى الى صخـرة فيها فقـام عليها . . . . وادعوا أن الذئب قد أكله ﴿**بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً ، فصبر جميل**﴾ . [سورة يوسف]

ولـد يعقـوب

وكان ليعقوب من الولد اثنا عشر ذكراً : روبيل ، وشمعون ، ولاوي ، ويهوذا ، ويشاجر ، وزفولون ، ويوسف ، وبنيامين ، وكاذ ، وآشر ، ودان ، ونفتالي ، فهؤلاء بنو يعقوب ، وهم بنو إسرائيل ، وهم الأسباط .

وكان لروبيل من الولد : خنوخ ، وفلو ، وحصران ، وكرمي .

وكان لشمعون من الولد : نموئيل ، ويامين ، وشاوول .

وكان للاوي من الولد : جرشون ، وقهث ، ومراري .

وكان ليهوذا من الولد : عار ، وأونان ، وشيلا ، وفارص ، وزارح .

وكان ليشاجر من الولد : تولع ، وفُوَا ، ويوب ، وشمرون .

وكان لآشر من الولد : يمنا ، واشوا ، وأشوي ، وبريعا ، وسارح .

وكان لزفولون من الولد : سارد ، وايلون ، ويحلائيل .

وولد ليوسف بأرض مصر : افرائيم ، ومنشّى .

وكان لبنيامين : بالع ، وبخر ، واشبال ، ونعمان ، وأوخي ، ومفيم ، وحفيم ، وارد .

وكـان لكـاذ من الـولـد : صفيـان ، وشـوني ، واصبـون ، وعـاري ، وارودي ، وارايلي .

وكان لنفتالي من الولد : يحصيل ، وغوني ، ويبصر ، وشاليم .

فهؤلاء أولاد يعقوب وولد ولده ، الذين اجتمعوا بمصر عنـد يوسف ، مع ولدي يـوسف اللذين ولدا بمصـر ، وأعطاهم أرضـاً ، وقال : ازرعـوا ، فما خرج فلفرعون الخمس .

ولمّا حضرت يعقـوب الوفـاة جمع ولـده وولد ولـده ، فبارك عليهم ،

ودعا لهم ، وقال لكلّ واحد منهم قولاً ، وأعطى ليوسف سيفه وقوسه[1] .

وقرّب إليه يوسف ابنيه منشّى وافرائيم ، فصيّر منشّى عن يمينه وافرائيم عن شماله ، لأن منشى كان أكبر ، فقلب يده اليمنى على افرائيم ، وأوصى يوسف أن يحمله ويدفنه إلى جنب قبر إبراهيم وإسحاق .

ولمّا توفي يعقوب قاموا يبكون عليه سبعين يوماً ، ثمّ حمله يوسف ، وأخرج معه غلماناً من أهل مصر ، وصار به إلى أرض فلسطين ، فدفنه إلى جنب قبر إبراهيم وإسحاق .

ولمّا فرغوا من دفن يعقوب قال لإخوته : ارجعوا معي إلى أرض مصر ! فخافوه ، فقالوا له : قد أوصاك أبوك يعقوب أن تغفر خطيئتنا . قال : لا تخشوني ! فإنّي أخشى الله ، فاطمأنّت قلوبهم ، فرجعوا إلى أرض مصر ، فأقاموا بها .

وعاش يوسف بمصر دهراً ، ثمّ حضرته الوفاة ، فجمع بني إسرائيل ، وقال : إنّكم تخرجون بعد حين من أرض مصر ، إذا بعث الله رجلاً يُقال له موسى بن عمران من ولد لاوي بن يعقوب ، وسيذكركم الله ، ويرفعكم ، فأخرِجوا بدني من هذه الأرض ، حتى تدفنوني عند قبور آبائي .

ومات يوسف وله مائة وعشر سنين[2] ، فصُيّر في تابوت حجارة ،وصيّر في النّيل .

وكان في ذلك العصر أيّوب النبيّ ابن أموص بن زارح بن رعوئيل بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم ، وكان كثير المال ، فابتلاه الله تعالى بخطيئة أخطأها ، فشكر الله وصبر ، ثمّ رفع الله عنه البلاء ، وردّ إليه ماله وأضعف له .

---

(١) راجع تاريخ الطبري ج ١ ص . ٢٣١ وما بعدها .

(٢) مات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

[الطبري ١ : ٢٥٥]

موسى بن عمران[1]

وولد موسى بن عمران بن قهث بن لاوي بن يعقوب بمصر في زمان فرعون الجبّار، وهو الوليد بن مصعب[2]، ويُقال: كان اسمه ظلمي، وبنو إسرائيل يومئذ بمصر قد أقاموا من زمان يوسف في الرّقّ والعبوديّة .

وكان سحرة فرعون وكهنته قد قالوا له : يولد في هذا الوقت مولود من بني إسرائيل يفسد عليك ملكك ، ويكون به هلاكك . وكان فرعون قد ملك مصر دهراً طويلاً ممتّعاً بالسّلامة ، حتى قال : أنا ربّكم الأعلى ؛ فأمر فرعون ، فوضع على كل امرأة حامل من بني إسرائيل حرساً ، فكانت لا تلد منهنّ امرأة غلاماً إلّا قتل ولدها ، فلمّا جاء أُم موسى المخاض قالت لها القابلة : إنّي أكتم عليك ! فلمّا ولدت قالت للحرس : إنّما خرج منها دم .

وأوحى الله إلى أُم موسى أن اعملي تابوتاً ، ثم ضعيه فيه ، وأخرجيه ليلاً ، فاطرحيه في نيل مصر ! ففعلت ذلك ، وضربته الريح ، فطرحته إلى الساحل ، فرأته امرأة فرعون ، فدنت منه حتى أخذته ، فلمّا فتحت التابوت ورأت موسى وقع عليه منها محبة ، فقالت لفرعون : نتّخذه ولداً ، وطلبت له من ترضعه ، فلم يأخذ من المرضعات ، حتى جاءت أُمّه ، فأخذ منها ، وشبّ أحسن شباب ، وبلغ في أسرع وقت ما لا يبلغ الصبيان .

وكان يوسف قد قال لبني إسرائيل : إنّكم لن تزالوا في العذاب حتى يأتي غلام جعد ، من ولد لاوي بن يعقوب ، يُقال له موسى بن عمران. فلمّا طال الأمر على بني إسرائيل ضجّوا وأتوا شيخاً منهم ، فقال لهم :

---

(١) أمه يحيب ابنة شمويل بن بركيا بن يقسان بن إبراهيم .

(٢) هو الوليد بن مصعب بن معاوية شقيق قابوس صاحب يوسف الثاني . ويقال إن الوليد تزوج آسية ابنة مزاحم بعد أخيه . وهو رابع فراعنة مصر .

[الطبري ١ : ٢٧١]

[المسعودي ١ : ٤٨]

كأنّكم به ! فبينا هم في ذلك إذ وقف عليهم موسى ، فلمّا رآه الشيخ عرفه بالصفة ، فقال له : ما اسمك ؟ فقال : موسى . قال : ابن مَن ؟ قال : ابن عمران . فقام هو والقوم وقبّلوا يديه ورجليه ، واتّخذهم شيعة .

ودخل يوماً مدينة من مدائن مصر ، فإذا رجل من شيعته ينازع رجلاً من آل فرعون ، فوكزه[1] موسى ، فقتله ، ونذر به فرعون وآل فرعون وأرادوا قتله ، فلمّا علم ذلك خرج وحيداً على وجهه ، حتى صار إلى مدين ، وأجّر نفسه من شعيب[2] النبيّ ابن نويب بن عيا بن مدين بن إبراهيم على أن ينكحه إحدى ابنتيه .

فلمّا قضى موسى الأجل سار بامرأته يريد بيت المقدس ، على ما قصّ الله[3] ، عزّ وجلّ ، من خبره في كتابه العزيز ، فبينما موسى يسير في طريقه إذ رأى ناراً ، فقصد نحوها ، وخلّف أهله ، فلمّا دنا منها إذا شجرة تضطرم من أسفلها إلى أعلاها ناراً ، فلمّا دنا منها تأخّرت نفسه ، ووجل واشتدّ رعبه ، فناداه الله جلّ وعلا : يا موسى أقبل لا تخف ! إنّك من الآمنين . فسكن عنه رعبه ، وأمره الله أن يُلقيَ عصاه ، فألقاها ، فإذا هي حيّة كالجذع ، فأمره الله أن يأخذها ، فصارت عصا .

وبعثه الله تعالىٰ إلى فرعون ، وأمره أن يأتيه ، ويدعوه إلى عبادة الله ، فعظم ذلك في قلب موسى ، فقال الله : إنّي آمرك إلى عبد من عبيدي بطر نعمتي وأمن مكري ، وزعم أنّه لا يعرفني ، وإنّي أقسم بعزّتي لولا العدل والحجّة التي وضعتها بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبّار تغضب لغضبه السمٰوات والأرض . فقال : اللّهمَّ اشدد عضدي بأخي

---

(١) وكزه : نكزه بالسيف .

(٢) رواية المسعودي : «هو شعيب بن نويث بن رعوايل بن مر بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم ، وكان لسانه عربياً ، وكان مبعوثاً إلى أهل مدين» . ج ١ ص . ٤٩ .

(٣) راجع القرآن الكريم سورة موسى .

هارون ، وإنّي قتلت منهم نفساً ، فأخاف أن يقتلون[1] ! فقال له الله : قد فعلت ذلك . فاذهب أنت وأخوك بآياتي ، فأخرِجا بني إسرائيل ! هذا أوان إخراجي إيّاهم من الرّقّ والعبوديّة . فردّ موسى امرأته إلى أبيها . وصار إلى فرعون هو وأخوه هارون ، وأعلمه ما بعثه الله به ، وخبّر بني إسرائيل ، فعظم سرورهم ، وعلموا أن يوسف صدقهم .

ثمّ ساروا إلى باب فرعون ، وعليه مدرعة[2] صوف ، وفي وسطه حبل ليف ، وفي يده عصا ، فمنع من الدخول ، فضرب الباب بالعصا ، فانفتحت الأبواب ، ثمّ دخل ، فقال لفرعون : أنا رسول ربّ العالمين ، بعثني إليك لتؤمن به ، وتبعث معي بني إسرائيل . فأعظم فرعون ذلك ، فقال له : إيتِ بآية نعلم بها صدقك! فألقى عصاه ، فإذا هي ثُعبان عظيم قد فتح فاه ، وأهوى نحو فرعون ، فسأل موسى أن ينحيه عنه ، ثمّ أدخل يده في جيبه وأخرجها بيضاء من غير سوء برص .

وكان فرعون أراد أن يصدّقه ، فقال له هامان[3] : أما في عبيدك ، أيها الملك ، من يعمل مثل هذا ؟ فأحضر السحرة من جميع البلاد ، وخُبّروا بخبر موسى ، فأقاموا حيناً يعملون من جلود البقر حبالاً مجوّفة وعصيّاً مجوّفة ، ويزوقونها[4] ، ويصيّرون فيها الزيبق ، ثم أحموا المواضع التي أرادوا أن يلقوا فيها الحبال والعصيّ ، ثمّ جلس فرعون ، وأحضره ، فألقى السحرة حبالهم وعصيّهم ، فلمّا حمي الزيبق تحرّك ، ومشت الحبال والعصيّ ، فألقى موسى عصاه ، فأكلت ذلك كلّه ، حتى لم يبق منه شيء ، ونكص[5] السحرة ، فقتل فرعون من قتل منهم[6] .

---

(١) أن يقتلون : أراد أن يقتلوني ، فوقف على النون .

(٢) مدرعة : عباءة .

(٣) هامان : خادم فرعون .

(٤) يزوقونها : يزخرفونها .

(٥) نكص السحرة : أحجموا عما كانوا عليه .

(٦) لقد أوحى الله الى موسى : «أن ألقِ ما في يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى» .

وبعث الله موسى بآيات إلى فرعون : العصا ، ثم اليد التي خرجت من جيبه بيضاء ، ثمّ الجراد ، ثمّ القمل ، ثمّ الضفادع ، ثم الدم وموت الأبكار ، فلمّا اتّصل بهم هذا قال له فرعون : إن كشفت عنّا الرجز[1] آمنّا وأخرجنا معك بني إسرائيل . فكشف الله عنهم ، ولم يؤمنوا .

وأمر الله موسى أن يخرج بني إسرائيل ، فلمّا أرادوا الخروج طلب جسد يوسف بن يعقوب ليحمله معه ، كما أوصى يوسف بني إسرائيل ، فأتته شارح بنت آشر بن يعقوب ، فقالت : تضمن لي البقاء حتى أدلّك عليه ؟ حتى ضمن ذلك لها فصارت به إلى موضع من النيل ، فقالت له : هو هٰهنا ! فأخذ موسى أربع صفائح ذهب ، فصوّر في واحدة صورة نسر ، وأُخرى صورة سبع ، وأُخرى صورة إنسان ، وأُخرى صورة ثور ، وكتب في كلّ صفيحة اسم الله الأعظم ، وألقاها في الماء ، فطفا تابوت الحجارة الذي كان فيه جسد يوسف، وبقيت في يد موسى صفيحة واحدة فيها صورة ثور، فوهبها لشارح بنت آشر، وحمل التابوت.

وقفل موسى ببني إسرائيل ، وهم ستّمائة ألف إنسان بالغ ، واتّبعه فرعون وجنوده ، فغرّقهم الله جميعاً ، وكانوا ألف ألف فارس ، وقيل هبط جبرائيل ، ، وفرعون وأصحابه يحاولون الدخول أثرهم ، وإذ قد نزل جبرائيل بعد أن لم يجزع من خيل فرعون فرس واحد ، وكان تحت جبرائيل مهرة ، وكان تحت فرعون فرس طويل الذنب ، فدخل جبرائيل البحر ، فنظر فرس فرعون إلى مهرة جبرائيل ، فاقتحم إثرها البحر ، وتبعه أصحابه فغرقوا كلّهم ، أعني فرعون وجميع أصحابه ، وانطبق البحر عليهم ، وصار موسى إلى التيه[2] .

وجعل بنو إسرائيل يستعجلونه ليدخل إلى الأرض المقدسة ، فأوحى

---

(١) الرجز : العذاب . قال الله تعالى : ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذ هم ينكثون﴾ .

(٢) حيث نزل عليه التوراة .

الله إلى موسى أنها محرّمة عليهم أربعين سنة[1] ، فأقاموا في التيه ، واشتدّ بهم العطش ،فأوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه الحجر ، فقام موسى مغضباً ، فضرب الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً لكلّ سبط عين يشربون منها ، فأوحى الله إلى موسى أنك ضربت الحجر قبل أن تقدّسني ، ولم تذكر اسمي ، وأنت أيضاً فلا تخرج من التيه ، وأمره أن يبني فيه قبّة الزمان ، ويجعل فيها الهيكل ، ويجعل في الهيكل تابوت السكينة ، ويكون هارون كاهن ذلك الهيكل الذي لا يدخله غيره ، فجمع غزول[2] نساء بني إسرائيل ، فنسجت ؛ وجمع الحليّ ، وعمل سرادقاً طوله مائة ذراع في صدره الهيكل وفي صدر الهيكل تابوت السكينة .

وكان عمله ذلك في السنة الثانية من خروجه من مصر ، وجعل فيه مائدة من ذهب ، وجعل للقبّة أجراس ذهب ، وكلل القبّة بالجوهر ، وجعل فيها مجمرة ذهب للدُّخْنة ، وجعل فيها منارة ذهب مكلّلة بالجوهر ، فكان هارون وحده يدخل القبّة ويقدّس الله . وموسى على الستر ، وسائر بني إسرائيل في السرادق.

وكانت غمامة تجلّل القبّة ، ولا تبرحها ، وأمرهم الله أن يقرّبوا قربانهم ، وقال لموسى : قل لبني إسرائيل يقرّبون قرباناً سليماً من العيوب من البقر والغنم ، ويجعلون شحم القربان على المذبح ، وينضحون[4] الدم أيضاً عليه ، وما كان من القربان فهو حلّ لبني هارون خاصّة ، حرام على غيرهم ، ومن أذنب منهم ذنباً ، فليقرّب قرباناً لله عند المذبح على قدر ما يجد بقراً ، أو غنماً ، أو شِفْنِينْين[3] ، أو فرخي حمام .

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى أن يكتب العشر الآيات في لوحي

---

(1) قال الله تعالى : ﴿**إنها محرمة عليهم أربعين سنة**﴾ حرّمت عليهم القرى فكانوا لا يهبطون قرية ولا يقدرون على ذلك أربعين سنة ، وذكر أن موس مات في الأربعين سنة ولم يدخل بيت المقدس منهم إلا أبناؤهم . . .

[تاريخ الطبري ١ : ٢٠٧]

(٢) الغزول : حائكات النسيج .

(٣) ينضحون : يرشون .

زمرّد ، فكتبها على ما أمره الله ، وهذه العشر الآيات :

قال الله : إنّي أنا الرَّبُّ الذي أخرجتك من أرض بيت الرّقّ والعبوديّة ، ولا يكون لك إله آخر دوني ، ولا تتّخذ تمثالاً ، ولا صنماً مشبهاً بي من فوق السماء ، ولا تحت الأرض ، ولا تسجد لها ، ولا نعبدها من أجل أنا الربّ الملك القاهر قاضي ديون الآباء عن الأبناء ، نقمي على الثلاث والرباع لمبغضي، وأصنع نعمتي لمحبّي وحافظ وصيّتي إلى ألوف الآلاف من المحبّين لي ، الحافظين لوصيّتي .

لا تحلف باسم الربّ كاذباً لأن الله لا يزكّي من حلف باسمه كاذباً .

واذكرْ يوم السبت لتطهّره ، إعملْ ستّة أيّام ، واسْع في أعمالك كلّها ، واليوم السابع سبت الرّب إلهك لا تعمل فيه شيئاً من الأعمال أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمَتك ونَعَمك وبهائمك والساكن في قراك، لأنّه في ستّة أيام خلق الله السماء والأرض والنجوم وجميع ما فرع في السماء، فلهذا بارَكَ الله اليوم السابع وطهره.

وأكْرمْ أباك وأمّك لتطول أيّامك في الأرض التي أعطاكها الربّ إلهك .

ولا تقتل .

ولا تزن .

ولا تسرق .

ولا تشهد على صاحبك شهادة كاذبة .

ولا تشته بيت صاحبك ولا زوجة صاحبك ، ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شيئاً من مال صاحبك .

وصعد موسى طور[٢] سيناء فأقام أربعين يوماً ، فكتب التوراة[٣] ،

---

(١) الطور : الجبل .

(٢) كتبه في خمسة أسفار باللغة العبرانية .

فاستبطأه بنو إسرائيل ، فقالوا لهارون : إنّ موسى قد ذهب ، ولا نظنّه يرجع . ثمّ عمدوا إلى حليّ نسائهم ، فعملوا منها عجلاً مجوّفاً ، وكانت الريح تدخله فتخور[1] فيه، فقال الله لموسى: إنّ بني إسرائيل قد اتّخذوا عجلاً وعبدوه من دوني ، فدعني أهلكْهم . فدعا لهم موسى ، وقال : يا ربّ ! إحفظ فيهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ولا تشمّت بهم أهل مصر .

وهبط موسى من الجبل بعد أربعين يوماً ، فلمّا رأى العجل ورآهم عُكوفاً[2] عليه ، اشتدّ غضبه ، فألقى الألواح ، فكسرها ، وأخذ برأس أخيه هارون ، فنظر إلى العجل يخور ، فكسره وسحقه ، حتى صيّره كالتراب ، وذراه في الماء ، وقال لبني لاوي : جرّدوا سيوفكم واقتلوا من قدرتم عليه ممّن عبد العجل ! فجرّد بنو لاوي سيوفهم ، وقتلوا في ساعة واحدة خلقاً عظيماً ، وقال الله لهم : أبيدوا من اتّخذ إلهاً غيري .

وأمر الله موسى أن يعدّ بني إسرائيل ، ويجعل على كلّ سبط رجلاً خيّراً ، فاضلاً ، وكان عددهم ممّن بلغ العشرين سنة ، فما فوقها إلى الستّين ، ممّن يحمل السّلاح : ستّمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلاً ، وكان عدّه إيّاهم بعد خروجهم من مصر بسنتين ، فكان رئيس بني يهوذا نحشون بن عميناذاب ، وعدد من معه من سبطه أربعة وسبعون ألفاً وستّمائة رجل .

ورئيس بني يشاجر نثنيل بن صوعر ، وعدد من معه أربعة وخمسون ألفاً وأربعمائة رجل .

ورئيس سبط زبلون الياب بن حيلون ، وعدد من معه سبعة وخمسون ألفاً وأربعمائة رجل .

ورئيس سبط بني روبيل اليصور بن شذياور ، وعدد من معه سبعة وأربعون ألفاً وخمسمائة رجل .

---

(١) تخور : من الخوار وهو صوت البقر .

(٢) أي منكبين على عبادته .

ورأس بني شمعون شلوميال بن صوري شذاي ، وعدد من معه تسعة وخمسون ألف رجل وثلاثمائة رجل .

ورأس بني كاذ اليسف بن دعوال ، وعدد من معه خمسة وأربعون ألفاً وستّمائة وخمسون رجلاً .

ورأس بني افرائيم اليشمع بن عميهوذ ، وعدد من معه أربعون ألفاً وخمسمائة رجل .

ورأس بني منشّا جمليال بن فداصور ، وعدد من معه اثنان وثلاثون ألفاً ومائتا رجل .

ورأس بني بنيامين ابيذان بن جذعوني ، وعدد من معه خمسة وستّون ألفاً وأربعمائة رجل .

ورأس بني دان اخيعازر بن عميشذاي ، وعدد من معه اثنان وثلاثون ألفاً وسبعمائة رجل .

ورأس بني آشر فجعيال بن عنحرن ، وعدد من معه أحد وأربعون ألفاً وخمسمائة رجل .

ورأس سبط نفتالي اخيرع بن عينان ، وعدد من معه ثلاثة وخمسون ألفاً وأربعمائة رجل .

وكان بنو لاوي خدام قبّة الزمان وحرسها ، فلم يدخلوا معهم ، وكانوا مخصوصين بالكرامة والقدس ، وخدمة قبّة الزمان والتطهير ، فهذا عدد بني إسرائيل واسم رئيس كلّ سبط منهم ، وما كان معه من سبط على ما في السفر الرابع من التوراة.

وأمر الله ، سبحانه ، موسىٰ أن يقول لرؤساء أسباط بني إسرائيل أن يقرّب كلّ عظيم منهم قرباناً ، فكان قربان كلّ رجل منهم صحفة[1] فضّة

---

(١) الصحفة : قصعة كبيرة منبسطة تشبع الخمسة .

من مائة وثلاثين مثقالاً ، ومصفاة فضّة من سبعين مثقالاً ، وملء الصحفة سميذ[1] ملتوت بدهن ، ومدهن ذهب من عشرة مثاقيل مملوءاً طيباً ، وثوراً ، وكبشاً ، وحَمَلاً حوليّاً[2] ، وحوليّة من المعزى . وكان الذبح الكامل ثورين وخمسة أكبش وخمسة جداء وخمسة حملان حوليّة .

وأمر الله ، عزّ وجلّ ، موسى أن يقول لبني إسرائيل أن يذبحوا بقرة[3] صفراء مسلّمة لا عيب فيها ، ثمّ يأخذ دمها فيرشّه على حبال قبّة الزمان ، ثم يحرقها وجلدها ، ثم ليأتِ رجل آخر ، فليجمع الرماد ، وليصيّره في موضع ، فإذا إراد أحد أن يطهر ، فليجعل في الماء من ذلك الرماد ، فيكون طهوراً .

وأقام موسى وبنو إسرائيل في التيه دهراً ، وكان طعامهم المنّ ، وكان المنّ مثل حبّ الكُسْبُرَة يطحنونه بالأرحاء[4] ويجعلونه أرغفة ، فيكون طعامهم طيّباً أطيب من كلّ شيء ، وكان ينزل عليهم بالليل ، ويجمعونه بالنهار ، فضجّوا وبكوا ، وجعلوا يقولون : مَن يطعمنا لحماً ؟ أما تذكرون ما كنّا نأكل بمصر من النون[5] ، والقثّاء ، والبطّيخ ، والكرّاث ، والبصل ، والفوم ؟ فاشتدّ غمّ موسى لذلك ، وجعلوا يقولون : أطعمْنا لحماً ! فقال موسى : اللّهمَّ إنّي لا أقوى على بني إسرائيل ! فأوحى الله إليه إنّي مطعمكم لحماً ، فبعث لهم السلوى[6] ، وأعلمهم الله أنّه يخرجهم إلى

---

(١) السميذ : الدقيق الأبيض ، ويقال أيضاً السميد .

(٢) حولياً : مضى عليه حول أي عام .

(٣) في آياته الكريمة من سورة البقرة ﴿**وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾ آية ٦٧ .

﴿**قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك**﴾ آية ٦٨ .

﴿**قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين**﴾ آية ٦٩ .

﴿**قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث**﴾ آية ٧١ .

(٤) الأرحاء : جمع رحى وهو حجر يطحن به .

(٥) النون : السمك . والنون في الأصل : الحوت .

(٦) السلوى : العسل .

الشأم ، فبعث موسى إلى الشأم بيوشع بن نون وغيره إلى أرض بني كنعان يأتوه بخبرها ، فقالت بنو إسرائيل : لا طاقة لنا بحرب الجبابرة .

وأذن الله لموسى أن ينتقم من أهل مدين ، فوجّه باثني عشر ألف رجل من بني إسرائيل ، فقتلوا جميع أهل مدين ، وقتلوا ملوكهم ، وكانوا خمسة ملوك : أوي ، ورقم ، وصور ، وحور ، وربع ، وقتل بلعام بن باعور في الحرب ، وكان نبيّاً ، فأشار على ملك مدين أن يوجّه بالنساء على عسكر بني إسرائيل ، حتى يفسدوهم ، فغضب موسى من ذلك ، فأمر الله موسى أن يقسم تلك الغنائم بين بني إسرائيل ، ويأخذ منهم من كلّ خمسين واحداً ، فيجعله لله يدفعه إلى ولد هارون ، ثم أمره الله أن يوجّه بني إسرائيل إلى الشأم يقاتلون من بها ، فوجّه جيشاً عظيماً ، فجعلوا يسيرون قليلاً ، وينزلون ، ويقولون : إنّا نخاف الجبّارين ! فأقاموا بجبل ساعير ، فقال الله تعالىٰ لموسى : إنّ بني إسرائيل عصوا أمري ، فليشتروا الطعام بالثمن ، وليخضعوا الآن لمن كان يخضع لهم .

وكان ذلك بعد أن قتل موسى سيحون ملك الأموريّ واستباح أرضه .

ولمّا كان في سنة الأربعين من مقامهم في التيه . وهي برّيّة سينا ، أوحى الله إلى موسى : إنّي قابض هارون إليّ ، فاصعد به الجبل لتأتي ملائكتي فتقبض روحه ! فأخذ موسى بيد هارون أخيه ، فلمّا صعد به الجبل لم يكن معه إلاّ اليعازر بن هارون ، فلمّا صار على الجبل إذ سرير عليه ثياب ، فقال له موسى : البس يا أخي هذه الثياب المطهّرة ، التي أعدّها الله لك ، لتلقاه فيها ، فلبسها هارون ، ثمّ تمدّد على السرير فمات ، وصلّى عليه موسى . فلمّا لم يرَ بنو إسرائيل هارون ، ضجّوا ، وقالوا : أين هارون ؟ قال لهم موسى : قبضه الله إليه ، فاضطربوا .

وكان هارون محبّباً فيهم ، ليّن الجانب لهم ، فرفعه الله لهم على السرير ، حتى رأوا وجهه ، فعلموا أنّه قد مات[1] ، وكانت سنو هارون

(١) وكانوا قد اتهموا موسى بقتله . وتقول رواية الطبري : «فتضرع موسى الى ربه وشكا ما لقي من بني إسرائيل ، فأوحى الله أن انطلق بهم إلى موضع قبره فإني باعثه حتى =

يومئذ مائة وثلاثاً وعشرين سنة، وكان له من الولد أربعة: نادب، واليهو، واليعازر، وايتمر، وتوفي في حياته نادب، واليهو، وبقي اليعازر، وايتمر.

وصار اليعازر مكان هارون يقدّس في قبّة الزمان، ودعا موسى يوشع ابن نون، وقال له: بين يدي بني إسرائيل سِرْ، وشدّ قلبك، فإنّك تدخل ببني إسرائيل إلى أرض بني كنعان التي ورّثهم الله، وهذه التوراة ادْفعْها إلى كهنة بني لاوي، الذين كانوا يقومون بتابوت السكينة، ووقّروا مقام الله، واحفظوا وصاياه، التي بيّنها لكم في التوراة، وأوصاهم أن يتّبعوا ما فيها، وبرّك عليهم.

وكان مما أوصى الله عزّ وجلّ به لبني إسرائيل على لسان موسى أن قال لهم: اذكروا اليوم الذي قمتم فيه قدّام الله إذ قال الله لي: إجمع هذا الشعب قدّامي، فأُسْمِعَهُم كلامي ليخشوني أيّام حياتهم، فقمتم في أسفل الجبل، والجبل يتوقّد ناراً إلى قلب السماء، وكلّمني الله من جوف النّار، فسمعتم الصوت، ولم تروا الشبه، وأوصاكم الله أن تتعلموا العشر الآيات، وأوصاني أن أعلّمكم السنن والقضاء، فتعملوا بذلك في الأرض التي تصيرون إليها، فاحتفظوا بأنفسكم ولا تصنعوا أصناماً ممّا يشبه ذكراً، ولا أنثى، ولا شيئاً مما يدبّ على الأرض، ولا ممّا يكون في البحر، ولا ترفعوا رؤوسكم إلى السماء فتعبدوا النجوم! إنّ الله قد أقسم لا أدخل الأرض الصالحة، فأنا ميّت بهذه الأرض، ولست أعبر الأردنّ، ولكنّكم ستعبرون وتصيرون إلى الأرض الصالحة، التي جعلها الله لكم ميراثاً، فلا تضلّوا ميثاق الله ربّكم الذي واثقكم به، فتصنعوا الأصنام. ولا تعملوا أعمال السوء قدّام إلٰهكم لو قد صرتم إلى الأرض الصالحة، فتوشكوا، إن عصيتم، أن تهلكوا، وتفرّقوا بين الشعوب، وإن عبدتم ما تعمله أيدي

= يخبرهم أنه مات موتاً ولم تقتله، قال: فانطلق بهم الى قبر هارون، فنادى يا هارون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال: أنا قتلتك؟ قال: لا، والله، ولكني مت...» ج ١ ص. ٣٠٦.

البشر من خشب وحجارة لا يبصرون ، وتدعون ، فلا يُسمَع لكم دعاءٌ ، إنّ الله الرّحيم بكم يسمع أصواتكم ، وإنّ من سمع من الله مثل الذي سمعتم ، ورأى مثل الذي رأيتم ، لا ينبغي أن يعصي الله ، لقد رأيتم ما صنع الله بأهل مصر ، وأنتم تنظرون ، فإنّ الله هو الربّ الذي ليس غيره ، الذي بصّركم ناره ، وأسمعكم صوته ، وأحبّ آباءكم فاجتبى[1] خلوفهم ، وأهلك لكم قوماً كانوا أعظم وأشدّ منكم ، وإن الله سيُدخلكم الأرض الصالحة ، ويجعلها ميراثاً لكم ، فاحفظوا سنَنَه التي أوصاكم بها وأمركم بها ليحسن إليكم وإلى خلفكم من بعدكم ، ويكثر أيّامكم في الأرض ، اقبلوا وصيّة الله التي أمركم بها لا تزيغوا[2] عنها يميناً ولا شمالاً ، واسلكوا كلّ طريق أوصاكم بها ربّكم ليحسن إليكم .

أحبّوا الله من كلّ قلوبكم ومن همّكم ومالكم ، وقصّوهنّ على أولادكم ، وأتمّوها ، واتلوها في بيوتكم ، اجعلوها علامة بين أعينكم ، واكتبوها في منازلكم ، إنّ الله سيعطيكم قرى عظاماً لم تبنوها ، وبيوتاً مملوءة من الخير لم تملأوها ، وآباراً مطويّة لم تحفروها ، وكروماً ، وزيتوناً لم تغرسوها ، فلا تنسوا الله ، واخشوه ، واعبدوه ، واحلفوا باسمه ، ولا تتبعوا إلهاً آخر .

احذروا غضب الله الذي يبيدكم عن وجه الأرض ، ولا تخونوا الله ، واقبلوا أمره ، واعملوا خيراً وصدقاً .

اذكروا إذ كنتم عبيداً لفرعون ، فأخرجكم الله بيد شديدة ، وآيات معجزات عظام ساقت فرعون وأصحابه إلى الهلكة ، وأنتم تنظرون .

إن الله يقول لكم سأُعطيكم البلاد الصالحة وأُقدّركم على الأُمم التي بين أيديكم ، وأُظفركم بالجبّارين ، والجرشيّين ، والأموريّين ، والكنعانيّين ، والفرازيّين ، والحوبيّين ، والنابلسيّين ، هؤلاء السبع الأُمم

---

(١) اجتبى : اختار .

(٢) لا تزيغوا : لا تميلوا أو تنحرفوا .

الـذين هم أكثر منكم وأشـدّ ، فـإذا ظفّركم الله بهم ، فـاضـربـوهم ، وارجمـوهم ، ولا ترحمـوهم ، ولا تعطوهم ميثـاقـاً ، ولا تنكحـوهم بنـاتكم لكيـلا يكونـوا لكم عثرة ، فيـزيغون أولادكم عنّي ، فيعبـدون إلهاً غيـري ، فيشتدّ عليكم غضبي ، فأُبيدكم عاجـلاً ، ولكن اكسروا أصنـامهم ، واعقروا مـذابحهم ، واهدمـوا أنساكهم[1] ، وأوقـدوهـا ! إنّكم إن سمعتم وصيّتي ، وعملتم بقضـاياي ، فسـأحفظ لكم نعمكم والميثاق الـذي واثقت آبـاءكم ، وأكثّركم ، وأثمّر زرعكم وماشيتكم .

اجعلوا لله نصيبـاً في أمـوالكم ، فـواسـوا منـه اليتيم ، والأرملة ، والمسكين ، والضعيف ، والساكن معكم الذي لا زرع له .

إذا قضيتم بين اثنين ، فـاعدلـوا ، ولا تأخـذوا الرُّشـا ، فإنّ الـرشـوة تعمي عيون الحكّام ، ولا تغرسوا شجرة عند مذبح ، ولا تذبحوا قربانـاً فيه عيب من ثور ولا كبش ، واقتلوا من يعمل الأصنام التي تُعبد من دون الله ، وإذا بلغكم أنّ أحداً يسجد للشمس والقمر والنجوم ، أو شيء من الأنـوار ، فافحصوا عنه[2] ، فإذا علمتم صحّته ، فارجموه بالحجارة حتى يموت .

ولا تقبلوا في الأحكـام الموجبـة للقتـل شهـادة واحـد ، ولكن شهـادة شاهدين ، أو ثلاثة ، وإذا شهـد الشهود على مَن يجب عليـه القتل ، فليبـدُ الشهـودُ ، فليبسطوا أيـديهم إلى الذي يقتـل ، فإذا أشكـل عليكم الحكم ، فارجعوا إلى الأحبار[3] والكهّان .

ومن قتـل رجـلاً خـطأ ، ولم يـرده ، فليفـرّ من وليّ الـدم حتى لا يدركه ، ولا تسفكوا دم بريء ، أيّما رجل قتل رجلاً بريئاً تعمّداً ، فليُقْتَلْ ، ولا تقتلوا أحـداً حتى تقوم عليـه شهادة عنـد الحبر ، والقـاضي ، فإن وقف القاضي على أنّ أحداً شهد بزور فعل بالشـاهد مـا أراد أن يفعله بالمشهـود

(١) الأنساك : أماكن العبادة .

(٢) افحصوا عنه : ابحثوا عنه .

(٣) الأحبار : جمع حبر وهو رئيس الكهنة عند اليهود .

عليه ، والنفس بالنفس ، والعين بالعين ، واليد باليد ، والرِّجل بالرِّجل .

وإذا أردتم قتال قوم فأتيتم قريتهم ، فادعوهم إلى السلم ، فإن أجابوكم ، فاجعلوا عليهم ضريبة ، فإن لم يسلموا قتلتم كلّ من يحمل السلاح ، ولا تفسدوا شجرها .

وقال الله عزّ وجلّ لموسى : إذا خرجت لقتال عدوّك ، فأمكنك الله منهم ، فرأيت في السبي امرأة ، وأحببت أن تتّخذها لنفسك ، فأدخلْها إلى بيتك ، واكشفْ عن رأسها ، وقصّ أظفارها ، وانزع عنها ثيابها التي سبيت فيها ، وأقعدْها في بيتك ثلاثة أشهر تبكي على أبيها وأُمّها ، ثمّ استحلّها ، فإن كرهتها بعد أن تمسّها ، فأخرجها ، ولا تبعْها ، ولا تأخذ لها ثمناً بعد أن وقعتَ عليها .

وأيّما ابن عصى أباه ، ولم يطعْه ، ولم يقبل أمره ، فليخرجْه أبوه إلى شيوخ سبعة ، فيرجموه حتى يذهب الشرّ والفظيعة منه ، ويحذر أمثاله من بني إسرائيل .

وإذا وجد أحد منكم ضالّةً قد ضلّت من صاحبها من نعجة ، أو ثور ، أو حمار ، فليردّها على صاحبها ، فإن لم يجده ، فليحبسها في بيته حتى يحضر صاحبها .

ولا تلبسوا ثوباً منسوجاً بقطن وصوف جميعاً ، واصنعوا خيوطاً في أطراف أكسيتكم .

وأيّما رجل قذف امرأته ورماها بفجور ، فلم يصحّ عليها(١) ، فليغرم مائة درهم ، وتكون امرأته آخر الدهر ، وإن كان ما قذفها به حقّاً ، فلترجم .

وأيّما رجل وجد يزني بامرأة لها زوج ، فليقتلا كلاهما .

وأيّما رجل غلب امرأة على نفسها، فليقتل الرجل، وأيّ رجل وقع

(١) أي لم يثبت صحة فجورها .

على جارية تكون في حجر أبيها، فافتضّها[1]، وأحبّها، فليُعطِ أباها خمسين مثقالاً فضّة، ولتكن امرأته آخر الدهر، ولا يخلّ سبيلها.

ولا يحلّ لرجل أن يمسّ امرأة قد مسّها أبوه ، ولا ينظر إلى عورتها ، ولا يدخل الرجل الجُنُب مسجداً من مساجد الله ، ولا تأكلوا ربا لفضّة ، ولا ذهب ، وإذا نذرتم نذراً ، فلا تؤخّروا قضاءه ، وأوفوا بالعهد ، إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا العهد ، فإنّ الله يحبّ من وفى بعهده .

اعتزلوا مَن كان به برص ، وتباعدوا منه ، ولا تحبسوا أجر الأجير ، ولا تأخذوا أباً بذنب ابنه ، ولا ابناً بذنب أبيه ، وأدّوا زكاة أموالكم وثمراتكم إلى الحبر قرباناً ، وأعطوا الفقراء ، والأرامل ، واليتامى ، والمساكين ، وبني السبيل .

وإذا دخلتم الأرض الصالحة ، فاعملوا مذبحاً للقدس من حجارة مستوية ، فليقل أحبار بني إسرائيل : ملعون من يضلّ الأعمى عن الطريق .

ملعون من يحيف [2] في القضاء على المساكين ، واليتيم ، والأرملة .

ملعون من يضاجع امرأة أبيه .

ملعون من يضاجع دابّة .

ملعون من يضاجع أخته وأمه .

ملعون من يضاجع أُم امرأته .

ملعون من يأكل لحم أخيه سرّاً .

ملعون من يأخذ رشوة في قتل نفس زكيّة ظلماً .

ملعون كلّ من لم يعمل بوصيّة الله .

---

(١) افتضها : افترع عذريتها .

(٢) يحيف : يظلم .

ثمّ قال لهم موسى : قد بلّغتكم وصايا الله ، وعرّفتكم أمره ، فاتبعوا ذلك ، واعملوا به ، فقد أتت لي مائة وعشرون سنة ، وقد حانت وفاتي ، وهذا يوشع بن نون القيّم فيكم بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإنّه يقضي بينكم بالحق، وملعون من خالفه وعصاه.

وكانت بين وفاة هارون إلى أن حضرت موسى الوفاة سبعة أشهر[١] ، ثمّ صعد موسى إلى جبل نابون ، فنظر إلى الشأم ، وقال الله له : هذه الأرض التي ضمنتُ لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أن أعطيها خَلَفَهم ، وقد أريتكها بعينك ، ولكنّك لن تدخلها ! فمات موسى في ذلك الموضع ، فقبره يوشع بن نون ، ولم يدر أين قبره .

أنبياء بني إسرائيل وملوكهم بعد موسى

وكان موسى لمّا حضرته وفاته أمره الله، عزّ وجلّ ، أن يُدخِل يوشع بن نون ، وكان يوشع بن نون من شعب يوسف بن يعقوب ، إلى قبّة الزمان ، فيقدّس عليه ، ويضع يده على جسده لتتحوّل فيه بركته ، ويوصيه أت يقوم بعده في بني إسرائيل ، ففعل موسى ذلك ، فلمّا مات قام يوشع بعده في بني إسرائيل ، ثم خرج من التيه[٢] بعد وفاة موسى بيوم ، وقال بعض أهل الكتاب : ثلاثين يوماً ، وصار إلى الشأم ، وفيها الجبابرة ، ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح ، وكان مَن ملك منهم السّمَيْدع بن هوبر ، فصار من أرض تهامة إلى الشأم يريد غزو بني إسرائيل ، فوجّه إليه يوشع بن نون من قتله ، ثمّ قام بعده من بني أبيه جماعة ، فقتلهم يوشع .

وسار يوشع حتى انتهى إلى البلقاء[٣] ، فلقي رجلاً يُقال له بالق ، وبه سمّيت البلقاء ، فجعلوا يخرجون يقاتلونه ، فلا يقتل منهم رجلاً

---

(١) رواية المسعودي ١ ص . ٥٠ : «وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ، ولم يحدث لموسى ولا لهارون شيء من الشيب ، ولا حالا عن صفة الشباب» .

(٢) أي من بريّة سيناء .

(٣) من بلاد الشام .

واحداً ، فسأل عن ذلك ، فقيل له : إنّ في مدينته امرأة منجمة تستقبل الشمس بفرجها ، ثم تحسب ، فإذا فرغت عُرضت عليها الحيَل ، فلا يخرج يومئذ من حضر أجله ، فصلّى يوشع ركعتين ، ثم دعا أن يؤخّر الله الشمس ساعة ، فأُخّرت له ساعة ، فاختلط عليها حسابها ، فقالت لبالق : أُنظر ما كانوا يسألونك ، فأعطِهم ، فإن حسابي قد اختلط عليّ ! قال : تصفّحي آلتك ، وأخرجي منها ، فإنّه لا يكون صلح إلّا بقتال ! فتصفّحت الحيل على غير علم منها لاختلاط الأمر عليها ، فقُتلوا قتلة لم يقتلها قوم ، فسألوا يوشع الصلح ،فأبى عليهم ، حتى يدفعوا إليه المرأة ، فقال بالق : لا أدفعها ! فقالت : ادفعني إليه ! فدفعها إليه ، وصالح ، فقالت له : هل تجد فيما أُنزِل على صاحبك قتل النساء ؟ قال : لا! قالت : فإنّي قد دخلت في دينك . قال : فاسكني في مدينة أُخرى ! فأنزلها مدينة أُخرى .

ولمّا افتتح يوشع بن نون البلقاء أكثر بنو إسرائيل الزناءَ ، وشرب الخمور ، ووقعوا على النساء ، وكثرت فيهم الفاحشة ، فعظم ذلك على يوشع بن نون ، وخوّفهم الله ، وحذّرهم سطوته ، فلم يحذروا ، فأوحى الله ، عزّ وجلّ ، إلى يوشع بن نون : إن شئت سلّطت عليهم عدوّهم ، وإن شئت أهلكتهم بالسنين ؛ وإن شئت بموت حثيث عجلان . فقال : هم بنو إسرائيل ، ولا أحبّ أن تسلّط عليهم عدوّهم ، ولا يهلكوا بالسّنين ، ولكن بموت حثيث . فوقع فيهم الطاعون فمات في وقت واحد سبعون ألفاً .

وكانت أيّام يوشع في بني إسرائيل ، بعد موسى بن عمران ، سبعاً وعشرين[1] سنة .

ثمّ كان على بني إسرائيل بعد يوشع بن نون دوشان الكفري ، فلبث فيهم ثماني سنين ، ثم كان بعد دوشان عثنايل بن قنز ، أخي كالب ، من

---

(١) رواية المسعودي ١ ، ٥١ : «وكانت مدة يوشع بن نون في بني إسرائيل بعد وفاة موسى بن عمران تسعاً وعشرين سنة» .

سبط يهوذا بن يعقوب ، أربعين سنة ، وقد كان كثر ظلم بني إسرائيل وعتوّهم ، فسلّط الله عليهم كوشان جبّار مؤاب ، فلمّا ملك عثنايل قتل كوش ، وملك أربعين سنة .

ثمّ ارتدّت بنو إسرائيل إلى الكفر ، فسلّط الله عليهم عقلون ملك مؤاب ، خمس عشرة سنة ، ثمّ تابوا ، فبعث الله لهم رجلاً يُقال له اهود بن جيرا ، من سبط افرائيم ، فقتل عقلون ملك مؤاب ، وكان يقاتل بشماله ويمينه ، فسمّوه ذا اليمينين ، وهو أوّل من طبع السيوف ذوات الحدّين ، وكانت قبله ذوات أقفية ، وفي زمانه بنيت البنيّة بالشأم ، وفي خمس وعشرين سنة من ملك أهود تم الألف الرابع .

ثمّ ارتدّت بنو إسرائيل بعد اهود ، فسلّط الله عليهم يابين ملك كنعان ، عشرين سنة ، وكان سمحر بن عانات قد ملك على بني إسرائيل قبل، فقتل من أهل فلسطين ستمائة رجل، ثمّ إنّ الله رحمهم، فبعث إليهم رجلاً يُقال له بارق بن أبينعم، من سبط نفتالي، فملكهم أربعين سنة.

ثم ارتدّت بنو إسرائيل إلى الكفر ، فسلّط الله عليهم أهل مدين سبع سنين ، ثمّ إنّ الله تعالىٰ رحمهم ، فبعث إليهم رجلاً يُقال له جدعان بن يواس ، من سبط منشّى ، وكان صالحاً ، وهو الذي بيّت أهل مدين ، فقتل منهم مائتي ألف وخمسة وثمانين ألفاً ، وملكهم أربعين سنة ، ثمّ ملك بعده ابنه ابيملك بن جدعون ، وكان ابن سوء ، وهو الذي قتل سبعين أخاً كانوا له ، فقتلته امرأة ، ورمته بحجر من فوق باب المدينة ، فشدخته[1] ، وكان ملكه ثلاث سنين .

ثمّ ملك تالع بن فواي . من سبط يشاجر ، فأقام ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم ملك جلعاد من سبط منشّى ، وكان له ثلاثون ابناً يركبون معه على ثلاثين مهراً ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، ثم ارتدّت بنو إسرائيل إلى

---

(١) شدخته : شجّت رأسه .

الكفر ، فسلّط الله عليهم بني عمّون ، سبع عشرة سنة ، وفي زمانه بنيت مدينة صور بالشأم ، وسامهم سوء العذاب .

ثمّ إن الله تعالى رحمهم ، فبعث لهم رجلاً من أهل جلعاد اسمه يفتح ، فقتل من بني إسرائيل من آل افرائيم اثنين وأربعين ألفاً ، وكان من سبط منشّى وكان ملكه ستّ سنين ، ثم كان عليهم ابيصان الذي يدعى نخشون ، سبع سنين ، ثمّ كان عليهم ايلان ، من سبط زبولون ، عشرين سنة ، ثمّ كان عليهم عكران ثماني سنين ، ثمّ كان عليهم الانكساس ، فسامهم سوء العذاب ، وسلّط عليهم أشدّ التسليط ، أربعين سنة ، ثم كان عليهم شمسون عشرين سنة ، ثم لبثوا ليس عليهم أحد اثنتي عشرة سنة ، ثم كان عليهم عالي الاحباريّ أربعين سنة .

ثمّ كان عليهم شمويل النبيّ ، وهو الذي ذكره الله تعالىٰ إذ قالوا لنبيّ لهم : إبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ، فلمّا قالوا لشمويل النبيّ : سل الله أن يبعث لنا ملكاً حتى يقاتل عدوّه ، وقال : إنّه لا وفاء لكم ، ولا صدق نيّة ، وقالوا : بلى ! قال : فإن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ، واسمه شاول ، قالوا : والله ما هو من سبط الملك والنبوّة ، ما هو من ولد لاوي ، ولا يهوذا ، وإنّما هو من سبط بنيامين ، قال شمويل : فليس لكم أن تختاروا على الله ، فدعا شمويل شاول ، وهو طالوت ، فقال له : إنّ الرّبّ أمرني أن أبعثك ملكاً على بني إسرائيل ، والله يأمرك أن تنتقم من عمليق ، فأهلكْ عمليق وكلّ ما له ، ولا تُبْقِ له شيئاً من رجل ، ولا امرأة ، ولا صبيّ رضيع ، ولا عجل ، ولا شاة ، ولا بعير ، ولا حمار[1] .

وأوصى الجماعة كلّها بهذا ، وكان عددهم أربعمائة ألف مقاتل ، فأقبل شاول إلى عمليق ، فقتل أصحاب عمليق ، وأسر اغاغ ملك

---

(١) أخبر الله عزّ وجلّ في كتابه «أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك عنه ، ولم يؤتَ سعة من المال ؟ قال : إن الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم» .

العمالقة ، فأخذه حيّاً ، فاستبقاه ، وامتنعوا من إتلاف شيء من البقر ، والغنم ، وأبقوا لأنفسهم ، فأوحى الله تعالى إلى شمويل : إن شاول عصاني ، ولم يهلك عمليق ، وكلّ ما حواه ملكه . فقال شمويل لشاول : إنّ الله قد غضب من فعلك ! فدعا شاول باغاغ ، فقال : ما أمرُّ الموت ؟ قال : الذبح ! فذبحه ، ثمّ قال شاول لشمويل : إمضِ معي لنسجد بين يدي الله تعالى ، فامتنع ، فأمسك رداء شمويل فخرقه[1] ، فقال شمويل : كذا ينخرق ملكك.

وارتفعت النصرة عن شاول ، ودخلته ريح سوء ، وكان يضطرب ، ويتغيّر لونه ، فقال له أصحابه : لو أُتيت بإنسان حسن الصوت ، من الشعارير ، يقرأ عليك ، إذا دخلتك هذه الريح السوء ! فأرسل إلى إيشا : إبعث إليّ داود ابنك ، فبعث به إليه ، فكان إذا خُنِق شاول أخذ داود قيثاره بيده ، وتكلّم عليها ، فيذهب عنه الرّيح السّوء .

ثم اجتمع الحنفاء الذين كانوا في وقت شاول ، فقاتلهم ، وهم عبدة النجوم وخرج إليهم شاول في جموعه ، فخرج منهم رجل طوله خمس أذرع يُقال له غلياث ، وهو جالوت ، فقال : يبرز لي منكم رجل واحد ، فقال داود لشاول : أنا أبرز إليه ! فقال لداود : انطلق ، والرّبّ يكون معك ! فأخذ عصاً وخمسة أحجار ، وخرج إلى غلياث ، فلمّا رآه احتقره ، فقال له : إلى كلب خرجت بعصاً وحجر ؟ فقال له : إلى أشدّ من الكلب ، ثمّ أخذ حجراً من مخلاته[2] ورماه به حتى غاب الحجر في جبهة جالوت ، وسقط ، فسعى إليه داود ، فأخذ سيفه ، وحزّ رأسه ، وأخذ راجعاً ، فانهزم عسكر غلياث ، واشتدّ سرور بني يهوذا ، فاغتمّ شاول وحسد داود ، فطرده عنه ، وصيّره رئيساً على ألف ، ونفاه بمكان بني يهوذا ، وتزوّج ميخل بنت شاول .

---

(١) خرقه : مزّقه .

(٢) المخلاة : ما يُجعل فيه العلف ويعلّق في عنق الدابة .

وكـان شاول يـريد قتـل داود ، فكـان يـوجّهـه يقـاتـل الحنفـاء عبـدة النجـوم ، فيفتح الله عليـه ، فهمّ أن يقتله بغير حيلة ، فهـرب داود ، فجـاء إلى شمـويل النبيّ ، فخبّـره بخبر شـاول ، ولم يزل شـاول يحاول قتـل داود حتى هرب ، فمر باخيش ملك جات ، فلمّـا رآه عرفـه ، فتحيّل عليـه داود حتى أطلقه ، فصار إلى سارع ، فنزلها .

ولمّا علم شاول أنّه قد فاته قتل الكهنة الذين كانوا يقدّسـون ، وقال : قد علمتم به ولم تخبروني ، ثمّ خرج شاول في طلب داود ، حتى أدركه ، فدخل داود مغـارة ، فلمّا صـار شاول عنـد المغارة نـزل لحاجتـه ، فدخـل المغـارة ، وهـو لا يعلم أن داود فيهـا ، فقـام داود ، فتـوارى ، فقـال لـه أصحابه : يا داود اقتله ! فقد أمكنك الله منه . قال : ما كنت لأفعل .

وتـوفي شمويـل النبيّ ، فاجتمعت بنـو إسرائيـل ، وأعـظمـوا ذلـك ، وناحوا عليه ثلاثين يوماً .

وخـرج شاول يقـاتـل الحنفـاء ، والتحم القتـال بينهم ، فهـزمـوا بني إسرائيل ، وقتل منهم خلق عظيم ، وكـان داود بن إيشا يقـاتل العمـاليق مع قومه من ولـد يهوذا ، فلمّـا انهزم عن شـاول جميع بني إسـرائيل ، قـام هو وولده يحارب ، ثمّ قال لصاحبه الذي يحمل سلاحه : خذ سيفـك فاقتلني به لئلاّ يقتلني هؤلاء القُلْف ، ويلعبوا بي ، فلم يفعل ، فأخذ شاول سيفه ، فـأقامـه ، ثم ألقى نفسه عليـه ، فمات ، وقتـل أولاده الثلاثـة ، وكان ملك شاول أربعين سنة .

داود

ولمّا مات شـاول ، وهو طـالوت ، انصـرف داود من قتال عمليق إلى سقلاغ ، فأقام بها يـومين ، ثم أتاه الخبـر بمـوت شـاول ، فحزن لـذلك ، وأظهـر جزعـاً ؛ وملك داود على بني يهوذا ، وكـان لداود عـدّة نسوة[1] قـد

---

(١) إحدى نسائه كانت ابنة طالوت وهي ميخل العاقر .

ولدن منه أولاداً ، فكان أكبر أولاده : أمنون ، وأُمّه شيتموم ، والثاني دالويا بن اربيخايل ، والثالث أباشلوم بن موخا ، والرابع ارنيا بن دحات ، والخامس سفاطيا بن ابيطال ، والسادس ناتان بن اغلا ، فهؤلاء الستّة من ستّ نسوة ، ولم تلد ميخل بنت شاول ، فهربت من داود إلى أصحاب شاول .

واجتمعت بنو إسرائيل من الأسباط على تمليك داود ، فملّكوه بعد سبع سنين ملكها على بني يهوذا خاصة ، إلى أن ملّكته جميع أسباط بني إسرائيل .

ونزل داود مدينة صيون ، وهي بيت المقدس ، وبنى بها منزلاً ، وتزوّج النساء ؛ فولد له بعد أن ملك : سمون ، وسوباب ، ونوتان ، وسلامان ، ويابار ، واليشوس ، ونافاق ، ويافيا ، واليشماس ، والسنانا[1] ، واليفلات ، فكثر أولاد داود ، وعزّ ملكه ، وأعظمته بنو إسرائيل .

وسمع الحنفاء أن داود قد ملك على بني إسرائيل ، واجتمعوا لقتاله ، فقاتلهم داود ، فقتل فيهم قتلاً كثيراً ، حتى أبادهم ، فلمّا فرغ من قتالهم حمل تابوت السكينة على عجل ، حتى أدخله مدينة بيت المقدس ، وصنع طعاماً لبني إسرائيل ، لرجالهم ونسائهم .

وكان في ذلك العصر ناتان النبيّ ، فأوحى الله إلى ناتان : قل لعبدي داود : ابنِ لي بيتاً ، فقد ملّكتك على بني إسرائيل ، بعد أن كنت في صيرة[2] الغنم ، وقتلت أعداءَك . فقال ناتان النبيّ لداود ، فعظم في قلب داود ، ويُقال : إن ناتان كان ابن داود .

وقاتل داود الحنفاء فهزمهم ، وقاتل أهل مؤاب وهزمهم ، وقاتل اددازار ملك سوبا فهزمه ، وأخذ له ألف مركب وسبعة آلاف من الخيل .

---

(١) هكذا في الأصل بدون نقط .

(٢) الصيرة : موضع الماشية من إبل وماعز وسواها .

واجتمع أهل الشأم ودمشق مع اددازار ليقاتلوا داود ، فقتل منهم اثنين وعشرين ألفاً ، واستحوذ على الأرض ، فكان أهل الشأم جميعاً عبيداً له[1] ؛ ثم اجتمعوا جميعاً على محاربة داود ، فوجّه إليهم يؤاب ابن أخته ، وابيشا أخاه ، ثم خرج داود حتى عبر نهر الأردنّ ، فقتل من القوم أربعين ألفاً ، وقتل اشان رأس القوم ؛ ثم وجّه يؤاب ابن أخته لقتال بني عمّون إلى أسافل الشأم ، ورجع إلى بيت المقدس ، فقام يمشي على سطح له إذ نظر إلى برسبا بنت اليات ، امرأة أوريا بن حنان الشطّي ، .فسأل عنها ، فأخبر بحالها ، وأنها امرأة أوريا بن حنان ، فوقعت في قلبه ، فأرسل إلى أوريا بن حنان ، فأقدمه عليه ، ثم كتب إلى يؤاب ابن أخته أن قدّمْ أوريا أمام الخيل يحارب ، فقدّمه يؤاب ، فقاتل ، فقتل .

وأرسل داود إلى امرأته[2] ، فتزوّجها وأحبها ، فأرسل الله إليه الملكين ، على ما قصّ في كتابه جلّ وعزّ ؛ وأرسل إليه ناتان النبيّ فقال له : يا داود ، ألم يأمرك الله أن تعدل في القضاء ، وتحكم بالحقّ[3] ، ولا تتبع الهوى ؟ قال : بلى ! قال : فهذان رجلان يسكنان مدينة واحدة أحدهما غنيّ والآخر فقير ، وكان للغنيّ مواشٍ وبقر كثيرة ، ولم يكن للفقير شيء إلاّ رِخلة[4] واحدة صغيرة ربّاها ، فشبّت معه ومع أولاده ، فكانت تأكل من طعامه ، وتشرب من كأسه ، وتنام في حجره . ونزل بالغنيّ ضيف ، فلم يأخذ من بقره وغنمه شيئاً ، وأخذ رخلة الفقير ، فهيّأها لضيفه ، فغضب داود ، وقال : أهلٌ أن يموت ، ويغرم بتلك الرخلة سبعة أضعاف . فقال ناتان النبيّ لداود : أنت الرجل الذي فعلت هذا ! إنّ الرّبّ إلهك يقول لك : أنا الذي جعلتك ملكاً على بني إسرائيل ، بعد أن كنت

---

(١) خاطبه الله تعالى : ﴿يا دواد إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق﴾ .

(٢) يريد امرأة أوريا . ويذكر المسعودي في تاريخه : «وتزوج دواد مائة امرأة .

(٣) الآية الكريمة .

(٤) الرِخلة : الأنثى من أولاد الضأن .

راعي غنم ، وأنقذتك من يدي شاول ، وأعطيتك بيت إسرائيل ، وبيت يهوذا ، ففعلت هذا ، فلأنقمنّ منك بشرّ ولدك ، ولأسلّطنّه عليك وعلى نسائك ! فعظم ذلك على داود ، فقال له ناتان : إن الله قد تجاوز عن سبيلك ، فلن تموت ، ولكنّه ينتقم منك بشرّ بنيك ، وأعلمه الله أن ولده الذي ولدته المرأة يموت ، فجزع داود ، واشتدّ جزعه ، واشتكى الصبيّ ، فلمّا اشتدّت علّته صام وقام ليصلّي ويبكي ، ويتمرّغ بالشعر على الأرض ، فلمّا توفي الصبيّ أعظم خول داود أن يخبروه بذلك ، حتى سمع بوشْوشتهم ، فعلم ، فغسل وجهه ، ولبس ثيابه ، وجلس في مجلسه ، ودعا بطعامه ، وقال : إنّما كنت أحزن قبل أن يهلك ، فأمّا الساعة ، فإن حزني لا يردّه إليّ بل أنا أذهب إليه . ثم واقع برسبا ، فحملت غلاماً ، فسمّاه سليمان .

ثم إنّ أبيشالوم بن داود قتل أخاه امنون ، وذلك أنّه اتّهمه بأخت له من أمّه ، فقتله ، وخرج على داود . وكان أبيشالوم عظيم الجسم ، كثير الشعر ، فبعث إليه داود من ردّه حتى رجع ، ثم خرج عليه ثانيةً ، فهرب منه داود ماشياً على رجليه ، حتى صعد عقبة طور سينا ، وبلغ منه الجوع حتى لحقه رجل معه خبز وزيت ، فأكل منه ؛ ودخل أبيشالوم مدينة أبيه ، وصار إلى داره وأخذ سراري[1] أبيه ، فوطئهنّ ، وقال : ملّكني الله على بني إسرائيل ؛ وخرج ومعه اثنا عشر ألفاً ، فطلب داود ليقتله ، فهرب داود حتى جاز نهر الأردنّ ، فلمّا جاز اجتمع إليه جماعة من أصحابه ولفيف من القرى، فوجّه يؤاب ولده ليحارب أبيشالوم، وقال له: خذه لي حيّاً صحيحاً! فخرجوا، فحاربوه، وكان أبيشالوم على بغل، فدخل تحت شجرة بطم ، فتعلّق بها ، فاندقّت عنقه ، ورماه يؤاب بثلاثة أسهم ، وطرحه في جبّ ، فلمّا أتى داود الخبر جزع عليه جزعاً شديداً ، ورجع داود إلى موضعه .

وخرج على داود بعد ذلك أزلا ، ومعه جبّابرة ، فحاربهم ، فقتلهم ،

(١) السراري : الجواري ، مفردها سرية .

فلمّـا قتلهم ، وأنقـذه الله منهم[1] ، قـام يقـدّس الله ويسبّحــه ، فقـال في تقديسه : إيّاك يا ربّ أعبـد ، ولك أخلص محبتي ، فـإنّك قـوّتي وعدّتي ، وملجأي ومخلصي ، بعـد أن أحـاطت بي سكـرات المـوت ، وقـربت منّي ، واحتوت عليّ أحداث الهلكة ، فدعـوتك في ضيقي واستعنت بـك يا إلهي ، فسمعتَ صوتي فـاستنقذتني من الذين اعتوروني واضطهدوني ، وكنت نـاصـري ، فأخرجتني من الضيق إلى الفرج ، فمـا أعْـدَلَكَ يا ربّ ، وأنصرك للمتوكّلين عليك ، لأنّه لا ربّ غيرك ، فألهمْني القوّة ، وبصّرْني طريق الرشـد ، وثبّتْ قدميّ بين يديك ، وشدّدْ ساعديّ ، ولا تُقدّرْ عليّ أعدائي ، وهَبْ لي طاعة بني إسرائيل ، وصيّرْهم خولاً خاضعين ، وألْهمني شكرك .

وكان داود إذا سبّح الله بهذا الكلام رفع صوتاً حسناً لم يسمـع مثله ، وكـان إذا قرأ الـزبور[2] قـال : طوبى لـرجـل[3] . . . في سبيـل الأثمـة لم يسلك ، وفي مجـالس المستهـزئين لم يجلس ، ولكن هــواه سنّــة الله ، وبسُنته تعلّم الليل والنهـار ، يكون كشجـرة غرست على شطّ المـاء ، تُؤتي أُكُلَها كلّ حين ، ولا يتناثر ورقها ، وليس كذلك المنافقون في القضاء ، ولا الخـاطئون في مجمـع الأبرار ، من أجـل أن الله يعلم سبيل الأبـرار وسبيـل الأثمة يبطل .

ثمّ يقــول : سبّـح لله مَن في السمــاء ، وليسبّحــه مَن في العلى ، ولتسبّحه ملائكته كلّها ، ولتسبّحه جنوده كلّها ، ولتسبّح له الشمس والقمر ؛ ولتسبّح له الكواكب والنور ؛ وليسبّـح لاسم ربّنا المـاء الذي فـوق السماء ،

---

(١) تذكر رواية المسعودي ١ ص . ٥٧ : «وتاب الله عزّ وجـلّ على دواد بعد أربعين يـوماً كان فيها صائماً باكياً . . .» .

(٢) «أنزل الله عزّ وجلّ عليه الزّبور بالعبرانيـة خمسين ومائـة سورة وجعله ثـلاثة أثـلاث : فثلث ما يلقون من بُخت نصّر وما يكـون من أمره في المستقبـل ، وثلث ما يلقـون من أهل أثور ، وثلث موعظة وترغيب وتمجيد وترهيب ، وليس منه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم» .

[مروج الذهب ١ ص . ٥٦]

(٣) بياض في الأصل .

وذلك بأنّه قال لكلّ شيء : كن فكان ، وهو خلق كلّ شيء وبرأه ، وجعلهن دائمات الأبد ، وقدّر كلّ شيء منهنّ تقديراً ، وجعل لهنّ حدّاً ومنتهى لا يجاوزنه ، فليسبّح الله من في الأرض ، والنار ، والبرد ، والثلج ، والجليد ، فإنّه خلق الريح العاصف بكلمته .

سبّحوا الله تسبيحاً حديثاً في مسجد الصدّيقين ، وليفرح إسرائيل بخالقه ، وإن بني صيون يكبّرون ربّكم ، ويسبّحون اسمه بالدفّ ، والطبل ، والكَبَر ، يكبّرونه من أجل أن يسر الله بشريعته ، ويعطي المساكين النصر ، ليشيد الصدّيقون بالكرامة ، ويسبّحون على أسرّتهم ، ويكبّرون الله على حناجرهم ، وسيف ذو شفيرتين بأيديهم ، لينتصروا على الشعوب ويتّعظ الأُمم فيوثقوا ملوكَهم في القيود ، وذوي الكرامة بسلاسل من حديد ، ليُفعل بهم القضاء الذي كُتب ، والحمد لله لكلّ الصدّيقين .

سبّحوه في مقدسه ؛ سبّحوه في سماء عزّته ؛ سبّحوه بحوله وقوّته ؛ سبّحوه بعظمته ؛ سبّحوه بصوت العزف ؛ سبّحوه بالقيتار والكَبَر[1] ، سبّحوه بالبرابط[2] والزمر ؛ سبّحوه بالأوتار والكبر الطويل الخليلات ؛ سبّحوه في صلاصل السمع ؛ سبّحوه بالأصوات العلى والنداء ؛ سبّحوا ربّنا تسبيحاً خالصاً ، كلّ نفس بنفس .

ثم يقول داود في آخر الزبور : إنّي كنت آخر إخوتي وعبد بيت أبي ، وكنت راعي غنم أبي ، ويدي تعمل الكبر ، وأصابعي تقصّ المزامير ، فمن ذا الذي حدّث ربّي عنّي ؟ هو ربّي ، وهو الذي سمع منّي وأرسل إليّ ملائكته ، فأنزعني من غنم إخوتي ، هم أكبر منّي وأحسن ، فلم يرضهم ربّي ، فبعثني للقاء جنود جالوت ، فلمّا رأيته يعبد أصنامه أعطاني النصر عليه ، فأخذت سيفه ، فقطعت رأسه[3] .

---

(١) الكَبَر : الطبل وهي لفظة فارسية .

(٢) البرابط : جمع بربط وهو العود .

(٣) الآية الكريمة : «وقتل دواد جالوت» .

ثمّ إنّ بني إسرائيل وقعوا في داود ، فاشتدّ غضب الله عليهم ، فأمر الله داود أن يحصي عدد بني إسرائيل ، فأحصاهم ، فوجدهم ثماني مائة ألف رجل بطل ، وعدد بني يهوذا خمسمائة ألف رجل ، فبعث الله حيرام النبيّ إلى داود ، وقال له : قل لداود اختر واحدة من ثلاث : إمّا أن يكون جوع سبع سنين ، وإمّا أن تدفع إلى أعدائك فيعزّونك ثلاثة أشهر ، ويطرحونك من سلطانك ، وإمّا أن يكون موت شديد ثلاثة أيام ؟ فضاق داود لذلك ، وقال : ربّنا أولى بنا من خلقه ! فسلّط الله عليهم الموت ، فمات في ساعة واحدة سبعون ألف رجل ، فقال داود : يا ربّ ! إنّي أنا أسأت، فما ذنب هؤلاء الذين يشبهون البهائم؟ فأوحى الله إليه أن ابنِ لي هيكلاً في بيدر اليبوساني ، فصعد داود الجبل ، حتى اشترى البيدر بخمسين استاراً ، وابتنى هناك مذبحاً ، فكفّ الموت عن بني إسرائيل .

وكان داود قد أسنّ وضعف بدنه ، وكان له ابن يُقال له ادونياس ، فاستمال يؤاب صاحب حروب داود وقوماً من قوّاد داود ، وقال لهم : قد كبر الملك داود ، وأنا أولى أن أقوم مقامه ؛ فلمّا بلغ داود ذلك أرسل إلى سادوق الكاهن وناتان النبي ، وقال لهم : اجمعوا أهل المملكة ، واحملوا سليمان ابني على بغلتي ، وأجلسوه على منبري ، فقد جعله الله رأساً على بني إسرائيل ، والله يعظّم ملكه ، ويرفع شأنه ! فمضوا مع سليمان حتى علا منبر داود ، واجتمع عليه أهل المملكة ، فقال داود : هكذا أعلمني الله أن يملك سليمان ابني ، وعيناي تنظران إليه ، وكان سليمان يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة .

ثم اشتدّت على داود علّته ، فأوصى سليمان ، وقال : أنا ماضٍ في سبيل كلّ أهل الأرض . لا تمأنْ ، فاعمل بوصايا الرّبّ إلهك ، واحفظ مواثيقه وعهوده ووصاياه التي في التوراة المنزلة على موسى بن عمران . ومات داود وله مائة وعشرون سنة ، وكان ملكه أربعين سنة[1] .

---

(١) على فلسطين والأردن ، وكان عسكره ستين ألفاً أصحاب سيوف جَرداً مرداً أصحاب بأس ونجدة .

[مروج الذهب ١ ص . ٥٧]

سليمان بن داود

ولمّا قبض الله ، عزّ وجلّ ، داود قام مكانه سليمان نبيّاً ، وملكاً ، فسخّر الله له الجنّ والإنس ، والرياح والسحاب ، والطير والسباع ، وآتاه ملكاً عظيماً ، كما قصّ في كتابه العزيز[1] .

ومال يؤاب صاحب حروب داود ، وقوم من أصحابه ، مع إخوة سليمان، ليفسدوا على سليمان ملكه، فقتلهم سليمان من عند آخرهم، وقتل أدونياس أخاه، فصلح الملك لسليمان، وثبت سلطانه، وتزوّج بنت فرعون ملك مصر، ودخل بها في بيت داود.

وجمع سليمان بني إسرائيل ليقرّب قرباناً ، فقرّب ألف ذبيحة ، فرأى سليمان في ليله كأن الرّب يقول له : سل ما أحببت لأعطيك ! فقال سليمان : أنت يا ربّ أنعمت على داود النعمة العظيمة ، وصيّرت عبدك سليمان ملكاً بعده . فأعْطني قلباً حكيماً لأحكم بين عبادك بالعدل، وأفهم الخير والشرّ . فقال الله : لأنّك طلبت هذا الأمر ، ولم تطلب مالاً ، ولم تطلب أنفس أعدائك ، ولم تطلب طول العمر لكنّك طلبت حكمة تفهم بها الحكم والقضاء ، فقد استجبت لك ، وأعطيتك قلباً فهيماً ، بصيراً إلى الأمر الذي لم يكن لأحد قبلك ، ولا يكون بعدك مثلك ، وأعطيتك ما لم تطلب من الأموال ، والعتاق[2] ، والكرامة ؛ وأنت إن سلكت في طريقي ، وحفظت شرائعي ووصاياي ، كما حفظ داود أبوك ، أُطيل عمرك ، وأعظم أمرك .

---

(١) يقول الله عزّ وجلّ : ﴿**فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب**﴾ أي حيث أراد ، وقال الله ﴿**ولسليمان الريح غدوّها شهر ورواحُها شهر**﴾ .

وحدّث الطبري في تاريخه ١ ص . ٣٤٥ : كان سليمان بن دواد يوضع له ستمائة كرسي ،ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم يجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس ، ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم ، فتسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر .

(٢) أي الخيل والنوق العتاق .

فكان سليمان يجلس للقضاء ، ويحكم بين بني إسرائيل ، فيعجبون لحكمه ، وعدل قضائه ، وقوله ، وحسن لفظه : وكان لسليمان قوّاد ، ووزراء ، وكتّاب ، ووكلاء، فكان وزيره زابود بن ناتان ، وعلى حروبه بنايا بن بويادع ؛ وخازنه أبيشار ؛ وعلى الخراج ادونيرام بن عبدا ؛ وكان له اثنا عشر وكيلاً على نفقاته يقوم كلّ وكيل بنفقة شهر ، وكانت نفقاته على أسباط بني إسرائيل ، وكانت وظيفته كلّ يوم ثلاثين كرّاً[١] من الدقيق السميذ ، وستّين كرّاً من دقيق الخُشْكار ، وعشرة ثيران معلوفة ، وعشرين ثوراً ، ومائة كبش ، وكان له أربعون ألف أريّ[٢] معلّق عليها دوابّه ، وكان معجباً بالخيل ، وقد قصّ الله من خبره فيها ما قصّ .

وابتدأ سليمان في بناء بيت المقدس ، وقال : إن الله أمر أبي داود أن يبني بيتاً ، وإن داود شغل بالحروب ، فأوحى الله إليه أن ابنك سليمان يبني البيت باسمي ؛ فأرسل سليمان في حمل خشب الصنوبر وخشب السرو ، ثم بنى بيت المقدس[٣] بالحجارة ، فأحكمه ، ولبسه الخشب من داخل ، وجعل الخشب منقوشاً ، وجعل له هيكلاً مذهباً ، وفيه آلة الذهب ، ثم أصعد تابوت السكينة ، فجعله في الهيكل ؛ وكان في التابوت اللوحان اللذان وضعهما موسى .

ولمّا وضع سليمان تابوت السكينة قام بين يدي الهيكل ، وقد اجتمعت جموع بني إسرائيل ، فسبّح الله ، وقدّسه ، وأثنى عليه بآلائه إذ ملّكه على بني إسرائيل ، وأجرى بناء بيت المقدس على يده[٤] ؛ وكان يجتمع إليه بنو إسرائيل ، ويقول : تبارك وتعالى الربّ الذي وهب الراحة لإسرائيل ، وتمّت كلماته الصالحة ، فلم يسقط شيء منها ممّا قاله لعبده

---

(١) كراً : مكيالاً معروفاً .

(٢) الأريّ : محل تحبس فيه الدابة .

(٣) وهو المسجد الأقصى الذي بارك الله عزّ وجلّ حوله .

(٤) رواية المسعودي : «فلما استتم بناءه«بيت المقدس» بنى لنفسه بيتاً ، وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة القيامة . . .» . ج ١ ص . ٥٧ ـ ٥٨ .

موسى ، ونسأل الله ربّنا أن يكون معنا كما كان مع آبائنا ، ولا يرفضنا ، ولا يخذلنا ، بل يقبل بقلوبنا إليه لنسلك الطريق التي يرضاها ، ونحفظ سننه ، وعهوده ، ووصاياه ، وأحكامه التي أمر آباءنا بها ، ويجعل قولنا قريباً منه ، ورضيّاً عنده ، وقلوبنا سالمة له ، حافظة لأمره .

ولمّا فرغ سليمان من بناء بيت المقدس عمل عيداً ، وقرّب فيه الذبائح فأقام أربعة عشر يوماً يفعل ذلك ، وقد جمع إليه بني إسرائيل ، فإذا فرغ من إطعامهم قام ، فقدّس الله ، وسبّحه ، فلمّا فرغ أوحى الله إليه : إنّي قد سمعت صلاتك ، ورأيت قربانك ، فإن دمت على طاعتي وصلت لك ملكك ولولدك بعدك ، فقدّست هذا البيتِ آخر الدهر ؛ وإن حِدتم عن أمري ، أو نقض أحد منكم عهودي سلبته ملكه ، وخرّبت هذا البيت إلى آخر الأبد .

وقدمتْ بلقيس ملكة سبأ على سليمان ، وكان من أمرها ما قد قصّه الله في كتابه العزيز ؛ ولمّا قدمت عليه جاءته بجمال موقرة ذهباً وعنبراً[1] ، وقالت له : لقد بلغني من أمرك ما لم أصدق به حتى رأيته ، ثم انصرفت إلى بلدها .

وكان سليمان معجباً بالنساء ، فتزوّج ، فيما يُقال ، سبعمائة امرأة ، فيهنّ بنت فرعون ملك مصر ، وعدّة من نساء بني عمّون ، وعدّة من نساء أهل مؤاب جبابرة الشأم ، ومن أدوم ، ومن الجثانيّين ، وهم الصيدانيّون ، ومن الشعوب التي قد كان الله نهى عن مخالطتهم ، وكان له سبعمائة ، فاتّخذت امرأة من نساء سليمان تمثالاً على صورة أبيها[2] ، فلمّا رأى ذلك

---

(١) يقول الطبري في تاريخه ١ . ٣٥٠ : ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض . . . ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن . . . » .

(٢) وكان سليمان هو الذي قتل أباها ، فطلبت منه أن يأمر الشياطين ليصوروا صورة أبيها فتراه بكرة وعشياً فيذهب حزنها .

[تاريخ الطبري ١ : ٣٥١]

غيرها من نسائه فعلن كفعلها ، فعاتب الله سليمان ، وقال له : تُعْبَدُ الأصنام في بيتك ، ولا تغضبك ؟ لأسلبنّك ملكك ، ولأنزعنّ العزّ من يدك ، ولأفرّقنّ الأسباط من ولدك ، ولكنّي أحفظ أباك داود فيك ، فلا أسلبك الملك بقيّة عمرك ، ولا أسلب جميع الأسباط ، ولكنّي أدع في يدك سبطين لئلا يذهب ذكرك .

وإنّ سليمان لجالس على كرسيّه المعمول من الذهب ، المكلّل بالجوهر ، إذ انتزع خاتمه من يده ، فأخذه شيطان من الشياطين ، فوضعه في يده ، ونحّى سليمان عن كرسيّه ، وجلس عليه الشيطان ، ونزع ثياب سليمان ولبسها ، فمرّ سليمان على وجهه وعليه جبّة صوف ، وفي يده قصبة ، فكان يستطعم ، ويقول : أنا ملك بني إسرائيل ، سلبني الله ملكي ! فيسخر منه من يسمعه ، وينكرون قوله ؛ فكان يقف على الصيّادين الذين على البحر ، فيطلب منهم ما يطعمونه .

وأنكرآصف [1] صاحب سليمان وغيره أمر ذلك الشيطان ، ولم يروه يذكر الله، فهرب الشيطان، وطرح الخاتم في البحر، وأقام سليمان مسلوب الملك أربعين يوماً، فإنّه بعد أن كملت له الأربعون يمشي على شطّ البحر حائراً ، إذ قال له بعض الصيّادين : تعال يا مجنون ، فخذ هذا الحوت ! فأعطاه حوتاً قد تغيّرت رائحته ، فصار به إلى البحر ، فغسله ، وشقّ بطنه ، وإذا في داخله حوت آخر ، فشق بطن الحوت الآخر ، فإذا خاتمه في جوفه ، فلبسه ، وحمد الله ، وردّ الله عليه ملكه .

وأقام ملكاً على بني إسرائيل ، وعلى ما وصف الله ، جلّ وعزّ ، من ملكه ، وتسخيره له الطير والجنّ والإنس يعملون له أعاجيب الصنعة ، ويشيدون له البنيان ، ويطيعونه في كلّ أمره ، أربعين سنة ، ثم توفي ، ودفن إلى جانب قبر داود : وكان لسليمان يوم ملك اثنتا عشرة سنة ، فمات وله اثنتان وخمسون سنة .

---

(١) يروي الطبري أنّ شيطاناً اسمه صخر تنكّر في صورة سليمان وتناول الخاتم من امرأة سليمان واسمها الأمينة ، وكان سليمان وضعه عندها ودخل يتطهر قبل أن يطأها .

رحبعم[1] بن سليمان والملوك بعده

ولمّا مات سليمان بن داود ملك رحبعم بن سليمان، فاجتمع إليه أسباط بني إسرائيل، وقالوا له: إنّ أباك قد كان غلّظ علينا، واستعبدنا استعباداً شديداً، فخفّف أنت الآن عنّا! فقال لهم رحبعم: انصرفوا عنّي اليوم وجيئوني بعد ثلاثة أيام، فانصرفوا عنه، فاستشار المشيخة من أصحاب أبيه، فقال: ما ترون؟ قالوا: نرى أن تحسن إجابة بني إسرائيل، وتلين لهم القول، حتى تملكهم بعد اليوم، فترك قول مشيخة بني إسرائيل، واستشار أحداثاً نشأوا معه، فقالوا له: نرى أن تغلظ القول لهم ليستقيم لك أمرهم، كما استقام لأبيك.

فلمّا كان اليوم الثالث اجتمعوا إليه ليسألوه عمّا ذكروا له، فقال لهم: إن خنصري أثقل من إبهام أبي. فلمّا قال لهم هذا انصرفوا عنه، وتفرّقوا في قراهم، فلم يبق معه من أسباط بني إسرائيل إلّا سبط يهوذا وسبط بنيامين.

وملّكت الأسباط العشرة عليهم يوربعم بن ناباط، وكان قد هرب من سليمان إلى مصر، فلمّا اختلفت بنو إسرائيل على رحبعم بن سليمان قدم، وجمع رحبعم بن سليمان من سبط يهوذا، وسبط بنيامين، ألف رجل يطلب محاربة يوربعم بن ناباط ومن معه.

وأوحى الله إلى سمعيا النبيّ أن قل لرحبعم ومَن معه: لا تحاربوا بني إسرائيل! فسمعوا قوله، وانصرفوا، وكان ملك رحبعم سبع عشرة سنة.

وملك يوربعم[2] بن ناباط على العشرة الأسباط من جبل فاران،

---

(١) رواية المسعودي. «أرخبعم».

(٢) كانت له كوائن وحروب، واتخذ له عجلاً من الذهب والجوهر، واعتكف على عبادته، فأهلكه الله عزّ وجل.

[مروج الذهب ١ : ٥٨]

فقالت بنو إسرائيل : إنّا نريد أن نقرّب قرابيننا إلى الله ، فكره يوربعم أن يصعدوا إلى بيت المقدس ، فيستميلهم آل يهوذا ، فيدخلوا في ملكهم ، فقال : ليست بكم حاجة إلى الصعود ، وأنا أعمل لكم مذبحاً ، فعمل لهم مذبحاً ، وصيّر فيه عجلاً من ذهب ، وقال : هذه آلهتكم التي أصعدتكم من أرض مصر ، واتّخذ للعجل أحباراً[1] ، وعمل عيداً ، وقرّب الذبائح للعجل ، فأتاه نبيّ بني إسرائيل ، فوعظه ، فمدّ يده إليه فيبست ، فقال له : ادع الله أن يردّ يدي ! فدعا له النبيّ ، فرجعت يد يوربعم ، وأقام يوربعم على طريقه لم يرجع عنها ، وأهلك الله يوربعم ، وكلّ من كان معه ، وقتله ، ودمّر عليه ، وكان ملكه عشرين سنة .

ثم ملك ابيام بن رحبعم[2] ، فسلك سبيل أبيه ، وأظهر الفواحش ، وارتكب القبيح ، فبتر الله عمره ، وكان ملكه ثلاث سنين ؛ ثم ملك اسا ، فأظهر العمل بطاعة الله تعالى ، ومنع الزّنا ، وعاقب عليه وعلى الريب ، وأخرج مَن كان يعبد الأصنام من مملكته ، حتى طرد أُمّه لمّا بلغه أنّها تعبد الأصنام .

وفي زمانه صار زارح ملك الحبشة ، وأقبل ملك الهند إلى بيت المقدس ، فبعث الله عذاباً ، فأهلك زارح وملك الهند . وكان ملك اسا أربعين سنة ، ويُقال إن بني إسرائيل أوقدوا من خشب أسلحة أصحاب الهند ، لمّا قتلهم اسا ، سبع سنين .

ثم ملك بعده ابنه يهوشافط ، فسلك سبيل أبيه ، وكان ناسكاً صدّيقاً ، فملك العشرة الأسباط ، وكان مرضيّاً في جميع بني إسرائيل ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده يورام ابنه ، فكفر ، ورجع قومه إلى عبادة الأصنام ،

---

(١) الأحبار : الكهنة عند اليهود .

(٢) رواية المسعودي ١ . ٦٢ : «ثم ملكت بعده امرأة يقال لها عيلان» .

وتزوّج امرأة أطغته وأضلّته ، وكان ملكه أربعين سنة .

ثم ملك أحزيا ، بعد أبيه ، فسلك سبيله ، وكان العشرة الأسباط قد اعتزلت ، وملّكت منهم ملكاً يُقال له يهو ، فحارب احزيا ، حتى قتل من قومه مقتلة عظيمة ، ثم سلّط الله عليهم ملك سورية ، ففعل بهم مثل ذلك ؛ وكان ملك احزيا سنة واحدة .

ثم ملكت عتلايا[1] بنت عمري ، فقتلت ولد داود ، حتى لم يبق من نسل داود أحد إلاّ غلام يُقال له يواش ، وأخذته امرأة من بني عمّه يُقال لها يوشبع عمّته ، وكان يرضع .

وأفسدت عتلايا ، وأظهرت الفواحش ، وأفسدت البلاد ؛ واجتمعت بنو إسرائيل إلى يويدع الأحباريّ ، فاشتكوا إليه الذي تفعل بهم ، فاجتمعوا ، فقتلوها ، وكان ملكها سبع سنين .

وملك بعد عتلايا الغلام الذي كان بقي من بني داود ، وهو يواش ، وكان يوم ملك له سبع سنين ، فصلحت أُمور بني إسرائيل ، وظهر فيهم العدل ، وارتفعت الفواحش ، وتركوا عبادة الأصنام ، ثم ظلم في آخر عمره ، واستعمل القتل ، حتى قتل أولاد الأحبار ، وقتل ولد يويدع الأحباريّ الذي ملّكه ، ثم مات وكان ملكه أربعين سنة ، وهدم من سور بيت المقدس أربعين ذراعاً ، وانتهب كلّ ما كان فيه .

ثم ملك بعده امصيا ، وكا يشبه مذهب يواش في أول أمره ، ثم ظلم وجار ، وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك عزيا بن امصيا ؛ وكان في زمانه أشعيا النبيّ[2] ، فأحسن عبادة الله ، والعمل بطاعته ، غير أنّه أخذ المجمر[3] ودخل الهيكل ، ولم

---

(١) رواية المسعودي : «عيلان» راجع الهامش ٢ .
(٢) رواية المسعودي : «شعيب النبي» وراجع أيضاً كتاب «أخبار الزمان» للمسعودي .
(٣) المجمر : ما يوضع فيه الجمر .

يكن ذلك يصلح لأحد إلّا للأحبار ، فعاقبه الله فبرص ، وعاقب أشعيا النبيّ لأنّه لم ينهه عن ذلك ، فنزع الله منه النبوّة ، حتى مات عزيا ، وكان ملكه اثنتين وخمسين سنة .

ثم ملك يوتام لمّا برص أبوه ، وكان ملكه ستّ عشرة سنة .

ثم ملك أحاز ابنه ، فكفر ، فعبد الأصنام ، فسلّط الله عليه تغلتفلسّر[1] ملك بابل ، فسباه ،واستعبده ، وضرب عليه الجزية ، وأخرب مدينة العشرة الأسباط بفلسطين ، وهي سبسطيّة ، وسبى أهلها ، فدخل بهم إلى أرض بابل ؛ ثم أرسل إلى المدينة قوماً من قبله ، فعمروها وبنوها ، فهم الذين يُدعون السامرة[2] بفلسطين والأردنّ ، فلمّا سكنوها سلّط الله عليهم الأسد ، ثم بعث إليهم رجلاً من أحبار بني إسرائيل ، من ولد هارون ، يعلّمهم دين بني إسرائيل ، فلمّا دخلوا في دينهم تركهم الأسد ، وصاروا سامرة فقالوا : لا نؤمن بنبيّ إلّا بموسى ، ولا نعرف إلّا ما في التوراة ، وجحدوا نبوّة داود[3] ، وأنكروا البعث والنشور ، وامتنعوا من مجالسة الناس والاختلاط بهم ؛ ومن تناول شيء منهم ، ومن حمل الموتى ، ومَنْ حَمَلَ ميّتاً اعتزل سبعة أيّام ، يعتزل في الصحراء لا يختلط بهم ، ثم يغتسل ؛ وكذلك مَن تناول شيئاً لا يحلّ له ، ولا يؤوون الحائض منازلهم ؛ وجعلوا رئيسهم من ولد هارون[4] يسمّونه الرئيس ، ويتوارثون على التوراة ، فليس هم في بقعة من بقاع الأرض إلّا بجند فلسطين ؛ وكان ملك احاز ستّ عشرة سنة .

ثم ملك بعد احاز حزقيل ابنه ، فأحسن عبادة الله تعالى ، وكسر الأصنام ، وهدم بيوتها ، وكان في زمانه سنحاريب بن سراطم ملك بابل ،

---

(١) في مروج الذهب : «فلعيعس ، وكان من عظماء ملوك بابل» .
(٢) وهم يزعمون أن نابلس هي بيت المقدس .
(٣) كذلك من تلاه من الأنبياء .
(٤) هارون بن عمران .

فسار إلى بيت المقدس ، فسبى بقيّة الأسباط ، فرشاه حزقيل بثلاثمائة قِنْطار فضة ، وثلاثين قنطار ذهب ، على أن ينصرف ، فأخذها ، ثم غدر ، فلما فعل ذلك دعا الله أشعيا النبيّ وحزقيل على سنحاريب ، فأجاب الله دعاءَهما ، فسلّط الله على أصحاب سنحاريب القتل ، فقتل منهم في ساعة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألفاً ، فرجع سنحاريب مهزوماً ، حتى صار إلى بابل . وقتله ولدُه شرّ قتلة[1] .

وأمر الله سبحانه أشعيا النبيّ أن يعلم حزقيل أنّه ميّت ، فليُوصِ ، فلمّا أعلمه الله ذلك دعا الله أن يزيد في حياته ، حتى يهب له ولداً يملك بعده ، فزاد الله في حياته خمس عشرة سنة ، حتى ولد له ولد .

وفي أيام حزقيل رجعت الشمس نحو مطلعها خمس درجات ، وكان ملك حزقيل سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعد حزقيل منشّا[2] بن حزقيل ، فكفرت بنو إسرائيل في أيّامه ، وكفر ، وعبد الأصنام ، وكان شرّ ملك في بني إسرائيل ، وبنى للأصنام مسجداً ، واتّخذ صنماً له أربعة أوجه ؛ فنهاه أشعيا ، فأمر به فنشر بالمنشار من رأسه إلى رجليه ، فسلّط الله على منشّا قسطنطين ملك الروم ، فحاربه ، وأسره ، فأقام في الأسر زماناً ، ثم تاب إلى ربّه ، فردّه الله إلى ملكه ، فكسر الصنم ، وهدم بيوت الأصنام ، وكان ملكه خمساً وخمسين سنة ، وأيّام أسره عشرين سنة .

ثم ملك أمون[3] بن منشّا ، فأعاد الأصنام حتى كثرت ، وكان ملكه ستّ عشرة سنة .

ثمّ ملك بعده يوشيا ابنه ، فأحسن عبادة الله ، وكسر الأصنام ،

---

(١) وكان ملكه حتى هلاكه سبعاً وعشرين سنة .

(٢) في مروج الذهب : «ميشا» .

(٣) ورد في بعض الروايات «أمور بن ميشا» .

وهدم بيوتها وقتل سدنتها[1] ، وأحرقهم ، وكان في العدل وحسن عبادة الله تعالى وجميل مذهبه يشبه داود وسليمان ، وكان ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملك يهواخز ابنه ثلاثة أشهر ، ثم أسره فرعون الأعرج ملك مصر ، ووضع على بلاده الخراج ، وصيّر عليها ملكاً من قبله ، وأخذ يهواخز ، فذهب به إلى مصر فمات هناك .

ثم ملك بعده يويقيم أخوه ، وهو أبو دانيال النبيّ ، وفي عصره سار بخت نصّر ملك بابل إلى بيت المقدس ، فقتل في بني إسرائيل ، وسباهم ، وحملهم إلى أرض بابل ، ثم صار إلى أرض مصر ، فقتل فرعون الأعرج ملكها .

وأخذ بخت نصّر التوراة ، وما كان في الهيكل من كتب الأنبياء ، فصيّرها في بئر وطرّح عليها النار ، وكبسها . وكان في ذلك العصر ارميا النبيّ ، فلمّا علم بقدوم بخت نصّر ، أخذ تابوت السكينة ، فخبأه في مغارة حيث لم يعلم به أحد ، ولم ينج من بخت نصّر إلاّ ارميا .

وكان عِدّة مَن حمل بخت نصّر إلى أرض بابل ثمانية عشر ألفاً ، فيهم ألف نبيّ ، وملكهم يحنيا بن يهوياقيم ، فمنهم اليهود الذين بالعراق ، ويُقال إن ارميا النبيّ قال : اللّهمَّ ! إنّي لأعلم من عدلك ما لا يعلمه غيري ، فعلام سلّطت بخت نصّر على بني إسرائيل ؟ فأوحى الله إليه : إنّي إنّما أنتقم من عبادي ، إذا عصوني ، بشرار خلقي .

ولم يزل بنو إسرائيل في الأسر تحت يد بخت نصّر حتى تزوّج امرأة منهم يُقال لها ملحات أخت زربابل ، بنت سلتائيل ، فسألته أن يردّ قومها إلى بلدهم ، فلمّا رجع بنو إسرائيل إلى بلدهم ملّكوا عليهم زربابل بن سلتائيل ، فبنى مدينة بيت المقدس ، وبنى الهيكل ، وأقام على بنائه ستّاً وأربعين سنة ، وفي زمانه مسخ الله بخت نصّر بهيمة أنثى ، فلم يزل

---

(١) السدنة : الخدم .

ينتقل في أجناس البهائم سبع سنين ، ثمّ يُقال إنّه تاب إلى الله ، عزّ وجلّ ، فأحياه بشراً ، ثم مات .

وكان زربابل الذي أخرج التوراة وكتب الأنبياء من البئر التي دفنها فيها بخت نصّر ، فوجدها بحالها لم تحترق ، فأعاد نسخ التوراة وكتب الأنبياء وسننهم وشرائعهم ، وكان أول من رسم هذه الكتب .

وكانت شريعة بني إسرائيل توحيد الله ، والإقرار بنبوّة موسى وهارون ابني عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، وكان صيامهم في كلّ سنة ستّة أيام أوّلها في رأس السنة ، وهم يعدّون رأس السنة أوّل يوم من تشرين ، فإذا مضى من تشرين عشرة أيام صاموا يوماً واحداً ، وهو اليوم الذي نزلت فيه الألواح الثانية على موسى بن عمران .

ويصومون لعشر خلون من كانون الآخر يوماً واحداً ، وهو يوم نجّى الله بني إسرائيل من هامان .

ويصومون لسبعة عشر يوماً من تمّوز يوماً واحداً ، وهو اليوم الذي نزل فيه موسى من الطور .

ويصومون لتسعة أيام من آب يوماً واحداً ، وهو اليوم الذي كان فيه خراب بيت المقدس .

ويصومون لثلاثة أيام من تشرين ، وهو اليوم الذي قتل فيه قدريا بن اخيقام .

ولهم أربعة أعياد في السنة : عيد الفطير ، وهو اليوم الذي خرج فيه موسى ببني إسرائيل من مصر ، فحملوا عجينهم ، ولم يختمر ، فأكلوه فطيراً ، وهو لخمسة عشر يوماً من نيسان ، وأيّامه سبعة أيام ؛ ثم عيد لستّة عشر يوماً يمضي من حزيران ، وهو يوم أُنزلت التوراة على موسى ، فذلك يوم عيد عندهم معظم ؛ ثم عيد أول يوم من تشرين ، وهو رأس السنة عندهم ؛ ثم عيد في خمسة عشر يوماً من تشرين ، وهو عيد المظلّة ، ومعناها أن الله ، عزّ وجلّ ، أمر موسى أن يأمر بني إسرائيل أن يبنوا عريشاً بالسّعَف والجريد ، فهم يقيمون ثمانية أيّام يتّخذون في كنائسهم ظلالات

من السعف والجريد .

وصلواتهم ثلاث صلوات : صلاة بالغداة ، وصلاة عند غروب الشمس ، وصلاة بعد الغروب ، فإذا وقف أحدهم للصلاة جمع عقبيه[1] ، وجعل يده اليمنى على كتفه اليسرى، ويده اليسرى على كتفه اليمنى ، وهو مطرق، يركع خمس ركعات لا يسجد فيهنّ، ثم يسجد في الآخرة سجدة واحدة، ويسبّح بمزامير داود في أوّل الصلوات، ويقرأ في صلاة المغيب من التوراة ؛ ومعتمدهم في سننهم وشرائعهم على كتب علمائهم ، وهي الكتب التي يُقال لها[2] . . . بالعبرانيّة ، وهي اللغة التي صارت لهم لمّا عبروا البحر .

وسنّتهم في مناكحهم[3] ألّايتزوّجوا إلّا بوليّ وشَاهدَيْن، وأقلّ مهورهم للبكر مائتا درهم ، وللثّيب مائة درهم بهذا الوزن لا يكون أقلّ منه ، والطلاق مباح متى كرهوا ، ولا يكون إلّا بشهود .

وسنّتهم في ذبائحهم ألّا يأكلوا ما ذبحه غيرهم ، وأن يكون الذي يتولّى الذبائح عالماً بالشرائع ، ثم يأتي بالسكّين ، كلّما أراد أن يذبح بها ، إلى الكاهن ، فإذا رضي حدّها أطلق له الذبح بها ، وإلّا أمره أن يحدّها ، أو يأتي بغيرها ، فإذا ذبح لم يقربها من حائط تضطرب عليه ، فإذا فرغ منها نظر إلى الحلقوم ، فإن وَجده لم يَرْغ الغَلْصَمَة ، ووجد الذبح مستوياً لم يؤكل حتى ينظر إلى الرئة ، فإن وجد بها عيباً ، أو علّة ، أو شقّاً ، أو بثرة ، أو ورماً ، لم تؤكل الذبيحة ، فإن سلمت الرئة نظر إلى الدماغ ، فإن وجد فيه علّة لم تؤكل ، وإن سلم الدماغ نظر إلى القلب ، فإن وجد فيه علّة لم يأكله ، وإن سلم ما في البطون والثرب[4] من الشحم ، فلا يأكله ، ولا العروق ، وأكل ما سوى ذلك .

---

(١) العقب : مؤخر القدم .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) المناكح : مراسم الزواج .

(٤) الثرب : الشحم الرقيق الذي على الكرش والأمعاء .

وتاريخهم ، على حسابهم ، من خراب بيت المقدس ، فعلى هذا يحسبون ، ولا بدّ لهم في كل يوم أن يذكروا اليوم الذي خرب فيه بيت المقدس ، وكم له إلى يومه ذلك .

المسيح عيسى بن مريم

وكانت حنّة امرأة عمران قد نذرت إن وهب الله لها ولداً أن تجعله لله ، فلمّا ولدت مريم دفعتها إلى زكريّاء بن برخيا بن نشوا[1] بن نحرائيل بن سهلون بن ارسوا بن شويل بن نعود[2] بن موسى بن عمران، وكان كاهن المذبح ، فلم يزل كذلك حتى إذا كملت سبع عشرة سنة بعث الله إليها الملك ليهب لها ولداً زكيّاً[3] ، فكان من خبرها ما قد قصّه الله ، عزّ وجلّ ، حتى اشتملت على الحمل ، فلمّا كملت أيامها طرقها المخاض ، على ما قال الله[4] ، عزّ وجلّ ، ووصف من حالها وحاله ، وكلامه من تحتها ، وكلامه في المهد .

وكان مولده بقرية يُقال لها بيت لحم من قرى فلسطين ، وكان ذلك يوم الثلاثاء لأربعة وعشرين يوماً خلت من كانون الأول .

قال ما شاء الله المنجّم : كان الطالع للسنة التي ولد فيها المسيح في الميزان ثماني عشرة درجة ؛ والمشتري في السنبلة إحدى وثلاثين دقيقة راجعاً ؛ وزحل في الجدي ستّ عشرة درجة وثمانياً وعشرين دقيقة ، والشمس في الحمل دقيقة ؛ والزهرة في الثور أربع عشرة درجة ؛ والمرّيخ في الجوزاء إحدى وعشرين درجة وأربعاً وأربعين دقيقة ؛ وعطارد في الحمل أربع درجات وسبع عشرة دقيقة .

وأمّا أصحاب الإنجيل فلا يقولون إنّه تكلّم في المهد ، ويقولون : إن

(١ ـ ٢) بلا نقط في الأصل .

(٣) قال الله تعالى : ﴿قال إنّما أنا رسولُ ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾ سورة مريم آية ١٩ .

(٤) قال الله تعالى : ﴿فأجآءها المخاض إلى جذع النخلة﴾ سورة مريم ٢٣ .

مريم كانت مسمّاة برجل يُقال له يوسف من ولد داود ، وإنّها حملت ، فلما قرب وضع حملها سار بها إلى بيت لحم ، فلمّا ولدت ردّها إلى ناصرة من جبل الجليل ؛ فلمّا كان في اليوم الثامن ختنه[1] على سنّة موسى بن عمران ؛ وقد وصف الحواريّون[2] أخبار المسيح ، وذكروا حاله ، فأثبتنا مقالة واحد واحد منهم ، وما وصفوه به .

وكان الحواريّون اثني عشر من أسباط يعقوب وهم : شمعون بن كنعان من سبط[3] . . . ويعقوب بن زبدى[4] . . . ويحيى بن جابر بن فالي من سبط زبلون ، وفيلفوس من سبط اشر ، ومتّى من سبط اشّجر بن يعقوب ، وسمعي من سبط هرام بن يعقوب ، ويهودا من سبط يهوذا بن يعقوب ، ويعقوب من سبط يوسف بن يعقوب ، ومنسّى من سبط روبيل بن يعقوب ؛ وكان دون هؤلاء سبعون رجلاً ، وكان الأربعة الذين كتبوا الإنجيل : مَتّى ومرقس ولوقا ويوحنا ، اثنان من هؤلاء الاثني عشر ، واثنان من غيرهم .

فأمّا متّى فإنّه قال في الإنجيل في نسب المسيح ايسوع بن داود بن إبراهيم إلى أسفل ، حتى انتهى إلى يوسف بن يعقوب بن ماثن بعد اثنين وأربعين أباً ، ثم قال : وكان يوسف بعل مريم ، وإن المسيح ولد في بيت لحم من قرى فلسطين ، وملك فلسطين يومئذ هيرودس[5] ، وإن قوماً من المجوس ساروا إلى بيت لحم ، وعلى رؤوسهم نجم يهتدون به ، حتى رأوه ، فسجدوا له ؛ وإن هيرودس ملك فلسطين أراد أن يقتل المسيح ؛ وإن يوسف أخرجه وأخرج أُمّه إلى أرض مصر ، فلمّا مات هيرودس ردّه ،

---

(١) ختن الصبي : قطع قلفته .

(٢) الحواريون : رسل السيد المسيح . وقيل سمّوا كذلك لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم .

(٣)و(٤) : بياض في الأصل .

(٥) هو هيرودس الكبير السفاح الذي قتل الكثيرين من أهله وأمر بذبح أطفال بيت لحم ، عاش وملك ما بين (٧٢ ق . م - ٤ ق . م) .

فأنزله ناصرة جبل الجليل ؛ وإنّه لمّا كمل المسيح وبلغ تسعاً وعشرين سنة صار إلى يحيى بن زكريّاء ليصطنعه ، فقال له يحيى بن زكريّاء : أنا أحوج إليك منك إليّ ! فقال له المسيح : اتركْ هذا القول ، فإنّ هكذا ينبغي أن يتمّ البرّ ، فتركه يحيى ، وإن ايسوع خرج بتأييد روح الله إلى البرّيّة فصام أربعين يوماً ، فاقترب إليه الشيطان ، فقال : إن كنت الآن ابن الله فمُرْ هذه الحجارة أن تصير خبزاً ! فقال ايسوع : إنّه ليس بالخبز وحده يحيا البشر ، ولكن بكلمة الله ، فحمله ، فصيّره على جناح الهيكل ، ثم قال له الشيطان : فألْقِ نفسك إلى الأرض ، فإنّك إن كنت ابن الله تكنّفتك ملائكته . فقال المسيح : إنّه مكتوب : لا تجرّب الله بك ؛ ثم قال للشيطان : إذهب فأنا لله أسجد وإيّاه أعبد . فتركه الشيطان وذهب ، ثم إن ملائكة الله ، جلّ وعزّ ، اقتربت منه ، فجعلوا يخدمونه ، ثم إن تلامذته اقتربوا إليه ، فجعل يكلّمهم بأمثال ووحي ، وبغير أمثال .

وكان أول ما تكلّم به من الإنجيل ، على ما في إنجيل متّى : طوبى للمساكين القانعة قلوبهم بما عند ربّهم ، بحقّ إنّ لهم ملكوت السماء ، طوبى للجياع العطاش في طاعة الله ، طوبى للصادقين في قولهم ، التاركين للكذب ، الذين هم ملح الأرض ونور العالم ، لا تقتلوا ، ولا تُسخِطوا أحداً ، وأرضوا من سخط عليكم ، وصالحوا خصمكم ، ولا تزنوا ، ولا تنظروا إلى غير نسائكم ، فإن كانت عينكم اليمنى تدعوكم إلى الخيانة ، فاقلعوها حتى تنجوا بأبدانكم ، ولا تطلّقوا نساءكم من غير زنية[1] ، ولا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ، ولا بسمائه ، ولا بأرضه ، ولا تقاوموا الشرّ ، ولكن مَن لطمك على عارضك[2] الأيمن ، فأقبل إليه بعارضك الأيسر ؛ ومَن أراد أن ينزع قميصك ، فأعْطِه أيضاً رداءَك ؛ ومَن سخّرك ميلاً ، فانطلق معه ميلين ؛ ومن سألك فأعطه ، ومَن استقرضك فأقرضه ولا تحرمه .

---

(١) يريد من غير زنى ومعناها الفجور .

(٢) العارض : جانب الوجه أي الخد .

قد سمعتم أنّه قد قيل : أحبب قريبك وابغض عدوّك ! أما أنا فإنّي أقول لكم : أحبّوا أعداءكم وصِلوا من قطعكم ، وافعلوا الخير إلى من بغضكم . إن كنتم تحبّون الذين يحبّونكم فأيّ أجر لكم ؟ لا تظهروا صدقاتكم بين أيدي البشر ؛ لا تعلم شمائلكم بما عملت أيمانُكم ؛ لا تراؤوا الناس بصلاتكم ، وإذا صلّيتم فادخلوا بيوتكم ، وأغلقوا أبوابكم ، ولا يسمعكم أحد ، وإذا صلّيتم فقولوا : أبانا الذي في السمٰوات يُقدّس اسْمُك ، ويأتي ملكوتك ، تكون مشيئتك كما في السماء وعلى الأرض ، خبزنا كَفافنا أعْطِنا اليوم ، واترك لنا الذي علينا كمثل ما نترك نحن لغرمائنا ، ولا تُدخلنا في تجربة يا ربّ ! ولكن نجّنا من الشرّير .

ولا تظهروا صيامكم للبشر ، إذا صمتم لله ربّكم ، ولا تغيّروا وجوهكم ليراكم الناس ، فإن ربّكم يعلم بحالكم .

لا تدّخروا الذخائر حيث السوس والأرضة[1] الأكلة يفسدن ، وحيث اللصوص يحفرون ، ولكي تكون ذخائركم عند ربّكم الذي في السماء حيث لا سوس يعدو ، ولا لصّ يسرق .

ولا تهتمّوا بمعاشكم ، ولا ما تأكلون ، ولا ما تشربون ، ولا ما تلبسون ، وانظروا إلى طير السماء لا يزرعن ، ولا يحصدن ، ولا يجمعن في البيوت ، فإنّ الله يرزقهنّ ، وأنتم أكرم على الله من الطير .

لا تهتمّوا لأولادكم ، فإنّهم مثلكم كما خلقتم خلقوا ، وكما رزقتم رزقوا .

ولا تقلْ لأخيك أخرج القذى[2] من عينك ، وفي عينك أنت جذع ؛ لا تنظروا في عيوب الناس وتدعوا عيوبكم ؛ لا تعطوا القُدْس[3] ولا اللؤلؤ

---

(١) الأرضة : دويبة من فصيلة الأرضيات تقرض الأخشاب وما شابه ، وتعيش في البلاد الحارّة مجتمعة في مستعمرات .

(٢) القذى : كل ما يدمع العين من قش وسواه .

(٣) القُدس : حجر يُرمى في البئر ليُعلم أكثير ماؤها أم قليل .

للخنازير ، فتدوسه بأرجلها ! سلوا ربّكم يعطِكم وابتغوا إليه ، فإنّكم تجدونه رحيماً بكم ، واقرعوا بابه يفتحْ لكم ، أمّا الباب فإنّه معرض ، والطريق بيّن ، وهو يبلغ الناس التلف ، وما أصغر الباب ، وأضيق الطريق التي تبلغ الناس النجاة .

تحفّظوا من أهل الكذب الذين يشبهون الذئاب الضارية ؛ كما لا تستطيعون وتَقْطِفون العنبة من الشوك ، ولا التين من الحنظل[1] ، هكذا لا تجدون شجرة سوء تُخرِج نباتاً صالحاً ، ولا شجرة صالحة تُخرج ثمرة سوء .

كلّ مَن يسمع كلامي ثمّ يفهمه ، فإنّه يشبه رجلاً حليماً بنى بيته في مكان صلب شديد ، فجاء المطر ودرّت الأنهار ، وارتفعت الرياح[2] . . . فسقط البيت .

وفي ذلك الزمان كان الملك هيرودس[3] قد أخذ يوحنا فسجنه ، وذلك أنّه كان يأتي امرأة أخيه فيلفوس ، فنهاه يوحنا أن يأتي ذلك ، وكان يريد أن يقتله ، ويتّقي لأنّهم كانوا يعظّمون يوحنّا ، فقالت له امرأة أخيه : أُقتل يوحنا ! فوجّه إلى السجن ، فقطع رأس يوحنّا ووضعه على طبق ، واقترب تلاميذه وأخذوا جثّته فقبروها ، وجاءوا المسيح فأخبروه ، فخرج إلى أرض قفر، وجعل يأمر أصحابه : لا تخبروا أحداً .

إنجيل مرقس : فأمّا مرقس فإنّه قال في أول إنجيله : ايسوع المسيح ابن الله ، كما هو مكتوب في أشعيا النبيّ : إنّي مرسل ملاكي قدّام وجهك لأصلح سبيلك ؛ وإن يحيى بن زكريّاء كان يعمّد المعمودية للتوبة ، وكان

---

(١) الحنظل : نبات مر .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) هو هيرودس انتيباس ، رئيس ربع الجليل ، ابن هيرودوس الكبير وقد أمر بقطع رأس يوحنا المعمدان .

لباسه وبر الإبل ، وكان يشدّ حقوته[1] بغرفة من جلود ؛ وإن المسيح جاءه من ناصرة الجليل يعمّده[2] في الأردن . فلمّا عمّده خرجت روح القدس على الماء كالحمامة ، وصوت من السماء ينادي : أنت ابني خليلي الذي بك سررت .

وانصرف إلى جبل الجليل ، فإذا قوم يصطادون السمك ، فيهم شمعون واندراوس ، فقال لهما : الحقاني أجعلكما تصطادان البشر ! فمضيا معه ، فدخل قرية فأبرأ مرضاها وبرصها ، وفتح أعين عميان بها ، فاجتمع إليه قوم وجعل يكلّمهم بأمثال ووحي ، ويقول : بحقّ أقول لكم ، لا تذهب القبيلة حتى يذهب السماء والأرض ، وكلامي لا يذهب .

إنجيل لوقا : فأمّا لوقا فإنّه يقول في أوّل الإنجيل : من أجل أنّ كثيراً من الناس أحبّوا أن يكتبوا القصص والأُمور التي عرفناها رأيته يحقّ عليّ أن أكتب شيئاً علمته بحقّه .

إنّه كان في أيام هيرودس الملك كاهن يسمّى زكرياء من خدّام آل ابيا وامرأته من بنات هارون تسمّى اليسبع ، وكانا جميعاً بارّين قدّام الله ، عاملين بوصاياه ، غير مقصرين في طاعته ، ولم يكن لهما ولد ، وكانت اليسبع عاقراً وزكريّاء عاقراً ، قد كبرت سنّهما ، فبينما زكريّاء يكهن الدخنة ، فدخل الهيكل ، وجماعة خارج الهيكل ، فتراءى لزكريّاء ملك الربّ قائماً عن يمين المذبح ، فارتعد زكرياء حين أبصره ، وحلّت عليه الخشية ، فقال له الملك : لا ترهبنّ يا زكريّاء ! فإنّ الله قد سمع صلواتك ، وأجاب دعاءَك ، فيهب لك ابناً تسمّيه يحيى[3] ، ويكون لك فيه

---

(١) الحقوة : الخصر .

(٢) عمده : غسله بماء المعمودية وهي أول أسرار الدين المسيحي وباب النصرانية ، وهي غسل الصبي وغيره بالماء باسم الأب والابن والروح القدس . واللفظة سريانية الأصل أو مولّدة مأخوذة من العمد أي البلل . «لسان العرب مادة عمد» .

(٣) وقد ورد ذكره في الآيات الكريمة التالية : **﴿إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً﴾** .

[سورة آل عمران ؛ الآية : ٣٩]=

الخير والفرح ، ويكون عظيماً عند الله ، ولا يشرب خمراً ، ولا سكراً ، ويمتلىء من روح القدس ، إذ هو في بطن أُمّه ، ويقبل إلى الله بكثير من آل إسرائيل ، ويحلّ عليه الروح الذي حلّ على الياء النبيّ ليقبل بقلوب الآباء على أبنائهم ، ويكونوا لله شعباً كاملاً .

فقال زكريّاء للملك : كيف لي أن أعلم هذا ، وأنا شيخ ، وامرأتي كبيرة السنّ ؟ فقال له الملك : إنّي أنا جبرائيل القائم بين يدي الله ، عزّ وجلّ ، أرسلني لأبشرك بهذا ، فمن الآن ، فكن صامتاً لا تتكلّم حتى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنّك لم تصدّق ، ولم تؤمن بقولي الذي يتمّ في حينه .

وكان الشعب قياماً ينتظرون زكريّاء ، ويتعجّبون من لبثه في الهيكل ، فلمّا أن خرج لم يقدر أن يكلّمهم ، فعرفوا ، وأيقنوا أنّه قد رأى رؤيا في الهيكل ، فكان يومىء إليهم إيماءً ، ولا يتكلّم .

فلمّا تمّت أيام خدمته انصرف إلى بيته ، وحبلت اليسبع امرأته ، وأقامت تخفي نفسها أشهراً خمسة ، وتقول : هذا الذي صنع إليّ الربّ في أيّام نظره إليّ ليمحو عنّي عاري في البشر .

ولمّا كان في الشهر السادس من حمل امرأة زكريّاء أرسل الله جبرائيل الملك إلى جبل الجليل إلى مدينة تدعى ناصرة[1] ، إلى فتاة عذراء مملّكة

= **﴿وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين﴾** .

[سورة الأنعام ؛ الآية : ٨٥]

﴿يا زكريا إنّا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾ .

[سورة مريم ؛ الآية : ٧]

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم قوياً﴾ .

[سورة ن ؛ الآية : ١٢]

﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه﴾ .

[سورة الأنبياء ؛ الآية : ٩٠]

(١) من أعمال الأردن ، وبذلك سميت النصرانية .

برجل يسمّى يوسف من آل داود ، اسمها مريم ، فدخل إليها الملك ، وقال لها : السّلام عليك أيّتها المملوءة من النعمة ، أيّتها المباركة في النساء ! فلمّا رأته فزعت من كلامه ، وجعلت تفكر ، وتقول : ما هذا السّلام ؟ فقال لها الملك : لا ترهبي يا مريم ! قد لاقيت ووافيت عند الله نعمة ، بحق إنّك تقبلين حبلى ، وتلدين ابناً ، وسمّيه ايسوع ، ويكون عظيماً ، وابن الأعلى يدعى ، ويعطيه الربّ إلهه كرسيّ داود أبيه ، ويملك على آل يعقوب إلى الدهر ، ولا يكون لملكه فناء ، ولا انقطاع . فقالت مريم للملك : كيف يكون هذا ، ولم يمسسني رجل ؟ قال لها الملك : روح القدس يحلّ عليك ، وهذا الذي يولد منك قدّوس ، وابن الله يدعى ، وهذه اليسبع نسيبتك ، فهي أيضاً حبلى بابن ، على كبرها ، وهذا الشهر هو السادس لتلك التي تدعى عاقراً ، لأنّه لا يعجز الله شيء ! فقالت مريم : إنّي أمة[1] الله ، فليكن لي كما قلت .

ودخلت مريم إلى بيت زكريّاء ، وسألت عن سلامة اليسبع ، فلمّا سمعت امرأة زكريّاء كلام مريم ارتكض[2] الجنين في بطنها ، وامتلأت من روح القدس ، وقالت لمريم : مباركة أنت في النساء ! بحقّ إنّه لمّا وقع صوت سلامك في مسامعي ، بفرح عظيم ارتكض الجنين في بطني .

وولدت اليسبع امرأة زكرياء ابناً ، وختنوه يوم الثامن ، وسمّوه يوحنّا ، ومن ساعته انفتح فوه ، وتكلّم وبرّك الله تعالى ، وامتلأ زكريّاء من روح القدس ،وقال : تبارك الربّ إلٰه إسرائيل ، الذي أبلى شعبه ، وأطلقهم بالخلاص ، وأقام لنا قرن الخلاص من آل داود ، كالّذي تكلّم على ألسنة أنبيائه الطاهرين .

ولمّا كملت لمريم أيّامها صعد بها يوسف إلى جبل الجليل، فولدت ابنها البكر ، فلفّته في الخرق ، وأضجعته في الأريّ[3] من أجل أنّه لم

---

(١) أمة الله : عبدته .

(٢) ارتكض : تحرّك .

(٣) الأري : محل تُحبس فيه الدابة .

يكن لها مكان حيث كانا نازلين[1] . . . فأتاهم ملك الربّ ، ومجد الله أشرق عليهم ، فخافوه خوفاً شديداً ، وقال لهم ملك الربّ : لا تخافوا ، ولا تحزنوا ! بحقّ إنّي أبشّركم بفرح عظيم يعمّ العالم .

ثم نسب المسيح من يوسف إلى آدم ، وإنّه لما تمّت له ثمانية أيام أتوا به ليختنوه ، كسنّة موسى ، وسمّوه ايسوع ، وختنوه ، وأتوا به إلى الهيكل ، وأتوا بذبيحة زوج يمام[2] وفرخي حمام ليقرّب عنه ، وكان هناك رجل يُقال له شمعان من الأنبياء ، فلما دنوا من المذبح ليقرّبوا عنه احتمله شمعان ، وقال : قد أبصرت عيناي حنانك ، يا ربّ ، فمن الآن فتوفّني .

وكان أهله يصعدونه في كلّ سنة إلى أورشليم في عيد الفصح ، وكان يخدم العظماء ، ويعجبون به لما يرون من حكمته .

وإن المسيح لما كملت له ثلاثون سنة دخل إلى الهيكل يوم السبت ، وقام ليقرأ كعادته ، وأُعطي سفر أشعيا النبيّ ، ففتح السفر ، فوجد فيه مكتوباً : روح الرّبّ عليّ من أجل ذلك اصطفاني ، ومسحني لأبشر المساكين ، وأرسلني لأشفي المنكسرة قلوبهم ، ولأبشر المسبيّين بالخلاص ، والعميان بالبصر ، وأن أجبر المنكسر ، وأبشر المسيء بالعفو والمغفرة ، وأن أبشر بالسنة المتقبّلة للربّ ، وطوى السفر ودفعه إلى الخادم ، وتنحّى ، فجلس ، فعجب الناس لفعله ، وقالوا : أليس هذا ابن يوسف ؟

إنجيل يوحنا : وأمّا يوحنّا السليح[3] ، فإنّه يقول في أول إنجيله في نسبة المسيح : قبل كلّ شيء كانت الكلمة ، وتلك الكلمة عند الله ، والله كان هو الكلمة ، هذه كانت قبل كلّ شيء وكان بها ، كانت الحياة ، والحياة هو نور البشر ، وذلك الضياء في الظلام ، والظلام لم يدركه .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) اليمام : ضرب من الحمام .

(٣) السليح : الرسول .

كـان إنسان ، كـان أرسله الله ، اسمـه يـوحنا ، أتى للشهـادة ليشهـد على النور ليهتدي الناس ، ويؤمنوا على يده ، ولم يكن هو النور ، فإن نور الحقّ لم يـزل يضيء ويبين في العالم ، والعـالم كان في يـده ، والعالم لم يعرفه ؛ إلى خاصته أتى وخاصّته لم تقبله ، فأمّا الـذين قبلوه ، وآمنوا بـه ، فأعطاهم الله سلطاناً ليكونوا يدعون أبناء الله ، أولئـك الذين يؤمنـون باسمـه الـذي لا من الدم ، ولا هـو من هوى اللحم ، ولا من شهـوة المرء ولـد ، ولكن من الله ولد ، والكلمة صارت لحماً وحلّت فينا ، ورأينا مجدها مجداً كالوحيد الذي من الأب المملوء من النعمة والقسط .

ويوحنا شهد عليه ونادى وقال : هـذا قلت إنّه يـأتي من بعدي ، وقـد كان قبلي من أجل أنّه أقدم منّي ، ومن تمـامه كلّمـا نلنا نعمـةً فاضلة بـدل النعمـة الأولى ، لأن التوراة على يـد مـوسى أُنـزلت ، فـأمّـا الحقّ والنعمـة فبايسوع المسيح[1] . . . الكلمة التي لم تزل في حضن أبيها .

فهذا قول الأربعة التلاميذ ، أصحاب الإنجيـل ، في نسبة المسيـح ، ثم وصفوا بعد ذلك ما كان من أخباره ، وأنّه أبرأ المرضى والبرص ، وأقـام المقعد ، وفتح عيون العميان ، وأنّه كان له صاحب يُقال له العازر في قريـة تدعى بيت عنيا ، في ناحية بيت المقدس ، وأنّه مـات ، فصيّر في مغـارة ، فـأقام أربعـة أيـام ، ثمّ جـاء المسيـح إلى تلك القـريـة ، فخـرجت أختـان للعازر ، فقالتا له : يـا سيّدنـا إنّ خليلك العازر قـد مات ، فحـزن المسيح عليه ، وقال : أين قبره ؟ فأتوا به إلى المغارة وعليها حجـر ، فقال : نحّـوا الحجر ! فقالوا : قد نتن منـذ أربعة أيـام ! فدنـا من المغارة ، فقـال : رب لـك الحمـد ! إنّي أعلم أنّـك تعـطي كـلّ شيء ، ولكنّي أقـول من أجـل الجماعة الواقفة ليؤمنوا ويصدّقوا أنّك أنت أرسلتني ، ثم قـال للعازر : قم ! فقام يجرّ خماراً[2] عليه ، ويداه ورجلاه مشـدودة ، وقد كـان معهم قوم من

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) الخمار : الإزار ، أو الستر عموماً .

اليهود ، فآمنوا به ، وأقبلوا ينظرون إلى العازر ويتعجّبون منه .

فاجتمع عظماء اليهود وأحبارهم ، فقالوا : إنّا نخاف أن يفسد علينا ديننا ، ويتبعه الناس ؛ فقال لهم قيافا ، رئيس الكهنة : لأن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره ! فأجمعوا على قتله .

ودخل المسيح إلى أورشليم على حمار ، وتلقّاه أصحابه بقلوب النخل ، وكان يهوذا بن شمعان من أصحاب المسيح ، فقال المسيح لأصحابه : إنّ بعضكم يسلّمني ممّن يأكل ويشرب معي ، يعني يهوذا بن شمعان[1] ، ثم جعل يوصي أصحابه ، ويقول لهم : قد بلغت الساعة التي يتحوّل ابن البشر إلى أبيه ، وأنا أذهب إلى حيث لا يمكنكم أن تجيئوا معي ، فاحفظوا وصيّتي ، فسيأتيكم الفارقليط يكون معكم نبيّاً . فإذا أتاكم الفارقليط بروح الحقّ والصدق ، فهو الذي يشهد عليّ ، وإنّما كلّمتكم بهذا كيما تذكروه إذا أتى حينه ، فإنّي قد قلته لكم ، فأمّا أنا فإنّي ذاهب إلى مَن أرسلني ، فإذا ما أتى روح الحقّ يهديكم إلى الحقّ كلّه ، وينبئكم بالأمور البعيدة ، ويمدحني ، وعن قليل لا تروني .

ثم رفع المسيح عينه إلى السماء ، وقال : حضرت الساعة ! إنّي قد مجّدتك في الأرض ، والعمل الذي أمرتني أن أعمله فقد تمّمته ، ثم قال : اللّهمَّ إن كان لا بدّ لي من شرب هذه الكأس ، فهوّنها عليّ ، وليس كما أُريد يكون ، ولكن ما تريد يا ربّ .

ثم مضى المسيح مع تلاميذه إلى المكان الذي يجتمع هو وأصحابه فيه ، وكان يهوذا أحد الحواريّين يعرف ذلك الموضع ، فلمّا رأى الشرط[2] يطلبون المسيح ساقهم والذين معهم من رسل الكهنة ، حتى وقف بهم على الموضع ، فخرج إليهم المسيح ، فقال لهم : مَن تريدون ؟ فقالوا : أيسوع

---

(١) هو الذي وشى بالمسيح وأخبر بمكانه ، وهو من أصحابه .

(٢) الشرط : الحرس ورجال الأمن .

الناصريّ! فقال لهم ايسوع: أنا هو! فرجعوا، ثمّ عادوا، فقال لهم المسيح: أنا ايسوع الناصريّ، فإن كنتم تريدوني، فانطلقوا بي لتتم الكلمة.

وكان مع شمعان الصفا سيف فاخترطه[1]، ثمّ ضرب عبد سيّد الكهنة، فقطع يده اليمنى، فقال المسيح: يا شمعان! رُدّ السيف إلى غمده، فإني لا أمتنع من شرب الكأس التي أعطاني ربي. فأخذ الشرط المسيح، وأوثقوه، وجاءوا به إلى قيافا رئيس اليهود، الذي كان أشار بقتله.

وكان شمعان الصفا يمشي خلفه، فدخل مع الأعوان، فقيل له: أنت من تلاميذ هذا الناصري؟ قال: لا! ولمّا أُدخل المسيح على رئيس اليهود جعل يكلّمه، والمسيح يجيبه بما لا يفهمه، فضربه بعض الشرط على فكّيه؛ ثمّ أخرجوا المسيح من عند قيافا إلى فرطورين، فقال له: أنت ملك اليهود؟ فقال له المسيح: أمن نفسك قلت هذا أم أخبرك آخرون عني؟ وجعل يكلّمه، ويقول: إن ملكي ليس من هذا العالم.

ثمّ إن الشرط أخذوا إكليلاً من أرجوان[2]، فوضعوه على رأسه، وجعلوا يضربونه، ثمّ أخرجوه وعليه ذلك الإكليل، فقال له رؤساء الكهنة: اصلبه! فقال لهم فيلاطوس: خذوه أنتم فاصلبوه، فأمّا أنا، فلم أجد عليه علّة! فقالوا: قد وجب عليه الصلب والقتل من أجل أنّه قال: إنّه ابن الله؛ ثمّ أخرجه، فقال لهم: خذوه أنتم فاصلبوه! فأخذوا المسيح، وأخرجوه، وحمّلوه الخشبة التي صلبوه عليها.

هذا في إنجيل يوحنا، فأمّا متى ومرقس ولوقا فيقولون: وضعوا الخشبة التي صلب عليها المسيح على عنق رجل قرناني، وصاروا به إلى موضع يدعى الجمجمة، ويسمّى بالعبرانيّة ايماخاله، وهو الموضع الذي صلب

---

(١) اخترطه: استله وشهره.
(٢) الأرجوان: من فصيلة القرنيات والشوكيات.

فيه ، وصلب معه اثنان آخران : واحد من هذا الجانب ، والآخر من هذا الجانب ، وكتب فيلاطوس في لوح : هذا ايسوع الناصريّ ، ملك اليهود ؛ فقال له رؤساء الكهنة : أُكتب الذي قال إنّه ملك اليهود ! فقال لهم : ما كتبت ، وقد كتبت .

ثمّ إنّ الشرط اقتسموا ثياب المسيح ، وكانت أُمّه مريم ، ومريم بنت قلوفا ، ومريم المجدلانيّة[1] قياماً ينظرن إليه ، فكلّم أُمّه من فوق الخشبة .

وجعل أُولئك الشرط يأخذون اسفنجة فيها خلّ يقرّبونها إلى أنفه ، فيتكرّهها ؛ ثمّ أسلم روحه ، فجاءوا إلى ذينك المصلوبين معه ، وكسروا سوقهما ، وأخذ واحد من الشرط حربة ، فطعنه في جنبه ، فخرج دم وماء ؛ ثمّ كلّم فيه أحد التلاميذ لفيلاطوس ، حتى أنزله ، وأخذ حنوطاً من مرّ وصَبِر[2] ، ولفّه في ثياب كتّان وطيب ، فكان في ذلك الموضع جنان ، وفيه قبر جديد ، فوضعوا المسيح فيه ، وكان ذلك يوم الجمعة .

فلمّا كان يوم الأحد ، فيما يقول النصارى ، بكّرت مريم المجدلانيّة إلى القبر ، فلم تجده ، فجاءت شمعان الصفا وأصحابه ، فأخبرتهم أنّه ليس في القبر ، فمضوا فلم يجدوه ، وجاءت مريم ثانية إلى القبر ، فرأت في القبر رجلين عليهما ثياب بياض ، فقالا لها : لا تبكي ! ثمّ التفتت خلفها ، فرأت المسيح ، وكلّمها وقال لها : لا تدنينّ إليّ لأني لم أصعد إلى أبي ، ولكن انطلقي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ؛ وإنّه لمّا كان عشيّة الأحد جاءهم وقال لهم : السّلام معكم ! كما أرسلني أبي كذلك أرسلكم ، وإن غفرتم ذنوب أحد ، فهي مغفورة ، فقالوا : هذا الذي يكلّمنا روح وخيال ! قال لهم : انظروا إلى

---

(١) هي مريم التي قال فيها يسوع عليه السلام حين رأى القوم يرجمونها بالحجارة : «من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر» .

(٢) الصَبِر : نبات من فصيلة الزنبقيات له أوراق لحمية ، وهو ضارب إلى الصفرة أو الحمرة ، تستخرج منه عصارة مرة .

آثار المسامير بإصبعي وإلى جانبي الأيمن ، ثمّ قال لهم : طوبَى للذين لم يروني وصدّقوا بي .

وجاءوه بقطعة سمك ، فأكل ، وقال لهم : إن أنتم صدقتم بي ، وفعلتم فعلي ، يحقّ ألاّ تضعوا أيديكم على مريض إلاّ برىء ، ولا يضرّه الموت . ثمّ ارتفع عنهم ، وكان له ثلاث وثلاثون سنة .

هذا ما يقول أصحاب الإنجيل وهم يختلفون في كلّ المعاني . قال الله ، عزّ وجلّ ، ما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شُبّه لهم[1] ؛ وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلاّ اتّباع الظنّ ؛ وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه.

ولمّا رفع عيسى المسيح اجتمع الحواريّون إلى أورشليم ، في جبل طور الزيتون ، وصاروا إلى عليّة كان فيها بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، واندراوس ، وفيلبس ، وتوما ، وبرتلموس ، ومتّاوس ، ويعقوب[2] . . . . . فقام شمعان على الحجر ، فقال : يا معشر الإخوة! قد كان ينبغي أن يتمّ الكتاب الذي سبق فيه روح القدس ؛ وأرادوا أن يجعلوا رجلاً يتمّ به الاثنا عشر ، فقدّموا متى وبرسبا ، وقالوا : اللّهمَّ أظهر لنا من نختاره ! فوقع على متى ؛ فأصابتهم ريح شديدة ، امتلأت الغرفة التي كانوا فيها ، ورأوا مثل لسان النار ، فتكلّموا بألسن شتى ، ثمّ قالوا لبطرس : ماذا تصنع ؟ فقال لهم بطرس : قوموا واعمدوا كلّ إنسان منكم باسم المسيح ، وتنحّوا عن هذه القبيلة المعوجّة .

وأقام بطرس ويوحنا كلّما دخلا الكنيسة ذكرا أمر المسيح ، ووصفا فعله ، ودعوا الناس إلى عبادته ، فأنكر ذلك عليهم اليهود ، وأخذوهم ،

---

(١) الآية الكريمة : ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم﴾ .
[سورة النساء ؛ الآية : ١٥٧]

(٢) بياض في الأصل .

فحبسوهم ، ثمّ أطلقوهم ، وقالوا : نختار سبعة رجال يقدّسون الله ، ويذكرون حكمته ومسيحه ، فاختاروا اصطفانس ، وفيلبس ، وابرحورس ، ونيقانور ، وطيمون ، وبرمنا ، ونيقولاوس الأنطاكي ، وأقاموهم ، فصلّوا عليهم ، وقدّسوهم ، فجعلوا يصفون أمر المسيح ، ويدعون الناس إلى دينهم .

وكان بولس أشدّ الناس عليهم ، وأعظمهم إيذاءً لهم ، وكان يقتل من يقدر عليه منهم ، ويطلبهم في كلّ موضع ، فخرج يريد دمشق ليجمع قوماً كانوا بها ، فسمع صوتاً يناديه : يا بولس ؛ كم تضطهدني ! ففزع حتى لم يبصر ، ثمّ جاءه حنانيا ، فقدّس عليه حتى انصرف ، وبرأت عينه ، فصار يقوم في الكنائس ، فيذكر المسيح ، ويقدّسه ؛ فأرادت اليهود قتله ، فهرب منهم ، وصار مع التلامذة يدعو الناس ، ويتكلّم بمثل ما يتكلّمون به ، ويظهر الزهد في الدنيا ، والتقليل منها ، حتى قدّمه الحواريّون جميعاً على أنفسهم ، وصيّروه رأسهم .

وكان يقوم فيتكلّم ، ويذكر أمر بني إسرائيل والأنبياء ، ويذكر حال المسيح ، ويقول : ميلوا بنا إلى الأمم ، كما قال الله للمسيح : إني وضعتك نوراً للأمم ، فتصير إخْلاصاً إلى أقطار الأرض ؛ فتكلّم كلّ رجل منهم برأيه ، وقالوا : ينبغي أن يحتفظ بناموس ، وأن يرسل إلى كلّ بلد من يدعو إلى هذا الدين ، وينهاهم عن الذبائح للأوثان ، وعن الزنا ، وعن أكل الدم .

وخرج بولس ومعه رجلان إلى أنطاكية ليقيموا دين المعموديّة ، ثمّ رجع بولس ، وأُخذ ، فحُمل إلى ملك روميّة فقام فتكلّم ، وذكر حال المسيح ، فتحالف قوم على قتله لإفساده دينهم ، وذكره المسيح وتقديسه عليه .

ملوك السريانيين[1]

وكان أوّل الملوك بعد الطوفان بأرض بابل ملوك السريانيّين ، فأوّل من ملك منهم ، وعقد التاج على رأسه : شوسان ، وكان ملكه ستّ عشرة سنة[2] ؛ ثمّ ملك بعده بوير ابنه عشرين سنة ؛ ثمّ ملك اسماشير بن الول سبع سنين ؛ ثمّ ملك بعده عمرقيم ابنه عشر سنين ؛ ثمّ ملك اهريمون ابنه عشر سنين ؛ ثمّ ملك سمادان ابنه عشر سنين ؛ ثمّ ملك سبير ابنه ثماني سنين ؛ ثمّ ملك هريمون ثماني عشرة سنة ، وملك ابنه هوريا اثنتين وعشرين سنة ؛ ثمّ ملك ارود وحلحابيس كلاهما اثنتي عشرة سنة .

ملوك الموصل ونينوى[3]

وكان أوّل من ملك منهم بالوس اثنتين وثلاثين سنة ؛ وملك نينوس بن بالوس اثنتين وخمسين سنة ، وبنى مدينة نينوى ؛ ثمّ ملكت امرأة يُقال لها شميرم أربعين سنة ؛ ثمّ ملك لاوسنسر[4] خمساً وأربعين سنة ؛ ثمّ ملك خمسة عشر ملكاً لا تأريخ لهم ، ولا قصص .

ملوك بابل

فكان أوّل ملوك بابل ، بعد السريانيّين ، نمرود الجبّار ، فملك تسعاً وستّين[5] سنة ؛ وملك كودس[6] ثلاثاً وأربعين سنة ؛ وملك ارقو عشر

---

(١) يذكر المسعودي في مروجه : «وقد توزع فيهم وفي النبط ، فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النبط ، ومنهم من رأى أنهم إخوة لودماش بن نبيط ، ومنهم من رأى غير ذلك .

(٢) وكان باغياً في الأرض ، مفسداً للبلاد ، سفاكاً للدماء .

[مروج الذهب ١ : ٢٠٧]

(٣) نينوى : هي مقابلة الموصل في العراق يفصل بينهما نهر دجلة ، وإلى أهلها ارسل الله يونس بن متى . وملوك الموصل ونينوى يسمونهم الأثوريين .

(٤) ورد في رواية أخرى «الأرسيس» .

(٥) وقيل أيضاً ستين سنة ، وهو الذي احتفر أنهاراً بالعراق .

(٦) رواية المسعودي : «وملك بعده بولوس نحواً من سبعين سنة» وكان عظيم البطش ، متجبراً في الأرض .

سنين ؛ وملك سولس[1] اثنتين وستّين سنة ؛ ثمّ ملك سميـرم اثنتين وأربعين سنة ؛ وملك قوسميس تسعاً وستّين سنة ؛ وملك انيوس ثلاثين سنة ؛ وملك ليـلاوس اثنتي عشـرة سنـة ؛ وملك اطلوس اثنتين وثـلاثين سنـة ؛ وملك سفردس ثلاثين سنة ؛ ثمّ ملك حازم بودس ثلاثين سنة ؛ ثمّ ملك سعالـوس ثـلاثين سنة ؛ وملك سبـطاس أربعين سنة ؛ وملك اسنـطرس أربعين سنة ؛ وملك دمنوطوس خمساً وأربعين سنة ؛ وملك العـروس ثلاثين سنـة ؛ وملك المقـرنـدوس اثنتين وخمسين سنـة ؛ وملك قاربوس[2] ثلاثين سنـة ؛ وملك بـاباوس خمسـاً وأربعين سنة ؛ وملك شـرسبا ادومـوس أربعين سنة ؛ وملك دارافـوس ثمانيـاً وثلاثين سنـة ؛ وملك لاوبس خمساً وأربعين سنـة ؛ وملك فطريس[3] ثلاثين سنة ؛ وملك فرطـاوس عشرين سنـة ؛ وملك افرطا[4] ستّين سنة ؛ وملك قولا خمساً وثلاثين سنة ؛ وملك بعنطس خمساً وثلاثين سنـة ؛ وملك اسعلو سرفىم[5] أربع عشرة سنة ؛ وملك اسرعون سبع سنين ، وملك قيم حـدوم ثـلاث سنين ؛ وملك فـردوح[6] سبعاً وأربعين سنـة ؛ ومـلك سنحاريب[7] إحدى وثلاثين سنة ؛ وملك معرسا ثـلاثاً وثـلاثين سنة ؛ وملك بخت نصـر خمساً وأربعين سنـة ؛ وملك فرمورج[8] سنة واحدة ؛ وملك سط[9] سفر ستّين سنة ؛ وملك ماسوسا ثماني سنين ؛ وملك معـوسا سبعـة أشهر ، وملك داريوش إحدى وثلاثين سنة ؛ وملك كسر حوش عشرين سنة ؛ وملك فـرطـان[10] سبعـة أشهـر ؛ وملك منحسمت إحدى وأربعين سنـة ؛ وملك سعلس سبعـة أشهر ؛ وملك داريـوش ، وهـو الـذي قتله الإسكنـدر ، تسـع عشـرة سنة ؛ وملك ارطحشاست سبعاً وعشرين سنة .

هؤلاء الملوك ملوك الـدنيا[11] ، وهم الـذين شيّدوا البنيـان ، واتّخـذوا المـدن وعملوا الحصون ، وشـرّفـوا القصـور ، وحفـروا الأنهـار ، وغـرسـوا الأشجـار ، واستنبطوا الميـاه ، وأثـاروا الأرضين ، واستخـرجـوا المعـادن ،

(١ ـ ٦) بلا نقط في الأصل .

(٧) وهو الذي أتى بيت المقدس كما مرّ سابقاً .

(٨ ـ ١٠) بلا نقط في الأصل .

(١١) راجع كتاب «أخبار الزمان» و «الكتاب الأوسط» للمسعودي .

وضربوا الدنانير ، وصاغوا وكلّلوا التّيجان ، وطبعوا السيوف ، واتّخذوا السلاح ، وعملوا آلات الحديد ، وصنعوا النحاس والرصاص ، واتّخذوا المكاييل والموازين ، واختطّوا البلدان ، وقلّموا الأقاليم ، وأسروا الأعداء ، واستعبدوا الأسراء ، واتّخذوا السجون ، ووصفوا الأزمنة ، وسمّوا الشهور ، وتكلّموا في الأفلاك والبروج والكواكب ، وحسبوا ، وقضوا بما يدل عليه الاجتماع والافتراق ، والتثليث والتربيع ، والمجاسدات .

ملوك الهند

قال أهل العلم : إنّ أوّل ملوك الهند الذي اجتمعت عليه كلمتهم : برهمن الملك الذي في زمانه كان البدء الأوّل ، وهو أوّل من تكلّم في النجوم ، وأُخذ عنه علمها ، والكتاب الأوّل ، الذي تسمّيه الهند : السند هند ، وتفسيره دهر الدهور ، ومنه اختصر الارجبهر والمجسطي[1]، ثمّ اختصروا من الارجبهر الاركند ، ومن المجسطي كتاب بطليموس[2] ، ثمّ عملوا من ذلك المختصرات والزيجات[3] وما أشبهها من الحساب؛ ووضع التسعة الأحرف الهنديّة التي يخرج منها جميع الحساب والتي لا تدرك معرفتها ، وهي : ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ، فالأوّل منها واحد ، وهو عشرة ومائة ، وهو ألف ، وهو مائة ألف ، وهو ألف ألف ، وهو عشرة آلاف ألف ، وهو مائة ألف ألف ؛ وعلى هذا الحساب ابدأ فصاعداً ، والثاني ، وهو اثنان ، وهو عشرون ، وهو مائتان ، وهو ألفان ، وهو عشرون ألفاً ، وهو مائتا ألف ، وهو ألفا ألف ، وعلى هذا الحساب يجري التسعة الأحرف ، فصاعداً ، غير أن بيت الواحد معروف من العشرة ، وكذلك بيت العشرة معروف من المائة ، وكذلك كلّ بيت ، وإذا خلا بيت منها يجعل فيه

---

(١) المجسطي : أقدم كتاب وصل إلينا مما وضعه الفلكيون في علم الهيئة فيه القواعد لمعرفة إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية .

(٢) بطليموس : هو مؤلف المجسطي ، من علماء الهيئة والتاريخ والجغرافيا له النظرية البطليموسية القائلة إن الارض لا تتحرك وإن الفلك يدور حولها .

(٣) الزيجات : هي الجداول التي يستدل بها على حركة السيّارات في الفلك .

صفر ، ويكون الصفر دارة صغيرة .

وجعلوا الدنيا سبعة أقاليم : فالإقليم الأوّل الهند ، وحدّه ممّا يلي المشرق : البحر ، وناحية الصين إلى الدَّيْبُل ممّا يلي أرض العراق ، إلى خليج البحر ممّا يلي أرض الهند ، إلى أرض الحجاز .

والإقليم الثاني : الحجاز ، حدّه : هذا الخليج إلى عدن إلى أرض الحبشة ممّا يلي أرض مصر ، إلى الثعلبيّة ممّا يلي أرض العراق .

والإقليم الثالث : مصر ، حدّه : ممّا يلي أرض الحبشة إلى أرض الحجاز ، إلى البحر الأخضر ممّا يلي الجنوب ، إلى المغرب ، إلى الخليج الذي يلي الروم ، إلى نصيبين ممّا يلي أرض العراق .

والإقليم الرابع : وهو العراق ، حدّه ممّا يلي الهند : الدَّيْبُل ، وممّا يلي الحجاز : الثعلبيّة ، وممّا يلي أرض مصر والروم : نصيبين ، وممّا يلي أرض خراسان : نهر بلخ .

والإقليم الخامس : الروم ، حدّه ممّا يلي أرض مصر : الخليج ،وممّا يلي المغرب : البحر ، وممّا يلي الترك ، يأجوج ومأجوج ، وممّا يلي أرض العراق : نصيبين .

والإقليم السادس :يأجوج ومأجوج ، حدّه ممّا يلي أرض المغرب : الترك ، وممّا يلي الخزر : البحر ، ومفاوز[1] بينه وبين بحور الشمال ، وممّا يلي المشرق : أرض نصيبين ؛ وممّا يلي خراسان : نهر بلخ .

والإقليم السابع : الصين ، حدّه ممّا يلي المغرب : يأجوج ومأجوج ، وممّا يلي المشرق : البحر ، وممّا يلي الهند : أرض قشمير ، ومما يلي خراسان : نهر بلخ ؛ وقالوا كلّ إقليم من هذه الأقاليم يسع مائة فرسخ[2] في مثلها .

---

(١) المفاوز : جمع مفازة وهي الصحراء .

(٢) الفرسخ : واختلف في أن تكون ثلاثة أميال أو اثنا عشر ألف ذراع ، وهي تقريباً ثمانية كيلومترات .

وذكروا أن قطر الأرض ألفان ومائة فرسخ ، ومدّها ستّة آلاف وثلاثمائة فرسخ ، وأنّهم قدّروا هذا الفرسخ على ستّة عشر ألف ذراع .

وذكروا أن الذراع الذي يحيط بأسفل دائرة النجوم ، وهو فلك القمر ، مائة ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفاً وستّمائة وأربعة وستّون فرسخاً ، وأنّ قطره من حدّ رأس الحمل إلى حدّ رأس الميزان أربعون ألف فرسخ ، بتقدير هذه الفراسخ التي قدّروا بها الأرض ؛ فساعات طول النهار في الإقليم الأوّل : ثلاث عشرة ساعة ؛ وفي الثاني : ثلاث عشرة ساعة ونصف ؛ وفي الثالث : أربع عشرة ساعة ؛ وفي الرابع : أربع عشرة ساعة ونصف ؛ وفي الخامس : خمس عشرة ساعة ؛ وفي السادس : خمس عشرة ساعة ونصف ؛ وفي السابع : ستّ عشرة ساعة .

وكلّ مدينة كانت في مقادير طول نهارها في هذا القدر ، فهي متوسطة الإقليم الذي هي فيه ، وما كان فيما بين هذه الأقدار، فهي من الإقليم الذي هي إليه أقرب في مقدار الساعات، فصار وسط الإقليم الأوّل، على مسيرة نحو من ثلاثين ليلة من خط الاستواء ، بأرض اليمن مدينة سبأ وما والاها إلى المشرق والمغرب ، وذلك ، فيما دون عدن ، أبْيَن بقدر عشرة أيّام ؛ ووسط الإقليم الثاني مكّة وما والاها من المشرق إلى المغرب ؛ ووسط الإقليم الثالث الإسكندريّة وما والاها من ناحية الكوفة والبصرة من المشرق والمغرب ؛ ووسط الإقليم الرابع أصفهان[1] وما والاها ممّا هو في مثل عرضها من المشرق إلى المغرب ؛ ووسط الإقليم الخامس في أداني أرض مرو وما والاها ممّا هو في مثل عرضها من المشرق إلى المغرب ؛ ووسط الإقليم السادس برذعة وما والاها ممّا هو في مثل عرضها ممّا بين المشرق إلى المغرب ؛ ووسط الإقليم السابع بجبال الترك وما والاها ممّا هو في مثل عرضها ممّا بين المشرق والمغرب .

وقالت الهند إنّ الله ، عزّ وجلّ ، خلق الكواكب في أوّل دقيقة من

---

(١) أصفهان : مدينة في إيران .

الحمل ، وهو أوّل يوم من الدنيا ، ثمّ سيّرها من ذلك الموضع في أسرع من طرفة العين ، فجعل لكلّ كوكب منها سيراً معلوماً حتى يوافي جميعها ، في عدّة أيّام السند هند ، إلى ذلك الموضع الذي خلقت فيه كما كانت كهيئتها الأولى ، ثمّ يقضي الله ، تبارك وتعالى ، ما أحبّ ؛ فقالوا : إن جميع أيّام الدنيا من السند هند[1] ، منذ أوّل ما دارت الكواكب إلى أن تجتمع جميعاً في دقيقة الحمل ، كما كانت يوم خلقت : ألف ألف ألف ألف ، وخمسمائة ألف ألف ألف ، وسبعة وسبعون ألف ألف ألف ، وسبعمائة ألف ألف ، وستّة عشر ألف ألف ، وأربعمائة ألف ، وخمسون ألف يوم ، يكون ذلك شهوراً ستّين ألف ألف ألف ، وثماني مائة ألف ألف ، وأربعين ألف ألف شهر ، ويكون من السنين أربعة آلاف ألف ألف ، وثلاثمائة ألف ألف ، وعشرين ألف ألف سنة كاملة بسني الشمس على مدارها ؛ والسنة ثلاثمائة وخمسة وستّون يوماً وربع يوم وخمس ساعات ، وجزء من أربعمائة جزء من ساعة .

ثمّ اضطرب أمر الملك بالهند ، فأقام زماناً طويلاً وهو ممالك مفترقة في البلاد ، لكلّ طائفة مملكة ، حتى غزتهم الملوك ، فخافوا أن يدخل عليهم الوهن[2] ، وكانوا أهل حكمة ومعرفة وعقول مجاوزين بها مقدار غيرهم من الأمم ، فأجمعوا على تمليك رجل واحد ، فملّكوا زارح ، وكان عظيم الشأن ، جليل القدر ، فعظم ملكه ، وجلّ سلطانه ، حتى سار إلى أرض بابل ، ثمّ تجاوزها إلى ملوك بني إسرائيل ، وهو الذي غزا بني إسرائيل ، بعد أن مات سليمان بن داود بعشرين سنة ، وملك إسرائيل يومئذ رحبعم بن سليمان ، فضجّت بنو إسرائيل إلى الله تعالى ، فسلّط الله على زارح وجيشه الموت ، فانصرف إلى بلاده .

ومن ملوكهم فور ، وهو الذي غزا بلاده الإسكندر لما قتل ملك

---

(١) السند هند : أي دهر الدهور كما مرّ سابقاً .

(٢) الوهن : الضعف .

الفـرس ، وغلب على أرض العـراق ومـا والاهـا ممّـا كـان في مملكـة داريوش[1] ، وذلك أنّه كتب إليه يأمره بالدخول في طاعته ، وكتب إليه فـور أنّه يزحف إليه بالجيوش ، فبدر الإسكنـدر ، فصار إلى بـلاده ، وخرج إليـه فور ، فحاربـه ، وأخرج فـور الفيلة وكان العلو على الإسكنـدر ، فكانت لا يقف لهـا شيء ، فعمل الإسكنـدر تماثيـل من نحاس ، ثمّ حشـاها بـالنفط والكبـريت ، وأشعل النـار في داخلها ، ثمّ صَيّـرهـا على عَجَـل ، وألبسهـا السلاح ، ثمّ قدّمها أمام الصفوف ، فلمّا تلاقوا دفعتهـا الرجـال إلى الفيلة ، فلمّـا قربت حملت عليهـا الفيلة بخراطيمهـا ، فكانت تلفّ الخـراطيم على ذلـك النحاس وهـو يلهب فتشتوي ، وتنصـرف منهزمـة ، فتفـلّ كـراديس[2] الهند ، وتهلكهم ؛ ثمّ دعا الإسكندر فور ملك الهنـد إلى أن يبارزه ، فبـرز له ، فقتله الإسكندر مبارزةً بعدله ، واستباح عسكره .

ومن ملوكهم كيهن ، وكـان رجـلاً حكيمـاً ، ذكيّـاً ، أديبـاً ، فملّكـه الإسكنـدر بعـد فـور على جميـع أرض الهنـد ، وكـان كيهن قـد استعمـل الفكر ، فكان أوّل من قال بالتوهّم ، وإنّ الطبيعة تنصرف إلى مـا تتوهّمـه ، فما توهّمت أنّه ينفعها نفعها وإن كان ضارّاً ؛ وكان كيهن يأكل البيش ، وهو السمّ القاتل ، ثمّ يتوهّم أنّ على قلبه أحمال ثلج ، فلا يضرّه ذلك البيش ، حتى احترقت رطوبته ؛ وكان من أصحّ خلق الله ذهناً ، وأحفظه وأذكاه .

ومن ملوكهم دبشليم ، وهـو الـذي وضـع في عصـره كتـاب كليلة ودمنة[3] ، وكان الذي وضعه بيدبا حكيم من حكمائهم ، وجعله أمثالاً يعتبر بهـا . ويتفهّمها ذوو العقـول ، ويتأدّبـون بها ، فكـان أوّل بـاب منهـا بـاب السلطان الـذي سعى إليه البغـاة بخاصّتـه وأصحابـه المقدّمين عنـده .وكيف

---

(١) أو داريوس بالسين المهملة .

(٢) الكراديس : الطوائف العظيمة من الخيل . واحدتها كردوسة .

(٣) كليلة ودمنة : وهـو ينسب اليـوم إلى عبد الله بن المقفـع الـذي شـارك في وضعـه وترجمته .

ينبغي أن يستعمل الأناة والتثبيت ، ولا يعجل بقول السعاية[1] ؛ وهو باب الأسد والثور .

الباب الثاني باب الفحص عن الأُمور ، وكيف تكون العواقب فيها ، وما يؤدّي إليه البغي والتهوّر والكيد من سوء العاقبة ؛ وهو باب الفحص عن خبر دمنة .

الباب الثالث باب الأعداء والتحرّز[2] منهم والحيلة لهم ، والكلام الذي يكسب العداوة ، وما يجب من مداراة الأعداء ، وانتهاز الفرصة فيهم عند إمكان الأمر ، والتضرّع لهم حتى يمكن الانتقام منهم ؛ وهو باب البوم والغربان .

الباب الرابع باب المشاورة للعلماء والاستعانة بأهل الحزم والأمانة ، وإفشاء الأُمور إلى أهل العقل ؛ وهو باب بلاذ .

الباب الخامس باب المعروف وإلى من ينبغي أن يصطنع وكيف يفسده سوء الشكر إذا وضع غير موضعه ، وحمله من لا يستحقّه ، وكيف يعرف موضعه عند أهله الذين يشكرونه ؛ وهو باب السلحفاة والببر[3] والقرد والنجّار .

الباب السادس باب الظفر بالأمر ، وإضاعته بعد إمكانه ، والعجز عن حفظه بعد القدرة عليه ؛ وهو باب القرد والغيلم[4] .

الباب السابع باب المداراة ومصانعة أهل الشأن ، واحتراز مودّتهم ، واستمالة أهل الانحراف حتى يتخلّص من السوء ؛ وهو باب السنّور والجرذ .

---

(١) السعاية : الوشاية والنميمة .
(٢) التحرز : الحذر .
(٣) الببر : نوع من السباع الهندية وهو أبيض البطن والجانبين ومخطط بخطوط سود .
(٤) الغيلم : ذكر السلحفاة .

الباب الثامن معرفة السلطان بأعوانه وأقربائه وأهل دِخْلته ، واستصلاحه من نالته جَفْوته منهم ، واجتلاب رِدئه ، والاستعانة على أموره بأهل العفاف والمودّة ، وتفقّد أحوال أعوانه وحاشيته ، ومكافأة المحسن ، ومعاقبة المسيء على الإساءة ؛ وهو باب الأسد وابن آوى .

الباب التاسع باب الإخوان والمتصادقين على صحّة مودّاتهم ، ومقدار الإخوان ، وعظم النفع بهم ، ومعاونتهم على أمور الشدة والرخاء ؛ وهو باب الحمامة المطوّقة .

الباب العاشر باب طلب نفع الناس بضرّ النفس ، والتفكّر في العاقبة ؛ وهو باب اللبؤة والإسوار .

وقال بعض علماء الهند إن أهل بلاد الهند تواتر عليهم الموت ، حتى ذهب علماؤهم ، وضعف الملك ، وإنّه لمّا ملك هشران طلب من يحيي له شرائع دين آبائه ، فأتاه قفلان ، وكان داهية ، فقال له : إنّ الناس جزء من الحيوان ؛ وإن الحيوان جزء من النامي ؛ وإنّ النامي من الطبائع الأربع التي هي : النار والهواء والأرض والماء ؛ وإنّ النامي ينقسم على ثلاثة أقسام : أحدها النبات ، وله النموّ فقط ؛ والثاني ما يكون في البحر من الأصداف وما أشبهها ، وله نموّ وحسّ ؛ والثالث الحيوان البَرّيّ ، وله نموّ وحسّ وحركة ؛ وإنّ الحيوان أقلّ وأحقر من أن يدبّرهم الخالق ، وإنّما يدبّرهم ويصرّفهم الفلك .

فقال له الملك : أرِني صورة ما تقول وبرهانه ! فوضع النرد[١] ، وقال : اتّفق الناس على أن دور الزمان سنة ، ومعناها اثنا عشر شهراً ، ومعناها البروج الاثنا عشر ؛ وعلى أن أيّام الشهر ثلاثون يوماً ، ومعناها لكل برج ثلاثون درجة ؛ وعلى أن الأيّام سبعة ؛ ومعناها الكواكب السبعة السيّارة ؛ ثمّ جعل تشبيهاً لذلك ، فوضع عرصة[٢] شبيهة بالسنة ، وصيّر فيها أربعة وعشرين بيتاً عدد ساعات الليل والنهار ، في كلّ

---

(١) النرد : طاولة الزهر .

(٢) العرصة : البقعة الخالية .

ناحية اثنا عشر بيتاً تشبيهاً بشهور السنة والبروج ؛ وصيّر لها ثلاثين كلباً تشبيهاً بأيّام الشهر ودرج البروج ؛ وصيّر الفصّين تشبيهاً بالليل والنهار ، وفي كلّ فصّ ستّ جهات لأنّه عدد تامّ له نصف وثُلْث وسُدْس ، في كلّ فصّ ، إذا سقط من أعلاه وأسفله ، سبع نقط : تحت الستّ واحدة ، وتحت الخمس اثنتان ، وتحت الأربع ثلاث ، تشبيهاً بعدد الأيام والكواكب السبعة السيّارة ، وهي : الشمس ، والقمر ، وزحل ، والمشتري ، والمرّيخ ، وعطارد ، والزهرة ، ثمّ جعلها محنة[1] بين رجلين ، وأعطى كلّ واحد فصّاً ، وقال : من أعطيته هذه السبع النقط من أعلاها أكثر من صاحبه بدأ ، فاجتمع له الفصّان ، فضرب ، وما ظهر من الفصّين تقلّب الكلاب عليه ، وجعل ذلك تمثيلاً للحظّ الذي يناله العاجز بما جرى له الفلك ، والحرمان الذي يبتلى به الحازم ، على حسب ما يجري له الفلك ؛ فلمّا ظهر ذلك قبله الملك ، وفشا في أهل المملكة ، وصار أهل الهند تجري أمورها بما تدبّرها الكواكب السبعة السيّارة .

وملك بلهيت وقد غلب على أهل المملكة هذا الدين ، وكان له عقل ومعرفة ، فلمّا رأى ما عليه أهل مملكته ساءه ذلك ، وبلغ منه ، ثمّ سأل : هل بقي رجل على دين البرهميّة[2] ؟ فدُلّ على رجل له عقل ودين ، فأرسل إليه ، فلمّا أتاه أكرمه ، ورفع درجته ، ثمّ ذكر له ما قد فشا في أهل مملكته ، فقال : أيّها الملك ! أنا أقيم برهاناً أضطر به ، ويُعرف به فضل الحازم ، وموضع تقصير العاجز ، وأجعلها صورة بين اثنين ليبيّنَ فضل الحازم على العاجز ، والمجتهد على المقصر ، والمحتاط على المضيع ، والعالم على الجاهل ؛ فوضع الشطرنج ، وتفسيرها بالفارسيّة هَشت رنج ، وهشت ثمانية ، ورنج صفح ، وصيّرها ثمانية في ثمانية ، فصارت أربعة وستّين بيتاً ، وصيّرها اثنين وثلاثين كلباً ، مقسومة بين لونين ، كلّ لون ستّة عشر كلباً ، وقسم الستّة عشر على ستّ صور : فالشاه

(١) يريد تحدياً بين رجلين .

(٢) البرهميّة : وهو دين أهل الهند . وهي مشتقة من إله الهنود برهما .

صورة ، والفرز صورة ، والفيلان صورة ، والرّخّان صورة ، والفرسان صورة ، والبيادق صورة ، فاشتق ذلك من زوج الزوج ، وهو أحسن ما يكون من الحساب لأن الأربعة والستّين ، إذا قسمتها ، كان لها نصف ، وهو اثنان وثلاثون ، وهي عدّة جميع الكلاب ، وإذا نصفت الاثنين والثلاثين كان لها نصف ، وهو ستّة عشر ، وهو ما لكلّ واحد من الكلاب ، وإذا نصفت الستّة عشر كان لها نصف ، وهو ثمانية ، وهي عدّة بيادق كلّ واحد ، فإذا نصفت الثمانية كان لها نصف ، وهو أربعة ، وهو الرخّان والفرسان من كلّ واحد ، فإذا نصفت الأربعة كان لها نصف ، وهو اثنان ، فقد انقسمت أزواجاً ولم يبقَ في القسم بعد الأزواج إلاّ الواحد الذي يقسمها كلّها آحاداً ، وهو ليس بعدد ، ولا معدود ، ولا زوج ، ولا فرد ، لأنّ أوّل أعداد الفرد ثلاثة .

ثمّ قال الحكيم : ليس شيء أجلّ من الحرب ، لأنّه يبيّن فيها فضل التدبير ، وفضل الرأي ، وفضل الحزم ، وفضل الاحتياط ، وفضل التعبية ، وفضل المكيدة ، وفضل الاحتراس ، وفضل النجدة ، وفضل البأس ، وفضل القوّة ، وفضل الجلد ، وفضل الشجاعة ، فمن عدم منه شيء من هذا عرف موضع تقصيره لأنّ خطأها لا يستقال ، والعجز فيها متلف للمهج ، والجهل مبيح للحمى ، وترك الحزم ذهاب الملك ، وضعف الرأي جلب للعطب ، والتقصير سبب للهزيمة ، وقلّة العلم بالتعبية داعية الانكشاف ، وقلّة المعرفة بالمكيدة تهور[1] إلى الهلكة ، وترك الاحتراس نهزة[2] للعدوّ ؛ وجعلها على مثال الحرب ، فإن أصاب ظفر وإن أخطأ هلك .

فلمّا رأى الملك صحّة البرهان ، وتبيّن فضل حكمة الحكيم ، وعلم أن قد أصاب وأحسن التمثيل ، وأبان عمّا قد عمي عنه ، جمع أهل مملكته ، فعرّفهم ما كشف الله عنهم من الغمّ ، وأمرهم أن يقيموها ويتأمّلوها ، وقال

---

(١) تهور : تودي .

(٢) النهزة : الفرصة . يقال «هو نهزة المختلس» أي صيد لكل واحد .

لهم : قد علمنا أن ليس في العالم حيّ ناطق ، مفكر ، ضاحك ، عاقل ، إلّا الإنسان عليه مدار جميع ما في العالم ، لأنّ الفلك بجميع ما فيه خلقه الخالق للإنسان ليعرف به ما يحتاج إليه من زمانه وأوقاته ، وكذلك ذلّل له جميع ما في الأرض ، وكلّ ما خلق الله ممّا في قعر البحر ، وجوّ السماء ورؤوس الجبال ، فلمّا ملك الإنسان جميع ما خلق قسم ذلك الإنسان ثلاثة أقسام فأكل ثلاثاً ، وسخّر ثلاثاً ، وقتل ثلاثاً : فأكل الطير والسمك وما شاء من النعم والإبل ، وسخّر البقر والحمير والدوابّ ، وقتل السباع والحيات والهوامّ[1] ؛ ثمّ جعل فيه آلات يعلم بها ، ويعقل بها ، ويدرك بها ، ويفهم ، ففضل الناس بعضهم بعضاً بالعلم والعقل والفهم .

وقد زعم علماء من علماء الهند أنّه لما ملكت حوسر بنت بلهيت خرج عليها خارجي[2] ، وكانت جارية عاقلة ، فوجّهت ابناً لها ، وكان لها أربعة أولاد ، فقتل ذلك الخارجي ابنها ، فعظّم ذلك أهل مملكتها ، وأشفقوا من إخبارها ، فاجتمعوا على حكيم من حكمائهم يُقال له قفلان ، وكان ذا حكمة وفطنة ورأي ، فذكروا ذلك له ، فقال : أنظروني ثلاثاً ! ففعلوا ذلك ، وخلا مفكراً ، ثمّ قال لتلميذ له : أحضرني نجّاراً وخشباً من لونين مختلفين ، أبيض وأسود ، فأحضره نجّاراً فارهاً[3] ، وخشباً من لونين مختلفين ، أبيض وأسود ، فصوّر صورة الشطرنج ، وأمر النجّار ، فنجرها ؛ ثمّ قال له : أحضرني جلداً مدبوغاً ! فأمره أن يخطّ فيه أربعة وستّين بيتاً ، ففعل ذلك ، فنصب ناحية ، ثمّ تجاولا حتى فهماها وأحكماها ، ثمّ قال لتلميذه : هذه حرب بلا ذهاب أنفس .

ثمّ حضره أهل المملكة ، فأخرجها لهم ، فلمّا رأوها علموا أنّها حكمة لا يهتدي لها أحد ؛ وجعل يجاول تلميذه ، فيقع شاه مات ، وشاه

---

(١) الهوامّ : كل ما دبّ على الأرض .
(٢) الخارجي هنا : الخارج على حكمها وسلطانها .
(٣) فارهاً : نشيطاً وحاذقاً .

غلب ، فأُخبرت الملكة بخبر قفلان ، فأحضرته ، وأمرته أن يريهـا حكمته ، فأحضر تلميذه ، ومعه الشطرنج ، فنصبها بينه وبينـه ، فلعبا فغلب أحـدهما صاحبه ، فقال : شاه مات ! فانتبهت ، وعلمت ما أراداه ، وقالت لقفلان : أقُتِـلَ ابني ؟ قال : أنت قلت ! فقـالت لحاجبهـا : أدخل النـاس يعزّوني . فلمّا فرغت أحضـرت قفلان وقـالت له : سـل حاجتـك ! فقال : أسـأل أن أُعطى قمحاً بعدد بيوت الشطرنج ، أُعْطَى في البيت الأوّل حبّة وفي الثاني اثنتين ، ثمّ يضعف ذلـك لي في البيت الثالث على الثـاني ، ثمّ على هـذا الحساب إلى آخرها .

قـالت : وما مقـدار هذا ؟ ثمّ أمـرت بـالحنـطة أن تحضـر ، فلم يقم لـذلك شيء حتى أنفـدت قمـوح البلد ، ثمّ قُـوّم القمـح بـالمـال حتى فني المال ، فلمّا كثر ذلك قال : لا حاجة لي به ! إن قليل الدنيا يكفيني .

ثمّ سألته عن عدد الحبّ الذي سأل ، فقال لها : يكون ذلك عدداً ، وهذا ما في الشطرنج من العدد : السطر الأوّل مائتان وخمسة وخمسون .

الثاني : اثنان وثلاثون ألفاً وسبعمائة وثمانيـة وستّون .

الثالث : ثمانيـة آلاف ألف وثلاثمـائة وثمـانية وثمـانون ألفـاً وستّمائـة وثمانية .

الرابع : ألفا ألف ألف ، ومائة وسبعة وأربعون ألف ألف ، وأربعمائة وثلاثة وثمانون ألفاً ، وستّمائة وثمانية وأربعون .

الخـامس : خمسمـائـة وتسعـة وأربعـون ألف ألف ألف ، وسبعمـائـة وخمسة وخمسون ألف ألف ، وثماني مائة ألف ، وثلاثة عشر ألفاً ، وثماني مائة وثمانية وثمانون .

السادس : مائة وأربعون ألف ألف ألف ، وسبعمـائة وسبعـة وثلاثـون ألف ألف ، وأربعمائة وثمانية وثمانون ألف ألف ، وثـلاثمائـة وخمسة وخمسون ألفاً ، وثلاثمائة وثمانية وعشرون .

السابع: ستّة وثلاثون ألف ألف ألف ألف ألف ألف، وثمانية وعشرون ألف ألف ألف ألف، وسبعمائة وسبعة وتسعون ألف ألف ألف، وثمانية عشر ألف ألف، وتسعمائة وثلاثة وستّون ألفاً، وتسعمائة وثمانية وستّون.

الثامن: تسعة آلاف ألف ألف ألف ألف ألف ألف،ومائتان وثلاثة وعشرون ألف ألف ألف ألف ألف، وثلاثمائة واثنان وسبعون ألف ألف ألف ألف، وستّة وثلاثون ألف ألف ألف، وثماني مائة وأربعة وخمسون ألف ألف، وسبعمائة وخمسة وسبعون ألفاً، وثماني مائة وثمانية؛ يكون جميع ذلك في الشطرنج الثمانية ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف، وأربعمائة وستّة وأربعين ألف ألف ألف ألف ألف، وسبعمائة وأربعة وأربعين ألف ألف ألف ألف، وثلاثة وسبعين ألف ألف ألف، وسبعمائة وتسعة آلاف ألف وخمسمائة وواحداً وخمسين ألفاً وستّمائة وخمسة عشر.

ومنهم كوش الملك الذي كان في زمان سندباذ الحكيم، وكوش هذا وضع كتاب مكر النساء.

والهند أصحاب حكمة ونظر، وهم يفوقون الناس في كلّ حكمة، فقولهم في النجوم أصحّ الأقاويل، وكتابهم فيه كتاب السند هند الذي منه اشتقّ كلّ علم من العلوم ممّا تكلّم فيه اليونانيّون والفرس وغيرهم؛ وقولهم في الطبّ مقدّم، ولهم فيه الكتاب الذي يسمّى سسرد فيه علامات الأدواء، ومعرفة علاجها وأدويتها، وكتاب شرك، وكتاب نِدَانَ في علامات أربعمائة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج، وكتاب سند هشان، وتفسيره صورة النجح، وكتاب فيما اختلفت فيه الهند والروم من الحارّ والبارد وقوى الأدوية، وتفصيل السنة، وكتاب أسماء العقاقير[1] كلّ عقّار بأسماء عشرة؛ ولهم غير ذلك من الكتب في الطبّ؛ ولهم في المنطق والفلسفة كتب كثيرة في أصول العلم منها: كتاب طوفا في علم حدود المنطق، وكتاب ما تفاوت فيه فلاسفة الهند والروم؛ ولهم كتب كثيرة يطول ذكرها ويبعد عرضها.

---

(١) العقاقير: الأدوية.

ودين أهل الهند البرهميّة ، وفيهم عبدة الأصنام ، ولهم ممالك مختلفة وملوك متفرّقة لسعة البلد في طوله وعرضه ، فأوّل ملوكهم ، ممّا يُتاخم البلاد التي هي اليوم في دار الإسلام : دانق ، وهو ملك عظيم القدر ، واسع المملكة ، كثير العدّة؛ ثمّ من بعده رهمى ، وهو أعظم قدراً وأعز بلاداً ، وهو على بحر من البحور ، وفي بلده الذهب وما أشبهه ؛ ثمّ مملكة بلهري ؛ ثمّ الكمكم ومن عندهم يأتي الساج ، ولهم اتّساع في البلاد ؛ ثمّ مملكة الطافن ، وهم قوم بيض الوجوه ؛ ثمّ مملكة كنبايه ؛ ومملكة الطرسول ؛ ومملكة الموشه ؛ ومملكة المايد ، وهذه الممالك تتاخم الصين ، وهم يحاربون الصين ؛ ثمّ مملكة سَرنديب ؛ ثمّ مملكة قَمار ، وهي مملكة جليلة القدر ، عظيمة الأمر ، يتقدّم لملكهم الملوك ؛ ثمّ مملكة الديبل ، ثمّ الفارنط[1] ؛ ثمّ مملكة الصَّيْلمان ، ولهم بعض ممالك يليها النساء .

اليونانيون

وكان لليونانيّين حكماء متفلسفون ، وفلاسفة متكوّرون ، ومنهم من تكلّم في الطبّ ؛ومنهم من تكلّم في حقائق الأُمور ؛ ومنهم من تكلّم في الحساب والأعداد ؛ ومنهم من تكلّم في الأفلاك والنجوم ؛ ومنهم من تكلّم في الحساب والقسمة ؛ ومنهم من قال في الهندسة والفلاحة ؛ ومنهم من قال في الصنعة والإكسيرات[2]؛ ومنهم من قال في الفراسة[3] ؛ ومنهم من قال في الطلسمات[4] والآلات فيقال إنّ أوّل حكيم وضع كتاباً ، ودوّن علماً ، ابقراط مقليدس بن ابقراط ، فبفلسفته يتفلسف الحكماء في الطبّ ،

---

(١) هكذا بدون نقط في الأصل .

(٢) الإكسيرات : علم تحويل المعادن .

(٣) الفراسة : علم إدراك الباطن من نظر الظاهر .

(٤) الطلسمات : مفردها طلسم ، وهي خطوط أو كتابة يستعملها الساحر ويزعم أنه يدفع بها كل أذية .

وإليـه يرجعـون في المعرفـة ، ولـه من الكتب : كتـاب الفصـول ، وكتـاب البلدان والميـاه والأهويـة ، وكتاب مـاء الشعير ، وكتـاب تقدمـة المعرفـة ، وكتاب الجنين ، وكتاب الأركان ، وكتاب الغذاء ، وكتاب الأسابيع ، وكتاب أوجاع النساء ، وكتاب ابيذيميا ، فهذه مشهورات من كتبه ، ولـه بعد ذلـك كتب كثيـرة ، فالكتب التي لا بـدّ للمتـطبّبين من معـرفتهـا من كتب ابقـراط أربعة ، وهي : كتاب الفصـول ، وكتاب تقـدمة المعـرفة ، وكتـاب الأهويـة والأزمنة ، وكتاب ماء الشعير .

فأمّا كتاب الفصول ، فإنّه قـال في كلّ وجـه من العلم قولاً جـامعاً ، في سبعة وخمسين بابـاً ، وهي التي تسمّى التعليمات : فـالتعليم الأوّل في الصنعـة وصنفها قـال ابقراط : العمـر قصير ، والصنـاعة طـويلة ، والـزمـان حديد ، والتجربة خَطِرة ، والقضاء عَسِر .

التعليم الثـاني في أصناف الـطعام للمـرضى وتقـديـره قـال ابقـراط : الأطعمة اللطيفة دقيقة جدّاً ليست في الأمـراض المزمنـة ، ولا في الحادّة ، والأطعمة أيضاً التي على أقصى حدّ اللطافة رديّة مثلما أنّ المـاء الذي على الحدّ الأقصى رديّ .

التعليم الثـالث في اهتياج الحمّى قـال ابقراط : ينبغي أن يتحفّظ في الطعام ، وإنّ الزيادة منـه مضرّة ، وكـلّ ما يعـرض من الأمراض في الحين بعد الحين ، فينبغي التحفّظ عند اهتياجها .

التعليم الرابع في علامات الأمـراض قال ابقـراط : الدليـل على حال الأمراض ما يـظهر من لفظ الجسـد فيها : مثـل مَن به ذات الجنب[1] ، إن ظهر منه نفث عاجل من أوّل المرض قصر مـرضه ؛ وإن ظهـر ذلك متـأخّراً طال مرضه ؛ وفي مثل البـول والبِراز والعـرق ، إذا ظهر على الـوجه الـذي

---

(١) ذات الجنب : ويقـال له أيضـاً الجُناب وهـوالتهاب غـلاف الرئـة فيحدث منـه سعـال وحمّى ونخس في الجنب يزداد عند التنفس .

[الموسوعة العلمية]

يجري عليه القضاء بالفرج ، أو على خلاف ذلك على قصر الأمراض وطولها.

التعليم الخامس قال ابقراط : كلمّا نشت ، يعني ذوات الأرواح ، فهو كثير الحرارة الغريزيّة، ولذلك يحتاج إلى كثرة الطعام وإلا بلي جسده.

التعليم السادس فيما ينبغي أن يطعم للمحمومين من الطعام ،قال ابقراط : التدبيرات الرطبة بجميع المحمومين أمثل ، ولا سيّما للصبيان ولغيرهم من الذين اعتادوا ذلك التدبير ، لبعضٍ مرّةً ، ولبعض اثنتين وأكثر وأقلّ ، ومرّة بعد مرّة ؛ وأعطوا الساعة والعادة والبلاد والسنّ حقّها .

التعليم السابع في معرفة الموقت قال ابقراط فيما يتفرّج وما قد تفرّج : ينبغي أن لا يُحَرّك ، ولا يحدث به حدث لا بأدوية ، ولا بغيرها ، ممّا يهيج ذلك .

التعليم الثامن في النوم قال ابقراط : في أيّ مرض كان إن جاءه النوم بوجع ، فذلك يموت ؛ وإن نفع النوم ، فليس بميّت ، وإن ردّ النوم ذهاب العقل ، فذلك صالح .

التعليم التاسع في سقي الدواء قال ابقراط : ينبغي لمن أراد تنقية الأجساد أن ينقّيها قبل ذلك أي بإذابة ما فيها من الكيميوس[1] الغليظ .

التعليم العاشر في البراز قال ابقراط : إن وقع في الجسد وجع ، أو خرجت في الجسد خُراجات ، فعند ذلك ينبغي أن ينظر في البراز ، فإن كانت مِرّة صفراء ، فالجسد كلّه مريض ؛ وإن كان شبيهاً ببراز الأصحّاء فالطعام الحَشِد .

التعليم الحادي عشر قال ابقراط في الأمراض الحادّة : . . . .[2] لأنّها ربّما أسرعت إلى الدماغ ، أو إلى القلب ،

---

(١) الكيميوس : الخلط أو الحالة التي يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه . والمراد هنا عملية الإسهال عند المرء .

(٢) بياض في الأصل .

أو الكبد ، فتهلك ، وربّما أسرع انحطاطها فتبرأ .

التعليم الثاني عشر في القضاء في الفرج قال ابقراط : الأمراض الحادّة يقضى عليها بالفرج في أربعة عشر يوماً .

التعليم الثالث عشر قال ابقراط : عند ابتداء الأمراض إن رأيت أن تحرّك شيئاً ، فحرّك ، وإن صعدت العلّة ، فلزوم الكفّ أفضل ، أي إن رأيت موضعاً للعلاج ، فقبل أن تصعد العلّة .

التعليم الرابع عشر في معرفة صالح الأمراض وطالحها قال ابقراط : في كلّ مرض صحّة عقل المريض حسن ، وقبوله ما يقضي خير ، وخلاف ذلك شرّ أي ما يجد العليل في الدماغ والمعدة .

التعليم الخامس عشر في المخنوقين قال ابقراط : الذين يخنقون ويُخلون قبل أن يموتوا إن ظهر في أفواههم زبد لم يسلموا .

التعليم السادس عشر في إضمار الجسد والعناء قال ابقراط : في كلّ تحريك الجسد ، إذا بدأ بتعب ، ثم ودعته مكانك لم يضرّ التعب .

التعليم السابع عشر في انقلاب الساعات قال ابقراط : انقلاب الساعات . . . . .[1] عن عظم البرد والحرّ وغير ذلك ممّا يجري مجراه أي انقلاب ساعات الزمان من أجزاء السنة .

التعليم الثامن عشر في العرق قال ابقراط : إذا كان الزمان شبيهاً بالصيف يعني الربيع فعند ذلك ينبغي أن يتوقّع كثرة العرق مع كلّ حمّى تعرض .

التعليم التاسع عشر في الساعات قال ابقراط : إن كان الشتاء يابساً بلا رطوبة ، وكانت رياحاً شمالاً ، كان الصيف ، يعني الربيع ، ممطوراً ،

---

(١) بياض في اوصل .

وكانت رياحه يمانية ، فلا بدّ أن يكون في القيظ[1] حمّيات[2] حادّة ، ووجع العين واختلاف من الأعفاج[3] ، وعامّة ذلك في النساء والذين في طبيعتهم رطوبة .

التعليم العشرون في تدبير السنين قال ابقراط : السنة اليابسة أوبأ من الممطورة الرطبة ، عامتها حمّيات طويلة ، وسيلان البطون ، وخروج متماشية ، وجنون ، وفالج ، وذبحة ، وأمّا أمراض السنة اليابسة ، فقرح في الرئة ، ووجع العيون والمفاصل ، وتقطير البول ، واختلاف من خراج الأعفاج .

التعليم الواحد والعشرون في أمراض الساعات والأسنان قال ابقراط : في الساعات على ما يكون من الأمراض في الصيف وأوّل القيظ : الغلمان والذين يتلونهم في السنّ أصحّاء ، وحسن حالهم أفضل من غيرهم ؛وفي القيظ ، وبعض الربيع : الشيوخ أحسن حالاً ؛ وفي سائر الربيع والشتاء : أهل النصفة في السن أفضل حالاً .

التعليم الثاني والعشرون في الأمراض التي تصيب الإنسان فيبدأ بالولدان قال ابقراط : الأمراض التي تصيب الولدان الصغار قرح وسعال ، وسهر وفزع ، وورم في السرر ، ورطوبات الأذنين .

التعليم الثالث والعشرون قال ابقراط : والأمراض التي تصيب الصبيان ، إذا كبروا : وجع اللّوزتين ، وبُهر[4] ، وحصاة ، ودود عراض ، ودود طوال ، ودود مثل دود الخل ، وثآليل ، وغلظ في أبشارهم[5] ، وخنازير[6] وخراجات أخر ، والذين أكبر منهم ممّن قد راهق الاحتلام :

---

(١) القيظ : شدة الحر .
(٢) الحميات : حالات مرضية ترتفع فيها حرارة الجسم الى ما فوق درجتها المعتادة .
(٣) الأعفاج : جمع عفج وهو ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة .
(٤) البُهر : انقطاع النفس .
(٥) الأبشار : جمع بشر وهو ظاهر الجلد .
(٦) الخنازير : غدد صلبة تكون غالباً في العنق ويظهر على سطحها درن شبيه بالعُقد .

يصيبهم أمر آخر ، ويقضي عليهم بالفرج إلى أربعين يوماً ، بعضها إلى سبعة أشهر ؛ ومنها إلى سبعين يوماً ؛ ومنها إذا راهقوا الاحتلام . وكلّ أمراض لا تنجلي عن الصبيان إلى الاحتلام ، وعن الجواري إلى أن يطمثن[1] ، فتلك أمراض تثوي[2] زماناً طويلاً .

التعليم الرابع والعشرون في معرفة ما تداوى به النساء الحوامل ، قال ابقراط : النساء الحوامل يداوين لأربعة أشهر فما دون ذلك من صغر الولد ، وأمّا ما زاد من كبره ، فينبغي أن يحذر علاجهنّ .

التعليم الخامس والعشرون قال ابقراط : ينبغي أن يداوى ما فوق في الصيف وما أسفل في الشتاء، يعني ما كان فوق الرأس والمعدة ، وما كان أسفل من المرّة الصفراء ، وما أسفل من الخام وما أشبهه .

التعليم السادس والعشرون في ذي المشي قال ابقراط : عند شرب الأدوية والخرْبَق[3] ينبغي أن يرطب أجساد الذين لا تخفّ التنقية عليهم من فوق قبل الدواء بكثرة الطعام .

التعليم السابع والعشرون في الاختلاف طوعاً قال ابقراط : إذا جاء الاختلاف طوعاً كأنّه دم أسود مع حمّى ، أو غير حمّى ، فذلك اختلاف سوء ؛ وإن كان اختلاف كثير الألوان منتقل من ألوان صالحة إلى ألوان رديّة ، فذلك اختلاف سوء أيضاً ؛ وإن جاء الأوّل بدواء ، فهو أمثل . والكثير الألوان فلا بأس به .

التعليم الثامن والعشرون في الفراغ من حيث كان قال ابقراط : كلّ محموم يعرض له اختلاف لأنّ كثرة إفراغ الدم ترخي الكبد ثمّ تسقم النضج .

---

(١) يطمثن : يأتيهن الطمث أي الحيض .

(٢) تثوي : تقيم .

(٣) الخربق : جنس زهر من فصيلة الشقاريات وهو على لونين ، الأبيض منه يقيّء . والأسود يسهل المعدة. وكانوا يزعمون أنه يشفي المجانين .

التعليم التاسع والعشرون في العرق قال ابقراط : العرق في المحمومين خير إن جاء في اليوم الثالث ، أو الخامس . . . .[1] ، أو السابع عشر ، أو الواحد والعشرين ، أو الواحد والثلاثين ، أو الرابع والثلاثين ، لأنّ هذا يفرج عن المريض ، فأمّا الذي يكون في غير هذه الأيّام ، فذلك عرق مؤذن بوجع وطول مرض ونكسة .

التعليم الثلاثون في الحمّيات اللازمة قال ابقراط : الحمّيات اللازمة التي لا تقلع بل تشتدّ في اليوم الثالث ، فتلك أقرب إلى الهلاك ، والتي تقلع إلى أيّ وجه كان من الإقلاع ، فتلك أبعد إلى الهلاك .

التعليم الحادي والثلاثون في علامات الموت قال ابقراط ، الحمّيات اللازمة التي لا تقلع ، إن كان ظاهر الجسد بارداً وداخله يحترق ، وكان بصاحبه عطش ، فتلك علامات موت .

التعليم الثاني والثلاثون في الانقباض والكُزاز[2] قال ابقراط : من أصابه انقباض ، أو كزاز ، فتبعت ذلك الحمّى انحلّ مرضه .

التعليم الثالث والثلاثون قال ابقراط : من كانت به حمّى ، فأصابه حرّ شديد في جوفه ووجع في قلبه فذلك شرّ .

التعليم الرابع والثلاثون قال ابقراط : من كانت به حمّى ، فوَرمت شراسيفه[3] ، وأشرفت به قَرْقَرَة[4] في جوفه ، فأصابه مع ذلك وجع صلبه ، فلم يتفرّج بأرواح تخرج منه ، أو ببول كثير ، أو يتفرّج باختلاف هلك .

التعليم الخامس والثلاثون في شرب الخربق قال ابقراط : من أصابه انقباض من كثرة الاختلاف على شرب الخربق فذلك ميّت .

---

(١) بياض في الأصل .
(٢) الكُزاز : داء أو رعدة من شدة البرد .
(٣) الشراسيف : جمع شرسوف وهو طرف الضلع المشرف على البطن .
(٤) القرقرة هنا : صوت البطن .

التعليم السادس والثلاثون في القروح في الرئة ، والضمر في الرئـة ، يكون ذلك في ثمانية عشر إلى خمسة وثلاثين .

التعليم السابع والثلاثون في المـاء الحارّ والبارد قال ابقـراط : الماء الحـارّ ، إذا أدمنت عليه يـرخي اللحم ، ويـذهب بشـدّة العَصَب ، ويخـدر العضـل ، ويهيـج الـرّعـاف[1] ، ويضعف النفس ؛ وإن دام ذلـك مـات ؛ والبارد يأتي بكزاز وتسوّد ، ويأتي بنافض وحمّى .

التعليم الثامن والثلاثون في معرفـة المياه قـال ابقراط : المـاء الحارّ يُنْضِج المِدّة ، وليس في كلّ جرح ، ولنضج المِدّة[2] علامات كثيرة ، وهي لين الجلد ، وضم الورم ، وإذا كان الماء الحارّ يفعل ذلك يذهب الوجع ، ويسكن النافض والانقباض والكزاز ، ويحلّ وجع الرأس .

التعليم التاسع والثلاثون في أُمور النساء قال ابقراط : البخور بالـطيب جلّاب لطمث النساء ، نافع لذلك ، ولأشياء كثيرة غير ذلك ، إلّا أنّه يهيـج وجعاً في الرأس وصداعاً .

التعليم الأربعـون قـال ابقـراط : أيّمـا امـرأة ليست بحبلى ، ولا مرضعة ، وتجد في ثدييها لبناً ، فذلك دليل على أن دم طمثها قد انقطع .

التعليم الحـادي والأربعون قـال ابقراط : إن الأولاد الـذكور أكثـر مـا يكونون في يمين الأرحام ، والإناث في يسراها .

التعليم الثاني والأربعون قال ابقراط : النساء الحبالى الـلاتي تصيبهنّ الحمّى ، فتصلب عليهنّ فأُولئك من غير علّة معروفـة تبين ، فإنّ ذلـك دالّ على هلاك ، ويسقطن ، فيهلكن .

التعليم الثالث والأربعون قـال ابقراط : أعْطِ اللبن لمن يشتكي رأسـه ولمن بـه عطش ، وأيضـاً لمن به اختـلاف من مـرّة صفـراء وحمّى حـادّة ،

---

(١) الرعاف : سيلان الدم من الأنف .

(٢) المِدّة : ما يجتمع في الجرح من القيح .

ولمن اختلف دماً كثيراً ، وهو موافق أن يعطى لمن به ضمر وقرح في رئته ، إذا لم يكن محموماً جدّاً ، ويعطى لمن كانت حمّاه ليّنة ، فاترة ، مزمنة ، من غير أن يكون به شيء من العلامات التي ذكرنا ويكون جسده ناحلاً جدّاً .

التعليم الرابع والأربعون في إزلاق[1] الأمعاء قال ابقراط : من أصابه زلق الأمعاء وطال به ، ثمّ تبع ذلك جُشاءٌ[2] حامض لم يكن به قبل ذلك ، فذلك علامة خير ، وهو مرض يكون له ثلاثة أسباب : من قبل ضعف المعدة ، أو من قبل بلغم بلّ المعدة ، أو من قبل قرح يكون في المعدة .

التعليم الخامس والأربعون قال ابقراط : من أصابه وجع في رأسه وضَرَبان شديد ، فذلك إن سال من أنفه ، أو من أذنيه ، أو من فمه قَيْح ، أو ماء ، حلّ وجعه .

التعليم السادس والأربعون قال ابقراط : من أصابه انقطاع في مثانة ، أو دماغ ، أو قلب ، أو صِفاق[3] ، أو شيء من الأمعاء الدقاق ، أو في معدة ، أو في كبد ، فذلك كلّه مميت .

التعليم السابع والأربعون قال ابقراط : من أصابه فزع ، أو خبث نفس زماناً كثيراً دائماً ، فذلك يصير إلى المرّة السوداء .

التعليم الثامن والأربعون قال ابقراط : شرب الخمر صرفاً[4] ، والكِماد[5] الحارّ ، وقطع العروق ، وشرب الدواء يحلّ وجع العينين .

التعليم التاسع والأربعون قال ابقراط : ترك كلّ خراج سرطانيّ لا

---

(١) إزلاق : إسهال .

(٢) الجشاء: ريح يخرج من الفم مع صوت .

(٣) الصفاق : الفتق . وهو الجلد الأسفل الذي يمسك البطن فإذا انشق كان منه الفتق .

(٤) صرفاً : خالصاً غير ممزوج .

(٥) الكِماد : تسخين العضو بخرق ونحوها .

يعالج أفضل ، فإن أصحابه إن عولجوا هلكوا سريعاً ، فإن لم يعالجوا بقوا زماناً[1] .

التعليم الخمسون قال ابقراط : الخراج الذي ينتأ سنة ، وأكثر من ذلك ، فلا بدّ من أن يقلع منه عظام ، ويبقى آثارها كالجرب .

التعليم الحادي والخمسون قال ابقراط : ذهاب العقل الذي يأتي الضحك معه يؤثر به ، وذهاب العقل مع الحزن والعبوس لا يؤثر به .

التعليم الثاني والخمسون قال ابقراط : في الأمراض الحادّة ، إذا بردت الأطراف ، فذلك شرّ .

التعليم الثالث والخمسون قال ابقراط : من خرج في كبده خراج ، ثمّ تبعه فُواق[2] ، فذلك شرّ .

التعليم الرابع والخمسون قال ابقراط : من كانت به حمّى ، وكان ببوله ثُفل[3] غليظ شبيه بدشيش الطحين ، فذلك دليل على أن مرضه يطول .

التعليم الخامس والخمسون قال ابقراط : من قاء دماً من غير أن تصيبه غلبة ، فهو يتخلّص، فإن أخذته غلبة حمّى ، فهو خبيث ، وينبغي أن يعالج بكلّ دبوغ ، أي من الأدوية الدابغة .

التعليم السادس والخمسون قال ابقراط : من كان يتقيّأ القيح ، فكوي ، وخرج القيح أبيض نقيّاً سلم صاحبه ؛ وإن خرج منتناً وَسِخاً هلك صاحبه ؛ وإن كان بكبده خراج قد قيّح ، وكُوي ، وخرج القيح نقيّاً أبيض سلم لأنّ القيح في صفاق الكبد ؛ وإن خرج القيح شبه ماء الزيتون هلك صاحبه .

---

(١) وهذا ما أثبته علم الطب الحديث .

(٢) استفاق العليل : إذا نقه .

(٣) ثُفل : كدرة .

التعليم السابع والخمسون قال ابقراط : العُطاس يكون من قِبَل الرأس ، إذا سخن الدماغ ، أو برد ، أو ترطب ما بين الدماغ وصفاقه ، وامتلأ فيفرغ ذلك الهواء ، ويكون له نغنغة لأن مخرجه من ضيّق ، فهذه أبواب كتاب الفصول .

وأما كتابه في تقدمة المعرفة فهو ثلاثة فصول وعشرون تعليماً :

الأوّل يخبر ابقراط كيف ينبغي للطبيب أن ينتحل[1] تقدمة المعرفة ، فإنّه الذي يخبر المرضى بما بهم ، وما أصابهم قبل ذلك ، وما هو آتٍ ممّا يصيبهم ، وما أغفل المرضى ذكره ، وإنّ قوّتها وأسبابها ، وإن كانت من اختلاط الجسد ، أو غيره ، ونحو هذا .

التعليم الثاني يخبر فيه كيف ينبغي للطبيب أن يحسن النظر في الأمراض الحادّة ، وكيف ينظر في وجوه المرضى إن كانت تشبه وجوه الأصحّاء ، وعلامات الوجوه الدالّة على الموت ونحو هذا .

التعليم الثالث يقول فيه : إن كان للمرضى ثلاثة أيّام وأربعة ، والوجوه على حال وجوه الأصحّاء ، وغير ذلك ، ينبغي أن يحسن الفكر في الآيات والعلامات على ما تقدّم ذكره ، وفي علامات العينين وأشفارهما ، والأنف ، وانضجاع المريض[2] ، وكيف ينبغي أن يعمل ، وما المهلك من علاماته .

التعليم الرابع يصف رجلي المريض وأحوالهما ، وانضجاعه ، وحكّ الأسنان بعضها ببعض مع الحمّى ، والدلائل في ذلك ، وإن كان بالمريض خراج أصابه في مرضه ، أو قبل مرضه ، وما يدلّ عليه ، ويصف اليدين واضطرابهما ، وما تدلّان في ذلك .

التعليم الخامس يذكر النفس الكثير السريع ، وما يدلّ عليه ، ويذكر

---

(١) ينتحل : يدّعي وينسب لنفسه .
(٢) انضجع المريض : وضع جنبه على الأرض .

أفضل العرق في الأمراض الحادّة ، والعرق الفاضل ، والعرق البارد ، والعرق المتخبّث ، ويذكر أن العرق يكون إمّا من ضعف الأجساد ، وإمّا من دوام خراج .

التعليم السادس يذكر صحة الشراسيف ، وإذا لم تكن صحيحة ، وضربان عروقها ، وما يدلّ في ذلك ، والأورام التي بجنب الشراسيف[١] ، ويخبر عن الأورام وما يصيبها .

التعليم السابع يذكر فيه الخراجات ، وإذا أزمنت كيف ينبغي أن ينظر فيها ، وينعت مقاديرها وما يخرج منها ، وكيف ينبغي أن يخرج .

التعليم الثامن يذكر فيه الحبن[٢] الذي يكون مع الأمراض الحادّة ، والذي يكون من البزاق ، والذي من الكبد ، وما يصيب أصحاب الحبن من الأعراض اللاحقة بهم من أجله ، وعلامات تدلّ على الموت من اسوداد الأصابع والأرجل ونحو هذا .

التعليم التاسع يذكر فيه تقابض الخُصْيتين والذكر ، ويذكر السُّبات والنوم وكيف ينبغي أن يكون ،والبِراز وكيف ينبغي أن يكون .

التعليم العاشر يذكر فيه البراز كيف يجب خروجه وأسبابه ، وكيف ينبغي أن يكون البطن في كلّ مرض ، وألوان البراز الدالّة على الموت وغير ذلك ، ويصف الرياح والقراقر[٣] ونحو ذلك .

التعليم الحادي عشر يخبر عن البول الصحيح ثمّ عن البول إذا تغيّر وأصناف أثفال الأبوال من جهة المثانة .

التعليم الثاني عشر يذكر فيه القَيْء وأسبابه ، والنَّخْمة[٤] ، وكيف تنفث ، وممّا تختلط ، ولونها ، ويذكر العطاس في جميع الأمراض التي

(١) تقدم شرحها .
(٢) الحبن : عظم البطن وورمه .
(٣) القراقر : جمع قرقرة أي ما يصدر عن البطن من أصوات .
(٤) النخمة : ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه .

تلي الرئةِ ، وما المميت في ذلك ، وما المؤذن بانحلال المرض .

التعليم الثالث عشر يصف فيه النخامة[1] في أمراض الرئة ولونها وألوان النخامات ، ويذكر فيه البول والبراز والعرق وما يدلّ كلّ واحد من هذا عليه .

التعليم الرابع عشر يذكر الخراجات المقيّحة وأوقاتها التي تنفجر فيها ، ويصف كلّ ما يخرج منها ، وكونها في كلّ إنسان .

التعليم الخامس عشر يذكر الخراجات الثابتة فيما يلي الآذان وما يحدث ذلك في الذين بهم أمراض الرئة ، وكيف الدلائل على ذلك ، والخراجات التي في سوق الذين بهم أمراض وما يلحقهم في ذلك .

التعليم السادس عشر يذكر الأوجاع الرديّة الذاهبة بالعقل ، ويذكر الحمّيات وأسبابها في أيّامها .

التعليم السابع عشر يذكر تقدمةِ المعرفة في الأمراض الحادّة العشرة المزمنة ،ويذكر حمّيات الربع ، وما يلحق أصحابها من أجلها . والأيّام التي تكون فيها ، ويذكر أوجاعاً تكون في الصدغين والجبهة ، ووجع الآذان وما يلحق المرضى .

التعليم الثامن عشر يذكر أوجاع الحلق المخنّقة ، والحمرة في الرّقبَة والصدر ، والثقب ، وما يلحق المريض من علامات الهلاك في ذلك ، ويذكر أسباب الغرغرة[2] وخراجات تكون . . . . . .[3] ووجع مؤلم في المفاصل ، وذكر الخراجات الثابتة في الشباب ، وشيئاً من أسباب الحمّى .

التعليم التاسع عشر يذكر فيه الحمّى ووجع الفؤاد والأيام التي تطول

---

(١) أنظر الهامش ٤ في الصفحة السابقة .

(٢) الغرغرة : صوت يرافقه بحّ .

(٣) بياض في الأصل .

فيها الحمّى مع أوجاع تكون في الحمّى .

التعليم العشرون يخبر كيف ينبغي لمن أراد أن يحكم تقدمة المعرفة أن يعرف ما ينجلب من الأمراض التي لا تزال مؤلمة ، وكيف يعلم ، وخبر الأركان والعلامات ، وأجزاء السنة وأسباب البلدان ؛ فهذه تعليمات كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط .

فأمّا كتابه في الأهوية والأزمنة والمياه والأمصار ، فإنّه يخبر بما يعتري أهلها من الأمراض الخاصّة والعامّة ، والمؤتلفة[1] والمختلفة ، بحدود ثابتة ومعالم بيّنة : فالباب الأوّل يقول : إنّه ينبغي لمن أراد طلب الطبّ طلباً صادقاً أن يفحص أوّلاً عن أزمنة السنة ، وما يحدث فيها ، لأنّ بعضها لا يشبه بعضاً بل بعضها مخالف لبعض ، وقد تختلف أيضاً في انقلابها بذاتها .

الباب الثاني يقول : إن السنين اللاتي تحفظ أزمنتها على اعتدالها ومراجعها ، فإن الأمراض التي تحدث فيها تكون شبيهاً وعلى استوائها ، غير مخالفة ولا مشبّهة ، أمّا الأزمنة الكثيرة الانتقال ، فإن الأمراض تعرض غير مستوية ، ولا متواتية ، وانحلالها عسر شاقّ .

الباب الثالث يقول : إنّ الرياح الحارّة والباردة العامّة فيها تغيّر الأبدان .

الباب الرابع يقول : ينبغي للطبيب أن يفكّر في قوى المياه لأنّها متخالفة في المذاقة والوزن ، وكذلك تختلف في القوّة اختلافاً شديداً .

الباب الخامس يقول في المياه : كيف هي ؟ أراكدة أو ليّنة ، أو خاشنة سايلة أم . . . . . .[2] نواحي مشرفة صخريّة أم صالحة رطبة النضج .

---

(١) المؤتلفة : يريد المتشابهة .

(٢) بياض في الأصل .

الباب السادس يقول : إنّه ينبغي للطبيب أن يفكر في الأرضين إن كانت جَرْداء ، عديمة الماء ، أو شعراء[1] ، كثيرة الماء ، أو عامرة ، أو غامرة ، أو مشرفة باردة .

الباب السابع قال : ينبغي أن يذكر غذاء الناس في أيّ شيء لذّاتهم أفي كثرة الشرب والأكل وحبّ الدعة أم حبّ العمل والأكل ؟ وأن يفحص عن كلّ واحد من هذه الأشياء في كلّ بلد .

الباب الثامن قال : إنْ مضى شيء من الزمان والسنة ، فإن الطبيب سيخبر بكلّ مرض عامّ يعرض لكلّ واحد من أهلها من قِبَل تغيّر أغذيتهم .

الباب التاسع قال : إذا لم تكن الأمراض من فساد الهواء فإنّه لا ينزل بأهل المدينة عامّة ، ولكنّه يكون متفرّقاً ، فإذا فكّر الطبيب في هذا النوع وفي هذه الأشياء ، فعلم علماً شافياً كيف تكون الأزمنة ، كان حريّاً أن يكون علمه صواباً ، فإن علم النجوم ليس بجزء صغير من علم الطبّ .

وأمّا كتابه في الأهوية والبلدان ، فإنّه وصف البلدان ومياهها وخواصّها : فالقول الأوّل في المدن ، وهي أربع مدائن : فالأولى على سمت الاستواء ، والثانية على سمت الفرقدين[2] ، والثالثة بإزاء المشرق ، والرابعة بإزاء المغرب .

فالأولى قال : كلّ مدينة موضوعة بإزاء الرياح الحارّة هي التي وسط شرق الشمس الشتوي وغربه ، فإنّها تهبّ إليها هبوباً دائماً ، وتكون في كنّ[3] من إزاء الفرقدين ؛ ومياه هذه المدينة كثيرة حارّة تسخن في القيظ وتبرد في الشتاء ؛ ورؤوس سكّان هذه المدينة رطبة بلغميّة ، وبطونهم كثيرة الاختلاف دائمة ، ونساء هؤلاء الناس مرضى ، ذوات أسقام أبداً بكثرة

---

(1) أرض شعراء : كثيرة الشجر .

(2) الفرقدان : نجمان متقاربان في القطب الشمالي .

(3) الكنّ : الوقاء والستر .

طمثهنّ ، ولا يسقطن ، وليس ذلك من طبيعتهنّ ، ولكن من قبل أمراضهنّ ، فإن حبلن أسقطن أكثر ذلك وأمّا الصبيان فيصيبهم الكُزاز ، والرّبْو ، والسقم ، ورجالهم يعرض لهم البطن ، واختلاف الدم ، والسقم الذي يدعى ابيالوس ، وحمّى طويلة شتويّة وليليّة ، وبواسير في المقاعد ، وتعرض لهم الحمّى المتلهّبة ، والأمراض الحادّة ، والرمد الطويل ، فإذا أتت لهم خمسون سنة عرضت لهم النزلات من الدماغ ، فهيّج بهم الفالج العارض في جميع البلدان .

والمدينة التي ناحية الشمال قال : إن كلّ مدينة موضوعة بإزاء ناحية الرياح الباردة ممّا يلي ناحية المغرب والمشرق والقطبين ، فإنّ هذه الرياح رياحها البلاديّة ، وتكون مستورة من الرياح الحارّة ، ومياهها يابسة بطيئة النضج حُلْوَة أكثر ما تكون ، وسكّان هذه المدينة أكثرهم أشدّاء أقوياء ، سوقهم إلى الدقّة اضطراراً ، وبطونهم خاشنة[١] ، ورؤوسهم صلبة يابسة شديدة ، وينالهم الفتق ، وأسقامهم ذات الجنب[٢] ، والعلل الحادّة ، وكثرة القيح ، وعروقهم تنقطع ؛ ويأكلون كثيراً ، ولا يعرض الرمد[٣] سريعاً ، فإذا مرضوا تصدّعت أعينهم ، ويصيبهم إذا بلغوا ثلاثين سنة رُعاف[٤] كثير ، ولا تعرض لهم الأسقام الكاهنيّة ، فإن عرضت كانت شديدة وتطول أعمارهم ، وأخلاقهم وحشيّة غير ساكنة ولا هادنة ، ونساؤهم يكنّ عواقر لبرد الماء ويبسه ، وذلك أن الطمث ربّما لم يكن على ما ينبغي ، فإذا حبلن اشتدّ عليهن الولاد ، ولا يسقطن ، ويقلّ غذاء أولادهنّ لبرد الألبان ، ويعرض لهن الكُزاز ، ووجع الرئة ، ويعرض للصبيان الماء الأصفر في الأنثيين ، فإذا كبروا ذهب ، ويبطىء احتلامهم[٥] .

---

(١) خاشنة : ضامرة .
(٢) ذات الجنب : التهاب غلاف الرئة .
(٣) الرمد : مرض يصيب العين .
(٤) الرعاف : نزيف الأنف .
(٥) الاحتلام : بلوغ سن الرشد .

والمدينة الموضوعة سمت الرياح التي من المطلع القيظيّ والشتويّ قال ابقراط : كلّ مدينة موضوعة ناحية شرق الشمس تكون أصحّ من المدينة الموضوعة ناحية الفرقدين ومن الموضوعة ناحية الرياح الحارّة ، والحرارة والبرودة فيها أقلّ وأيسر ، وأمراض أهلها قليلة ؛ والمياه الكائنة سمت طلوع الشمس نيّرة مضيئة ، صافية ، طيّبة المشمّ ، ليّنة ، لأنّ الهواء لا يكون فيها غليظاً ، فالشمس تحول بينه وبين أن يغلظ ؛ وصورة سكّان هذه المدينة حسنة الألوان ، نيّرة ضَويّة ، وأصوات رجالهم صافية حديدة ، يغضبون سريعاً ، ونباتها وأعشابها أقوى وأصحّ ، وهي في ذاتها وهيئتها تشبه فصل الربيع في قلّة الحرّ والبرد ، وأسقامها قليلة ضعيفة ، ونساؤها يعلقن[١] كثيراً ، ويلدن بغير مشقّة .

والمدينة الرابعة سمت المغرب هي في كنّ من الرياح الشرقيّة ، وتهبّ إليها الرياح الحارّة والباردة من ناحية الفرقدين ، فتكون كثيرة الأمراض ، ومياهها غير نقيّة ، ولا صافية ، وإنّ علّتها الهواء الكائن عند الأسحار ، وذلك ان أسحار هذه المدينة تطول جدّاً ، والشمس لا تشرق فيها أوّل ما تشرق ، حتّى ترتفع وتعلو ، وتهبّ فيها رياح باردة في القيظ ، ويكون رجالها مصفارّين ، مرضَى تضيرهم الأمراض كلّها ، وأصواتهم بحّ ونهارهم رديّ في أيّام الخريف لكثرة تغيّره ؛ فهذا الباب الأوّل في المدن الأربع .

والقول الثاني في المياه ، وهي أربعة أصناف : أوّلها المياه الراكدة ، مثل البطائح التي لا تجري ؛ والثاني العيون النابعة ؛ والثالث المياه التي تكون من الأمطار ؛ والرابع المياه التي تكون من الثلوج .

قال أبقراط : المياه الظاهرة المستوية على وجه الأرض ، التي لا تجري ، والأمطار تمطر عليها ، وتقوم معها ولا تنزع ، والشمس دائمة

---

(١) يريد أن نساءهاسريعات الحبل حين يطأنَ .

الإشراق عليها ، والاحتراق بها ، فتكون رديّة لا لون لها ، تولد المِرّة[1] ، وتكون في الشتاء باردة جامدة ، كدرة بلغميّة ، تورث من يشرب منها البحوحة والطحال . . . . . .[2] وتكون بطونهم خاشنة ، وتهزل التراقي والوجوه وتنقحها ، ويكثر أهلها الطعم ، ويدفع ظمأهم وعطشهم ، ويلزمهم المرض في الشتاء والصيف ، ويعرض لهم الماء الأصفر ، ويعرض لهم في القيظ اختلاف الأغراس ، وحمّى رِبْع طويلة مزمنة .

وشباب هؤلاء القوم تعرض لهم أوجاع الرئة وأسقام تخثّر[3] عقولهم ؛ وأمّا الشيوخ ، فإنّه تعرض لهم حمّى اللهبيّة يدلّ على تحرّقهم يبس بطونهم ؛ وأمّا نساؤهم ، فيعرض لهنّ أنواع الورم من قبل بلغم أبيض ، فلا يحبلن إلّا بعد عسر ، ولا يلدن إلّا بمشقّة ، ويكون أولادهنّ عظاماً ، وكلّما عُزلوا هزلوا ودقّوا ؛ ويعرض للصبيان أُدْرَة ، وللرجال سقم وقروح في سوقهم ، ولا تكون الأعمار فيها طويلة ، ويدخل عليهم الكبر سريعاً في ضِمْن الأزمان ، وربّما أصاب النساء ما يتوهمن أنّه حبل ثمّ يبطل .

ومياه العيون النابعة من بعض الصخور رديّة لأنّها خاشنة ، والعيون النابعة من أرض حارة ، ومن أرض معادن الحديد والنحاس والفضّة والذهب والكبريت والشّبّ[4] والزّفْت والنطرون[5] ، فإنّ هذه كلّها إنّما تكون من شدّة الحرارة ، فلا تكون من هذه الأرضين مياه نافعة مصلحة بل تكون عامّتها خاشنة ، يعرض منها ومن شربها عسر البول ، وشدّة الاختلاف .

والمياه التي تنصبّ عن مواضع مشرفة ، ومن تلال ترابيّة ، أفضل

---

(١) المِرّة : خلط من أخلاط البدن وهو الصفراء أو السوداء .
(٢) بياض في الأصل .
(٣) تخثر : تجمد .
(٤) الشبّ : ملح معدني قابض لونه أبيض ومنه أزرق وهو أشبه بالزاج .
(٥) النطرون : البورق وهو أقوى من الملح ولكن ليس له قبض .

المياه وأصحّها ، وهي حلوة لا تحتاج لكثرة مزاج الشراب ؛ وتكون في الشتاء حارّة ، وفي الصيف باردة ، فهذه حالة المياه النابعة من العيون الغائرة .

وخير هذه المياه السائلة من أفق الشمس ، ولا سيّما الشرق الصيفي ، لأنها بيضاء برّاقة ، طيّبة الريح ، وكلّ ما كان من المياه مالحاً ، بطيء النضح ، خاشناً ، فإنّ الذين يشربون منه بلا حاجة إليه ليس بنافع لهم ، وإنّ بعض الطبائع والأسقام ربّما انتفعت به ؛ وكلّما كان طعم المياه إلى الملوحة ، فكلّها رديّة مفسدة ، وكلّ عين تكون سمت شرق الشمس ، فماؤها خير المياه .

ثمّ بعدها العيون التي بين أفق الشمس القيظيّ والغرب القيظي ، وأفضلها المائلة إلى الشرق ثمّ التي بين مغرب الشمس الشتويّ والقيظيّ ، وأرداها العيون التي في ناحية الجنوب ، فأمّا العيون التي تنزل أفق الشرق الشتويّ والغرب الشتويّ ، فما كان منها ناحية الجنوب ، فهي رديّة جدّاً ، وما كان منها ناحية الشمال ، فهو خير ، فمن كان خاشن البطن ، فإنّ المياه الخفيفة الصافية له نافعة ، ولمن كان بطنه ليّناً لدناً بلغميّاً ضارّة ، فإنّ المياه المالحة تُسْهِل البطن ، فقد أخطأ . . .[1] .

ومياه الأمطار خفيفة عذبة ، والشمس تخطف من الماء رقيقه وخفيفه ، وتصعد الماء من الأنهار والبحور والمواضع الرطبة ، ولذلك صارت مياه الأمطار تعفّن وتنشر رائحة رديّة لأنّها اجتمعت من رياح شتى ، فصارت أسرع عفناً وتغيّراً ، فإنّ الرطوبة التي تنشفها الشمس متفرّقة لا تزال معلّقة في الهواء ، فإذا اجتمعت كلّها ، والتفّت بالرياح المتضادّة اللاقية بعضها بعضاً ، انصبّت حينئذ ، ولا سيّما إذا كانت المقايسة كما ينبغي ؛ وأكثر ما يكون هذا إذا استحكم اجتماع السحاب ، واستقبلته ريح أُخرى ، فمزقته ، وإذا تزاحمت سحابة أُخرى على السحابة الأُولى ، وقطعتها ،

---

(١) سقط بعض الكلام .

انحدرت حينئذ الرطوبة من ثقلها ، وتمزقها الرياح ، فتكون الأمطار السابغة ؛ فهذه المياه أفضل المياه ، إلاّ أنّه ينبغي أن تكون رائحتها رديّة ، ويعرض لمن شرب منها البُحّة والسعال ، وثقل الصوت ، وإذا طبخت لم يغنِ عنها الطبخ شيئاً .

وأمّا المياه التي تكون من الثلوج والجليد ، فكلّها رديّة لأنّها ، إذا جمدت مرّة ، لم ترجع إلى طبيعتها الأولى لأن ما كان من الماء خفيفاً ، عذباً ، صافياً ، نقيّاً ، أفلت من الجمود ، وطار ؛ وما كان من الماء كدراً بقي على حاله ، ويعرف ذلك بأنّه لو صيّر في إناء في أيّام الشتاء ، وكيل بكيل معلوم ، ووضع تحت السماء جمد ، فإن وضع في الشمس حتى ينحلّ ثمّ كيل ذلك الماء ، وجد وقد نقص نقصاناً بيّناً ، فذلك العلامة أنّ لطيف الماء يتنفّس ، ولا يقع عليه الجمود ، ولا يتنفّس ، ولا يبرح ....[1] ؛ وماء الثلوج أردأ المياه ، وإذا شرب الناس المياه المختلفة عرض لهم الأسر والحصاة في المثانة ، ووجع الخاصرة ، ووجع الوركين ، وفي الأنثيين أُدرة ، ولا سيّما إذا شربوا من مياه أنهار تنصبّ من أنهار واسعة ، أو من بحيرة ينصبّ فيها من سيول شتى مختلفة ، لأنّ منها العذب ، والمالح ، والشّبّيّ ؛ ومنها ماء السيل من مواضع حارّة ، فإذا شربت عرضت الأسقام ، واللبن الرديّ يولد الحجارة في مثانات المرضعين ، والنساء لا تصيبهنّ الحصاة لأنّ مبالهنّ واسع .

والقول الثالث في الأزمنة ، إذا كانت سقيمة ، أو سليمة قال ابقراط : إنّه إن كان طلوع الكواكب وغيرها على ما ينبغي ، وكانت مياه كثيرة في الخريف ، وفي الشتاء يسيرة ، ولا يكون الصحو كثيراً ، ولا البرد فوق المقدار ، فكانت مياهها متعدّلة في الربيع وفي القيظ ، كانت سليمة صحيحة ، ويصحّ الهواء .

وإذا كان الشتاء يابساً شماليّاً ، والربيع كثير الأمطار جنوبيّاً ، عرض

---

(١) بياض في الأصل .

للنـاس في الصيف الحمّى والرمـد ، واختـلاف الآغـراس لكـلّ ذي طبيعـة رطبــة ؛ وإذا كـان في وقت طلوع الكــوكب الـذي يــدعى الكلب ، وهـو الشعرى ، مطر كثير ، وشتاء ، وهبّت الرياح على أنوائها ، كفّت الأسقـام ، ورجي أن يكـون الخـريف صحيحـاً ، فـإن لم يكن ذلـك كـان المـوت في الصبيـان وفي النساء ، وقـلّ في المشيخـة ، فمن نجـا عـرضت لـه الحمّى الربع ، وربّما آل إلى جمع الماء الأصفر .

وإذا كان الشتاء جنـوبيّاً كثيـر الأمطار ، والـربيع يـابساً شمـاليّاً ، فـإنّ النساء الحوامل يسقطن في فصل الربيع فإن ولدن كان أولادهنّ مسقـومين ، إمّا يموتون من ساعتهم ، وإمّا يعيشون مهازيل ؛ وأمّـا سائـر الناس ، فمنهم من يعـرض له الاختـلاف ورمد يـابس ؛ ومنهم من يعرض لـه النّـزلات من رأسه إلى رئته ؛ فأمّا المبلغمـون والنساء فيعـرض لهم اختلاف الأغـراس ؛ وأمّـا أصحاب المـرّة الصفراء . . . . . . [1] فتعـرض لهم النوازل لسخـافة[2] جلودهم ، وذبـولـة عصبهم ، وربّمـا مـاتــوا فجـأة ؛ وربّمــا يبس جـانبهم الأيمن .

وما كان من الأمصار يقابل شرق الشمس ، وريـاحه سليمـة ، ومياهـه غائرة ، فقلّ ما يضيره تغيّـر الهواء ، وكلّ مدينة يشرب أهلها مـاءً ساخنـاً ، بطاحيّاً[3] ، وليست موضوعة سمت الشرق ، وليست ريـاحها سليمـة ، ضيّر[4] بأهلها تغيّر الهواء ؛ وإن كان الصيف يابسـاً عامّـاً ذهبت الأمراض سـريعاً ؛ وإن كان كثير الأمطار طالت الأمـراض ؛ وإن عرض لأحـد من الناس قـرحة في هذه الأسقام ، أو البطن ، أو الماء الأصفر ، هلك .

وإذا كان الصيف كثير الأمطار ، وكان جنوبيّاً ، والخـريف ، كمثل مـا

---

(١) بياض في الأصل .
(٢) سخافة جلودهم : رقتها .
(٣) بطاحياً : منبسطاً .
(٤) ضيّر : أضرّ .

كان الشتاء ، يابساً سقيماً ، فتعرض للمبلغمين والشيوخ أبناء أربعين سنة حمّى تسمّى القَوْسُوس ؛ وأمّا أصحاب المرّة الصفراء ، فيعرض لهم ذات الجنب ، ووجع الرئة .

وإذا كان الصيف يابساً جنوبيّاً ، وكان الخريف كثير الأمطار شماليّاً ، عرض للناس وجع الرأس ، وسعال ، وبُحوحة ، وزُكام ، وعرض لبعضهم السّلّ .

وإذا كان الصيف يابساً شماليّاً ولم يمطر عند طلوع الشعرى نفع أصحاب البلغم والرطوبات ، وأضرّ بأصحاب المرّة الصفراء ، وربّما نقلهم إلى المرّة السوداء؛ والتغيّر الكثير يكون في تصرّف الشمس ، والتصرف الصيفيّ أكثر تغيّراً من الشتويّ ، والخريفي أكثر تغيّراً من الربيعي ، وكل بلد يكثر تغيّر زمانه لا يكون مستوياً ، ويكون فيه جبال طوال ، سامية شامخة ؛ وكلّ بلد يقلّ تغيّر زمانه فهو مستوٍ .

ثمّ يذكر ابقراط اختلاف صُوَر الناس في أحوالهم واعتدال خلقهم ، والسبب الذي أشبه بعضهم بعضاً ، وأنّ ذلك باتّفاق الزمان والمطالع ، ويذكر حال الرجال والنساء في كثرة الأولاد وقلّتهم ، وما يوجب النسل ويقطعه ؛ ويقولون : إنّ سكّان البلاد الشاهقة ، المستوية ، الكثيرة المياه ، تكون صورهم حسنة وأجسامهم جسيمة ، وتكون غرائزهم إلى اللين والتؤدة ، وليسوا بأهل بأس وشجاعة ؛ ومن سكن أرضاً رقيقة قليلة المياه ، جرداء ، وكان مزاج هوائها غير معتدل ، كانت صورهم خاشنة ، وألوانهم إلى الصفرة ، أو إلى السواد ، وأخلاقهم رديّة ، وغضبهم شديد ، وطباعهم مخالفة بعضها بعضاً ، لأنّ باختلاف الأزمان يكون اختلاف الطبائع ؛ ثمّ بعد الأزمان والبلاد الغذاء بالمياه لأنّ غذاء الإنسان ، من بعد البلاد ، بالمياه .

ثمّ يتكلّم ابقراط بعد ذلك في الرياح وهبوبها ، والتي تهبّ من موضع إلى موضع ، وقسمها أربعة أقسام ، ويقول : إنّ الريح من تخلّل

الهواء ، وإنّما نشوؤها من اصطكاك[1] أجرام الهواء . فهذه أغراض كتاب ابقراط في الأهوية والأزمنة ، الذي فسّره جالينوس[2] ، وشرح ما ذهب إليه ابقراط في فصل فصل ومعنى معنى .

فهذه كتب ابقراط التي عليها يعتمد وإليها يرجع ، وهذه أغراضها ، وقد فسّرها جالينوس وشرح كلّ ما فصّله له ، وذهب إليه ، وأبان عن قوله ، وترجم معانيه وأوضحها .

فأمّا كتاب ماء الشعير ، فإنّه يذكر فيه الأمراض الحادّة التي تسمّى : وجع الجنب والرئة ، والبِرْسام[3] ، والحمّى المحرقة ؛ وأخبر كيف يشرب ماء الشعير ، والأيام التي يكون شربه فيها ، وكيف يدبر ، ومتى الأوقات التي ينبغي أن يشرب فيها ، والأوقات التي يُمنع منها ، وما يكون الطعام عليه ، وذكر صنوفاً من العلل الحادّة والأمراض المحرقة ، وقال في كلّ صنف منها .

وأمّا كتابه الذي يسمّيه كتاب الأركان فإنّ معنى الأركان ، أي الطبائع الأربع : الحرارة والرطوبة ، والبرودة واليبوسة ؛ وأركان البدن وهي العصب والعروق ، والعظام ، والجلد ، والدم ، فهذه أركان بها قوام العالم .

قال ابقراط: إنّ الأجسام لو كانت شيئاً واحداً لم تصل الأوجاع إليها أبداً ، ولكنّها من أشياء مختلفة وطبائع متباعدة ، مضرّ بعضها ببعض ؛ وطبيعة الإنسان وسائر الحيوان ، إذا صارت على هذه الصفة ، فمن الضرورة ألّا يكون الإنسان شيئاً واحداً بعينه ، وكذلك سائر الطبائع ، إنّما قوامها بالرطوبة واليبس ، والحرّ والبرد ، ويتكلم في هذا بكلام واضح .

وكان لابقراط تلاميذ ترجموا كتبه ، وبعضهم عمل كتباً ونسبها إليه

---

(١) اصطكاك : تصادم .

(٢) جالينوس : طبيب يوناني ، له اكتشافات خطيرة في عالم التشريح . ائتم به أئمة أطباء العرب .

(٣) البرسام : التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب .

إقرارًا له بالعلم والفضل ، فمنهم دياسقوريدس[1] صاحب كتاب الأشجار والعقاقير ، فإنّه وضع كتاباً في منافع الأشجار ، وصوّر كلّ شجرة بصورتها ، وذكر ما تنفع له تلك الشجرة ؛ ومنهم ارسجانس صاحب الكنّاش الذي فيه صفة البدن . .

فكان أحكم حكيم بعده ، وأهمّ عالم بالطبّ ، وأفهمه ، لما فسّر من كتاب ابقراط ، هو جالينوس ، على تباعد ما بينهما من السنين[2] ، فإنّ بينهما زماناً طويلاً ، غير أنّه كالذي تلا ابقراط في الحكمة ، ولحق به في العلم ، وفسّر كتبه ، وعمل كتباً كثيرة من كتب الطبّ التي عليها المعوَّل ، وإليها يرجع ، وكان رجلاً فيلسوفاً ، منطقيّاً ، حكيماً .

فأوّل كتب جالينوس : كتاب في فِرَق الطبّ المخالفة بعضها بعضاً في الجنس ، وهي فرقة الرأي والفكر والقياس ، والفرقة الثانية فرقة التجارب ، والثالثة فرقة الحِيَل .

وكتاب في الطعام .

وكتاب في نبض العروق .

وكتاب في تشريح العصب .

وكتاب في تشريح العروق والأوراد .

ومقالتان في علل النفس .

وأربع مقالات في الصوت .

وكتاب في منافع الأعضاء سبع عشرة مقالة ,

وكتاب في تشريح الرحم .

وكتاب في علامات العين .

وكتاب في طبّ أصحاب التجارب .

---

(١) دياسقوريدس : طبيب يوناني ونباتي ، مشهور في كتب العرب له مؤلفات طبية مفيدة جداً للاطلاع على معارف الأقدمين في علم النبات .

[الموسوعة العلمية]

(٢) ابقراط (٤٦٠ ق. م - ؟) وجالينوس(١٣١ م -٢٠١ م) أي حوالى ٥٩١ سنة .

وثلاث مقالات في حركة الرئة والصدر .

وكتاب التشريح الكبير في خمس عشرة مقالة : فالمقالة الأُولى في العضل والرطوبات التي في اليدين .

والثانية في العضل الذي في الرجلين .

والثالثة في العَصَب والعروق والأوراد التي في اليدين والرجلين .

والرابعة في العضل الذي يحرّك الخدّين والشفتين ، والعضل الذي يحرّك اللَّحي[1] الأسفل إلى ناحية الرأس ، وإلى ناحية الرقبة ، وإلى ناحية الكتفين .

والمقالة الخامسة في عضل الصدر ، والعضل الذي على المتنين ، وعضل عظم الصلب .

والمقالة السادسة في آلات الغذاء ، وهي الأمعاء ، والبطن ، والكبد ، والطّحال ، والكلى ، والمثانة ، والمرارة ، وما أشبه ذلك .

والمقالة السابعة في تشريح الفؤاد[2] .

المقالة الثامنة في أجزاء الصدر .

المقالة التاسعة في تشريح الفؤاد .

المقالة العاشرة في تشريح العينين واللسان والمَرِيء وما يتّصل به .

المقالة الحادية عشرة في الحنجرة والعظم الذي يتصل بها ، والعصب الذي تحتها .

المقالة الثانية عشرة في تشريح آلات التوليد يعني آلات المنيّ[3] ، والرحم ، والمذاكير .

---

(١) اللحي : عظم الحنك الذي عليه الأسنان .

(٢) يريد القلب .

(٣) المني : السائل الذي يفرزه الرجل عند بلوغه النشوة .

المقالة الثالثة عشرة في تشريح العروق النابضة ، وهي الشريانان والعروق التي لا تنبض .

المقالة الرابعة عشرة في العصب المنبت من الدماغ .

المقالة الخامسة عشرة في العصب المنبت في الصلب .

وله كتاب التشريح غير هذا في عدّة مقالات قد ذُكر فيها الجلد ، والشعر ، والأظفار ، واللحم ، والشحم ، ولحم الوجه ، والأغْشيَة التي تغشي بعض الأعضاء مثل غشاء القلب ، والمعدة ، والكلى ، والكبد ، والصفاقات[1] ، والعضلة الفاصلة بين الصدر والبطن ، والمجاري ، والعروق النابضة ، وفصد[2] العروق ، ومن أين تبتدىء العروق ، ومجاري البول فيما بين الكليتين ، والمثانة إلى الذكر ، ومجراه من المثانة إلى السّرّة في الطفل ، وأوعية المرّة الصفراء والمسامّ ، والمَنخِرَين والمجاري الخارجة من الأذنين ، وقَصَبة الرّئة ، وما ينبت فيها وينبت في الرّئة والأوعية التي في الثديين ، التي فيها اللبن ، وباقي الأشياء المفرعة التي في البدن ، التي تحويها الأوعية من أي شيء من الرطوبات ، والأشياء المفرعة في أي شيء من الأوعية ، وما في الرأس من الشؤون والالتحام ، وغير ذلك ، والشؤون التي في الوجه واللَّحي الأسفل ، وما فيه من النقب والالتحام ، والأسنان ، والعظم الذي على رأس قصبة الرئة ، وما يتصل به من جنبتي الموضع ، والعظم العريض الذي في البطن ، والورك ، والأضلاع ، والكتفين ، والمنكبين ، وعظم التَّرْقُوَتَين ، والعَضُد ، وعظم الساق ، وعظام الكفّ والأصابع ، وعظم الفخذ ، والقَصَر[3] ، والذي على الركبة ، وعظم الساق ، وعظام القدم ، واشتراك قحف الرأس بالأغشية التي على الدماغ ، والعصب الذي ينبت في الوجه كلّه ، والعضل الذي في الصدغين ،

---

(١) الصفاقات : الجلد الأسفل الذي يمسك البطن وهو إذا انشقّ كان منه الفتق .

(٢) فصد : شقّ ، وتفصّد الدم هو سيلانه وجريانه .

(٣) القصر : عظم العنق .

والعضل الذي بـه يكون المضـغ ، والعضل الـذي يحرّك الخـدّين والشفتين واللّسان ، وما يحـرّكه من العضـل ، والعضل الـذي يحرّك العينين ، ويذكر الفم والشفتين ، واللسـان ، واللثة ، واللهـاة ، وطبق الحلقوم ، والنغـانغ ، والأنف ، والمنخرين ، والأذنين ، والرّقبـة ، والعضل الـذي فيها ، والعضلة التي على الأصابع ، والعضلة التي تحت الترقوة ، وطبيعـة الرقبـة ، وعضل الحجاب والساعد ، ويقول في التشريح قولاً هذا غرضه فيه .

ومقالتان في علل النفس .

وكتاب القُوَى الطبيعية في الأفعال النفسانيّة .

ومقالة في البول من الدم .

ومقالة في الأدوية المسهّلة .

وكتب يسمّيـه آراء أبقراط وأفـلاطـون في قـوى النفس النـاطقـة وهي التخيّـل ، والفكر ، والحفظ ، ويقـول: إن الدّمـاغ مبتدأ العصب ، والقلب مبتدأ العروق النابضة ، والكبـد مبتدأ العـروق التي لا تنبض ، والقوى التي يقوم بها البدن في عشر مقالات ، ومنافع الأعضاء فـي سبع عشرة مقالة .

كتاب العناصر يخبر فيه أن الحارّ والبارد ، والرطب واليابس ، عناصـر عـاميّة لجميـع الأجسام التي تقبـل الكون ، والفسـاد ، والعناصـر : الأرض والنار والهواء والماء ، وعناصر بدن الإنسان : دم وبلغم ، والمرّتان الصفراء والسوداء ، والعنصر هو أقصى جزء في الشيء الذي هو له عنصر .

وكتـاب الأمـزجـة ، وهـو ثـلاث مقـالات في تصنيف أمـزجـة أبـدان النـاس ، وتركيب البـدن الفاضـل ، وخصب البدن ، والمـزاج الرديّ الـذي ليس يستوي ، وقوى الأدوية المركّبة والأدوية التي يسهل وجودها .

وكتاب حفظ الأصحّاء .

وكتاب في الأطعمة .

وكتاب في الكيموس[1] الجيّد والرديّ .
وكتاب في التدبير الملطّف .
ومقالة في تصنيف الأمراض .
ومقالة في علل الأمراض .
ومقالة في تصنيف الأمراض .
ومقالة في الغلظ الخارج من الطبيعة .
ومقالة في الامتلاء .
ومقالتان في تصنيف الحمّيات والأمراض الباطنة .
وكتاب في أزمان الأمراض .
وكتاب في عسر النفس .
وكتاب في البحرانات .

وكتاب في نبض العروق ومعرفة كلّ واحد من أجناس النبض . والأسباب الفاعلة لأصناف النبض . وتقدمة معرفة في ستّ عشرة مقالة .

وكتاب حيلة البرء ، وهو كتاب بيّن فيه طريق شفاء جميع الأمراض ، وأتبع ذلك في هذا الفنّ .

ومقالة في العلل الواصلة ، وهي العلل القريبة التي تصل ما بين العلّة البعيدة والمريض .

ومقالة في البول من الدم في البدن .

وكتاب في فرقة أصحاب الحيل .

ومقالة في السلّ .

ومقالة في علاج صبيّ يرضع .

ومقالة في تدبير أبقراط للأمراض الحادة .

---

(١) الكيموس : الحالة التي يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه .

ومقالة في فصد العروق ؛ وفسّر كتب أبقراط ، في فصل فصل ، وقول قول ، وبيّن الحال فيه .

والذي تلا أبقراط من رؤساء الحكماء سقراط[1] ، رأس الحكماء ، وأوّل مَن لفظ بحكمته ما حفظ عنه وسمع منه .

وحكي أن طيماوس قالْ له : أيّها المعلّم ! لِمَ لا تدوّن لنا حكمتك في المصاحف ؟ قال له : يا طيماوس ، ما أوثقك بجلود البهائم الميّتة ، وأشدّ تهمتك للجواهر الحيّة الخالدة ، وكيف وجود العلم من معدن الجهل ، والسبب منه من عنصر العقل ؟ فقال له ايعطبطش تلميذه : لو أمليت عليّ كتاباً يخلّد عنك ؟ فقال: الحكمة لا تحتاج إلى جلود الضأن .

وقال بعض تلامذته : لو زوّدتنا كتاباً من حكمتك تسبر به عقولنا ؟ قال له سقراط : لا ترغبنّ في تدوين حكمة في جلود الشاء ، حتى يكون ذلك أبلغ عندك من علمك ولسانك .

فلمّا حضرته الوفاة سأله تلاميذه أن يزوّدهم حكمة يرجعون إليها ، فتكلّم في أخلاق النفس ، ثمّ تكلّم في الفلك ، وقال: إنّه كريّ ، وكان قد سقي سمّاً فمات .

وبعده فيثاغورس[2] ، وهو أول من نطق في الأعداد والحساب

---

(١) سقراط (٤٦٨ ـ ٣٩٩ ق . م) : فيلسوف يوناني علّم في آثينا ، كان يلقي دروسه في الأزقة وبين الجماعات بأسلوب عامي ينتابه السؤال والجواب فكان لها أعمق تأثير . قاوم تعاليم السفسطة ، فتحالف عليه أعداؤه وجرّوه أمام الحكام وضغطوا عليهم ، فحُكم عليه بشرب السم في السجن . ومن الأقوال التي نسبها إليه العرب : «إذا أقبلت الحكمة ، خدمت الشهوات العقولَ ، وإذا أدبرت خدمت العقولُ الشهوات» .
[المنجد : معجم أعلام الشرق والغرب]

(٢) فيثاغورس (. . . ـ ٦٠٠ ق . م) : أحد حكماء اليونان . تفرّغ من صغره إلى درس الحكمة ، فجال بطلبها في مصر والشام وبابل . إليه يُعزى تقويم الحساب المعروف بجدول فيثاغورس في الضرب . قال بتناسخ الأرواح . توفي في جزيرة ساموس .
[أنظر معجم أعلام الشرق والغرب]

والهندسة ، ووضع الألحان ، وعمل العود ، وكان في زمن ملك يُقال له اغسطس ، فهرب منه ، فتبعه ، وركب فيثاغورس البحر حتى صار إلى هيكل في جزيرة ، فأحرقه الملك عليه بالنار .

وكان لفيثاغورس تلميذ يُقال له ارشميدس[1] ، فعمل المرايا المحرقة ، فأحرقت مراكب العدو في البحر .

ومنهم بلينوس النجار الذي يُقال له اليتيم ، وهو صاحب الطلسمات ، الذي جعل لكلّ شيء طلسماً .

ومنهم اوجانس صاحب الهندسة والقسمة ، وأنواعِ الفلسفة ، وكان يُقال له ديوجانس الكلب ، وقيل له : لأيّ شيء سُمّيتَ الكلب ؟ قال : لأنّي أهرّ على الأشرار ، وأبصبص للأخيار ، وآوي الأسواق .

ومنهم افليمون صاحب مخانيقا ، وهي الحركات التي تكون بالماء مثل الصورة تعمل ، فيحرّكها الماء من غير أن يحرَّك شيء منها ، ويُخْرجها من موضع ، ويحطّها في موضع ، والآلات التي تحرّك بالماء من غير أن تحرّك ، فتخرج فيبتلعها ، وتخرج أيضاً ، وترتحل محقَّقة ، وله أشكال في ذلك تعمل فتصحّ .

ومنهم افليمون صاحب الفراسة[2] ، وكتاب بيّن فيه ما تدلّ عليه الفراسة في الخلقة والأصوات ، والشمائل ، وبَرْهَن ذلك .

ومنهم ديمقراطيس ، وهو الذي يزعم أن العالم مركّب من هباء ، وله كتاب في طبائع الحيوان ، وما يوافق منها طبائع الإنسان .

---

(١) ارشميدس (٢٨٧ - ٢١٢ ق . م) : له نسبة قطر الدائرة إلى محيطها (وهي نسبة ٧ إلى ٢٢) والقانون المعروف باسمه وهو «إنّ كل جسم اذا انغمس في سائل يتلقى دفعة عمودية من أسفل إلى أعلى توازي ثقل ما شغل مكانه من السائل» . توفي في صقلية .

(٢) الفراسة : هي علم معرفة الباطن من نظر الظاهر .

ومنهم أفلاطون[1] ، وكان تلميذاً لسقراط ، وهو الذي تكلّم في النفس وصفاتها مثل ما تكلّم به أبقراط في الجسد وصفاته فقال: إن للنفس ثلاث قوى : إحداها في الدماغ ، وبه يكون الفكر والرويّة ، والثاني في القلب ، وبه يكون الغضب والشجاعة ، والثالث في الكبد ، وبه تكون الشهوة والمحبّة ، ثمّ اطّرد الكلام في الرّوح النفسانيّة حتى وصف الأعضاء كلّها ، ثم ذكر ما يصلح النفس وما يفسدها ، فقال: إن كلّ عيب مضادّ خلاص النفس ، فلا ينبغي أن نعدّ الحياة صالحة فقط ، ولكن موتاً صالحاً ، وينبغي أن نعدّ الحياة والموت صالحين .

ومنهم اقليدس[2] صاحب كتاب اقليدس في الحساب ، وتفسير اقليدس : المفتاح ، على ما قال بطليموس ، إنّه تقدمة لمعرفة الحساب ، ومفتاح علم كتاب المجسطي في النجوم ، ومعرفة الأوتار التي تقع على قسيّ قِطَع الدوائر التي هي أفلاك الكواكب ، التي يسمّيها المنجمون الكُردجات ، لتعديل مسير الكواكب في الطول والعرض ، وسرعتها ، وإبطائها ، واستقامتها ، ورجوعها ، وتشريقها ، وتغريبها ، ومساقط شعاعها ، وعلم ساعات الليل والنهار ، ومطالع البروج ، واختلاف ذلك في أقاليم الأرض ، وحساب القِران والاستقبال ، وكسوف الشمس والقمر ، واختلاف النظر من آفاق الأرض في جميع نواحي السماء .

وكتاب اقليدس ثلاث عشرة مقالة ، ولها من الأشكال في هذه الثلاث عشرة مقالة أربعمائة واثنان وخمسون شكلاً بالبرهان والشرح الذي ، إذا فهمه من يطلب علم الحساب ، سهل عليه كلّ باب من الحساب ، وانفتح

---

(1) أفلاطون (٤٣٠ ـ ٣٤٧ ق . م) : تلميذ سقراط ومعلّم ارسطاطاليس . أساس فلسفته «الصور» قال إنّ الحقيقة التي يطلبها العالم ليست في الظواهر المنفردة والزائلة ، ولكن في الفكر السابق لوجود الكائن . وقال أيضاً إنّ غاية الفكر الخير . من مؤلفاته : الجمهورية .

[أعلام الشرق والغرب]

(2) اقليدس (٣٠٦ ـ ٢٨٣ ق . م) : علّم الهندسة السطحية . له كتاب الأصول

لـه . فيبتدىء بـذكر الأسبـاب التي منها يـزلف[1] العلم ، وبمعرفتهـا يحـاط بـالمعلوم ، وهي : الخبـر ، والمثـال ، والخلف ، والتـرتيب ، والفصــل ، والبـرهان ، والتمام ؛ فأمّـا الخبـر ، فهـو خبـر المقـدّم على الجملة ، قبـل التفسير ؛ وأمّا المثال، فهو صورة الأشكال المخبر عنها ، المـدلول بصفتهـا على معنى الخبر ، وأمّاالخلف ، فهو خلاف المثال ، وصرف الخبـر إلى ما لا يمكن ، وأمّا الترتيب ، فهو تأليف العمل المتفق على مراتبـه في العلم ، وأمّا الفصل ، فهو الفصل بين الخبر الممكن وغير الممكن ، وأمّا البرهان ، فهو الحجّة على تحقيق الخبر ، وأمّا التمام ، فهو تمام العلم بالمعلوم .

والمقالة الأولى في النقطة التي لا جزء لها ، والخط الذي هو طول بلا عرض ، وهو سبعة وأربعون شكلاً .

المقالة الثانية في كلّ سطح متوازي الأضلاع ، قـائم الزوايـا ، يحيط به الخطّان المحيطان بالزاوية القائمة ، وهي أربعة وأربعون شكلاً .

المقالة الثالثة في الدوائر المتساوية التي أقطارها متساوية ، والخطوط التي تخرج من مراكزها إلى الخطوط المحيطة بهـا ، والخطّ المماسّ الدائرة الذي يجوزها ، ولا يقطعها ، وهي خمسة وثلاثون شكلاً .

المقالة الرابعة إذا كان شكل في شكل ، وكانت زوايا الشكل الداخل تماسّ أضلاع الشكل الخارج وهي ستّة عشر شكلاً .

المقالة الخامسة في الجزء الذي هو مقدار الأكبر من المقدار الأصغـر من الأعظم ، إذا كان يعدّه ، وهي خمسة وعشرون شكلاً .

المقـالة السـادسة في السـطوح المتساويـة التي زوايا كـل سطح منهـا مساوية لزوايا السطح الآخر، والأضلاع التي تكون تحيط بالزوايـا المتساويـة

---

(١) يزلف : يتقدّم .

متناسبة ، والسطوحِ المتكافية الأضلاع التي تكون أضلاعها متناسبة ، وهي اثنان وثلاثون شكلاً .

المقالة السابعة في الواحد والعدد الزوج الذي ينقسم بقسمين متساويين .

والعدد الفرد الذي لا ينقسم بقسمين متساويين ، ويزيد على الزوج بواحد .

والعدد الذي يسمى زوج الزوج ، وهو الذي كلّ زوج يعده بعدة مرّات عددها زوج .

والعدد الذي يسمّى زوج الفرد ، وهو الذي كلّ زوج يعدّه بعدّة مرات عددها فرد .

والعدد الذي يسمّى فرد الفرد ، وهو الذي كلّ فرد يعدّه بعدّة مرّات عددها فرد .

والعدد الذي يسمّى أوّل هو الذي يعدّه الواحد فقط .

والأعداد التي كلّ واحد منها أوّل عند الآخر ، هي التي ليس بها عدد مشترك يعدّها جميعاً إلاّ الواحد فقط .

والعدد المركّب هو الذي يعدّه عدد آخر .

والأعداد التي كلّ واحد منها مركّب عند الآخر هي التي يعدها عدد آخر مشترك لها .

والعدد المضروب في عدد آخر هو الذي يضاعف بعدّة ما في المضروب فيه من الآحاد ، ويكون ما اجتمع عدداً آخر .

والعدد المربّع هو المجتمع من ضرب عدد في نفسه ، ويحيط به عددان متساويان .

والعدد المكعّب هو المجتمع من ضرب عدد في نفسه ، ثم في نفسه ، ويحيط به ثلاثة أعداد متساوية .

والعدد المسطّح هو الذي يحيط به عددان .

والعدد المصمت هو الذي يحيط به ثلاثة أعداد .

والعدد التامّ هو المساوي لجميع أجزائه .

والأعداد المتناسبة هي التي يكون في الأول منها من أضعاف الثاني مثلُ ما في الثالث من أضعاف الرابع .

والأعداد المسطّحة والمصمتة المتشابهة هي التي أضلاعها متناسبة ، وهذه المقالة تسعة وثلاثون شكلاً .

المقالة الثامنة في الأعداد التي تلي بعضها بعضاً والطرفين اللذين كلّ واحد منهما أول عند الآخر ، وهي خمسة وعشرون شكلاً .

المقالة التاسعة في ضرب الأعداد المسطّحة المتشابهة ، وما يكون من ضرب العدد في العدد المربّع .

والأعداد التي يعدّ بعضها بعضاً .

والعدد المكعّب في العدد المكعّب ، وما يكون من ضرب المكعّب في عدد غير مكعّب ، وما يكون من الأعداد المؤلّفة على نسب يتلو بعضها بعضاً من المربّع ، وكيف يكون المكعّب وما يكون في الأعداد المتناسبات من المُصْمَت والمكعّب والمسطّح .

والأعداد التي بعدّ بعضها بعضاً وكيف تنتقض الأزواج من الأزواج ، والأفراد من الأفراد ، والأزواج من الأفراد ، والأفراد من الأزواج ، وهي ثمانية وثلاثون شكلاً .

المقالة العاشرة في الخطوط التي يكون لها مقدار واحد مشترك يقدرها جميعاً ، يقال لها المتقادرات ، والخطوط المتباينات التي ليس لها مقدار واحد مشترك يقدرها جميعاً ، والخطوط المتقادرات التي يكون لمربّعاتها سطح واحد يكون مقداراً لها يقدرها ، وهي مائة وأربعة أشكال .

المقالة الحادية عشرة في المصمت الذي له طول وسمك وسطح ، وهي أحد وأربعون شكلاً .

المقالة الثانية عشرة في السطح الكثير الزوايا المتشابهة التي قدرُ بعضِها عندَ بعضٍ في الدوائر ، كعدد المربّعات التي تكون من أقطار الدوائر ، وهي خمسة عشر شكلاً .

المقالة الثالثة عشرة وهي آخر مقالات إقليدس في خطّ يقسم على ذات وسط وطرفين ، وهي واحد وعشرون شكلاً .

ولاقليدس هذا كتاب في المناظر ، واختلافها من مخارج العيون والشعاع ، يقول فيه : إن الشعاع يخرج من العين على خطوط مستقيمة ، وتحدث بعد سموت[1] لا نهاية لكثرتها ، فإن الأشياء التي يقع عليها الشعاع تُبْصَر ، والتي لا يقع عليها الشعاع لا تُبصر ، ويمثّل في ذلك أشكالاً مختلفة يبيّن بها مخرج النظر ، وكيف تختلف عدّة الأشكال التي يبيّن بها ذلك وهي أربعة وستّون شكلاً .

ومنهم نيقوماخس الحكيم الفيثاغوريّ ، وهو الذي يسمّى القاهر عند المفاضلة ، وهو أبو ارسطاطاليس[2] ، وله كتاب الارثماطيقي الذي قصد فيه لإبانة الأعداد ، وذكر ما تقدّمت به الفلاسفة . فقال نيقوماخس : إنّ القدماء الأوّلين الذين أظهروا العلم ونفذوا فيه ، وكان أولهم فيثاغورس[3] ، حدّوا بأن قالوا : إنّ الفلسفة معناها الحكمة ، وإن اسمها مشتقّ منها ، فقالوا : الحكمة حقيقة العلم بالأشياء الدائمة ، وافتنّ في صدر الكتاب في ذكر الحكمة وفضلها ، وما قالته الحكماء في فضيلة العلم ، ثم افتتح كتابه فقال :

إنّ جميع ما في الدنيا من الأشياء المحكم في الطبيعة تقديرها ، إنما هو بالعدد ، وقد يحقّق القياس قولنا : إنّ العدد بمنزلة المثال الذي يحتذى عليه ، وهو كلّه بكماله معقول ، وهذه الأشياء التي تلحقها كلمة الكمّيّة ،

(١) سموت : طرق ، واحدها سمت .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) تقدمت ترجمته .

وهي أشياء مختلفة ، فمن الاضطرار أن يكون هذا العدد اللازم بهذه الأشياء مؤلَّفاً مقدَّراً على حِدَته لا من أجل غيره، فإنّ كلّ مؤلّف إنّما هو من أشياء مختلفة لا محالة، ومن أشياء موجودة، فإنّ التي ليست بموجودة لا يقدر على تأليفها ، وما كان منها موجوداً ، إلاّ أنها غير متشاكلة ، يمكن تأليفها ، والأشياء المؤتلفة[1] إنّما تألّفت من أشياء موجودة مختلفة متشاكلة، لأنه إن لم يكن مختلفاً، فهو واحد لا يحتاج إلى ائتلاف، فإن لم يكن متشاكلاً فليس بمتجانس ، وإن ليس متجانساً ،فإنّما هو متضادّ لا يقع به ائتلاف .

والعدد هو من هذه الأشياء ، فإنّ فيه نوعين مختلفين ، متشاكلين ، متجانسين . وهو الزوج والفرد فإنّ ائتلافهما على حسب اختلافهما يُعَدّ تألّفاً مشتبكاً لا انقضاء له .

فالقول الأول من الارثماطيقي[2] في أبواب أحدها حدود العدد ، وهو ينقسم قسمين يقال لأحدهما الفرد ، والآخر الزوج ، فالفرد ينقسم ثلاثة أقسام : منه أول غير مركّب ، وهو الذي لا يعدّه عدد مثل سبعة ، وأحد عشر .

ومنه ثانٍ مركّب ، وهو الذي له عدد مثل : تسعة ، وخمسة عشر .

ومنه ثالث مركّب بطبعه ، وعند الإضافة إلى مركّب آخر أوّل ، وهما اللذان لكلّ واحد منهما عدد يعدّه ، وليس لهما عند المقايسة عدد مشترك مثل : تسعة إلى خمسة وعشرين .

والزوج ينقسم ثلاثة أقسام منه زوج الزوج ، وهو المنقسم أزواجاً إلى الوحدانيّة ، مثل : أربعة وستّين . ومنه زوج الفرد ، وهو المنقسم مرّة واحدة بنصفين ، ثم يقف مثل : أربع عشرة وثماني عشرة .

---

(١) المؤتلفة : المتقاربة والمتشاكلة .

(٢) ألّفه نيقوماخس الحكيم الفيثاغوري .

ومنه زوج الزوج والفرد ، وهو الذي لا ينقسم نصفين أكثر من مرة ولا ينتهي إلى الوحدانية ، وتكلّم في هذا بكلام مشروح .

والقول الثاني في الكمّيّة المفردة ، وهو العدد الزائد والعدد المعتدل والناقص ، فأمّا الزائد ، فهو الذي تزيد جملة أجزائه على جملته إذا اجتمعت الأجزاء مثل : اثني عشر ، وأربعة وعشرين ، فإن الاثني عشر لها نصف وثلث وربع وسدس ، وجزء من اثني عشر ، فإذا جمعتها زاد العدد والمعتدل الذي تعادل جملة أجزائه جملته مثل : ستّة ، وثمانية وعشرين ، فإنّ لستّة نصفاً وثلثاً وسدساً ، فيكون مبلغه ، إذا جمع ، ستّة سواء ، والناقص الذي تنقص جملة أجزائه من جملته مثل ثمانية ، وأربعة وعشرين ، فإن الثمانية لها نصف وربع وثمن ، فإذا اجتمع كان سبعة ونقص واحداً وجعل في ذلك أشكالاً .

وأصحّ القول الثالث في الكمّيّة المضافة ، وهي تنقسم قسمين : أحدهما المعادلة لما أضيف إليها مثل المائة المعادلة للمائة ، والعشرة المعادلة للعشرة ، ومنه الخروج عن الاعتدال ، وينقسم قسمين : أحدهما كبير والآخر صغير ، فالكبير ينقسم خمسة أقسام ، فمنه : المتضاعف مثل اثنين من أربعة ، وأربعة من ثمانية ، ومنه الزائد جزءاً مثل ثلاثة عند أربعة ، فإن الأربعة مثلها ومثل ثلثها ، ومنه الزائد جزئين مثل ثلاثة، وهي أوّل الأفراد، إلى الخمسة، وهي الثانية من الأفراد، فتحدث زيادة جزئين ، ثم على هذا الترتيب تحدث زيادة أجزاء ، ومنه المضاعف الزائد جزءاً ، وهو يظهر بين عددين : أحدهما مثل الآخر ومثل جزء منه كالخمسة ، إذا أضيفت إلى الاثنين ، فإنّه مثل مضاعف الاثنين وزيادة جزء ، ومنه المضاعف الزائد جزئين مثل أربعة عند واحد ، والصغير ينقسم على خمسة أقسام : منه تحت المضاعف ، ومنه تحت الزائد جزء ، ومنه تحت الزائد أجزاء ، ومنه تحت المضاعف أجزاء .

ثم يقول في الأعداد الثلاثة التي أحدها كبير والآخر وسط والثالث

صغيـر ، فإذا طلب اعتـدالها ألقي من الأوسط مثـل الأصغر ، ومن الأعـظم مثـل ما بقي من الأوسط ، ومثـل الأصغر ، فـإذا تعادلت الأعـداد فقد تمّت إضافتها .

ثم يقـول فيما يـزيد من الأعـداد وينقص في المضاعفـات ، ويجعـل لذلك شكـلاً مثليّاً بركنين ، وفي الشكل واحـد وعشرون بيتـاً : فالأوّل ستّـة أبيـات ، وأوّلـه واحـد ، ثم يضعفـه إلى اثنين وثـلاثين ، والثـاني خمسـة أبيـات ، وأوّلـه ثـلاثـة ، ثم يضعفـه إلى ثمـانيـة وأربعين ، والثـالث أربعـة أبيات ، وأوّله تسعة ، ثمّ يضعفه إلى اثنين وسبعين ، والرابع ثلاثة أبيـات ، وأوّله سبعة وعشرون ، ثم يضعفه إلى مـائة وثمـانية ، والخـامس بيتان أوّلـه واحد وثمانون ، ويضعفه فيصير مائـة واثنين وستّين ، والسادس بيت ، وهـو آخره ، مائتان وثلاثة وأربعون .

ثم يقـول في العدد المـربّع الـذي يزيـد عليه ضعفـه ، ثم يتكلم في السطوح والخطوط والنقط ، ويصف السطوح المثلّثة والمـربّعة والمسـدّسة ، والأضلاع التي يقوم بها السطوح ومسائحها .

ثم يقـول في العـدد المخمّس ذي الأضـلاع المعتـدلـة المخمّسـة ، وكيف نموّها ، ثمّ المسـدّسة ، ثم المسبّعـة ، ثم المثمّنة ، ثم يصف كيف تـركيبها ، ويضـرب لهـا جـدولاً خمسـة في تسعـة ، ويتكلّم في أجـزاء من المثلّثات والمربّعات والمخمّسات والمسدّسات ممّا له جرم بلا سـطح ، وما له جرم وسطح .

ثم يقول في تركيب الأشياء التي تركب من أخلاط شتى .

ثم يقول في الوسائط التي هي ثلاثة أنواع : واحد للحساب ، والثاني للمسـاحـة ، والثـالث لتـأليف اللحـون ، ويقـول إنّ بعض الأوّلين جعلوهـا عشـراً ، وبيّن وسائط الحسـاب ، ووسائط المسـاحـة ، ووسـائط اللحـون ، ويتكلم في كلّ نوع منها بكلام مشروح وبرهان بيّن .

ومنهم اراطس[1] الذي عمل صورة الفلك كهيئة البيضة ، فحكى بها الفلك ، وصوّر فيها البروج .

ومنهم أرسطاطاليس[2] بن نيقوماخس الجهراسينيّ ، وكان تلميذاً لأفلاطون ، فتكلّم في العالم العلويّ والسفليّ ، في صلاح العالم وفساده ، وفي أخلاق النفس ، وفي حقيقة المنطق ، ووضع أصول الحكمة وانقسامها وتشعّبها ، فأوّل كتبه : كتاب المدخل إلى علم الفلسفة ، وهو الذي يسمّى باليونانيّة ايساغوجي ، فأوّله ذكر الحدّ[3] ، وما قوام الحدّ ، ومن أين اشتقّ اسم الحدّ ، وما فضيلة الحدّ ، وما فيه فساد الحدّ ، والفرقة بين الحدّ والمحدود .

والثاني ذكر الفلسفة ، وكيف اشتقت .

والثالث كتاب قوى النفس التي هي بالفكر والغضب والشهوة ، فما خرج عن هذا الاعتدال كان فاسداً .

والكتاب الرابع في المنطق الذي هو أصل الفلسفة .

والكتاب الخامس يذكر فيه انقسام الأشياء ضربين : ما لا بدّ منه ، كالغذاء ، وما منه بد ، كتنظيف الثوب .

والكتاب السادس في الأمور ، وهي ثلاثة : واجبة كقولك : النار حارّة ، وممكنة كقولك : زيد كاتب ، وممتنعة كقولك: النار باردة .

---

(١) أراطس (٢٧٦ ؟ - ١٩٦ ق . م) : علّامة وحسّاب يوناني من مدرسة الإسكندرية . هو أول من قاس الهاجرة الأرضية وانحراف مدار الشمس .

[أعلام الشرق والغرب]

(٢) هو مؤدب الإسكندر اليوناني ومؤسس مذهب «فلسفة المشائين» أهم مؤلفاته : المقولات ، الجدل ، العبارة أو التفسير ، الخطابة ، السماء والعالم ، الكون والفساد ، كتاب ما بعد الطبيعة .

(٣) الحدّ : العقوبة ، وحدَّ المذنبَ : أقام عليه الحد وأدّبه بما يمنع غيره ويمنعه من ارتكاب الذنب .

والكتاب السابع في الجنس، وهو ثلاثة أقسام: جنس العادة، وجنس الطبيعة . . . . . . [1]

والكتاب الثامن يذكر فيه ما لا يتجزّأ، وهو ينقسم على أربعة: إمّا لأنه لا أجزاء له كالنقطة، وإمّا لصغره كحبّة الخردل، وإمّا لصلابته كالحجر، وإمّا أنّه لا على أجزاء.

والكتاب التاسع في المناسبة، وهو على أربعة: إمّا طبيعةً كمناسبة الأب لابنه، وإمّا مهنةً كمناسبة التلميذ معلّمه، وإمّا مشيئةً كمناسبة الصديق صديقه، وإمّا عرضيّة كمناسبة العبد سيّده.

ثم كتبه بعد ذلك في أربعة أنواع: أحدها المنطقيات، والثاني في الطبائع، والثالث فيما يوجد مع الأجسام ويواصلها، والرابع فيما لا يوجد مع الأجسام ولا يواصلها.

وكتبه في المنطق ثمانية: فالأوّل سمّي بقاطيغورياس، وغرضه فيه القول على المَقُولات المفردة العشر، ورسمها بما يميَّز به كلّ واحد منها من غيره، وما يعمّها ويعمّ العدّة منها، وما يخصّ كلّ واحد منها، فحدّ الأشياء التي تقدمها في الوصف والشبه منها: إنّ جوهراً محمولاً، وجوهراً حاملاً ليس بجوهريّ[2] فيه بل عرضيّ[2]، وإنّ عرضاً حاملاً وعرضاً محمولاً عليه أي منقولاً عليه . . . . . . [3] ليبين أنّ جواهر محسوسة، وأعراضاً ثواني غير محسوسة مقولة على المحسوسة، وأعراضاً محسوسة، ويبين عن العشرة بأعيانها، وبرسومها، وعوامّها، وخواصّها، وهذه العشرة: الجوهر، ثمّ الكمّيّة، ثمّ الكيفيّة، ثمّ المضاف، ثمّ الأين، ثمّ المتى، ثمّ الفاعل، ثمّ المفعول، ثم الوضع، ثمّ الحدّ.

---

(1) بياض في الأصل.

(2) أي أساسي وظرفي.

(3) بياض في الأصل.

وإنّما سُمّي كتاب المقولات لأنّ هذه الأسماء أجناس ، وهي مقولة من الأنواع ، والواحد بمنزلة الجوهر ، فإنّه مقول على الجسم ، والجسم مقول على المتنفّس وغير المتنفّس ، والمتنفّس مقول على الحيوان والنبات ، والحيوان مقول على الإنسان والفرس والأسد ، والإنسان مقول على زيد وعمرو وخالد التي هي غير متجزّئة ، والفرس على هذا الفرس بالإشارة ، وذلك الفرس بالشبه والكمّيّة مقولة على المتّصلة والمنفصلة وسائر أجزائها ، وكذلك سائر الأجناس .

والثاني هو المسمّى بكتاب التفسير ، وغرضه فيه القول على التفسير للقضايا المُقدِمات للمقاييس العلميّة، أعني الجوامع التي هي أخبار موجبة أوسالبة أو. . . . . .[1] ما في أوّله، فبيّن عمّا منه تكون القضايا من الاسم، والحرف ، والقول ، والتصريف ، والمخبر عن القول ، وعن القضايا المؤلّفة من اسم وحرف، وثالث ورابع كقولنا: النار هي حارّة، وما يعرض في ذلك ، وفي الفحص عن أيّ القضايا أشد تناسباً الموجبة لسالبها أم الموجبة للموجبة المضادّة لها . وإنّما سمّاه كتاب التفسير لأنّه أراد المقالة على الجزم ، والبسيط المقول ، الذي ليس فيه اشتراك اسم ، وأراد أن يفصل بينه وبين القول الذي ليس بجازم ، الذي يكذب ولا يصدق ، وهو تسعة : الاستخبار كقولك : من أين جئت ؟ والدعاء كقولك : يافلان أقبل ! والراغب كقولك في الأمر: إني أطلب إليك أن تفعل كذا وكذا، والتعجّب كقولك في الأمر: ما الذي يكون من هذا؟ والقَسَم كقولك: أقسمت بالله لتذهبنّ ، والشكّ كقولك : لعلّ الأمر على ما قيل ، والوضع كقولك : تكون هذه الضيعة وقفاً على المساكين ، والمجازي كقولك: إن فعلت كذا وكذا أجزتك بكذا .

والمقالة قد تُلَقَّب ألقاباً شتى في جهات مختلفة ، فإذا كان القول يوجب شيئاً لشيء سمّي موجبة ، وإذا كان يُفلِت شيئاً من شيء سمّي

---

(١) بياض في الأصل .

سالبة ، وإذا كان مقدّماً ليستخرَج منه شيء سُمّي مقدّمة ، فإذا كان مستخرَجاً من مقدّمات قبله سمّي نتيجة ، وإذا كانت مقدّمات ونتيجتها معها سمّي صيغة .

والثالث المسمّى انوليطيقا ومعناه النقائض ، وغرضه فيه الإبانة عن الجوامع المرسلة ، أعني ما هي ، وكيف هي ، ولِمَ هي ، وغرضه النوع الجامع للمعاني الثلاثة ، وما قيل على الجامعة المرسلة ، ووجود الجامعة ، وكيف تركيب الجوامع ، ولكم نوع يكون ، وما الذي يظهر من صوادقها بذاته ، وما الذي يظهر من الحركة .

والكتاب الرابع المسمّى ابودقطيقا ومعناه الإصلاح ، وغرضه فيه الإبانة عن الأمور المتّضِحة البرهانيّة ، وكيف هي ، وماذا ينبغي أن يؤلف ، ويسمّى هذا الكتاب البيان والبرهان ، لأنّه يصف فيه التمييز الذي يميّز به الحقّ من الباطل ، والصدق من الكذب ، فيقول : إن المقدّمات على جهة المقدّمة المجتمعة عليها ، المعروفة عند العامّة ، المركبة من الجزئين السابقين في العلم ، بمنزلة قول القائل : كلّ إنسان حيّ .

والثانية الموجبة للمجادلة ، فإنّها ، وإن كانت صحيحة في نفسها ، مجهولة عند العامّة ، وهي تحتاج إلى وساطة يعرف بها صحّتها ، بمنزلة قولنا : كلّ إنسان جوهر .

فأمّا كتابه الخامس المسمّى طوبيقا فغرضه فيه الإبانة عن الأسماء الخمسة التي هي : الجنس ، والنوع ، والفصل ، والخاصّة ، والعرض ، عن الحدّ ، فتعرف ماهيّة الجنس ، وماهيّة النوع ، لئلا يذهب عن أحدها الجنس والنوع ، فإنّما يعرف هذا بالفصل الذي يفصل بين النوع والجنس ، وما خاصّيّة كلّ واحد منهما ، أو ما الأعراض من الجواهر .

وأمّا كتابه السادس ، وهو المسمّى سوفسطيقا ، فغرضه فيه القول على المغالطة ، ويقول كم نوعاً تكون المغالطة ، ويخبر كيف الاحتراس

من قبول تلك الأغاليط ، وهو الذي ردّ فيه على السوفسطائية[1] .

وأمّا كتابه السابع ، وهو المسمّى ريطوريقا ، ومعناه البلاغة ، فغرضه فيه القول في الأنواع الثلاثة : في الحكومة ، وفي المشورة ، وفي الحمد ،وفي الذمّ ، والجامع لها التقريظ[2] .

وأمّا كتابه الثامن ، وهو المسمّى فوايطيقا[3] ، فغرضه فيه القول على صناعة الشعر ، وما يجوز فيه الشعر ، وما يستعمل من الأوزان ، وكلّ نوع . . . . .[4] ، فهذه أغراضه في كتبه المنطقيات الأربعة المقدّمة ، والأربعة الثانية .

فأمّا كتبه الطبيعيّة فالأوّل كتاب سمع الكيان ، وهو الخبر الطبيعيّ بيّن فيه عن الأشياء الطبيعيّة ، وهي خمسة ، المشتملة على الطبائع كلّها التي لا وجود لشيء من الطبائع دونها ، وهي : العنصر ، والصورة ، والمكان ، والحركة ، والزمان ، فإنّه لا وجود لزمان إلا بحركة ، ولا وجود لحركة إلّا بمكان ، ولا وجود لمكان إلّا بصورة ، ولا وجود لصورَة إلّا بعنصر ، وهذه الخمسة منها اثنان جوهران ، وهما : العنصر والصورة ، وثلاثة أعراض جوهريّة .

والثاني هو المسمّى كتاب السماء والعالم ، وغرضه فيه الإبانة عن الأشياء الفلكيّة غير ذوات الفساد ، وهي صنفان : أحدهما صنف مستدير الصنعة ، وحركته الاستدارة ، وهو الفلك المحيط بالأشياء ، وهو ركن خامس لا يلزمه الكون ، ولا الفساد ، والصنف الثاني الفلكي المستدير بالتكوين ، وإن لم يكن مستديراً بالحركة ، وهي الأربعة الأركان : النار والهواء والأرض والماء ، فإن هذه ليست بمستديرة الحركة بل مستقيمة الحركة ،

---

(١) السوفسطائية : فرقة ينكرون الحسيات والبديهيات وغيرها . والسفسطة والنسبة سوفسطائي : الاستدلال والقياس الباطل أو الذي يقصد به تمويه الحقائق .

(٢) التقريظ : المدح بحق أو باطل .

(٣) يريد «علم العروض» .

(٤) بياض في الأصل .

مستديرة بالكون ؛ والمستديرة بالكون هي التي يكون بعضها من بعض، بالانقلاب، بمنزلة الشيء الذي يستدير وينقلب، بمنزلة النار التي تستدير وتنقلب فتكون من الهواء ، والهواء من الماء ، والماء من الأرض ، وكلّ واحد من هذه الأركان يستدير بالكون بعضه على بعض ، فالنار والهواء إلى فوق ، والماء والأرض إلى أسفل .

وكتابه الثالث هو المسمّى كتاب الكون والفساد ، وغرضه فيه الإبانة عن ماهيّة الكون والفساد ، ككون الماء هواء ، والهواء ماء[1] ، وكيف يكون ، وكيف يفسد بالطبيعة .

والكتاب الرابع في الشرائع ، وهو كتاب المنطق في الآثار العلويّة ، وغرضه فيه الإبانة عن عرض الكون والفساد ، وكون كلّ كائن وفساده ، ممّا بين نهاية فلك القمر إلى مركز الأرض ، فيما بين الجوّ وما على الأرض ، وما في بطنها ، وعن الآثار العارضة فيها : كالسحاب ، والضباب ، والرعد ، والبرق ، والريح ، والثلج ، والمطر ، وغير ذلك .

وكتاب في المعادن ، وهو الخامس ، وغرضه فيه الإبانة عن كون الأجرام[2] المتكوّنة في باطن الأرض ، وكيفياتها ، وخواصّها ، وعوامّها ، والمواضع الخاصة بها .

والكتاب السادس في الإبانة عن علل النبات ، وكيفيّاته ، وخواصّه ، وعوامّه ، وعلل أعضائه ، والمواضع الخاصّة به ، وحركاته ، فهذه أغراضه في كتبه الطبيعيّة .

فأمّا كتبه النفسانيّة ، فهما كتابان : فكتابه الأوّل منهما كتاب النفس ، وغرضه فيه الإبانة عن ماهيّة النفس ، وقوامها ، وفصولها ، وتفصيل الحسّ ، وتعديد أنواعه ، وفضائل النفس وعاداتها ، والأمور المحمودة منها ، والأمور المذمومة منها ، فالمحمودة : المنطق ، والعدل ،

---

(١) يريد بهذا القول عمليتي التبخر والترشّح .

(٢) الأجرام هنا : طبقات الأرض .

والحكمة ، والحكم ، والحلم ،والشجاعة ، والقوّة ، والجُرأة ، وشرف النفس ، والتحرج[1] ، والأمور المذمومة منها : الجور ، والفسق ، والنفاق ، والغش ، والكذب ، والنميمة ، والخيانة ،

والكتاب الثاني في الحسّ والمحسوس والإبانة عن علل الحسّ للمحسوس ، وغرضه فيه أن يخير ما الحسّ والمحسوس ، وكيف يقبل الحسّ الأشياء المحسوسة ، وكيف يكون الحسّ والمحسوس شيئاً واحداً ، وهما مختلفان في الأدوات ، وهل الأشياء بذواتها وأجرامها أم بذواتها دون أجرامها .

ثم كتابه في الكلام الروحانيّ ، وغرضه فيه ذكر الصورة المجرّدة من الهيولى[2] ، التي في العالم الأعلى ، والقوى الروحانيّة ، ومعرفة اتّصال قوى تلك الصور بالقوى الطبيعيّة ، وهل هي بحركة ، أو بلا حركة ، وكيف تدير تلك القوى هذه القوى ، وأنّ كلّ واحد من القوى الجرميّة الغليظة جزء من تلك الأشياء الشريفة ، وبيّن ما العقل ، وما المعقول ، وما النفس الكلّيّة ، وما هبوطها وطلوعها .

ثم كتابه في التوحيد ، فقال : إن العِلّيّة الثانية علّة العِلل ، والدهر تحتها ، وهي مبدعة الأشياء ، والإبداع لها ، وقال في هذا قولاً بيّن فيه التوحيد .

فأمّا كتبه في الخلق . . . . . .[3] والإبانة عن أخلاق النفس ، والسعادة في النفس والبدن ، وتدبير العامّة والخاصّة ، وتدبير الرجل امرأته ، والسياسة ، وتدبير المدن ، وقصص أهل التدبير للمدن ، فهذه أغراض كتب أرسطاطاليس الحكيم المذكورة الشريفة ، وما بعدها من الكتب فتبع لها .

---

(١) التحرّج : تجنّب الإثم .

(٢) الهيولى : المادة الأولى .

(٣) بياض في الأصل .

ومن حكماء اليونانيّين بطليموس[1] وهو الذي وضع كتاب المجسطي ، وكتاب ذات الحلق ، وذات الصفائح ، وهي الاسطرلاب[2] والقانون ، فأمّا كتاب المجسطي ، ففي علم النجوم ، والحركات ، وتفسير المجسطي الكتاب الأكبر ، وهو ثلاث عشرة مقالة ، فابتدأ المقالة الأولى من المجسطي بذكرالشمس ، لأنّها الأُسّ[3] لا يوصل إلى علم شيء من حركات الفلك إلّا بها ، فقال في الباب الأوّل : إنّ الشمس فلك خارج المركز عن مركز العالم قد سَمَتْ ناحية منه، مصعدة نحو ما يحاذي بها من فلك البروج ، متباعدة عن مركز الأرض ، ودنت الناحية الأخرى منه ، منحدرة نحو الأرض ، متباعدة عمّا يحاذي بها من فلك البروج ، فموضع السّمُوّ هو الموضع الذي فيه تبطىء الشمس ، وموضع الدنوّ هو الذي فيه تسرع ، ثم تكلّم في ذلك بقول واضح .

والباب الثاني في قدر كلّيّة الأرض عند كلّيّة السماء . . . . . .[4] ووضعت وضع الفلك المائل ، وموضع عمران الأرض ، ومقادير ساعاتها فيما بين خطّ الاستواء إلى القطب الشمالي ، واختلاف ما بين هذين الموضعين ، وقدر ذلك الاختلاف في نواحي الأفق من قبل اختلاف مواضع أهل الأرض ، وحركة الشمس والقمر .

والباب الثالث في الكرة المستقيمة مع قسيّ فلك البروج المفروضة .

والمقالة الثانية ثلاثة عشر باباً : الباب الأوّل في المواضع المسكونة من الأرض .

---

(١) بطليموس : ولد في صعيد مصر . من علماء الهيئة والتاريخ والجغرافيا . له النظرية البطليموسية في هيئة الأفلاك . توفي سنة ١٦٧ !.

[أنظر المنجد ـ أعلام الشرق والغرب]

(٢) الاسطرلاب : جهاز يستطيع الفلكي أن يعيّن به زوايا ارتفاع الأجرام السماوية عن الأفق في أيّ مكان .

(٣) الأُس : الأساس .

(٤) بياض في الأصل .

الباب الثاني في معرفة مقدار ما بين الفلك المستقيم وبين مطلع الفلك المائل من تقويس دائر أفق المطلع ، ومقادير النهار في كلّ يوم في طوله وقصره .

الباب الثالث في معرفة ارتفاع القطب وانخفاض . . . . . .[1] الأخرى التي هي مقابلته ، وهو عرض الإقليم من الصفة والرسوم قبل ارتفاع القطب ، وما بقي إلى منتهى سمت الرؤوس التي في تدوير وسط السماء ،

الباب الرابع في معرفة مرّ الشمس في سمت رؤوس أهل البلاد أين يكون ذلك ، ومتى يكون ، وفي أيّ موضع من أجزاء البروج تكون الشمس يومئذ فوق رؤوسهم .

الباب الخامس في مقدار الظلّ نصف النهار في برجي الاستواء ، وبرجي التغيّر .

الباب السادس في خواصّ المواضع من طريق ما بين المشرق والمغرب ، والخطوط التي يوازي بعضها بعضاً في استواء ما بينها من العرض .

الباب السابع في اختلاف مطالع الفلك المائل عن طلوع الفلك المستقيم .

الباب الثامن في جدولة مطالع خطوط أقاليم الأرض ومطلع طريقه خطّاً خطّاً .

الباب التاسع في معرفة طول الليل والنهار من أزمان ساعات الأقاليم ، ومعرفة مطالع أجزاء البروج ، والجزء الطالع ، والجزء المتوسط السماء .

الباب العاشر في الزوايا التي تقع فيما بين الفلك المائل ، وبين تدوير منتصف النهار الذي في وسط السماء .

---

(١) بياض في الأصل .

الباب الحادي عشر في الزوايا التي تقع بين الفلك المائل ، وتدوير أفق المطلع إلى حدّ الجنوب من ربع الدوائر في كلّ إقليم من الأقاليم .

الباب الثاني عشر في الزوايا والتقاويس التي تكون في دائرة الأفق التي تدور على قطب دائرة الأفق ، في مواضع الأقاليم .

الباب الثالث عشر في وضع جداول القسيّ والزوايا التي في أقاليم الأرض ، فهذه أبواب المقالة الثانية .

المقالة الثالثة من المجسطي[1] عشرة أبواب ، فالباب الأوّل في معرفة مقدار طول السنة ، وعدد أيّامها .

الباب الثاني في وضع الجداول لحركة الشمس الوسطى .

الباب الثالث في معرفة جهات الحركة المستديرة المتّفقة .

الباب الرابع في معرفة ما يظهر من اختلاف حركة الشمس في المنظر والرؤية .

الباب الخامس في الأبحاث الجزئيّة عن الاختلاف .

الباب السادس في صنعة فصول جداول القطع الجزئيّة الاختلاف .

الباب السابع في وضع جداول اختلاف حركة الشمس .

الباب الثامن في معرفة موضع الشمس في مسيرها الأوسط .

الباب التاسع في حساب الشمس ومعرفة حقيقة موضعها .

الباب العاشر في معرفة اختلاف الأيّام ما بين نهار يوم وليلته وبين

---

(١) المجسطي : أقدم كتاب وصل إلينا مما وضعه الفلكيون في علم الهيئة معرّب عن اليونانية ومعناه «الأكبر» لقبه به أهل ذلك العصر لتقديرهم له . فيه القواعد لمعرفة إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية . ألفه بطليموس (١٤٨) . عرّبه حنين بن إسحاق .

[الموسوعة العلمية]

نهار يوم آخر وليلته .

المقالة الرابعة من المجسطي أحد عشر باباً ، فالباب الأوّل : من أيّ الأرصاد ينبغي أن يكون البحث عن القمر .

الباب الثاني في معرفة أزمان أدوار القمر .

الباب الثالث في معرفة تقسيم حركات القمر الوسطى .

الباب الرابع في وضع جداول تكون فيها حركات القمر الوسطى .

الباب الخامس في أنّ الجهتين جهة مركز الخارج وجهة فلك التدوير ، في حركات القمر ، تدلّان على أمر واحد .

الباب السادس في برهان اختلاف حركة القمر الأولى المفردة .

الباب السابع في تقويم مسير القمر في الطول والاختلاف .

الباب الثامن في معرفة موضع حركات القمر الوسطى في الطول والاختلاف .

الباب التاسع في تقويم مسير القمر الأوسط في العرض وفي ابتدائه .

الباب العاشر في وضع جداول اختلاف القمر المفرد .

الباب الحادي عشر في أيّ مقدار يكون اختلاف القمر .

فهذه الأربع المقالات تجزي عن جميع ما يحتاج إليه من كتاب المجسطي ، وتسع مقالات بعدها في صفة المراكز ، وتقويم حركة التدوير ، وصنعة جداول الحركة ، وجداول طول الكواكب .

وأمّا كتاب : في ذات الحلق ، فإنّه ابتدأ بذكر عمل ذات الحلق ، وهي تسع حلقات ، بعضها في جوف بعض ، إحداهنّ ذات علاقة ، والثانية المعترضة فيها من المشرق والمغرب ، والثالثة الحلقة التي تدور بهاتين الحلقتين على ما بين أسفلها إلى أعلاها ، والرابعة الجارية تحت الحلقة ذات العلاقة ، والخامسة حاملة نطاق البروج ، وفيها تركيب

المِحْوَر[1] ، والسادسة حاملة نطاق البروج الاثني عشر ، والسابعة تحت حلقتي الفلك ، وهي حلقة مركبة في المِحْوَر ليؤخذ بها عرض الكواكب الثابتة ، الجارية فيما بين أرباع الفلك ، والحلقة الثامنة جارية في حجري المحور ، والحلقة التاسعة مركّبة في الحلقة الثانية لمجرى الفلك المستقيم . . . . . .[2] يحط في الجنوب ، ويرفع السماء على قدر انتقال الفلك المستقيم ، ويذكر فيه كيف يبتدأ بعملها ، وكيف يكتب عليها ، وكيف تركّب كلّ واحدة في الأخرى ، وكيف تجزّى وتخطّط وتسمّر حتى لا تزول ، وكيف تنصب .

ثم يذكر العمل بها في تسعة وثلاثين باباً ، فالباب الأوّل من أبواب مواضع العمل في ذات الحلق والتداوير التي فيها .

الباب الثاني في امتحانها .

الباب الثالث في أخذ ظلّ الشمس بها .

الباب الرابع إذا أردت أن تأخذ بها عرض إقليم ، أو مدينة ، أو موضع .

الباب الخامس إذا أردت أن تأخذ بها عرض كلّ إقليم ما هو .

الباب السادس إذا أردت أن تعرف النهار كيف يقصر ويطول في السرطان[3] .

الباب السابع إذا أردت معرفة مقدار كلّ يوم من أيّام السنة .

الباب الثامن إذا أردت معرفة استواء الليل والنهار في الإقليم الأوّل .

الباب التاسع إذا أردت أن تعلم كيف تطلع البروج في الأقاليم بأقلّ

---

(١) المحور : الخط المستقيم الذي تدور الأرض حوله فتتوهم أنّ الكرة السماوية تدور بكاملها عليه «لسان العرب مادة حور» .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) السرطان : برج في السماء .

من ثلاثين جزءاً أو أكثر .

الباب العاشر علم ردّ أجزاء البروج إلى جزء الفلك المستقيم .

الباب الحادي عشر في معرفة كلّ برج ، وكيف يغيب بمطلع نظيره ، ويطلع بمغيبه في الأجزاء .

الباب الثاني عشر إذا أردت أن تعلم كيف تطلع البروج وسط السماء على اختلاف من أجزائها .

الباب الثالث عشر إذا أردت معرفة كلّ برج منها .

الباب الرابع عشر إذا أردت معرفة الطالع والأوتاد الأربعة بالنهار من قبل الشمس .

الباب الخامس عشر إذا أردت معرفة الطالع بالليل من القمر والكواكب .

الباب السادس عشر إذا أردت أن تعلم كم ساعة مضت من النهار.

الباب السابع عشر إذا أردت أن تعلم أيّ ساعة يظهر القمر ، أو كوكب من الكواكب الثابتة .

الباب الثامن عشر إذا أردت أن تعلم ساعات القرانات .

الباب التاسع عشر إذا أردت أن تعرف مقدار المشرقين والمغربين في كل بلد .

الباب العشرون إذا أردت أن تعلم لكلّ برج مقدار مطلعه من المشرق ، ومغربه من المغرب .

الباب الحادي والعشرون إذا أردت أن تعلم الكواكب التي تغيب في كلّ بلد .

الباب الثاني والعشرون إذا أردت أن تعلم الطرائق الخمس التي ذكرها الحكماء في الفلك في كلّ بلد .

الباب الثالث والعشرون إذا أردت أن تعرف الأقاليم السبعة .

الباب الرابع والعشرون إذا أردت معرفة كلّ إقليم منها .

الباب الخامس والعشرون إذا أردت أن تعرف كيف يكون النهار الأقصر ، إذا صارت الشمس في الجدي[1] ، في الموضع الذي يكون عرضه ثلاثة وستّين جزءاً ، وذلك أقصى ما يسكن من ناحية الشمال ، ويكون النهار أربع ساعات ونحوها ، وليله عشرين ساعة ، ويكون النهار الأطول فيه عشرين ساعة ، وليله أربع ساعات ، وهي جزيرة يقال لها جزيرة تولي من أرض اوريبا ، وهي شمالي أرض الروم .

الباب السادس والعشرون إذا أردت أن تعرف المواضع التي تغيب عنها الشمس ستّة أشهر ، فيكون ظلمة راتبة[2] ، وتطلع عليه الشمس ستّة أشهر ، فيكون ضوءاً راتباً ، وهو الموضع الذي يحاذي محور الشمال .

الباب السابع والعشرون إذا أردت أن تعلم كلّ كوكب من الكواكب الثابتة من أيّ جزء من أجزاء البروج التي تطلع في كلّ موضع تريد من الأرض .

الباب الثامن والعشرون إذا أردت أن تعلم كم جزءاً بين رأس الحمل والطالع من أجزاء المطالع في كلّ بلد .

الباب التاسع والعشرون إذا أردت أن تعلم لكلّ مدينة وبلد من أيّ الأقاليم هي .

الباب الثلاثون إذا أردت أن تعلم عرض القمر ، أو كوكب من الكواكب .

الباب الحادي والثلاثون إذا أردت أن تقوم خطّ وسط السماء في موضعه من سمت كلّ بلد .

---

(١) الجدي : برج في السماء .

(٢) راتبة : ثابتة .

الباب الثاني والثلاثون إذا أردت أن تعرف طول الكواكب وعرضها بعد معرفتك بجري وسط السماء .

الباب الثالث والثلاثون إذا أردت أن تعرف موضع رأس التنّين وذنبه ، وهل تلتقي بفلكي الشمس والقمر .

الباب الرابع والثلاثون إذا أردت أن تعرف المطالع من قبل ساعات الما [1] .

الباب الخامس والثلاثون إذا أردت أن تعرف مجرى الفلك الذي فيه الكواكب الثابتة .

الباب السادس والثلاثون إذا أردت أن تعرف تشريق الكواكب وتغريبها .

الباب السابع والثلاثون إذا أردت أن تعرف طول مدينة من المدن .

الباب الثامن والثلاثون في معرفة أجزاء طول المدن .

الباب التاسع والثلاثون في استخراج القوس من حساب الجبر ، فهذه أبواب ذات الحلق .

وأمّا كتاب في ذات الصفائح ، وهي الاصطرلاب[2] ، فإنّه يبتدىء بذكر عملها وكيف تعمل ، وحدودها ، ومقاديرها ، وتركيب حجرها ، وصفائحها ، وعنكبوتها[3] ، وعضادتها[4] ، وكيف تجزّأ وتقسّم وتحفظ على قسمة أجزائها ، ومقنطراتها ، وميلها ، ويشرح ذلك ، ويصفه صفيحة إقليم إقليم ، وطول كلّ إقليم وعرضه ، ومواضع الكواكب والساعات فيها ، والطالع والغارب والمائل ، والجنوبيّ والشماليّ ، ورأس الجدي ، ورأس

---

(١) يريد «الماء» بالهمز .

(٢) تقدّم شرحها .

(٣) عنكبوتها هنا : عقربها .

(٤) عضادتها : خشبتها .

السرطان ، ورأس الحمل ، ورأس الميزان ، ثمّ يذكر العمل بها .

فالباب الأوّل امتحانها[1] حتى تصح .

الباب الثاني في امتحان طرفي العضادة .

الباب الثالث في علم ما مضى من النهار من ساعة وأيّ برج ودرجة الطالع .

الباب الرابع في علم ما مضى من ساعات الليل ، وما الطالع من البروج والدرج .

الباب الخامس في معرفة موضع الشمس من البروج والدرج .

الباب السادس في علم مواضع القمر في أيّ برج ودرجة هو ، وأين الكواكب السبعة .

الباب السابع في علم عرض القمر .

الباب الثامن في علم مطالع البروج الاثني عشر في الأقاليم السبعة ، ومعرفة كلّ برج منها .

الباب التاسع في قطع المطالع للفلك المستقيم ، وما يصيب كلّ درجة من درج السواء .

الباب العاشر في علم ساعات الليل والنهار كم تكون في كلّ زمان ، في كلّ إقليم .

الباب الحادي عشر في علم مقدار نهار كلّ كوكب من الكواكب الثابتة ، وما يجري في الفلك من حين طلوع الكواكب إلى حين غروبها .

الباب الثاني عشر في معرفة طول الكواكب وعرضها .

الباب الثالث عشر في معرفة زوال الكواكب الثابتة ، فإنّها تزول في كلّ سنة من سني القمر درجة .

---

(١) امتحانها : تجربتها .

الباب الرابع عشر في معرفة ميل البروج عن خطّ الاستواء الذي هو مدار الحمل والميزان .

الباب الخامس عشر في معرفة المدائن أيّها أقرب إلى الشمال وإلى الجنوب .

الباب السادس عشر في معرفة أقرب المدائن من المشرق وأقربها إلى المغرب .

الباب السابع عشر في معرفة عرض كلّ إقليم .

الباب الثامن عشر في علم أيّ إقليم أنت فيه .

الباب التاسع عشر في علم عرض الإقليم وأي المدائن أردت .

الباب العشرون في علم تقدير الطرائق ، وهي خمس ، وكيف مجاريها ، ويشرح في كل باب من هذه الأبواب شرحاً طويلاً يبيّن فيه ما يحتاج إليه وإلى معرفته .

فهذه أغراضه في ذات الصفائح[1] .

وأمّا كتابه القانون في علم النجوم وحسابها ، وقسمة أجزائها ، وتعديلها ، فمن أتمّ كتب النجوم وأوضحها . وكان أوّل ما ابتدأ به في ذكر دور السماء التي تدور فيها هذه الكواكب .

باب في علم مسير الكواكب في كلّ يوم ، فيقول : إنّ مسير الشمس في كلّ يوم يكون تسعاً وخمسين دقيقة ، ومسير أوج القمر سبع دقائق ، ومسير رأس التنّين ، وهو الجَوْزَهَر ، ثلاث دقائق ، ومسير زحل دقيقتان ، ومسير المشتري خمس دقائق ، ومسير المرّيخ إحدى وثلاثون دقيقة ، ومسير الزهرة درجة وست وثلاثون دقيقة ، ومسير عطارد أربع درج وخمس دقائق ،

---

(١) يريد كتاب ذات الصفائح .

ومسير قلب الأسد ستّ ثوانٍ[1] .

باب في علم أوساط الكواكب ، وتقويمها ، وتعديلها ، إذا كانت لا تمكن أن تقوم إلّا بأوساطها .

باب في تحريك أرباع الفلك على ما ذكر أصحاب الطلسمات[2] ، أنّ أرباع الفلك تتحرّك ثمانية أجزاء مقبلة ، وثمانية أجزاء مدبرة ، والجزء درجة فتُقبل في كلّ ثمانين سنة ، وتدبر على كل ثمانين سنة جزءاً .

باب في ميل الشمس وعرض الكواكب الستّة ، وتباعدها من خط الاستواء إلى الشمال ، وإلى الجنوب ، ووضع لكلّ كوكب منها في ذلك جدولاً ، أمّا ميل الشمس ، فميلها عن خطّ الاستواء ، وأمّا ميل عرض الكواكب فتباعدها من مسير الشمس .

باب في مقام الكواكب السبعة ورجوعها ، وكيف يلتمس على ذلك من زحل والمشتري والمرّيخ ، إذا كان بين كلّ واحد منها وبين الشمس مائة وعشرون ، أو مائتان وأربعون درجة ، ومن الزهرة وعطارد إذا تباعدا من الشمس تباعدهما الأكبر ، فكان بين الزهرة وبينها ستّ وأربعون درجة ، وبين عطارد ثلاث وعشرون درجة .

باب في طلوع الكواكب السبعة من تحت شعاع الشمس ، ومغيبها من بين يديها ومن خلفها .

باب في تقويم الساعات وتعديلها ، وإخراجها من الساعات المعَوجّة إلى الساعات المستوية .

باب في علم عرض المدائن وطولها ، وقسَّم مدائن العالم بين الأقاليم السبعة ، فجعل لكلّ مدينة طولاً وعرضاً ، وجعلها في جدول سمّاه

---

(١) أسماء لبروج في السماء .

(٢) الطلسمات : واحدها طلسم ، وهي خطوط أو كتابة يستعملها الساحر ويزعم أنّه يدفع بها كل أذية .

جدول المدائن ، ووضعه على ثلاثة أبواب : فالباب الأوّل فيه تسمية المدائن .

والباب الثاني طول كلّ مدينة .

والباب الثالث عرض كلّ مدينة ، وهو انحرافها عن حدّ رأس الجدي ، والميزان إلى الشمال ، ووضع لكلّ إقليم عرضه ، وهو انحراف وسطه عن رأس الحمل ، والميزان إلى الشمال ، وأثبته على رأس جدول مطالعه ، فإذا أردت عرض مدينة من مدائن العالم ، وكانت ممّا قد أثبته في تسمية المدائن ، وإلاّ نُظر إلى عرض أيّ إقليم هي أقرب ، فأيّ إقليم وُجد عرض تلك المدينة أقرب إلى عرضه ، فتلك المدينة من ذلك الإقليم .

باب فيه عرض كلّ إقليم ، فقال الأول :ستّ عشرة درجة ودقيقة ، والثاني ثلاث وعشرون درجة وإحدى عشرة دقيقة ، والثالث ثلاثون درجة واثنتان وعشرون دقيقة ، والرابع ستّ وثلاثون درجة ، والخامس أربعون درجة وستّ وخمسون دقيقة ، والسادس خمس وأربعون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة ، والسابع ثمان وأربعون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة .

وباب ذكر فيه انحراف القمر ، وهو الذي يسمّى البراكفيس ، وأخبر أنه رؤية القمر ، وذلك أنّ للقمر موضعين مختلفين : أحدهما موضع رؤيته ، والآخر منزلته المعتدلة .

وباب في اجتماع الشمس والقمر والاستقبال ، وكيف يحسب لذلك حتى يصحّ .

وباب في كسوف القمر[1] ونواحيه .

وباب في كسوف الشمس[2] ، وكيف يحسب في وقت الاجتماع .

---

(١) كسوف القمر : ذهاب ضوئه .

(٢) كسوف الشمس : احتجابها في النهار وذلك لحلول القمر بينها وبين الأرض .

وباب في تعديل ما يوجد بجداول الكواكب والطالع وغير ذلك .

وباب من التعديل في استخراج الطالع وفيه مائة وثمانون جدولاً ، وبيّن كلّ قول بالأشكال .

وتسمية ملوك اليونانيّين والروم وما ملك كلّ ملك على ما بيّنّا من أسمائهم آخر هذا الفصل .

ملوك اليونانيين[1] والروم

وكان أوّل ملوك اليونانيّين ، وهم أولاد يونان بن يافث بن نوح ، وهو أوّل من سمّاه بطليموس في القانون من ملوكهم : فيلفوس ، وكان جبّاراً عاتياً ، وكان ملكه سبع سنين .

ثمّ ملك ابنه الإسكندر[2] ، وهو الذي يقال له ذو القرنين ، واسم أمّه الومفيدا ، وكان معلّمه أرسطاطاليس الحكيم ، فجلّ قدر الإسكندر ، وعظم ملكه ، واشتدّ سلطانه ، وأعانته الحكمة والعقل والمعرفة ، وكان معه نجدة وبأس ، وهمّة عالية ، دعته إلى أن كتب إلى ملوك الأقاليم والآفاق يدعوهم إلى طاعته ، وكان من كان قبله من ملوك اليونانيّين يؤدّي إلى ملوك أرض بابل من الفرس خرجاً ، لجلالة تلك المملكة ، وعظم قدرها ، وصغر الممالك في جنبها ، فلمّا كتب إلى ملك فارس يدعوه إلى طاعته عظم عليه ، فسار الإسكندر حتى أتى أرض بابل ، وملك الفرس يومئذ دارا بن

---

(١) تنازع الناس في فرق اليونانيين ، فذهب طائفة من الناس إلى أنهم ينتمون إلى الروم ، ويضافون إلى ولد إسحاق . . . . وذهب قوم إلى أنهم من ولد آراش بن ناوان . . .

[أنظر رواية المسعودي ج ١ ص . ٢٨٥]

(٢) الإسكندر (٣٥٦ ـ ٣٢٤ ق . م .) توفي في بابل . تعلم على ارسطوطاليس ، تبوّأ الحكم محل أبيه فيليبس وهزم الفرس في آسيا الصغرى في معركة إيسوس سنة ٣٣٤ ق . م . وقد لقب بذي القرنين لبلوغه أطراف الأرض .

[أعلام الشرق والغرب]

دارا ، فحاربه حتى قتله[1] ، وحوى خزائن ملكه ، وتزوّج ابنته .

ثم صار إلى أرض فارس ، وقتل من بها من المرازبة[2] والرؤساء ، وافتتح البلاد .

ثم صار إلى أرض الهند ، فزحف إليه فور ملك الهند ، فحاربه حتى قتله ، ثمّ صيّر الإسكندر على الهند ملكاً من قبله من أهل الهند يقال له كيهن ، وانصرف ، فشرّق ، وغرّب ، ثمّ رجع إلى أرض بابل بعد أن دوّخ الأرض .

فلمّا صار في أداني العراق ، ممّا يلي الجزيرة ، اعتلّ ، فاشتدّت علّته[3] ، فلمّا يئس من نفسه ، وعلم أن الموت قد نزل به . كتب إلى أمّه كتاباً يعزّيها عن نفسه ، وقال لها في آخره : اصنعي طعاماً ، واجمعي من قدرت عليه من نساء أهل المملكة ، ولا يأكل من طعامك من أصيب بمصيبة قطّ ! فعملت طعاماً ، وجمعت الناس ، ثمّ أمرتهم ألاّ يأكل من أصيب بمصيبة قطّ ، فلم يأكل أحد ، فعلمت ما أراد .

ومات الإسكندر بموضعه الذي كاتب منه ، فاجتمع أصحابه ، فكفنوه ، وحنطوه[4] ، وصيّروه في تابوت من ذهب ، ثمّ وقف عليه عظيم من الفلاسفة ، فقال : هذا يوم عظيم كشف الملك عنه ، وأقبل من شرّه ما كان مدبراً ، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً ، فمن كان باكياً على ملك ، فعلى هذا الملك فليَبْكِ ، ومن كان متعجباً من حادث ، فمن مثل هذا الحادث فليتعجّبْ .

ثمّ أقبل على من حضره من الفلاسفة ، فقال : يا معاشر الحكماء !

---

(١) قتله في معركة أوْبيل سنة ٣٣١ ق . م .

(٢) المرازبة : مفردها مرزبان وهو الرئيس عند الفرس .

(٣) يروى أنه كان في مدينة شهرزور ، وقيل أيضاً : ببلاد نصيبين من ديار ربيعة ، وقيل : بالعراق .

[مروج الذهب ١ ص . ٢٨٩]

(٤) حنطوه : طلوا جسده بأطلية ماسكة لأجزائه .

ليقل كلّ امرىء منكم قولاً يكون للخاصّة معزّياً ، وللعامّة واعظاً . فقام كلّ واحد من تلامذة أرسطاطاليس ، فضرب بيده على التابوت ، ثمّ قال : أيّها المنطيق ما أخرسك ! أيّها العزيز ما أذلّك ! أيّها القانص أنّى وقعت موضع الصيد في الشَّرَك من هذا الذي يقنصك ؟

ثمّ قام آخر فقال : هذا القويّ الذي أصبح اليوم ضعيفاً ، والعزيز الذي أصبح اليوم ذليلاً .

وقام آخر فقال : قد كانت سيوفك لا تجفّ ، ونقماتك لا تؤمن ، وكانت مدائنك لا ترام ، وكانت عطاياك لا تبرح ، وكان ضياؤك لا يكسف ، فأصبح ضوؤك قد خمد ، ونقماتك لاتخشى ، وأصبحت عطاياك لا ترجَى ، وأصبحت سيوفك لا تنتضى ، وأصبحت مدائنك لا تمنع .

ثمّ قام آخر فقال : هذا الذي كان للملوك قاهراً ، فقد أصبح اليوم للسوقة[1] مقهوراً .

وقام آخر فقال : قد كان صوتك مرهوباً ، وكان ملكك غالباً ، فأصبح الصوت قد انقطع ، والملك قد اتّضع .

وقام آخر فقال : لا امتنعت من الموت إذ كنت من الملوك ممتنعاً ، وهلاّ ملكت عليه إذ كنت عليهم مملّكاً .

وقام آخر فقال : حرّكنا الإسكندر بسكونه ، وأنطقنا بصمته[2] .

وتكلموا بنحو هذا الكلام ، ثمّ أُطبق التابوت ، وحُمل إلى

---

(١) السوقة : عامة الشعب .

(٢) ومن أقوالهم أيضاً : «أصبح آسر الأسرار أسيراً» .
و«هذا الإسكندر الذي كان يخبُو الذهب فصار الذهب يخبوه» .
و«ما أزهد الناس في هذا الجسد ، وأرغبهم في هذا التابوت» .
و«من أعجب العجب أنّ القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون» .
[المسعودي ١ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠]

الإسكندرية ،فتلقّته أمه بعظماء أهل المملكة ، فلمّا رأته قالت : يا ذا الذي بلغَتِ السماءَ حكمته ، وحاز أقطار الأرض ملكه ، ودانت الملوك عنوةً لـه ! ما لك اليوم نائمـاً لا تستيقظ ، وساكتـاً لا تتكلّم ؟ من يبلغك عني أنّـك قد وعظتني فاتّعـظت ، وعزّيتني فتعـزّيت ؟ فعليك السـلام حيّاً وهـالكاً ، فنعم الحيّ كنت ، ونعم الهالك أنت .

ثمّ أمـرت به ، فـدفن ، وكان ملك الإسكـندر مع مـا نال من الـدنيا اثنتي عشرة سنة .

ثمّ ملك بعد ذي القرنين بـطليموس خليفـة الإسكندر ، وكـان حكيماً عالماً ، وكان ملكه عشرين سنة ، ثـمّ ملك فيلفوس ، وكان جبـاراً ، فاشتـدّ سلطانه ، وعتا في ملكه ، وفي أيامه عملت الطلسمات ، وكان ملكه ثمانيـاً وثلاثين سنة ، ثمّ ملك هـورحيطوب الأوّل خمسـاً وعشرين سنـة ، ثمّ ملك فيلوبطور سبع عشرة سنة ، ثمّ ملك فيفانس أربعاً وعشـرين سنة ، ثم ملك فيلوبـطور الثاني خمسـاً وعشرين سنـة ، ثمّ ملك هورحيـطوب الثاني سبعـاً وعشرين سنة .

ملوك الروم[1]

ثمّ صار الملك من بعد اليـونانيّين ، أولاد يـونان بن يـافث بن نوح ، إلى الـروم ، وهم ولد روم بن سمـاحير بن علقـا بن عيصـو بن إسحـاق بن إبراهيم ، فغلبوا على البلد ، وتكلّموا بلغة القـوم ، وانتسبوا إلى الـروميّة ، ودرست اليونانيّة إلاّ ما بقي في أيـدي هؤلاء من فضل حكمهم ، وكـان أوّل من ملك من الروم بعد اليـونانيّين فهـاساطق ، وهـو جاليـوس الأصغر ، ابن

(١) تنازع الناس في الروم ، ولأية علة سمـوا بهذا الاسم ، فمنهم من قـال : سموا رومـاً لإضافتهم إلى مدينة رومية ، واسمها روماس بالرومية ، وعرب هـذا الاسم فسمي من كان بها روماً ، ومنهم من رأى أنّ هذا الاسم اسم للأب وهو روم بن سماحير . . .
[تاريخ الطبري ج ٢]

روم ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .

ثمّ ملك أغسطس ، فلمّا أتَى لملكه سنة ، ولد المسيح ، واتّصل ملك أغسطس ثلاثاً وأربعين سنة .

ثمّ ملك طباريس اثنتين وعشرين سنة .

ثمّ ملك جايس أربع سنين .

ثمّ ملك قلوديس أربع عشرة سنة ......[1]

ثمّ ملك اسفسيانوس عشر سنين ، وكان أهل مملكته يسمّونه الإله ، ووجّه ابناً له يقال له ططوس إلى بيت المقدس ، فحصرها أربعة أشهر ، وكان قد اجتمع إليها في عيد من أعياد اليهود خلق عظيم ، فاشتد عليهم الحصار ، حتى أكلوا الصبيان ، ومات أكثرهم من الجوع ، ثمّ افتتحها ، فقتل وسبَى وأحرق الهيكل بالنار .

ثمّ ملك ططوس ثلاث سنين ، وانشقّ في زمانه جبل يقال له أُبرمور ، وخرجت منه نار أحرقت مدناً كثيرة .

ثمّ ملك دومطيانوس خمس عشرة سنة ، وفي زمانه ظهر أبولوس صاحب الطلسمات من أهل طوانة ، ووثب بدومطيانوس أهل مملكته ، فقتلوه .

ثمّ ملك يهودس سنة واحدة .

ثمّ ملك طريانوس تسع عشرة سنة .

ثمّ ملك ادريانوس إحدى وعشرين سنة ، ووثب به يهود بيت المقدس ، فامتنعوا أن يؤدّوا إليه الخراج[2] ، فوجّه إليهم من قتلهم ، وأمر

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) الخراج : الجزية أو المال المضروب على الأرض .

بقتل من بقي منهم ببيت المقدس .

ثمّ ملك هيلوس انطونينوس ثلاثاً وثلاثين سنة .

ثمّ ملك مرقس انطونينوس خمساً وعشرين سنة .

ثمّ ملك الإسكندر بن ماميا ثلاث عشرة سنة .

ثمّ ملك مكسيميانوس ثلاث سنين .

ثمّ ملك جورديانوس ثلاث سنين .

ثمّ ملك فيلفوس سنتين .

ثمّ ملك ديقيوس سنة واحدة .

ثمّ ملك جالوس ثلاث سنين .

ثمّ ملك ولريانوس ستّ سنين . . . . . .[١]

ثمّ ملك قروس سبع سنين .

ثمّ ملك دقليطيانوس عشرين سنة .

ثمّ ملك قسطنطين ومكنيوس عشر سنين .

وكانت ملوك اليونانيّين ، ومن ملك بعدهم من الروم ، مختلفة ، فطائفة منهم على دين الصابئين[٢] ، وكانوا يسمّون الحنفاء ، وهم الذين يقرّون ويعترفون بخالق ، ويزعمون أنّ لهم نبياً مثل اوراني ، وعابيديمون ، وهرمس ، وهو المثلّث بالنعمة ، ويقال إنّه إدريس النبيّ ، وهو أوّل من خطّ بالقلم ، وعلّم علم النجوم ، ويقولون في الخالق ، جلّ وعزّ ، على قول هرمس : أمّا أن يعقل الله ، فعسر ، وأن ينطق به ، فلا يمكن ، وإنّ الله علّة العلل ، المكوّن للعالم جملة واحدة .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) كانوا يعبدون النجوم والكواكب .

وطائفة منهم أصحاب زينون ،وهم السوفسطائيّة[1]، وتفسير هذاالاسم باليونانيّة المغالطة ، وبالعربيّة التناقضيّة ، يقولون : لا علم ولا معلوم ، واحتجّوا باختلاف الناس وانتصاف بعضهم من بعض ، وقالوا : نظرنا في قول الناس المختلفين، فوجدناها مختلفة غير متفقة، وأصبناهم في اختلافهم مجتمعين على أنّ الحقّ مؤتلف غير مختلف، وأنّ الباطل مختلف غير مؤتلف ، وكان في اجتماعهم شاهد لهم أنّهم لم يعملوا بالصواب ، فلمّا أقرّوا بهذا لم يبقَ للحقّ موضع يطمع في إصابته إلاّ في الخاصّة منهم ، فعلمنا أن ذلك لايوجد إلاّ بأحد وجهين : إمّا بالتسليم للمدّعي ، وإمّا بالكشف لدعواه ، فنظرنا في الدعوى فأصبنا بما يعمّهم ، فلم نجز تصديقهم لخلّتين[2] : إحداهما أن يكذّب بعضهم بعضاً ، والأخرى إجماعهم على أنّهم لم يعلموا بالصواب . فلم يبقَ إلاّ كشف الدعوى ، ففعلنا، فأصبناهم أهل تكافؤٍ وتجار بدور الغلبة عليهم جميعاً بالاستواء بينهم ، تقوى هذه مرّةً، ومخالفتها أخرى، فلم نُصِبْ عند طائفة منهم فضلاً ، ولا تشارك فيه ، ولا حجّة ، ولا تساويَ بها ، ولا تجاري فيها ، فلمّا أعوز وجود الحقّ في عامتها وخاصّتها بالدعوى بالمناظرة لم يبقَ للعلم موضع يوجد فيه ، ولا للحق مذهب يصاب منه ، فقضينا أنّه لا علم ، ولا معرفة ، لأنّ الشيء إذا كان ثابتاً لا محالة ، فلا بدّ من الإحاطة في الاتّفاق ، أو في الاختلاف ، فلا يذكر ذاكر ، وهو غائب ، فقال : فلان غائب ، فأصابه ، فلو قال هو أو غيره : فلان حاضر ، وليس بحاضر ، فخرج من الصدق ،ثمّ خالفه مخالف ، فقال : بل هو غائب ، فكان أحدهما صادقاً لا محالة ، لأنّه لا يعدو إذا كان الشيء ثابتاً حقاً أن يكون حاضراً أو غائباً ، فإذا لم يكن شيئاً ، فكلاهما كاذب فيما قال من أنّه حاضر أو غائب ، لأنّ الحاضر شيء ، والغائب شيء ، فإن لم يكن شيئاً ، فليس بحاضر ولا غائب .

---

(١) السوفسطائية : فرقة ينكرون الحسّيات والبديهيات وغيرها ويعملون على تمويه الحقائق .

(٢) الخلّة : العادة .

واحتجّوا بنحو هذا . . . . . . [1] آخر فقال : إن كانت الأشياء كلّها تدرك بالعلم والعلم بالعلم فإلى نهاية أو إلى لا نهاية ، فإن تناهَى ، فإلى غير معلوم ، وما لم يكن معلوماً ، فهو مجهول ، فأنّى تعلم الأشياء بمجهول ، فإن لم تتناه ، ولم تكن لذلك غاية ، فلا إحاطة به ، وما لم يُحَطْ به ، فمجهول أيضاً ، فكان الوجهان في هذا القياس مجهولين غير معلومين ، فأنّى يعلم شيء مجهول دون أن يعلم جميع الأشياء ، وذلك أبعد .

وشقّقوا في هذين النوعين ، وكثر سعيهم ، وعظمت مؤنتهم ، وقالت طائفة تسمّى الدهريّة[2] : لا دين، ولا ربّ ، ولا رسول ، ولا كتاب ، ولا معاد ، ولا جزاء بخير، ولا بشرّ ، ولا ابتداء لشيء ، ولا انقضاء له ، ولا حدوث ، ولا عطب[3] . وإنّما حدوث ما سمّى حدثاً تركيبه بعد الافتراق ، وعطبه تفريقه بعد الاجتماع . وجميع الوجهين في الحقيقة حضور غائب ومغيب حاضر .

وإنّما سميت الدهريّة لزعمها أنّ الإنسان لم يزل ، ولن يزول ، وأنّ الدهر دائر لا أول له، ولا آخر، واحتجّوا فيما ادّعوا بأن قالوا: إنّما يعرف في وجود الشيء وفقده حالان لا ثالث لهما : حال الشيء فيها موجود ، فأنّى يحدث ما قد كان ووُجد ، وحال لا شيء فيها ، فأنّى يكون الشيء في حال لا تشبيه لها ، وذلك أبعد .

وكذلك القول في المدّعي العطب فهو لا يعرف غير حالتين : حالٌ الشيء فيها قائم ، فمحال قول من ادّعى العطب للشيء في حال كونه وقيامه ؛ وحال لا شيء فيها ، فأنّى يكون العطب الأدنى ، وذلك محال ، فإن أقرّ مخالفونا بصدقنا دخلوا في قولنا ونقضوا قولهم ، وإن أنكروا قولنا ادّعوا حالاً ثالثة لا عدم فيها ولا وجود ، فذلك أقبح الثلاثة حالة .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) الدهرية : الذين يدّعون أن العالم موجود أزلاً وأبداً ولا صانع له .

(٣) عطب : فناء .

وقالت فرقة منهم : إنّ أصل الأشياء في الأزليّة حبّة كانت ، فانفلقت ، فبدا منها العالم على ما ترى من اختلافه في ألوانه وإحساسه ، وزعم بعضهم أنّه غير مختلف في معانيه ، وإنّما تختلف معانيه من جهة إحساسه ، وأنكر بعضهم ذلك ، وأثبتوا له اختلافاً في معانيه وتحقيقه ، وقالت المنكرة لتحقيق الاختلاف : الأشياءُ إنّما تختلف باختلاف الإحساس لها ، وإنّه لا حقيقة لشيء منها تبيّن بها دون غيرها .

وادّعوا من الدلالات في ذلك أنّ أهل المرض الحادث من الصفراء مثل أصحاب اليرقان[1] ، إذا ذاق أحد منهم العسل وجده مرّاً ، وأهل السلامة من هذا الداء يجدونه حلواً ، وإنّ الخفّاش[2] يغشيه ضوء النهار ، ويذكي بصره الليل ، فإن كان النور يزيد الأبصار نوراً ، والظلمة مغشية لها ، وجب أن يكون نور النهار الظلمة للخفّاش وغيره ، تغشي بصره النهار، وقد يوجد ذلك في بعض الناس وغيرهم من الحيوان والطير وغيره، وإنّ الليل إذا كان مذكياً للأبصار على ما وصفنا ، فليلها نور ، كما أنّ النهار نور لمن خالفها ، والليل ظلمة لها ، فإن قلتم : إن ذلك لآفة دخلت على هذه الأصناف ، قلنا لكم : عند من خالفهم أو عند من وافقهم ؟ فإن قلتم : عند من خالفهم ، قلنا : بل الآفة دخلت على من وافقهم ؛ فإن قلتم : عند من وافقهم ، قلنا : بل الآفة دخلت على من خالفهم عندهم ، فلا فضل لأحد الصنفين على أحد .

وقالوا : ألا ترون الكاتب يكتب الكتاب عدلاً مستقيماً ، فيراه كذلك من قُبْل[3] وجهه ، فإن نظر إليه من خلفه رآه بخلاف ما كان يعرف ، وإنْ ازورّ عنه[4] معوجّاً أو خالفه رآه مخالفاً ، كما تكتب الألف في صورة تميّز

---

(١) اليرقان : مرض معروف يصيب الناس ويسبب اصفرار الجلد .

(٢) الخفّاش : ضرب من الطيور يبصر في الليل دون النهار ويسمى الوطواط .

(٣) قُبل : أمام .

(٤) ازورّ عنه : مال وانحرف .

من جميع الحروف ، فإذا استقبلتها رأيتها ألفاً ، وإذا استدبرتها[1] رأيتها كالباء ، وإذا انحرفت عنها رأيتها كالنون ، أو كالباء ، وإن الغائب عن موضعه حاضر موضعاً آخر .

وكذلك القول في الألوان والأصوات والطعوم والأعيان والملابس ، كما ترى الشخص من قرب كبيراً ، وصغيراً من بعد ، كلّما قرب الداني منه ازداد كبراً ، وكلّما بعد منه ازداد صغراً في عينه .

وكذلك الصوت يسمع من قريب قويّاً ومن بعيد خفيّاً .

وكذلك الطعم تذوق الشيء قليلاً ، فتجده قليل الحلاوة ، فإذا زدت منه كان طعمه كثير الحلاوة .

وكذلك اللمس تحسّ الشيء قليلاً ، فتجده فاتراً ، وتلمسه شديداً ، فتجده حارّاً ، وترى الصورة من قريب ثابتة مختلفة ، فيزداد الرائي لها بعداً ، فيرى أنّها مستوية غير مختلفة[2] .

وزعموا أنّ جميع الأشياء تدور على التكافؤ والتجاري ، وكادوا أن يحلفوا بالسوفسطائيّة[3] .

وقالت طائفة أخرى : إن الأشياء فروع لأصول أربعة لم تزل ولا تزول ، فولدت وظهر العالم منها ، وهي : الأفراد السواذج : الحرّ والبرد ، والرطوبة واليبس ، تنبت بأنفسها لا باعتماد ، ولا إرادة ، ولا مشيئة .

وقالت طائفة أخرى : إنّ الأصول أربعة ، وهي أمهات ما في العالم ، ومعها خامس لم يزل ولا يزول يدبرها ويؤلّف بينها بإرادة ، ومشيئة ، وحكمة ، ويؤلّف بين زوجاتها وتتولّد نتائجها عنه ، لا يمنع أضدادها من القرب بعضها من بعض ، وهو العلم .

---

(١) استدبرتها : رأيتها من الخلف .

(٢) أي تغيب عنها التفاصيل .

(٣) أي كادوا أن يكونوا على مذهب السوفسطائية .

وقالت طائفة ، وهم أصحاب الجوهر ، وهم الارسطاطاليسيّة[1] : إنّ الأشياء شيئان : جوهر وعرض ، والجوهر ينقسم قسمين : حيّ ولا حيّ ، وحدّه : القائم بنفسه ، وافتراقه في الخاصّة لا في الحدّ ، والعرض تسعة فمنها : الكمّيّة ، وهو العدد ، وصورها أربع : الكيل ، والمساحة ، والوزن ، والقول .

ثمّ الكيفيّة ، وصورها ثمان : الكون ، والفساد ، والهيئة ، والحيلة ، والقوّة ، والضعف ، والآلف ، والمألوف .

ثمّ الإضافة وصورها أربع : طبيعيّ ، وصناعي ، واستحسان ، ومودّة .

ثمّ متى ، وهي الواقعة على الوقت ، يُعنى بالوقت الزمان ، وصور الزمان ثلاث : الماضي ، والمستقبل ، والدائم .

ثمّ أنّى ، وهي الواقعة على المكان وهو الستّ جهات يعني : أمام ، وخلف ، وأعلى ، وأسفل ، ويمين ، ويسار .

ثمّ الجدة ، وهي الملك ، وصورة الملك قسمان : إمّا خارج ، وإمّا داخل ، فمعنى خارج مثل المملوك والدار والأثاث ونحوه ، ومعنى داخل مثل العلم والحكمة .

ثمّ النصبة ، ومعنى النصبة هيئة الشيء كقول القائل : فلان قائم ، وفلان قاعد ، وفلان ذاهب ، وفلان جاءٍ .

ثمّ الفاعل وهو قسمان : إمّا أن يفعل بالاختيار ، وإمّا أن يفعل بالطبع ، فالمختار مثل الحيّ ، الباقي ، الآكل ، الشارب ، والفاعل بالطبع كحركة العناصر الأربعة مثل النار تسمو من الوسط إلى العلوّ تكرّر[2] وإن كان دون النار ؛ وكالأرض من العلوّ إلى الوسط ، إلى مركزها الأخصّ بها ؛ والماء من العلوّ إلى دون الأرض .

---

(١) من كان منهم على مذهب ارسطاطليس .

(٢) وردت لفظة «تكرّر» هكذا في الأصل فأربكت المعنى .

ثمّ المنفعل ، وهو القابل للتأثير الفاعل فيه حال طينته المحتملة لأنْ يديرها ويربّعها في جميع الأشكال ؛ فهذه مقالات اليونانيّين ومن تلاهم من الروم ومذاهب متكلّميهم وفلاسفتهم وحكمائهم وأهل النظر منهم .

ملوك الروم المتنصّرة

وكان أوّل من ملك من ملوك الروم ، فخرج من مقالة اليونانيّة إلى النصرانيّة : قسطنطين[1] ، وكان سبب ذلك أنّه كان يحارب قوماً ، فرأى في منامه كأنّ رماحاً نُزل بها من السماء عليها صلبان ، فلمّا أصبح حمل على رماحه الصلبان. ثمّ حارب، فظفر، وكان ذلك سبب تنصّره ، فقام بدين النصرانيّة . وبنى الكنائس ، وجمع الأساقفة من كلّ بلد لإقامة دين النصرانيّة . فكان أوّل اجتماع لهم واجتمع بنيقيّة ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ، وأربعة بطارخة[2] : بطرخ الإسكندرية ، وبطرخ رومية ، وبطرخ أنطاكية ، وبطرخ القسطنطينيّة .

وكان سبب جمع قسطنطين هؤلاء أنه لما تنصّر ، وحلّت النصرانيّة بقلبه ،أراد أن يستقصي علمها ، فأحصى مقالات أهلها ، فوجد ثلاث عشرة مقالة ، فمنها قول من قال إن المسيح وأمّه كانا إلهَيْن ، ومنها قول من قال إنّه من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم يُنقص الأولى انفصال الثانية ، ومنها مقالة من قال بتألّهه ، ومنها مقالة من قال بتعبيده ، ومنها مقالة من قال : إن جسده كان خيالاً مثل متّى وأصحابه ، ومنها مقالة من قال : هو الكلمة ، ومنها مقالة من قال : هو الابن ، ومنها مقالة من

---

(١) قسطنطين : هو قسطنطين الأول الكبير(٢٧٤ م - ٣٣٧) . أمبراطور روما ، هزم خصمه ماكسانس خلال وقعة ظهر فيها رسم الصليب في السماء مع هذه الآية «بهذه العلامة لك النصر» . نقل عاصمة الأمبراطورية من روما إلى بيزنطية فسميت القسطنطينية . أعلن حرية الدين المسيحي في «قرار ميلانو» سنة ٣١٣ .

[أنظر المنجد : أعلام الشرق والغرب]

(٢) يريد بطاركة : والبطرك هو رئيس رؤساء الأساقفة .

قال : هو روح قديمة ، ومنها مقالة من قال : هو ابن يوسف ، ومنها مقالة من قال : هو نبيّ من الأنبياء ، ومنها مقالة من قال : هو لاهوتيّ وناسوتيّ ، فجمع قسطنطين ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً وأربعة بطارخة ولم يكن في ذلك العصر غيرهم .

وكان بطرخ الإسكندريّة يقول : إنّ المسيح مألوه مخلوق ، فلمّا اجتمعوا ناظروه في ذلك، فأجمع مقالة القوم جميعاً أنْ قالوا : إنّ المسيح ولد من الأب قبل كون الخلائق ، وهو من طبيعة الأب ، ولم يذكروا روح القدس ، ولا أثبتوه خالقاً ولا مخلوقاً ، ولكن وافقوا على أنّ الأب الإله والابن إله منه ، وخرجوا من نيقيّة ، وكان ملك قسطنطين خمساً وخمسين سنة

ثمّ ملك يوليانوس سنة واحدة ، ثم ملك دسيوس[١] سنة واحدة ، وفي أيامه ظهر أصحاب الكهف[٢] بعد أن كانوا قد ماتوا بعد دهر طويل، وكانوا عدّة نفرٍ وراعٍ ، ومعهم كلب الراعي ، وأسماؤهم : مكسلمينا ، ومَراطوس ، وشاه بوببوش ، وبطربوش ، ودواس ، وبوالس ، وكنيفرطو ، وسوطر[٣]، والراعي مليخا، وهو صاحب الكلب، واسم الكلب قطمير، فخرجوا بعد مائة سنة ، ويقال : ثلاثمائة سنة وتسع سنين[٤] ، وبعثوا بعضهم ومعه دراهم يمتار[٥] لهم طعاماً ، فأنكرت السوقة ضرب دراهمه ،

---

(١) في مروج الذهب : «أوالس» .

(٢) وقد تحدث عنهم القرآن الكريم في آيات من سورة الكهف :

﴿**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً**﴾ آية : ٩ .

﴿**إذ آوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة**﴾ آية : ٢٠ .

﴿**فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً**﴾ آية : ١١ .

﴿**فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته**﴾ آية : ١٦ .

﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم**﴾ آية : ١٧ .

﴿**ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً**﴾ آية : ٢٥ .

(٣) ورد بعض هذه الأسماء بلا نقط في الأصل .

(٤) راجع الآية الكريمة «٢٥» من سورة الكهف .

(٥) يمتار : يبتاع .

ثمّ اتّبعوه حتى صاروا إلى المغارة ، فعُمي أمرهم على القوم ، وبني على المغارة مسجد يصلّى فيه .

ثمّ ملك والنطيانوس[1] أربع سنين ، ثم ملك تيدوسوس الأكبر ، وكان في عصره الاجتماع الثاني للنصرانيّة ، فاجتمع له بالقسطنطينيّة مائة وخمسون أسقفاً وثلاثة بطارخة ، ولم يحضرها بطرخ روميّة ، فوضعوا صحيفة الأمانة ، وأثبتوا روح القدس ، وكانت صحيفة الأمانة التي وضعوها : أومن بالله الواحد الأب ، ملك كلّ شيء ، خالق السماوات والأرض ، وما يرى وما لا يرى ، وبالربّ المسيح ابن الله الذي وُلِدَ قبل الدهر ، نور من نور ، إله حقّ من إله حقّ ، مولود ليس بمخلوق ، ومن سوس الأب ، به كان كلّ شيء ، من أجلنا البشر ، ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسّد بروح القدس ومن مريم العذراء ، فصار بشراً ، وصُلب من أجلنا على عهد بلاطس البنطيّ ، وأُصيب ، وقُبر ، وقام لثلاثة أيّام ، كما هو في الكتب ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين الأب الذي ليس لملكه فناء ، وبروح القدس الربّ الذي من الأب اشتقّ الذي تكلّم فيه الأنبياء ، وبواحدة القدسيّة الكنيسة السليحيّة للحواريّين ، أومن بمعموديّة واحدة ، بمغفرة الخطايا وقيام الأموات ، وحرّموا من قال بعد هذا شيئاً ، وافترقوا من القسطنطينيّة ، وكان ملك تيدوسوس سبع عشرة سنة .

ثمّ ملك بعده ابن أخيه تيدوسوس الأصغر ووالنطيانوس ، وكان الجمع الثالث للنصرانيّة ، فاجتمع بافسس ، وحضر مائتا أسقف ، وخالف نسطور[2] على القوم جميعاً ، وقال : إنّ المسيح جوهران وكيانان ، إله تامّ بجوهره وكيانه ، فالأب ولد الإله ، ولم يلد إنساناً ، والأمّ ولدت إنساناً ، ولم تلد الإله ، فقال له قريلس : إن كان الأمر كما قلت ، فمن عبد المسيح ، فهو مسيءٌ ، لأنّه قد يكون عبد قديماً ومحدثاً ، ومن ترك

---

(١) رواية المسعودي «غراطياس» .

(٢) نسطور : بطريرك القسطنطينية (٤٢٨ م ـ ٤٣٠) وإليه ينسب النساطرة أو الأشوريون .

عبـادته ، فقـد كفر ، لأنّـه يكون قـد تـرك عبـادة القـديم كمـا تـرك عـبـادة المـحدث ، ومن عبد الإلـه دون الإنسان ، فلم يعبـد المسيح ، إذ كـان لا يستحقّ أن يقال مسيحاً من إحدى جهتيه دون الأخـرى ، فأوجب ذلـك على من حضر ، وخالفه بطرخ أنطاكية ، فقال نسطور : بطرخ أنطاكيّة يقول بمثل قولي .

وهـرب نسطور إلى أرض العـراق ، فصـارت النسـطوريّـة بـالعـراق ، وصيّروا رئيسهم ، مكان البطرخ ، جاثليق ، فافترقوا على هذا ، وكـان ملك تيدوسوس الأصغر سبعاً وعشرين سنة .

ثمّ ملك مرقيانوس ، وكان في عهـده الاجتماع الـرابع ، وكـان سبب ذلـك أنّ طرسيـوس ، صاحب اليعقـوبيّة ، قـال : إنّ المسيح جـوهر واحـد وطبيعـة واحدة ، فـأنكرتـه النصـارى ، فـاجتمـع ستّمـائـة وثـلاثـون أسقفـاً بـالقسطنـطينيّة ، ونـاظروا طـرسيوس ، فقالوا له : إن كـان المسيـح ، كمـا زعمت ، طبيعة واحدة ، فالطبيعة القديمة هي الطبيعـة المحدثـة ، وإن كان القديم من المحدث ، فـالذي لم يـزل هو الـذي لم يكن ، فلم يرجـع عن مقالته ، فحرّموه ، فصار إلى أرض مصر والإسكندريّة ، وكان طبيباً ، فـأقام بها . وكان ملك مرقيانوس خمس سنين .

ثمّ ملك بعـده اليون وا سموس[1] سبع عشـرة سنة ، ثم ملك زينـون ثماني عشرة سنة ، ثمّ ملك انسطاسيوس ، وكان الجمع الخامس للنصـرانيّة في عصره ، وذلك أنّ قـوماً من رؤسـاء النصارى قـالوا : إنّ جسـد المسيح كان خيالاً على غير حقيقة ، فاجتمعوا لذلك وقالوا: إنْ كان جسده خيـالاً ، فيجب أن يكون فعله خيالاً على غير حقيقة ، وهذا بقول السوفسطائيّـة أشبه منه بقول النصارى ، ولعن أولئك الذين قالوا هذا ، وبرئت النصارى منهم . وكان ملك انسطاسيوس سبعاً وعشرين سنة .

---

(١) غير واضحة في الأصل .

ثمّ ملك يوسطوس الثاني تسعاً وعشرين سنة ، وفي عصره ولد محمّد رسول اللّه ، ثمّ ملك يوسطوس الثالث عشرين سنة ، ثمّ ملك طيبريوس أربع سنين ، ثمّ ملك هرقل وقسطنطين ابنه ، وكان في أيّامه الجمع السادس للنصرانيّة ، وذلك أنّ قورس الإسكندرانيّ زعم أن المسيح مشيئة واحدة وفعل واحد فقال : وهذا شبيه بقول اليعقوبيّة ، فاجتمعوا لذلك ، ورضوا ببطرخ روميّة ، وكتب كتاباً ولم يحضر ، ولم يكن للنصرانيّة جمع بعدها . وكان ملك هرقل وقسطنطين ابنه اثنتين وثلاثين سنة .

ثمّ ملك قسطنطينوس ثماني عشرة سنة ، ثمّ ملك بطرخ روميّة ثلاث سنين ، ثمّ ملك فلسعررى[1] أربع سنين ، ثمّ ملك اليون وقسطنطين ابنه تسعاً وعشرين سنة .

وكانت شهور الروم التي يجرون عليها حسابهم وتأريخاتهم اثني عشر شهراً ، أولها : كانون الآخر ، وهو الشهر الذي يسمّونه بالروميّة ينوارس ، وهو رأس السنة عندهم . وهذه أسماء شهورهم : ينوارس ، وهو كانون الآخر ، وبلياس[2] ، وهو شباط ، ونرلس وهو آذار ، وابرلس ، وهو نيسان ، ومايس ، وهو أيّار ، ويولس ، وهو حزيران ، وأغسطس ، وهو تموز ، وستنبرس ، وهو آب ، واقطبرس ، وهو أيلول ، ونونبرس ، وهو تشرين الأوّل ، واكبرس وهو تشرين الآخر ، ومورس ، وهو كانون الأوّل[3] .

وكانت مملكتهم من حدّ الفرات إلى حدّ الإسكندريّة ، ممّا صار في أرض الإسلام ، سوى ما بأرض الروم ، ممّا هو في أيديهم إلى هذه الغاية .

وكانت أعظم مدائنهم : الرها من أرض الجزيرة ، وهي من ديار

---

(١) و(٢) : بلا نقط في الأصل .

(٣) : الأسماء الرومية مذكورة هنا بصورة مغايرة لما هو معروف اليوم .

مضر ، ثمّ أنطاكيّة ، وبها كرسيّ بطرس وكفّ يحيى بن زكريّاء في كنيسة القُسْيان ، وهي الكرسيّ الرابع ، والبطرك الكبير . فما كان في مملكة الروم ، وصار في الإسلام : أرض الجزيرة من حران والرها وسائر كورها ، وبالس ، وسميساط ، وملطية ، وأذَنَة ، وطرسوس ، وجند قنّسرين ، والعواصم وسائر كورها ، وجند حمص ، ومدينة حمص إحدى المدن المعدودة في مملكة الروم ، ثمّ اللاذقية ، وهي من حمص أيضاً ، وجند دمشق ، وكان عمّال ملك الروم بها آل جفنة من غسّان ، وجند الأردنّ ، وكانت إليهم أيضاً ، وعمّالها من قبل ملك الروم من آل جفنة الغسّانيين ، وجند فلسطين بكوره ، وتِنّيس ، ودمياط ، والإسكندريّة ، فهذه مملكة الروم الخالصة ممّا صارت في أرض الإسلام .

ثمّ لهم ما خلف الدرب إلى بلاد الصقالبة والإفرنج ، ومن المدن التي في بلاد الروم المشهورة المعروفة مثل : روميّة ، ونيقيّة ، وقسطنطينيّة ، واماسية ، وخَرْشنَة ، وقُره ، وعمّورية ، وصُمَلُهْ ، والقَلَمِّة ، وسلندوا ، وهرقلة ، وصقلية ، وملطنه[1]، وانطاكيّة المحترقة ، ودهرناطه، وملوية ، وسلوقيّة ، وامريه[2] ، وقونيّة ، وجنوس[3] ، وبلوس ، وبراوعس[4] ، وسلنيقة .

ملوك فارس

فارس تدّعي لملوكها أموراً كثيرة ، ممّا لا يقبل مثلها ، من الزيادة في الخلقة ، حتى يكون للواحد عدّة أفواه وعيون ، ويكون للآخر وجه من نحاس ، ويكون على كتفي آخر حيّتَان تطعمان أدمغة الرجال ، وطول المدّة في العمر ، ودفع الموت عن الناس ، وأشباه ذلك ممّا تدفعه العقول[5] ويُجرى فيه مجرى اللعبات والهزل ، وممّا لا حقيقة له . ولم يزل أهل

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) بلا نقط في الأصل .
(٥) تدفعه العقول : لا تقبله .

العقول والمعرفة من العجم ، ومن له شرف ، والبيت الرفيع من أبناء ملوكهم ودهاقينهم[1] ، وذوي الرواية والأدب ، لا يحقّقون هذا ، ولا يصحّحونه ، ولا يقولونه .

ووجدناهم إنّما يحسبون ملك فارس من لدن اردشير بابكان ، فمن كان عندهم من أوّل ملوكهم والمملكة الأولى قبل اردشير : شيومرث سبعين سنة ، اوشهنج فيشداد أربعين سنة ، طهمورث ثلاثين سنة ، جم شاد سبعمائة سنة ، الضحاك ألف سنة ، افريدون خمسمائة سنة ، منوجهر مائة وعشرين سنة ، افراسياب ، ملك الترك ، مائة وعشرين سنة ، زوطهماسب خمس سنين ، كيقباذ مائة سنة ، كي كاووس مائة وعشرين سنة ، كي خسرو ستّين سنة ، كي لهراسب مائة وعشرين سنة ، كي بشتاسب مائة واثنتي عشرة سنة ، كي اردشير مائة واثنتي عشرة سنة ، خماني بنت جهرزاد ثلاثين سنة ، دارا بن جهرزاد اثنتي عشرة سنة ، ثمّ قتله الإسكندر[2] الذي يقال له ذو القرنين ، فافترق ملك فارس ، وملك ملوك يسمّون ملوك الطوائف ، وهؤلاء كان ملكهم ببلخ .

ويزعم النسّابون أنّهم من ولد عامورا بن يافث بن نوح ، وكانوا على دين الصابئين[3] ، يعظّمون الشمس والقمر والنار والنجوم السبعة ، ولم يكونوا مجوساً ، ولكنهم كانوا على شرائع الصابئين ، وكان كلامهم السرياني ، به يتكلمون ، وبه يكتبون ، وهذا رسم خط السرياني[4] ، ولهم أخبار قد أثبتت رأينا أكثر الناس ينكرونها ويستبشعونها ، فتركناها ، لأنّ مذهبنا حذف كلّ مستبشع .

المملكة الثانية من اردشير بابكان

وملك اردشير ، وهو أوّل ملوك الفرس المتمجّسة[5] ، وكان ملكه

---

(١) الدهاقين : مفردها دهقان وهو رئيس الإقليم عند الفرس .

(٢) وقد تزوّج الإسكندر ابنته بعد قتله كما مرّ معنا سابقاً .

(٣) الصابئون : عبدة الكواكب .

(٤) لم يثبت هذا الرسم في الأصل .

(٥) المتمجسة : الموالية للمجوس وهم أمة يعبدون الشمس أو النار ، وربما أطلق =

باصطخر ، وامتنع عليه بعض كور فارس ، فحاربهم حتى فتحهـا ، ثمّ صار إلى أصبهــان ، ثمّ صـار إلى الأهــواز ، ثمّ إلى ميســان ، ثمّ رجــع إلى فارس ، فحارب ملكاً يقال له اردوان ، فقتله ، وسمّي اردشير شاهنشاه[1] ، وبنى بيت نـار بـأردشـيرخـرّه ، ثمّ صـار إلى الجـزيـرة وأرمينيـة واذربيجـان ، ثمّ صـار إلى سواد العراق ، فسكّنـه ، وصار إلى خـراسان ، فـافتتح كـوراً[2] منها ، ولمّا دوّخ البلاد عقـد لابنه سـابور الملك بعـده ، وتوّجـه ، وسمّاه الملك . وتوفّي اردشير ، وكان ملكه أربع عشرة سنة .

وملك سابور بن أردشير ، فغزا بـلاد الروم ، وفتـح منها عـدّة بلدان ، وأسـر خلقاً من الـروم ، فبنى مدينـة جنديسـابـور ، وأسكنهـا سبي الـروم ، وهندس له رئيس الروم القنطرة التي على نهر تستر ، وعرْضه ألف ذراع .

وفي أيـام سابـور بن أردشير ظهـر ماني[3] بن حَمّـاد الزنـديق ، فدعـا سابور إلى الثنويّة ، وعاب مذهبه ، فمال سابور إليه ، وقال ماني : إنّ مدبّر العالم اثنان ، وهما شيئان قديمان : نـور وظلمة ، خـالقان ، فخـالق خير ، وخالق شرّ ، فالظلمة والنور كلّ واحد منهمـا في نفسه اسم لخمسـة معان : اللون ، والـطعم ، والرائحـة ، والمجسّة[4] ، والصـوت ، وإنّهـمـا سميعـان بصيران عالمان ، وإنّه ما كان من خير ومنفعة ، فهو من قِبَل النور ، وما كان من ضـرر وبلاء ، فهـو من قبل الـظلمة ، وإنّهمـا كانـا غير ممتـزجين ، ثمّ

= «المجوسي» على الساحـر والحكيم والفيلسوف . والكلمـة معـرّبـة عن «ميخ كـوش» بالفارسية ومعناها صغير الأذنين .

[لسان العرب مادة مجس]

(١) شاهنشاه : ملك الملوك .

(٢) الكور : المدن والأقاليم .

(٣) ماني : (٢١٥ م ـ ٢٧٦) . مؤسس مذهب المانوية القائل بمبدأين بالوجود مبدأ الخيـر ومبدأ الشر ، النور والظلام . وإليه مرجع اليزيدية . أدخل ماني في التصوير الفـارسي نسق التصوير الصيني ورسم الملائكة والشياطين .

[أعلام الشرق والغرب]

(٤) المجسّة : اللمس .

امتزجا ، والدليل على ذلك أنّه لم تكن صورة ثم حدثت ، وأنّ الظلمة هي بدأت للنور بالممازجة ، وأنّهما كـانا متمـاسّين على مثال الـظلّ والشمس ، والدليل على ذلك استحالة كون شيء لا من شيء ، الدليل على أن الظلمة بدأت للنور بالممازجة ، أنّه لمّا كانت مخالطة الظلام للنور مفسـدة له كـان محالاً أن يكون النور بدأها لأنّ النور من شأنه الخيـر . والدليـل على أنهما اثنان قديمان خير وشرّ أنّه لمّـا وجدت المـادّة الواحـدة لا يكون منهـا فعلان مختلفان مثل النار الحارّة المحرقة لا يكون منها التبـريد، والـذي يكون منـه التبريد لا يكون منه التسخين ، فذلك الـذى يكون منـه الخير لا يكـون منه الشرّ ، والذي يكون منه الشرّ لا يكون منه الخير .

والدليل على أنّهما حيّان فاعلان أنّ الخير تثبت له فعلاً ، والشرّ تثبت له فعلاً .

فأجابه سابور إلى هذه المقالة، وأخـذ بها أهـل مملكته، فعـظم ذلك عليهم ، فاجتمع حكماء أهل مملكته ليصدّوه عن ذلك ، فلم يفعل .

ووضع ماني كتباً يثبت بها الاثنين ، وممّا وضع كتابه الذي يسمّيه كنز الأحياء يصف ما في النفس من الخلاص النوري والفساد الظلميّ ، وينسب الأفعال الرديّة إلى الظلمة .

وكتـاب يسمّيـه الشـابـرقـان يصف فيـه النفس الخـالصـة والمختلطة بـالشياطين ، والعلل ، ويجعـل الفلك مسطوحـاً ، ويقـول : إنّ العلم على جبل مائل يدور عليه الفلك العلويّ .

وكتـاب يسمّيه كتـاب الهدى والتـدبير ، واثنـا عشر إنجيـلاً يسمّي كلّ إنجيـل منها بحـرف من الحروف ، ويـذكر الصـلاة ومـا ينبغي أن يستعمـل لخلاص الروح .

وكتاب سفر الأسرار الذي يطعن فيه على آيات الأنبياء .

وكتاب سفر الجبابرة ، وله كتب كثيرة ورسائل .

فأقام سابور على هذه المقالة بضع عشرة سنة ، ثمّ أتاه الموبذ ، فقال : إنّ هذا قد أفسد عليك دينك ، فاجمعْ بيني وبينه لأناظره ! فجمع بينهما ، فظهر عليه الموبذ بالحجّة ، فرجع سابور عن الثنويّة[1] إلى المجوسيّة ، وهمّ بقتل ماني ، فهرب ، فأتى إلى بلاد الهند ، فأقام بها حتى مات سابور .

ثمّ ملك بعد سابور هرمز بن سابور ، وكان رجلاً شجاعاً ، وهو الذي بنى مدينة رامهرمز ، ولم تطل أيامه ، وكان ملكه سنة واحدة .

ثمّ ملك بهرام[2] بن هرمز وكان مشغوفاً بالعبيد والملاهي ، وكتب تلاميذ ماني إليه أن قد مَلَكَ ملك حديث السنّ ، كثيرُ التشاغل[3] ، فقدم إلى أرض فارس ، واشتهر أمره ، وظهر موضعه ، فأحضره بهرام ، فسأله عن أمره ، فذكر له حاله ، فجمع بينه وبين الموبذ ، فناظره ، ثمّ قال له الموبذ : يذاب لي ولك رصاص يصب على معدتي ومعدتك ، فأيّنا لم يضرّه ذلك ، فهو على الحقّ . فقال : هذا فعل الظلمة ! فأمر به بهرام فحُبس ، وقال له : إذا أصبحت دعوت بك ، فقتلتك قتلة ما قتل بها أحدٌ قبلك ، فلم يزل ماني ليله يسلح[4] حتى خرجت نفسه ، وأصبح بهرام ، فدعا به ، فوجدوه قد مات ، فأمر بحزّ رأسه ، وحشا جسده بالتبن ، وتتبّع أصحابه ، فقتل منهم خلقاً عظيماً . وكان ملك بهرام بن هرمز ثلاث سنين .

ثمّ ملك بهرام [5] بن بهرام ، وكان ملكه سبع عشرة سنة ؛ ثمّ ملك

---

(١) الثنوية : مذهب ماني .

(٢) كانت له حروب كثيرة مع ملوك الشرق حسب ما جاء في رواية المسعودي .

(٣) التشاغل : اللهو .

(٤) لشدة خوفه .

(٥) وقد أقبل في أول ملكه على القصف واللذات والصيد والنزهة ، لا يفكر في ملكه ، ولا ينظر في أمور رعيته . .

[مروج الذهب ١ : ٢٥١]

بعده ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام ، فكان ملكه أربع سنين ؛ ثمّ ملك أخوه نرسي بن بهرام تسع سنين .

ثمّ ملك هرمز بن نرسي تسع سنين . وولد له ابن سمّاه سابور ، وعقد له الملك ، ومات هرمز وسابور صبيّ في المهد ، فأقام أهل مملكته متلوّمين عليه ، حتى ترعرع وشبّ ، ثمّ ظهر منه عتوّ وجبريّة ، فغزا بلاد العرب ، وغوّر عليهم المياه ، وغزاه ملك الروم ، وهو إليانوس ، فأعانته العرب من جميع القبائل ، ثمّ تسرّعت قبائل العرب إلى سابور ، فأوقعت به في دار ملكه ، حتى هرب ، وخلا ملكه فانتُهبت مدينته وخزائنه ، ثمّ جاء سهم غَرْب[1] فقتل إليانوس ملك الروم فملكت الروم يوبنيانوس ، فصالح سابور .

وأقام سابور على معاداة العرب لا يظفر بأحد منهم إلّا خلع كتفه ، فلذلك سمّي سابور ذا الأكتاف . وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة .

ثمّ ملك أردشير بن هرمز أخو سابور ، فساءت سيرته ، وقتل الأشراف والعظماء منهم ، فخلع بعد أن ملك أربع سنين .

وملّكت الفرس سابور بن سابور ، فخضع له أردشير المخلوع ومنحه الطاعة ، وسقط على سابور فسطاط فقتله ، وكان ملكه خمس سنين .

وملك بعد سابور بهرام بن سابور ، وكتب إلى الآفاق يعدهم العدل ، والنصفة ، والإحسان ، وأقام على ملكه إحدى عشرة سنة ، ثمّ ثار عليه قوم فقتلوه .

ثمّ ملك يزدجرد بن سابور ، وكان فظّاً ، غليظاً ، مستطيلاً ، سيّء السيرة ، قليل الخير ، كثير الشرّ ، فسامهم سوء العذاب ، ثمّ رمحه[2] فرس ، فقتله . وكان ملكه إحدى وعشرين سنة .

---

(١) سهم غرب : سهم لا يُدرى راميه .

(٢) رمحه : رفسه .

ثمّ ملك بهرام جور بن يزدجرد ، وكان قد نشأ بأرض العرب ، وكان أبوه قد دفعه إلى النعمان[1] ، فأرضعته نساء العرب ، ونشأ على أخلاق جميلة .

وقد كان لمّا مات يزدجرد كرهت الفرس أن تولّي ابناً له لسوء مذهبه ، وقالوا : بهرام ابنه قد نشأ بأرض العرب ، لا علم له بالملك ! وأجمعوا على أن يملّكوا رجلاً غيره ، فسار بهرام في العرب ، فلمّا لقي الفرس هابته ، فأخذوا تاج الملك والزينة التي تلبسها الملوك ، فوضعوهما بين أسدَيْن ، وقالوا لبهرام ولكسرى : أيّكما أخذ التاج والزينة من بين هذين الأسدين ، فهو الملك . فقالوا لبهرام ، فأخذ جُرزاً[2] ، وتقدّم ، فضرب الأسدين حتى قتلهما ، وأخذ التاج والزينة ، فأذعنوا له ، وأعطوه الطاعة ، فوعدهم من نفسه خيراً ، وكتب إلى الآفاق يعدهم بذلك ، ويعلمهم ما هو عليه من العدل ، وتوخّى عمارة البلاد ، وقدم المنذر بن النعمان عليه ، فرفع منزلته .

وكان بهرام رجلاً مؤثراً للّهو ، متشاغلاً عن الرعيّة ، ثمّ صار لطلب الصيد واللّهو ، واستخلف أخاه نرسي على المملكة ، فلمّا بلغ خاقان ملك الترك حال بهرام طمع فيه ، فأراد أن يسير نحوه ، فبلغ بهرام ذلك ، فسار إليه حتى قتله ، وكتب إلى رعيته بالفتح ؛ ثمّ خرج يوماً يتصيّد ، فأمعن في طلب عير[3] ، ثمّ طرحه فرسه في موضع حمأة[4] ، فمات ، فكان ملكه تسع عشرة سنة .

---

(١) هو النعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس ، آخر ملوك بني لخم في الحيرة (نحو ٥٨٠ ـ ٦٠٢) . كان مسيحياً وأخته هند راهبة . كان شاعره النابغة الذبياني . وكّله هرمز الرابع ملك الفرس على حراسة الحدود بين فارس وبلاد الروم .
[أنظر الأعلام ٦ للزركلي]

(٢) الجرز : عمود من حديد .

(٣) العير : قافلة من الحمر الوحشية .

(٤) الحمأة : الطين الأسود .

ثمّ ملك يـزدجرد بن بهـرام ، وكـان ملكـه سبـع عشـرة سنـة ، وكـان ليزدجرد هذا ابنان يقـال لأحدهمـا هرمـز والآخر فيـروز ، فغلب هرمـز على الملك بعـد أبيه ، فهـرب فيروز ، ولحق ببـلاد الهياطلة[1] ، وأخبـر ملكهـا بقصته ، وبمذاهب أخيه وجوره ، فأمدّه بجيش ، فـأقبل بهم ، وقـاتل أخـاه فقتله ، وشتّت جمعه .

وملك فيروز ، فنال الناسَ في أيّامه جدب وقحط ، ومجاعة شـديدة ، وغـاضت الأنهـار والعيـون ، فلم يـزل على تلك حـالهم ثـلاث سنين ، ثمّ خصبت البلاد .

وسار فيروز إلى بلاد الترك ليحارب ملكها ، وقد كان الصلح وقع بين الفرس والترك ، فلمّا قرب من البلاد أرسل إليه ملك الترك يسأله الـرجوع ، ويعظم عليه ترك الوفاء ، فلم يقبل ، فحفر له خندقاً عميقـاً ، ثمّ عماه[2] ، فلمّـا قـرب منـه عبّـأ عسكـره واقتحمـه ، فسقط وجميـع جنـده في ذلـك الخندق ، فمات ، وحوى ملك الترك أمواله ، وأخـذ أختاً لـه ، وكان ملكـه سبعاً وعشرين سنة . فلما بلغ الفرس مقتل فيروز أعظمـوه ، فسار رئيس من رؤسائهم يقال له سوخرا في جمع وعدّة ، حتى لقي ملك الترك ، فحاربه ، ونال منه ، فدعاه ملك الترك إلى الصلح على أن يدفع إليه كلَّ ما حـواه من خـزائن فيروز ، ويـرد أختـه ، ومن في يـده من أصحـابـه ، ففعـل ذلـك ، وانصرف عنه .

وملك بلاش بن فيروز ، وكانت مدته أربع سنين ؛ ثمّ ملك أخوه قباذ ابن فيروز ، وكان صغيـر السنّ ، فترك لسـوخرا تـدبير المملكـة ، فلمّا بلغ وصار في حدّ الرجال لم يرضَ بتدبير سوخرا ، فقتله ، وقدّم مهران ، ثمّ إنّ الفرس أزالت قباذ عن ملكه ، وحبسته ، وملّكت أخـاه جامسب بن فيـروز ، فأقام قباذ في الحبس ، وأخوه الملك .

---

(١) الهياطلة : هم الصغد بين بخارى وسمرقند .

(٢) عمّاه : ستره وموّهه .

ثمّ إنّ أختاً لقباذ دخلت الحبس ، فتعرّض لها صاحب الحبس ، وأطمعته في نفسها ، وقالت إنّها طامث[1] ، ثمّ دخلت ، فأقامت عند قباذ يوماً ، ثمّ لفّته في بساط ، وأخرجته على عنق غلام جلد ، فهرب قباذ يريد ملك الهياطلة ، فلمّا صار بأبْرشهر نزل برجل ، فأقام عنده ، ثمّ سأله أن يطلب له امرأة ، فأتاه بجارية ، فوقع عليها ، وأعجبه حسنها وجمالها ، ثمّ مضى إلى ملك الهياطلة ، فأقام عنده سنة ، ثمّ بعث معه جيشاً ، فلمّا رجع بأبرشهر قال للرجل الذي نزل عنده : ما فعلت تلك الجارية ؟ فأُتي بها ، وقد ولدت صبيّاً كأحسن ما يكون من الصبيان ، فسمّاه كسرى أنوشروان .

وزحف قباذ إلى بلاده ، فغلب على الملك ، وقوي أمره ، واشتدّت شوكته ،وغزا بلاد الروم ، وكوّر[2] الكور والطساسيج ، وعقد لابنه أنوشروان الملك ، ودعاه ، فأوصاه بأحسن الوصيّة وعرّفه كلّ ما يحتاج إليه . وكان ملك قباذ ثلاثاً وأربعين سنة .

ثمّ ملك أنوشروان بن قباذ، فكتب إلى أهل مملكته يذكر لهم وفاة قباذ، ويعدهم من نفسه خيراً، ويأمرهم بما لهم فيه الحظّ، ويوعز إليهم في الطاعة والمناصحة ، وعفا عن قوم كانوا يتحمّلون عليه ، وقتل مزدق[3] الذي كان أمر الناس بأن يتساووا في الأموال والحرم ، وقتل زراذشت بن خرّكان لما ابتدع في المجوسيّة ، وقتل أصحابها ، وقدّم أهل المملكة والشرف ، وغزا بلداناً عدّة ممّا لم يكن في مملكة الفرس ، فضمّها إلى ملكه .

وجرى بينه وبين يخطيانوس ملك الروم ....[4] ، فغزا أنوشروان

---

(١) طامث : في فترة الطمث أي الحيض .

(٢) كوّر : ابتنى .

(٣) مزدق : دعا إلى مذهب غايته نزع الخلاف بين الناس بجعل الحق في الأموال والنساء مشاعاً بينهم . قُتل سنة ٥٣١ م . (الأعلام للزركلي)

(٤) بياض في الأصل .

بـلاد الـروم ، فقتـل وسبَى ، وغلب على مـدن كثيـرة من الجـزيـرة والشـأم منها: الرهـا، ومنبج، وقنّسـرين، والعواصم، وحلب، وأنـطاكيّة، وأفـاميّة، وحمص وغيرها ، وأعجبته أنطاكيّة ، فبنى مدينة مثلها لم يخرم منها شيئـاً ، ثمّ جاء بسبْي أنطاكيّة ، فأرسلهم فيها ، فلم ينكروا شيئاً .

ومسـح[1] أنـوشـروان البـلاد ، ووضـع عليهـا الخـراج ، وألـزم كـلّ جـريب[2] من الغلاّت بـقـدر احتمالـه ، فلم تزل السنّـة جاريـة على ذلك ، والبـلاد عامـرة . ورتّب لديـوان المقاتلة رجـلاً رضي حزمـه وعزمـه ، وأخذ مقاتلته ممّا يحتاج إليه من السـلاح ، وجعل ديـوان العطاء ، ودفـاتر الأسمـاء والحلى ، وسمات الدوابّ ، وديوان العَرْض على مثل ذلك .

وكان أنوشـروان نبيلاً ، كريماً ، ظاهر العـدل ، لايسألـه إنسان شيئـاً إلاّ أجابه ، فسار إليه سيف بن ذي يزن[3] ، فأعلمه أن الحبشة قـدمت بلاد اليمن ، وغلبت عليها ، وأنّه صار إلى هرقل ملك الروم ، فلم يجد عنده ما يحبّ ، فبعث معه بأهل السجون في البحر ، وقوّد عليهم رجـلاً من مشيخة قـوّاده شجاعـاً مجرّبـاً يقال لـه وهرز ، فصـار إلى بـلاد اليمن ، حتى قتـل الحبشـة ، وأفناهم ، ورمى ملكهم ابـرهـة[4] فقتله ، وأقـام في البلد وملّك سيف بن ذي يزن .

وعقد أنوشروان لابنه هـرمز الملك من بعـده ، وكانت أمّ هـرمز بنت خاقان ملك الترك ، وكتب له في ذلك كتاباً بالعهد ، وأمره فيه بما يـأمر بـه

---

(١) مسح البلاد : قاسها وقسّمها .

(٢) الجريب : مقدار معلوم .

(٣) سيف بن ذي يزن : هو ملك بني حمير في جنوبي جـزيرة العـرب (نحو ٥٧٠ م.) . بطل الأساطير الشعبية المدوّنة في سيـرة ابن ذي يزن .

[الأعلام ٣ للزركلي]

(٤) هو أبرهة الأشرم الحبشي أول من استخدم الفيلة في القتال .حارب الفرس سنة ٥٧٠م. وتسمـى سنـة هـذه الحرب «عام الفيل» ومنها يؤرخون مولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

[أعلام الشرق والغرب]

مثله ، وأوصاه أحسن الوصايا ، وامتحنه ، فوجده بحيث يحبّ ، وأجابه على كلّ ما قال له بجواب سديد ، وتنكر ولا يأتيه إلّا بقول حسن لطيف ، وهلك أنوشروان ، وكان ملكه ثمانياً وأربعين سنة .

ثمّ ملك هرمز بن أنوشروان ، فقرأ على الناس كتاباً عامّاً يعد فيه بالعدل والإنصاف ، والعفو والإحسان ، ويأمرهم بما فيه الصالح ، ونال ظفراً وعزّاً ، ففتح عدّة مدائن ، ثمّ اجترأ أعاديه عليه ، وغزوا بلاده ، وكان أغلظ الأعداء عليه شابه ملك الترك ، فإنّه زَحف في خلق عظيم حتى دخل بلاد خراسان ، وكاد أن يحتوي عليها .

وأقبل ملك الخزر[1] في جموع حتى نزل اذربيجان ، فعظم ذلك عليه ، وخاف ألّا يكون له طاقة بصاحب الترك ، فأتاه رجل من قوّاده يقال له بهزاد ، فأعلمه أنّ عنده رجلاً يقال له مهران ستاد عالماً . . . . . .[2] ، وأنّ خاتون امرأته سألت عمّا قبلهم ، فأخبرها أنّ ابنتها تلد من ملك الفرس ابناً يلي الملك بعد أبيه ، وأنّه يزحف إليه ملك الترك في خلق عظيم ، فيوجّه إليه بإنسان ليس بالنبيه يقال له : بهرام شوبين ، في شرذمة من الجند ، ويقتل ذلك الملك ، ويصطلم[3] ملكه .

فلمّا سمع هرمز ذلك سرّه ، ثمّ طلب بهرام شوبين ، فقيل له : ما نعرف هذا إلا رجلاً من أهل الريّ هو باذربيجان ! فوجّه إليه ، فأقدمه ، ثمّ وجهه إلى شابه ملك الترك في اثني عشر ألف مقاتل ، فقال موبذان موبذ لهرمز : ما أخلقه أن ينال ظفراً ، غير أنّ في قرنة حاجبه دليلاً على ثلمة يثلمها في ملكك . وقال له زاجر ، كان له ، مثل ذلك ، فكتب هرمز إلى بهرام أن يرجع ، فلم يرجع ووافاه بهرام بهراة ، وشابه مغترّ، وكان عند شابه رجل وجّه به هرمز ليخدعه يقال له هرمز جرابزين ، حتى فرّمنه ،

---

(١) الخزر : شعب قطن القفقاس في القرون الوسطى وعرف باسم «هون» تنصروا بين ٨٥١ م . و٨٦٣ م . ثم أسلموا سنة ٩٦٥ م .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) يصطلم : يستأصل .

ثمّ ارتحل عنه، فأرسل شابه من عرف خبر بهرام، فانصرف إليه، فأعلمه حاله، فأرسل إليه شابه في الرجوع، فأجابه بهرام بجواب غليظ شديد، ثمّ لقيه وقد عبّأ جنده، وقد كان مع شابه قوم عرّافون[1] وسحرة، وكانوا يُلبّسون[2] على أصحاب بهرام، ثمّ التحمت الحرب، فاستحرّ القتل في أصحاب شابه، حتى قتل منهم خلق عظيم، فولّوا منهزمين، وقتل بهرام منهم مقتلة عظيمة، ولحق شابه، فرماه بحربة طويلة، فقتله، وأخذ ساحراً كان مع صاحب الترك، فأراد بهرام أن يستبقيه، فيكون عدّة له في حروبه، ثمّ رأى أن قتله أصلح، فكتب بالفتح إلى هرمز، فسرّ به، وكتب به إلى الآفاق.

ثمّ خرج برموذه بن شابه، فلقي بهرام، فحاربه وبيّته، وكانت بينهما حرب شديدة، ثمّ بيّته بهرام، فهزمه، ولحقه، فحصره في حصن، فطلب برموذه بن شابه الأمان على أن يكون ذلك من هرمز الملك، فكتب بهرام إلى هرمز، فأجابه، وكتب له كتاب أمان، وكتب إلى بهرام أن يسرحه إليه؛ فخرج برموذه بن شابه من الحصن، وكان هرمز قد وجّه ناساً إلى بهرام شوبين، فصار برموذه إلى هرمز، فأكرمه هرمز، وبرّه، وأجلسه معه على السرير، وأخبره برموذه بما صار إلى بهرام من الأموال العظام والكنوز، وأنّه قد كتم ذلك عن أمنائه، وأخبر أمناؤه بمثل ذلك، وأنّ الذي بعث به قليل من كثير، فكتب هرمز إلى بهرام يأمره أن يحمل إليه ما في يده من الأموال، فغلظ ذلك على بهرام، وأخبر به جنده، فذكروا هرمز أقبح ذكر، وخلعه هو وجميع جنده. فلمّا بلغ ذلك هرمز اغتمّ له، وكتب إلى بهرام يعتذر إليه وإلى جنده من مثل ذلك، فلم يقبل بهرام ولا جنده قول هرمز، وبعث بهرام إلى هرمز بسَفَط[3] فيه سكاكين معوجّة الرؤوس، فلمّا رآها هرمز علم أنّه قد عصى، فقطع أطراف السكاكين، وردّها إليه،

---

(١) عرّافون : متنبئون .

(٢) يلبّسون : يخلطون .

(٣) السفط : وعاء كالقفّة .

فعلم بهرام ما أراد ، فأرسل إلى خاقان ملك الترك يطلب صلحه على أن يردّ عليه كلّ أرض حازها من بلاده .

وسار بهرام حتى صار إلى الريّ ، ثمّ دبّر أن يوقع بين هرمز وبين ابنه كسرى أبرويز شرّاً ، وكان هرمز متّهماً لابنه ، وكان قد بلغه أنّ قوماً قد حملوه على أن يثب بأبيه ، فضرب[1] دراهم كثيرة ، وصيّر عليها اسم كسرى ابرويز ، وبعث بها إلى مدينة هرمز ، فكثرت في أيدي الناس ، ولمّا بلغ هرمز خبرها اشتدّ غمّه ، فأراد أن يحبس ابنه كسرى ابرويز ، فلمّا بلغ ابرويز الخبر هرب إلى اذربيجان ، فاجتمع إليه من بها من مرازبتها[2] ورؤسائها ، وعاقدوه ، وبايعوه .

ووجّه هرمز إلى بهرام بجيش مع رجل يقال له آذينجُشْنَس ، فلمّا صار في بعض الطريق قتله رجل حواريّ[3] كان آذينجشنس أخرجه من الحبس ، وضمّه إلى نفسه ، وافترق أصحابه ، فلمّا قتل آذينجشنس ضعف أمر هرمز ، واجترأ عليه جنده ، وكانوا متغضّبين له كارهين لولايته ، فكتبوا إلى ابنه ابرويز ، فقدم بجيش من اذربيجان ، فخلعوا هرمز ، وملّكوا ابرويز ، وأُخذ هرمز فحبس ، وسملت عيناه ، فأقام في الحبس أيّاماً ، ثمّ دخل إليه ابنه ، فكلمه فقال له هرمز : اقتلْ من صنع بي هذا . وكان قد احتوى على تدبير المُلْك بِنْدي وبسطام خالا ابرويز ، وكان ملك هرمز اثنتي عشرة سنة .

فلمّا استقام أمر أبرويز ، وبلغه مسير بهرام شوبين إليه ، خرج في جيشه ، ومعه بندي وبسطام ، حتى وقف على بهرام بالنهروان ، وكلّمه وعظّم عليه الأمر ، فأجابه بهرام بجواب غليظ شديد ؛ وكان كردويه أخو بهرام مع

---

(١) ضرب الدراهم : صكّها .
(٢) المرازبة : جمع مرزبان وهو رئيس الإقليم عند الفرس .
(٣) الحواري : واحد الحواريين وهم رسل السيد المسيح ، وسمّوا كذلك لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم .

كسرى ابرويز ، وألحقه بهرام ، وانكشف عن كسرى جنده ، وأسلمه أصحابه ، فمرّ هارباً ، فلمّا كان في بعض الطريق ، رجع بندي وبسطام خالاه ، فقتلا هرمز أباه ، ولحقاه في بعض الطريق ، واستمرّ به الهرب حتى ساءت حالته ، واشتدّ بؤسه وجزعه ، فطلب طعاماً فلم يجد إلاّ خبز شعير .

ولحقته خيل بهرام ، فاحتال له خاله بندي حتى نجّاه ، فمضى حتى صار إلى الرها ، فأُخذ بندي ، فأُتي به بهرام ، فحبسه ، ثمّ أفلت من الحبس ، فصار إلى اذربيجان ، وصار كسرى إلى الرها يريد مورق ملك الروم ، فحبسه صاحب الرها ، وكتب إلى مورق ملك الروم يخبره أنّه أتاه لينصره ، فاستشار ملك الروم أصحابه في أمره ، فأشار بعضهم بأن لا يجاب ، وأشار بعضهم بأن يجاب ، فأجابه ملك الروم ، وزوّجه ابنته ، ووجّه معه بجيش عظيم ، وشرط عليه الشروط ، إذا تمّ له نصره ، ووجّه إليه كسرى بثلاثة نفر من أصحابه ، فشرط عليهم كلّ ما أراد ، ووجّه بابنته وبالجيش وعليهم أخٌ له يقال له ثيادوس ، ومعه رجل يجري مجرى ألف رجل ، فسار كسرى بجيشه ، بعد ابتنائه[1] بابنة ملك الروم ، إلى ناحية اذربيجان ، وكان بندي خاله قد صار اليها ، فلمّا علم بمكانه لقيه في جيش عظيم .

ولمّا علم بهرام شوبين بما اجتمع لكسرى كتب إلى وجوه أصحابه يخبرهم بسوء مذهب آل ساسان[2] ، ويصف سيرة ملك ملك ، ويدعوهم إلى نفسه ؛ ووقعت الكتب في يد كسرى قبل أن تصل إلى القوم ، فكتب إليه بأغلظ الجواب عن القوم ، وردّ إليه الرسول ، فزحف إليهم بهرام حتى صار إلى اذربيجان ، فحاربه محاربة شديدة ، وأخذت الحرب من الفريقين ، وخرج الرومي الذي كان يجري مجرى ألف رجل ، فقال لكسرى : أين عبدك هذا الذي غصبك ملكك ، حتى أقتله ؟ فقال : هو

(١) أي زواجه .

(٢) يعني الفرس .

صاحب الأبلق[1] ، فحمل عليه وتراجع بهرام إلى ورائه ، ثمّ تراجع عليه ، فضربه بسيفه فقدّه نصفين ، فضحك كسرى ، وقال : زِهْ ، فغضب أخو ملك الروم ، وقال : سررت أن قتل رجلنا وصاحبنا ؟ فقال : لا ولكن صاحبكم قال لي : أين العبد الذي غصبك وغلبك ملكك ، فأردت أن تعلم أن العبد يضرب في كل يوم عدّة ضربات كلّ مثل هذه .

واشتدت الحرب حتى انهزم كسرى ، وصعد في جبل ، فكاد يهلك ، ثمّ ثاب جند كسرى ، وانهزم بهرام شوبين ، فمضى منصرفاً لا يلوي على شيء ، متوجّهاً إلى ملك الترك .

واستقام الأمر لكسرى ابرويز ، فكتب إلى صاحب الروم بذلك ، وأهدى له ملك الروم ثوبين فيهما الصُّلُب ، فلبسهما ، فقال الفرس : قد تنصّر[2] ، ثمّ كتب في النصارى أن يكرَموا ، ويقدَّموا ، ويبرزوا ، ويخبر بما قد جرى بينه وبين الروميّ من العصمة ، واللّحمة ، والموادعة ، وأنّه لم يقل هذا ملك من الملوك قبله .

ووثب بندي خال كسرى بثيادوس أخي ملك الروم ، فصمّه[3] ، فوقع الشرّ ، وقال أخو ملك الروم : إمّا أن تدفع إليّ بندي ، وإمّا أن يعود الشرّ ، فسكّنه كسرى .

وورد بهرام شوبين بلاد الترك ، فأكرمه خاقان وبرّه ، وكان لخاقان أخ يقال له بمارس[4] يداريه خاقان ، فرآه بهرام ، فقال لخاقان : كيف اجترأ هذا عليك هذه الجرأة؟ فسمع أخو خاقان الكلام ، فتوعّده ، فقال بهرام : متى شئت فابرزْ ، فدفع خاقان ملك الترك إلى أخيه نشّابة وإلى بهرام نشّابة ، ثمّ أخرجهما إلى الصحراء ، فرمى أخو خاقان بهرام ، فأصابه ، فشكّ

---

(١) أي الحصان الأبلق وهو ما كان في لونه سواد وبياض .

(٢) تنصّر : اعتنق النصرانية أي دين المسيح عليه السلام .

(٣) صمّه : أسكته .

(٤) بلا نقط في الأصل ، وربما هو نفارس .

سلاحه ، ورماه بهرام ، فقتله ، فسرّ خاقان بقتل أخيه لمعاندته له ، ولما كان يخافه منه .

وكان كسرى يرهب مكان بهرام شوبين مع خاقان ، ولا يأمن أن يجري عليه شرّاً ، فوجّه برجل من وجوه الفرس يقال له بهرام جرابزين ، وكان كبيراً في الفرس ، ووجّه معه إلى خاقان بهدايا ويسأله أن يبعث إليه بهرام شوبين ، وأمر جرابزين أن يتلطّف في أمره ؛ فقدم على خاقان بالهدايا ، وذكر له أمر بهرام ، فلم يجد عنده الذي يحبّ ، فتلطّف بخاتون امرأة خاقان ، وأهدى لها جوهراً ومتاعاً ، وسألها في أمر بهرام ، فوجّهت برجل من أصحابها له إقدام وجُرْأة قلب ، وقالت له : أُدجل إلى بهرام شوبين فاقتلْه ! فانطلق حتى استأذن عليه ، وكان نوم بهرام ، فلم يأذن له ، فقال : إنّ الملك خاقان وجّهني في أمر مهمّ ، فأذن له ، فلمّا دخل عليه قال : إنّ الملك حمّلني رسالة أخبرك بها سرّاً من غير حضور أحد . فقام من مجلسه ، ودنا منه كأنّه يسارّه ، ووجأه[1] بخنجر معه تحت إبطه ، وخرج التركي مسرعاً ، فركب دابّته .

ودخل أصحاب بهرام ، فرأوه بتلك الحال ، فقالوا : أيّها اللّيث الضرغام ! من أقصدك[2] ؟ وأيّها الجبل المنيف ! من هدّك؟ فقصّ عليهم القصّة ، وكتب إلى خاقان يعلمه أنّه لا وفاء له ، ولا شكر ، ومات بهرام ، فحمل إلى الناووس ، ولمّا علم جرابزين بموته ارتحل إلى كسرى ، فأخبره ، فسرّ به ، وأظهره في مملكته ، وكتب به إلى آفاقه .

ولمّا مات بهرام بعث ملك الترك إلى كردية امرأة بهرام وأصحابه يخبرهم بغمّه ، وأنّه قد قتل كلّ من شرك في قتله ، ووجّه بأخيه نظرا إليهم ، وكتب إلى كردية امرأة بهرام شوبين أنّه يرغب فيها ، ويأمرها أن تتزوّج نظرا ، فحملت كردية امرأة بهرام جند أخيها ، وارتحلت بأصحابها

---

(١) وجأه : طعنه .

(٢) أقصدك : طعنك .

ومن معها تريد بلاد الفرس ، فلحقها نظرا أخو خاقان ، فبرزت إليه في السلاح ، وقالت : لا أتزوّج إلّا من كان في الشجاعة والقوة مثل بهرام ، فابرزْ إليّ فبرز إليها أخو خاقان ، فقتلته ، ومضت لوجهها .

وكان كسرى قد غضب على خاله بندي ، فسمل عينيه[1] ، وقطع يديه ورجليه وصلبه حيّاً لما فعل بأبيه ، فلمّا علم بسطام أخو بندي ما فعل كسرى بأخيه خلع كسرى ، وصار إلى الريّ وجمع ، وبلغه أنّ كردية أخت بهرام وامرأته قد أقبلت من بلاد الترك ، فتلقّاها ومن معها ، فذمّ إليها كسرى ، وخبّرها بغدره وفجوره ، وسألها أن تقيم عنده بمن معها ، وأن تزوّجه نفسها ، ففعلت ، وكتبت إلى أخيها كردي تعلمه ذلك ، وتسأله أن يأخذ لها ولمن معها أماناً من كسرى ؛ فأُخبر كسرى بمصير كردية ، بمن معها من جند بهرام وأصحابه ، إلى الريّ ، وتزوّج بسطام خاله بها ، ومقامها معه ، فعلم ذلك كسرى ، ودعا كردي أخاها ، فسأله أن يتلطّف بها حتى تقتل بسطام ، وتقدم فيتزوّجها . فوجّه كردي أبرخه امرأته إلى كردية أخته بما ذكر له الملك ، وأنفذ إليها كتب الأمانات لها ولمن معها بأوثق ما يكون من العهود ، فقبل أصحابها ، ووثبوا على بسطام فقتلوه .

وقدمت كردية على كسرى ، فتزوّجها ، وأحلّها محلاً رفيعاً ، فاستقامت لكسرى أموره ، ودانت له بلاده .

ثمّ وثبت الروم بمورق ملكها، فقتلوه، وملّكوا غيره، وصار إليه ابن مورق ، فوجّه معه جيشاً ، ثمّ قتل ابن مورق ، وملك هرقل ، فغزا أصحاب كسرى ، فقتلهم وشّردهم ، وزحف إليهم حتى هزم شهربراز صاحب كسرى .

وكان كسرى لمّا اشتدّ ملكه قد طغى ، وبغى ، وعتا ، وظلم ، وجار ، وأخذ أموال الناس ، وسفك الدم ، فمقته الناس لما نال منهم

(١) سمل عينيه : فقأهما .

ولاحتقاره إيّاهم ، وإنّ عظماء الفرس لمّا رأوا ما هم فيه من الذلّ والبلاء والمكروه من كسرى خلعوه ، وجاءوا بابن له يقال له شيرويه ، فملّكوه ، وأدخلوه المدينة ، ونادوا شيرويه شاهنشاه ، وأخرجوا من في السجون ممّن كان كسرى يريد قتلهم ، فهرب كسرى ، حتى دخل بستاناً له ، فأخذوه ، فحبسوه ، ثمّ قالوا لشيرويه : إنّه لا يستقيم الملك ، وأن يكون ابرويز حيّاً ، فاقتلْه وإلاّ خلعناك ! فوجّه شيرويه إلى أبيه برسالة غليظة يعنّفه فيها على فعله ، ويذكر له ما نال من أهل مملكته ، وما كان من سوء سيرته ؛ فأجابه بجواب تفنيد[1] وتجهيل له ، فوجّه إليه برجل كان كسرى ابرويز قطع يد أبيه بغير سبب ولا جرم ، إلاّ أنّه قيل له إنّ ابن هذا يقتلك ، فقطع يده ، وكان من خاصته ، فلمّا دخل عليه سأله عن اسمه ......[2] قال له : شأنك وما أُمرتَ به ، فضربه ، حتى قتله ، ثمّ إنّ شيرويه حمل أباه إلى الناووس ، وقتل قاتله . وكان ملك كسرى ابرويز ثمانياً وثلاثين سنة .

ولمّا ملك شيرويه[3] بن ابرويز أطلق من في المحابس ، وتزوج بنساء أبيه ، وقتل سبعة عشر أخاً له ظلماً واعتداء ، فلم يستقم ملكه ، ولم يصلح حاله ، فاشتدّ سقمه ، ومات بعد ثمانية أشهر ، وملّكت الفرس ابناً لشيرويه طفلاً[4] يقال له اردشير ، واختاروا له رجلاً يقال له مِهْ آذَرْجُشْنَس ، فحضّنوه إيّاه ليقوم بتدبير الملك ، فأحسن التدبير ، وقام بالأمر قياماً محموداً ، وجرت أمور المملكة .

وكان شهربراز الموجّه لحرب الروم ، قد عظم أمره ، فكره موضع مه آذرجشنس ، وكتب إلى الفرس أن يوجّهوا إليه برجال سمّاهم ، وإلاّ أقبل

---

(١) فنّده : خطّأ رأيه وضعّفه .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) والفرس تسميه «المشؤوم» لأنه في أيامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الأقاليم ، فهلك فيه مائتا ألف من الناس .

«مروج الذهب ١ : ٢٨٠»

(٤) وهو ابن سبع سنين كما جاء في تاريخ الطبري .

إليهم حتى يحاربهم ، فلم يفعلوا ، فأقبل شهربراز في ستّة آلاف إلى جانب مدينة المملكة ، وحاصر من فيها ، وقاتلهم ، ثمّ فكر ، فاحتال حتى دخل المدينة ، فأخذ عظماء الفرس ، فقتلهم ، وفضح نساءهم ، وقتل اردشير الملك . وكان ملك اردشير سنة وستّة أشهر[١].

وجلس شهربراز[٢] على سرير الملك ، ودعا نفسه ملكاً ، فلمّا رأت الفرس فعل شهربراز أعظمته ، وقالت : مثل هذا لا يملك علينا ! فوثبوا به ، وقتلوه[٣]، وجرّوا برجله .

ولمّا قتلت الفرس شهربراز طلبوا رجلاً من أهل الملك ، فلم يجدوه ، فملّكوا بوران بنت كسرى ، فأحسنت السيرة ، وبسطت العدل والإحسان ، وكتبت إلى آفاقها كتاباً تعد فيه بالعدل والإحسان ، وتأمرهم بجميل المذهب والقصد والسّداد[٤] ، ووادعت ملك الروم . وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

ثمّ ملكت آزَرْميدُخْت[٥] بنت كسرى ، واستقام أمرها ، فقال فرّخهرمزد اصبهبذ خراسان : أنا اليوم قريع الناس[٦] ، وعماد مملكة فارس ، فزوّجيني نفسك! فقالت : لا يجوز للملكة أن تزوّج نفسها ، ولكن إذا أردت أن تصل إليّ ، فأتني بالليل ! فرضي بذلك ، فأمرت صاحب حرسها أن يرصده حتى يدخل ، ثمّ يقتله ؛ فلمّا كان الليل أتَى ، فدخل وبصر به صاحب الحرس ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا فرّخهرمزد ! فقال : وما تصنع في مثل هذا الوقت في موضع لا يدخله مثلك ؟ فضربه حتى قتله ، وطرحه في الرحبة ، فلمّا غدا الناس رأوه قتيلاً ، فرفعوا خبره ، وكان ابنه

---

(١) رواية المسعودي : «سنة وستة أشهر».
(٢) رواية المسعودي : «شهريار» .
(٣) قتلته ابنة لكسرى ابرويز يقال لها أرزمى دخت .
(٤) السداد : الاستقامة .
(٥) هي نفسها أرزمى دخت التي أشرنا إليها في الهامش ٣ .
(٦) قريع الناس : سيّدهم .

رستم ، الذي لقي سعد بن أبي وقّاص بالقادسية[1] ، بخراسان ، فقدم ، فقتل آزرميدخت ، وكان ملكها ستّة أشهر .

ثم ملك رجل من عقب اردشير بن بابك يقال له كسرى بن مهرجشنس ، وقد كان دُعي إلى الملك قبل ذلك ، فامتنع منه ، وكان مقامه بالأهواز ، فلمّا مُلّك لبس التاج ، وجلس على السرير ، فقتلوه بعد أيّام ، فلم يتم له شهر ، فأعْوَزَ عظماء الفرس من يملّكونه من أهل بيت المملكة ، ثمّ وجدوا رجلاً يقال له فيروز قد أولده أنوشروان من قبل أَمَة[2] فملّكوه ضرورة ، فلمّا أُجلس ليتوَّج ، وكان ضخم الرأس ، قال : ما أضْيَقَ هذا التاج ! فتطيّرت[3] عظماء الفرس من قوله ، فقتلوه . وأقبل ابن لكسرى كان قد هرب إلى نصيبين لمّا قتل شيرويه يقال له فرُّخزاد خسرو ، فتوّج وملك ، وكان نبيلاً ، فملك سنة ، ثمّ وجدوا يزدجرد بن كسرى ، وكانت أمّه حجّامة[4] وقع عليها كسرى ، فجاءت بيزدجرد ، فتطيروا منه ، فغيّبوه ، ثمّ اضطرّوا إليه ، فجاءوا به وأمورهم مضطربة ، وأهل مملكته مجترئون عليه ؛ ولمّا أتَى لملكه أربع سنين قدم سعد بن أبي وقاص القادسية ، فبعث إليه برستم ، ثمّ صار المسلمون إلى المدائن ، وهي مدينة الملك ، يومَ النوروز[5] ، وقد استعدّت الفرس بصنوف الأطعمة ، واستعدّت أحسن الزينة ، فانهزمت الفرس ، وهرب يزدجرد ، فلم يزل المسلمون يتبعونه ،

---

(١) القادسية : مدينة في العراق ، هزم عندها العرب الفرس وفتحوا بلادهم للإسلام (٦٣٦) . وكان العرب ستة عشر ألفاً ، وعلى رأسهم سعد بن أبي وقاص ، والفرس ثمانين ألفاً وعلى رأسهم رستم .

«معجم البلدان ٤ مادة قدس»

(٢) الأمة : الجارية .

(٣) تطيّرت : تشاءمت .

(٤) الحجّامة : التي تداوي بالمحجم وهو شيء كالكأس يُفرغ من الهواء ، ويوضع على الجلد فيحدث تهيجاً ويجذب الدم أو المادة بقوة .

«لسان العرب مادة حجم»

(٥) النيروز أو النوروز : أول يوم من أيام السنة الشمسية ، وفيه يحتفل الفرس ويفرحون .

حتى صاروا إلى مرو ، فدخل طاحونة ، وقتله صاحب الطاحونة ؛ وكان ملكه إلى أن قتل عشرين سنة[١] .

وكانت الفرس تعظّم النيران ، ولا تستنجي بالماء ، إنّما تستنجي بالدهن ، ولا تتخذ لقصورها أبواباً ، إنّما كانت أبوابها عليها الستور ، يحفظها الحرس من الرجال ، ولا تأكل إلاّ بزمزمة ، وهو الكلام الخفيّ ، وتنكح الأمهات والأخوات والبنات ، وتذهب إلى أنّها صلة لهن ، وبرّ بهن ، وتقرّب إلى الله فيهنّ .

ولم تكن لها حمّامات ولا كُنُف ، وكانت تعظّم الماء والنار والشمس والقمر والأنوار كلّها .

وكانت تعدّ الأزمنة على شهورها وأيّام أعيادها ؛ وكان الخريف عندهم شهر يورماه ، ومهرماه ، وآبان ماه ؛ والشتاء آذرماه ، ودي ماه ، وبهمن ماه ؛ والربيع اسفندارمذ ماه ، وفروردين ماه ، وارديبهشت ماه ؛ والقيظ خرداذ ماه ، وتير ماه ، ومرداذ ماه ؛ وكانت تزيد في الخريف خمسة أيّام تسمّيها أيّام الأنْدَرْكاه ، فتكون السنة ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً ، وشهورهم ثلاثين يوماً ، ورأس سنتهم يوم النوروز ، وهو أوّل يوم من فروردين ، ويكون ذلك في نيسان وآذار ، وقد مرّت الشمس في الحمل ، وهو يوم عيدهم المعظّم عندهم ، ويوم المهرجان[٢] ، وهو لستّة عشر يوماً يمضي من مهرماه ، ثمّ يكون بين النوروز والمهرجان مائة وخمسة وسبعون يوماً ، وذلك خمسة أشهر وخمسة وعشرون يوماً ، والمهرجان في تشرين الآخر .

---

(١) وكان آخر ملوك الساسانية .

(٢) المهرجان : اسم الشهر السابع للسنة الشمسية عند الفرس . يقع بين ١٧ أيلول و١٦ تشرين الأول ، وفيه يبتدىء موسم الخريف . في اليوم السادس عشر منه يقع عيد المهرجان وفيه يذكرون أسطورة جلوس فريدون على العرش بعد انتصاره على ضحاك . (لسان العرب مادة مهر)

وكانت الفرس تسمّي كلّ يوم من أيّام شهورهم باسم ، وهي : الروزات ، فأوّلها هرمز ، بهمن ، اردیبهشت ، شهریور ، اسفندارمذ ، خرداذ ، مرداذ ، دي بآذر ، آذر آبان ، خور ماه ، تير ، جوش ، دي بهمر ، مهر سروش ، رشن ، فروردين ، بهرام ، رام باذ ، دي بدين ، دين ، ارد ، اشتاذ ، اسمان ، زامياذ ، مارسفند ، انيران .

وكان من قول الجماعة منهم فيما يقولونه من زراذشت[1] الذي يدّعون أنّه نبيهم : أن يكون النور قديماً لم يزل ، وهم يسمّونه زروان ، وإنّه فكّر في الشرّ لهفوة كانت منه علمهم منها لأنّ الحسن مستحيل إلى قبح ، والطيّب الريح إلى نتن ، وإنّ القديم عندهم غير ممتنع من أن يلزمه التغيير والفساد في بعضه لا في كلّه . فلمّا فكّر القديم في الشرّ ، تنفّس الصعداء ، فخرج ذلك الغمّ من جوفه ، فامتثل بين يديه ، ويسمّون ذلك الغمّ الممتثل بين يدي القديم : اهرمن ، ويسمّونه أيضاً : زروان هرمز .

قالوا : فأراد اهرمن محاربة هرمز ، فكره ذلك هرمز لئلا يفعل شرّاً ، فصالحه على أن يصيّر إليه خلق كلّ ضارّ فاسد .

وزعموا أنّهما جسمان وروحان ،وبينهما فرجة للحنق لأنّهما ليسا بملتقيين ، وقالوا : إنّ هرمز النور الفاعل الأجرام وأزواجها ، وإنّ اهرمن إنّما يفعل المضار في هذه الجواهر ، كالسمّ في الهوام ، والغيظ ، والغضب ، والضجر ، والشرور ، والتعادي ، والحنَق[2] ، والخوف في الحيوان ، فإنّ اللّه هو فاعل الأعيان وأعراضها الراتبة .

وكانت منازل ملوك الفرس في أوّل ملك اردشير بن بابكان بإصطخر من كور فارس ، ثمّ لم تزل الملوك تنتقل ، حتى ملك انوشروان بن قباذ ، فنزل المدائن من أرض العراق ، فصارت دار الملك ، وأجمع العلماء من المنجّمين والمتطبّبين أنّه ليس في المملكة بلد أصحّ ، ولا أفضل ، ولا

---

(١) تقدّمت ترجمته .

(٢) الحنَق : الغضب .

أعدل من تلك البقعة ، وما قرب منها من إقليم بابل .

وكانت البلاد التي تملكها الفرس ، ويجوز سلطانها فيها ، من كور خراسان : نيسابور ، وهراة ، ومرو ، ومرو الروذ ، والفارياب ، والطالَقان ، وبلخ ، وبخارى ، وباذغيس ، وباورد ، وغرشستان ، وطوس ، وسرخس ، وجرجان ، وكان على هذه الكور عامل تسمّيه اصبهبذ خراسان .

ومن كور الجبل : طبرستان ، والريّ ، وقزوين ، وزنجان . وقمّ ، وأصبهان ، وهمذان ، ونهاوند ، والدينور ، وحلوان ، وماسبذان ، ومهرجانقذق ، وشهرزور ، والصامغان ، واذربيجان ، وكان لهذه الكور اصبهبذ يقال له اصبهبذ اذربيجان ، وكرمان .

وفارس ، وكورها : اصطخر ، وشيراز ، والرَّجان ، والنُّوبَنْدَجان ، وجُور ، وكازرون ، وفَسا ، ودارابجرد ، واردشير خرّه ، وسابور .

والأهواز ، وكورها : جنديسابور ، والسوس ، ونهرتيرَى ، ومَناذِر ، وتُسْتَر ، وايذَج ، ورام هرمز ، وعلى هذه اصبهبذ يقال له اصبهبذ فارس .

وكور العراق ، ولها ثمانية وأربعون طسّوجاً على الفرات ودجلة ، فسقي الفرات : بادوريا ، والأنبار ، وبَهُرسير ، والرومقان ، والزاب الأعلى ، والزاب الأسفل ، والزاب الأوسط ، وزندورد ، وميسان ، وكُوثَى ، ونهر درقيط ، ونهر جَوْبَر ، والفَلّوجة العليا ، والفَلّوجة السفلى ، وبابل ، وخُطَرْنِيَة ، والجُبّة ، والبُداة ، والسَّيْلَحين ، وفرات بادقلى ، وسُورا ، وبَرْبِسْما ، ونهر الملك ، وباروسما ، ونِسْتَر .

وسقي دجلة : نهر بوق ، ونهر بين ، وبزرجسابور ، والراذان الأعلى ، والراذان الأسفل ، والزابيين ، والدسكرة ، وبرازروز ، وسِلْسِل ، ومَهْروذ ، وجلولاء ، والنهروان الأعلى ، والنهروان الأوسط ، والنهروان الأسفل ، وجازر ، والمدائن ، والبَنْدَنِجين ، ورستقباذ ، وابزقباذ ، والمبارك ، وبادرايا ، وباكسايا ، ولهم أصبهبذ رابع يسمّى أصبهبذ المغرب .

وكانت آخر مسالح الفرس ممّا يلي الفرات : الأنبار ، ثمّ تصير إلى مسالح[1] الروم ، وممّا يلي دجلة . . . .[2] ثم تصير إلى مسالح الروم إلاّ أن يتعاور[3] القوم ، فيدخل الفرس بلاد الروم على المخالبة ، وربما دخل الروم بلاد الفرس .

وكلّ الاسم الواقع على كلّ ملك للفرس : كسرى ، وكانوا إن سمّوه وذكروه قالوا : كسرى شاهنشاه ، معناه ملك الملوك ، وكانت تسمّي الوزير : بزرجفرمذار ، معناه متقلّد الأمور ، وكانت تسمّي العالم القيّم بشرائع دينهم : موبذ موبذان ، ومعناه عالم العلماء ، وأوّل من رفع عليه منها الاسم : زراذشت ، وكانت تسمّي قيّم النار : الهربذ ، وكانت تسمّي الكاتب : دبيربذ ، وكانت تسمّي العظيم منهم : الاصبهبذ ، ومعناه الرئيس ، والذي دونه : الفادوسبان ، ومعناه دافع الأعداء ، وتسمّي رئيس البلد : المرزبان ، وتسمّي رئيس الكُوَر : الشّهْريج ، وتسمّي أصحاب الحروب وقوّاد الجيوش : الأساورة ، وتسمّي صاحب المظالم : شاهريشت ، وتسمّي صاحب الديوان : المردمارعد .

ممالك الجربى

وكان ولد عامور بن توبل بن يافث بن نوح لمّا قسم فالغ بن عابر بن ارفخشد بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح خرجوا في يسرة المشرق، فقطع قوم منهم ولد ناعوما ناحية الجربَى على سمت[4] الشمال ، فانتشروا في البلاد ، فصاروا عدّة ممالك ، وهم : البرجان ، والديلم ، والتبر ،

---

(١) مسالح : مفردها مسلحة ومن معانيها : موضع السلاح أو المرقب أو الجماعة والقوم ذوو السلاح أو مركز للجنود أمامي .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) يتعاور : يتداخل .

(٤) سمت : طريق .

والطيلسان ، وجيلان ، وفيلان ، واللان ، والخزر[1] ، والدودانيّة ، والأرمن ، وكانت الخزر المتغلّبة على عامّة بلاد ارمينية ، وعليها ملك يقال له خاقان ، وله خليفة يقال له يزيد بلاش على الران ، وجُرْزان ، والبسفُرّجان ، والسيسجان ، وكانت هذه الكور تسمّى ارمينية الرابعة التي افتتحها قباذ ملك الفرس ، فصارت إلى أنوشروان ، إلى باب اللان ، مائة فرسخ ، وفيها ثلاثمائة وستّون مدينة .

وغلب ملك الفرس على الباب والأبواب ، وطبرسران ، والبَلَنْجر ، وبنى مدينة قاليقلا ، ومدناً كثيرة ، فأسكنها قوماً من أهل فارس ، ثمّ غلبت الخزر على ما كانت فارس غلبتهم عليه ، فأقام في أيديهم حيناً ، ثمّ غلبتهم الروم ، فملّكت على ارمينية الرابعة ملكاً يقال له الموريان ، وافترقوا عدّة رياسات كلّ رئيس منهم في قلعته وحصنه ، فهي لهم ممالك معروفة .

وقطع قوم من ولد عامور ما وراء النهر ، ثمّ افترقوا في البلاد ، فصارت ممالك مفترقة وأمم كثيرة ، فمنهم : الختّل ، والقواديان ، والأشروسنة ، والسغد ، والفرغانة ، والشاش ، والترك ، والخرلخيّة ، والتغزغز ، والترك الكيماكيّة ، والتّبّت ، وفي الترك قوم أصحاب مدر[2] ومدن وحصون ، وفيهم قوم في رؤوس الجبال والصحارى كالبدو ، ولهم شعور طوال ، ومنازلهم خيام اللبود[3] ، فإذا غزوا كان في الخيمة الواحدة عشرون مقاتلاً ، ويرمون فلا يخطئون ، وبيوتهم متّصلة من أوّل كور خراسان إلى جبال التبّت وجبال الصين .

وأمّا التبّت ، فبلد واسع أعظم من الصين ، ومملكتهم جليلة ، وهم

---

(١) الخزر : شعب قطن القفقاس في القرون الوسطى وعرف باسم «هون» تنصروا ثم أسلموا .

(٢) المدر : المدن والقرى لأن بنيانها غالباً من المدر أي الطين .

(٣) اللبود : مفردها لبد وهو كل شعر أو صوف متلبد .

أصحاب منعة وحكمة يضاهـون صنعة الصين ، وفي بـلادهم غزلان سـررها المسك ، وهم عبَدَة أصنام ، ولهم بيوت نيران ، وشوكتهم شـديدة ، فليس يحاربهم أحد .

ملوك الصين

ذكرت الرواة وأهل العلم ومن صار إلى بلاد الصين ، فأقام بها الدهر الطويل ، حتى فهم أمرهم ، وقرأ كتبهم ، وعـرف أخبار المتقـدمين منهـم ، ورأوه في كتبهم ، وسمعـوه من أخبـارهم ، ومكتـوب على أبـواب مـدنهم وبيوت أصنامهم ، ومنقور في الحجارة قـد أجْري فيـه الذهب : إنّ أوّل من ملك الصين صاين بن باعور بن يرج بن عامور بن يـافث بن نوح بن لمـك ، فإنّه كان عمل فلكـاً حكى[1]به فلك نـوح ، فركب فيـه ، ومعه جمـاعة من ولده وأهله ، حتى قطع البحـر ، فصار إلى مـوضع استحسنـه ، وأقام بـه ، فسمّي ذلـك الموضـع الصين[2] باسمـه ، فكثـر ولـده ، وتنـاسلت ذرّيّتـه ، فكانت ذرّيّته على دين قومه ، واتّصل ملكه ثلاثمائة سنة .

ومنهم عـرون الذي شيّـد البنيان ، وعمـل الصنعة ، واتّخـذ الهيـاكـل المـذهّبة ، وعمـل فيها صـورة أبيه ، وجعلهـا في صدر الهيكـل ، فكان إذا دخـل سجد لتلك الصـورة تعظيمـاً لصورة أبيـه ؛ وكان لصـاين اسم تفسيره بـالعربيّـة ابن السماء ، فمن ذلـك الـزمـان صـارت الأوثـان تُعبـد في بـلاد الصين ، وكان ملك عرون مائة وأربعين سنة .

ومنهم عيـر الذي سـار في بلاد الصين طـولاً وعـرضـاً ، وبنى المـدن العظام ، وشيّد القباب من الجزلان والنحاس المذهب ، وعمـل صورة أبيـه

---

(١) حكى : قلّد .

(٢) وكان منهم عدة ممالك ، منهم الـديلم ، والجيل ، والطيلسان ، والتتـر ، .وفرغـان ، ومنهم من سكن البوادي كالترك والخزلج والطغـرغر ، ومنهم أصحـاب مدينـة كوشـان وهي مملكة بين خراسان وبلاد الصين .

[مروج الذهب ١ : ١٣٨]

من ذهب مكلّل بالجوهر والرصاص والنحاس المزوّق ، فاتّخذها أهل مملكته جميعاً في مدنهم وبلدانهم ، وقالوا : ينبغي للرعية أن تعمل صورة ملك قد ملكها من السماء ، وعدل فيها . واتّصل ملك عير مائة وثلاثين سنة .

ومنهم عينان الذي سام أهل مملكته سوء العذاب ، ونفاهم إلى جزائر البحر ، فكانوا يصيرون من تلك الجزائر إلى مواضع فيها الثمار ليأكلوا منها ، فيجدون بها الوحوش ، ولم يزالوا كذلك حتى أنسوا بالوحوش ، وأنست بهم ، وكانوا ينزون عليها[1] ، وربّما نزت تلك على نسائهم فتأتي بينهم الخِلَق المشوّهة . وباد القرن الأوّل وأتَى قرن بعد قرن ، فذهبت عنهم لغاتهم ، وصاروا يتكلّمون ما لا يُفهم ؛ ففي الجزائر التي تجتاز منها إلى أرض الصين أمر عظيم من هذا الضرب ، وأمم كثيرة ، وكان يسمّى عينان اسماً تفسيره بالعربيّة خلقه الشرّ . وكان ملكه مائة سنة .

ومنهم خرابات[2] الذي ملك وهو حدث السنّ ، ثمّ احتنكت سنّه[3] ، فعلا أمره ، وحسن تدبيره ، ووجّه بوفد من قبله إلى أرض بابل وما اتّصل بها من بلاد الروم يتعرّفون ما فيها من الحكمة والصنعة ، وحمل معهم من صنعة الصين وما يُعمل بها من ثياب الحرير وغيره ، وما يؤتَى به من تلك البلاد من الآلات وغيرها ، وأمرهم أن يحملوا إليه كلّ صنعة وظريفة من أرض بابل وبلاد الروم ، وأن يتعرفوا شرائع دين القوم ، فكان ذلك أوّل ما دخل من متاع الصين إلى أرض العراق وما اتصل بها ، وركب التجّار بحر الصين للتجارة ، وذلك أنّ الملوك استظرفت ما أتاهم من متاع الصين ، فعملوا المراكب ، وحملوا فيها التجارة ، فكان ذلك أوّل دخول التجار إلى الصين . وكان ملك خرابات ستّين سنة .

---

(١) ينزون عليها : يطأونها .

(٢) رواية المسعودي : «حراتان» .

(٣) احتنكت سنه : بلغ سن الرشد .

ومنهم توتال[1] ، وأهل الصين يقولـون إنّهم وجدوا مكتوباً على أبواب مـدنهم : إنّـه لم يملكهم ملك قطّ مثله ، ورضـوا بـه رضـاً لم يـرضـوا مثله بـأحـد قطّ ، وهـو الـذي سنّ لهم كـلّ سنّـة هم عليهـا في أديـانهم ، وأفعـالهم ، وصنـاعـاتهم ، وشرائعهم وأحكامهم . وكـان ملكه ثمـانياً وسبعين سنـة ، فلمّا مـات أقامـوا يبكون عليه زماناً طويلاً ، ويحملونه على أسرّة الـذهب وعَجَل الفضّـة ، ثمّ جمعوا له العود والعنبر والصندل[2] وسائر الطيب ، وألهبوه بالنار ، وطرحـوه فيهـا ، وجعل خـاصته يلقـون أنفسهم في تلك النار أسفـاً عليه ووفـاءً له ، وصار هذا سنّة فيهم ، وجعلوا صورته على دنانيرهم ، وهـم يسمّون الدنانيـر الكونح ، وعلى أبواب منازلهم الصور .

وبـلاد الصين بـلاد واسعـة ، فمن أراد الصين في البحـر قـطع سبعـة أبحر ، كلّ بحر منها له لون وريح وسمك ونسيم ليس هـو في البحر الـذي يليـه ، فـأوّلهـا بحـر فـارس الـذي يـركب فيـه من سيـراف ، وآخـره رأس الجُمْحَة ، وهو ضيّق فيه مغائص اللؤلؤ .

والبحـر الثـاني الـذي مبتـدأه من رأس الجُمْحَـة يقـال لـه لاروى ، وهو بحر عـظيم ، وفيه جـزائر الـوقـواق ، وغيـرهم من الـزنـج ، وفي تلك الجزائر ملوك ، وإنّما يسار في هذا البحر بالنجوم ، وله سمك عظيم ، وفيه عجائب كثيرة وأمور لا توصف .

ثمّ البحر الثالث الذي يقال له هركند ، وفيه جـزيرة سـرنديب ، وفيـه الجوهر والياقوت وغيره ، ولها جـزائر فيهـا ملوك ، ولهم ملك عليهم ، وفي جزائر هذا البحر الخيزران والقنا[3] .

---

(١) هو ابن خرابات .

(٢) الصندل : جنس شجر هندي أبيض الزهر ، خشبه طيب الرائحة ومـرغوب فيـه جداً . يحمل ثمراً في عناقيد وله حب أخضر .

[لسان العرب مادة صند]

(٣) القنا : ضرب من الشجر تصنع منه الرماح .

والبحر الرابع يقال له كلاه بار ، وهو بحر قليل الماء ، وفيه حيّات عظام ، وربّما ركبت الريح فيه ، فقطعت المراكب ، وفيه جزائر فيها شجر الكافور .

والبحر الخامس يقال له سلاهط ، وهو بحر عظيم كثير العجائب .

والبحر السادس يقال له كردنج ، وهو كثير الأمطار .

والبحر السابع يقال له بحر صنجي ، ويقال له أيضاً كنجلي ، وهو بحر الصين ، وإنّما يسار فيه بريح الجنوب ، حتى يصيروا إلى بحر عذب عليه المَسالح[1] والعمران ، حتى ينتهوا إلى مدينة خانفو .

ومن أراد الصين على البر سار في نهر بلخ ، وقطع بلاد السغد ، وفرغانة ، والشاش ، والتبّت ، حتى يصير إليها ؛ والملك في حصن له منفرد ، وصاحب شرطته خادم ، وصاحب خراجه خادم ، وصاحب حرسه خادم ، وصاحب أخباره خادم ، وأكثر أعوانه الخدم ، وهم ثقاته ، وخراجهم من رؤوس الرجال يوجبون على كلّ رجل بالغ جزية ، لأنّهم لا يَدَعون رجلاً بغير صناعة ، فإذا تعطّل عن العمل بعلّة ، أو هرم ، أنفقوا عليه من مال الملك .

وهم يعظّمون أمواتهم، ويطول حزنهم عليهم، وأكثر عقوباتهم القتل، فهم يقتلون على الكذب، ويقتلون على السرقة، ويقتلون على الزنا إلّا قوماً معروفين ، ومن تظلّم من عامل الأعمال ، فصحّت مظلمته ، قتل ذلك العامل ، وإلّا قتل المتظلّم منه إن كان كاذباً مبطلاً .

وحدود الصين من البرّ ثلاثة حدود ، ومن البحر حدّ واحد ، **فالحدّ الأوّل** : الترك ، والتغرغر ، ولم تزل بينهم حروب متّصلة ، ثمّ اصطلحوا ، وتصاهروا .

---

(١) المسالح : مفردها مسلحة وهي الجماعة والقوم ذوو السلاح .

والحدّ الثاني : التبّت ، وبين التبّت والصين جبل عليه مسالح للصين يحترسون من التبّت ، ومسالح للتبّت يحترسون من الصين ، وهم ما بين حدّ البلدين .

والحدّ الثالث : إلى قوم يقال لهم المانساس ، لهم مملكة منفردة ، وهم في بلاد واسعة ، ويقال إنّ سعة بلادهم طول عدّة سنين في عرض مثل ذلك لا يعرف أحد من وراءهم ، وهم قوم يقاربون أهل الصين .

والحدّ الواحد الذي يلي البحر ، فمنه يأتي المسلمون ، على ما ذكرنا من عدد البحور .

وديانتهم عبادة الأوثان والشمس والقمر ، ولهم أعياد لأصنامهم ، أعظمها عيد في أوّل السنة يقال له الزارار ، يخرجون إلى مجمع ، ويُعدون فيه الأطعمة والأشربة ، ثم يأتون برجل قد حبس نفسه على ذلك الصنم العظيم ، وعلى جميع شهواته ، وتمكّن من كلّ ما يريد ، فتقدّم إلى ذلك الصنم ، وقد صيّر على أصابع يده شيئاً يشعل بالنار ، ثمّ يحرق أصابعه بالنار ويسرجها[1] بين يدي ذلك الصنم ، حتى يحترق ، ويقع منها ميتاً ، فيُقطَع ، فمن نال منه شظيّة[2] ، أو خرقة من ثيابه ، فقد فاز ، ثمّ يأتون برجل آخر يريد أن يحبس نفسه للصنم للسنة المجدودة ، فيقف موضعه ، ويلبس الثياب ، ويضرب عليه بالصنوج ، ثمّ يفترقون ، فيأكلون ويشربون ، ويقيمون أسبوعاً ، وينصرفون .

وهذا الشهر الذي هذا العيد فيه تسميه جناح ، وهو أوّل يوم من حزيران ، وللصين حساب أيضاً ، وتسمّى الشهور بأسماء مختلفة على حساب قد فهموه ، فأولها : جناح ، ورداح ، ورابح ، ومالح ، وكسران ، وبارد ، ونمرود ، وكنعان ، وزاغ ، وهراه ، وهرهر ، وباهر[3] .

---

(١) يسرجها : يشعلها .

(٢) ما يتطاير من نيران وسواها .

(٣) بعض أسماء هذه الشهور تنقصه النقط .

ملوك مصر[1] من القبط وغيرهم

وكان بيصر بن حام بن نوح ، لمّا خرج من بابل بولده وأهل بيته ، وكانوا ثلاثين نفساً ، أربعة أولاد له ، وهم : مصر ، وفارق ، وماح ، وياح ، ونساؤهم ، وأولادهم قد سار بهم إلى منف ، وكان بيصر قد كبر وضعف ، وكان مصر أكبر ولده وأحبّهم إليه ، فاستخلفه ، وأوصاه بإخوته ، واقتطع مصر لنفسه وولده ، مسيرة شهرين من أربعة أوجه ، وكان منتهى ذلك من الشجرتَيْن بين رفح والعريش إلى اسوان طولاً ، ومن برقة إلى ايلة عرضاً .

وأقام مصر متملّكاً بعد أبيه دهراً ، وكان له أربعة أولاد ، وهم : قفط ، واشمن ، واتريب ، وصا ، فقسم لهم شطّ النيل ، وقطع لكلّ واحد قطيعة يحوزها هو وولده .

ثمّ ملك بعد مصر قفط بن مصر ، ثمّ ملك اشمن بن مصر ، ثمّ ملك اتريب بن مصر ، ثمّ ملك صا بن مصر ، ثمّ ملك تدارس بن صا ، ثمّ ملك ماليق بن تدارس ، ثمّ ملك حرايا بن ماليق ، ثمّ ملك أخوه ماليا بن حرايا ، ثمّ ملك لوطس بن ماليا ، فلمّا حضرت لوطس الوفاة ملكت ابنته حوريا ، فلمّا حضرت حوريا الوفاة ملكت بنت عمّ لها يقال لها زالفا بنت ماموم .

وكان أولاد بيصر قد كثروا وامتلأت البلاد منهم ، فلمّا ملّكوا النساء طمعت فيهم العمالقة ملوك الشأم ، فغزاهم ملك العمالقة ، وهو يومئذ

---

(١) ذكر الله جلّ ثناؤه مصر في مواضع من كتابه ، فقال عزّ وجلّ : ﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾ وقال : ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ وقال تعالى : ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتاً﴾ وقال : ﴿اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم﴾ وقال تعالى : ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾ وقد سميت مصر نسبة إلى «مصر» بن بيصر بن حام بن نوح .

الوليد بن دومع ، ووطىء البلاد ، فرضوا أن يملّكوه عليهم ، فأقام دهراً طويلاً .

ثمّ ملك بعده آخر من العمالقة يقال له الريّان بن الوليد ، وهو فرعون يوسف .

ثمّ ملك آخر من العمالقة يقال له دارم بن الريّان .

ثمّ ملك بعده كاسم بن معدان .

ثمّ ملك فرعون موسى ، وهو الوليد بن مصعب ، فاختلفت الرواة في نسبه ، فقالوا : هو رجل من لخم ، وقالوا من غيرها من قبائل اليمن ، وقالوا من العمالقة ، وقالوا من قبط مصر يقال له ظلما ، وهو الذي كان من أمره مع موسى ما قد قصّه اللّه جلّ وعزّ ، فعاش عمراً طويلاً ، وعتا وبغى ، حتى قال : ﴿**أنا ربّكم الأعلى**﴾[1] ، ثمّ غرّقه اللّه وجنوده في بحر القلزم[2] ، فلمّا غرّق اللّه فرعون ومن معه لم يبقَ في البلد إلاّ الذريّة[3] والعبيد والنساء ، فاجتمع رأيهم على أن يملّكوا امرأة يقال لها دَلوكة ، فخافت أن يتخطّى إليها ملوك الأرض ، فبنت حائطاً يحيط بأرض مصر من القرى والمزارع والمدن ، وعملت أعمالاً كثيرة ، وكان ملكها عشرين سنة .

ثمّ ملك دركون بن بلوطس .

ثمّ ملك بودس بن دركون .

ثمّ ملك لقاس بن بودس .

ثمّ ملك دنيا بن بودس .

---

(١) قال الله تعالى : ﴿**فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى**﴾ .
[سورة النازعات : آية ٢٤]

(٢) القلزم : هو البحر الأحمر .

(٣) الذرية : الأطفال .

ثمّ نمادس بن مرينا ، فطغى وعتا ، فقتلوه .

ثمّ ملك بلوطس بن مناكيل .

ثمّ ملك ماليس بن بلوطس .

ثمّ ملك نوله بن مناكيل ، وهو فرعون الأعرج الذي سبَى ملك بيت المقدس ، وصنع ببني إسرائيل ما لم يصنعه أحد ، وعتا ، وبلغ مبلغاً لم يبلغه أحد قبله بعد فرعون ، فصرعته دابّته ، فدقّت عنقه .

ثمّ ملك مرينوس .

ثمّ ملك نقاس بن مرينوس .

ثمّ ملك قومس بن نقاس .

ثمّ ملك مناكيل اددامه[1] الأعرج ، وهو لحسارسر[2] الذي غزاه بخت نصّر[3] ، فهزمه ، وخرّب مصر ، وسبى أهلها ، فأقاموا بعد ذلك يملكهم الروم ، فتنصّروا في ذلك الوقت .

ثمّ غلبت فارس على الشأم في أيّام انوشروان ، فملكوهم عشر سنين ، ثمّ ظهرت الروم ، فكان أهل مصر يؤدّون إلى الروم خراجاً وإلى فارس خراجاً ، يدفعون شرّ الفريقين .

ثمّ خرجت فارس عن الشأم ، وصار أمرهم إلى الروم ، فدانوا بدين النصرانية .

وكان حكيم القبط هرمس [4] القبطي ، وهم أصحاب البرابي الذين

(١و٢) : أسماء غير واضحة في الأصل .

(٣) بخت نصر : ملك البابليين (٦٠٤ ق . م - ٥٦١ ق . م) أغار بحملاته على مصر وفتح اورشليم وأحرقها وأجلى أهل يهوذا إلى بابل .

[الأعلام ٢ للزركلي]

(٤) هرمس : رجل من حكماء مصر تنسب إليه بعض الكتب منها «رسالة معاتبة النفس» .

[أعلام الشرق والغرب]

يكتبـون بخطّ البرابي ، وهـو ذا الخطّ الموجـود . . . . . . [1] وفي دهرنـا قد عدم الناس معرفة قراءته ، والسبب في ذلك أنّه لم يكن يكتب بـه منهم إلّا الخـواصّ ، وكانـوا يمنعون العـوام ، والـذين يقـومـون بـه منهم حكمـاؤهم وكهّانهم ، وكانت فيه أسرار دينهم وأصول مقالتهم التي لا يطلعون عليها إلّا كهّانهم ، ولا يعلّمون بها أحداً إلّا أن يأمر الملك بتعليمه .

فلمّا قهرتهم الروم ، وملكتهم بسطوة شديدة وسلطان ، أبطلوا ما كـانوا يقـومون بـه من سعيهم وأعمالهم ، وحملوهم في بـدء أمورهم على شـرائع اليونانيّين ، حتى فسـدت لغتهم ، ومازج كـلامهم كلام الـروم ، ثمّ تنصّرت الروم ، فحملوهم على التنصّر ، فدرس جميع مـا كانـوا فيه من أمـر دينهم وسنّتهم ، وقتـل الـروم كهّـانهم وعلمـاءهم ، فهلك من كـان يفهم ذلـك الكتـاب ، ومنع من بقي منهم من تعليمـه والنظر فيـه ، فلذلك ليس يـوجد أحد يقرأه منهم ولا غيرهم . وكانت ديانتهم عبادة الكـواكب ، والقول بـأنّها مـدبّرة مختـارة ، وهم أصحاب القضـايا بـالنجوم ، وأنّهـا تسعـد وتنحس ، لأنّهم زعموا أنّها آلهتهم التي تحييهم ، وتميتهم ، وترزقهم ، وتسقيهم .

وكـان مـن قولهم : إن الأرواح قـديمة كـانت في الفردوس الأعلى ، وإنّه في كلّ ستّة وثلاثين ألف سنة يفنى جميع ما في العالم إمّـا من تراب، يريدون الأرض وزلزلتها وخسوفها ، أو من نار وإحراق ، وسمـوم[2] مهلك ، وإمّا من ريح هواء رديّ فاسـد ، غليظ عامّ ، يسـدّ الأنفاس لغلظه ، فيهلك الحيـوان ، ويتلف الحرث والنسـل ، ثمّ يحيي الـطبيعـة من كـلّ جنس من أجناس الحرث والنسل ، ويرجع العالم بعد فساده .

وكـانت عندهم من هـذه الأرواح آلهة تنـزل ، فتصيـر في الأصنـام ، فتتكلّم الأصنـام لذلـك ، وإنّما كـانوا يخـدعون عـوامّهم بذلـك ، ويسترون العلّة التي بها كانت تتكلّم أصنامهم ، وهي بصنعة كان كهّانهم يصنعـونها ،

---

(١) بياض في الأصل .
(٢) السموم : الرياح الحارّة .

وعقاقير يستعملونها ، وحيل يحتالونها ، حتى تصفر ، وتصيح بصنعة يحكون بها من خلقة الصنم كخلقة الطير ، أو البهيمة ، فيكون صوت ذلك الصنم مثل صوت جنسه من الحيوان ، ثمّ يترجم كهّانهم ذلك الصوت من الصنم على ما يريدون القضاء به ، ممّا قد اتّفقوا به من حساب النجوم ، وعلم الفراسة[1] .

ويخبرون أنّ الأرواح ، إذا خرجت ، صارت إلى هذه الآلهة ، التي هي الكواكب ، فتغسلها ، وتطهّرها إنْ كانت لها ذنوب ، ثمّ تصعد إلى الفردوس حيث كانت .

ويقولون إنّ أنبياءهم كانت تكلّمهم الكواكب وتعلّمهم أنّ الأرواح تنزل إلى الأصنام ، فتسكن فيها ، وتخبر بالحادث قبل أن يحدث .

وكانت لهم فطنة عجيبة دقيقة يوهمون بها العوامّ أنّهم يكلّمون الكواكب ، وأنّها تنبئهم بما يحدث ، ولم يكن ذلك إلّا لجودة علمهم بالأسرار التي للطوالع ، وصحّة الفراسة ، فلم يكونوا يخطئون إلّا القليل ، وادّعوا علم ذلك عن الكواكب ، وانّها تنبئهم بما يحدث ، وهذا باطل غير معقول ، ثمّ ملكهم اليونانيون ، فدخلوا في ملّتهم ، ثمّ ملكهم الروم ، فتنصروا .

وكانت مملكة القبط[2] أرض مصر من كور الصعيد : منف ، ووَسِيم ، والشرقيّة ، والقَيْس ، والبَهْنَسا ، وأهناس ، ودلاص ، والفَيّوم ، وأُشْمُون ، وطَحا ، وأبْشاية ، وهُوّ ، وقِفط ، والأقْصُر ، وأرْمَنْت ؛ ومن كور أسفل

(١) الفراسة : علم معرفة الباطن من نظر الظاهر .

(٢) القبط أو الأقباط : هم سكان مصر الأصليون الذين ظلوا محتفظين بلغتهم القومية في مختلف لهجاتها . سمّوا بهذا الاسم تمييزاً لهم عن العناصر الغريبة التي استوطنت البلاد والتي استعملت اللغة اليونانية . والقبط هم المسيحيون أبناء الكنيسة المصرية القومية . سموا بالأقباط تميزاً لهم عن البيزنطيين وعن الأساقفة اليونان الذين استوطنوا مصر الشمالية . والكنيسة القبطية اليوم فرعان : الأقباط الأرثوذكس والأقباط الكاثوليك .

[الموسوعة العربية مادة قبط]

الأرض : أتْـريب ، وعين شمس ، وتنـوا ، وتُمَيّ ، وبَنَـا ، وبُـوصيـر ، وسَمَنّـود ، ونَوَسـا ، والأوْسِيَة ، والبُجُـوم ، وبَسْطَة ، وطَـرابيَـة ، وقُـرْبَيْط ، وصـان ، وإبْليِل ، وسَخَـا ، وتِيـدة ، والافـراحـون ، ونَقيِـزَة ، والبَشْـرود ، وطُـوّة ، ومَنـوف العليـا ، ومنـوف السفلى ، ودَمْسيس ، وصـا ، وشَبَـاس ، والبَـذَقُون ، وإخْنَـا ، ورشيد ، وقَـرْطَسَا ، وخِـرِبْتا ، وتَـرْنُـوط ، ومَصيـل ، ومليدش .

والقبط تحسب سنيها على ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً ، وشهورها اثنا عشر شهراً ، كلّ شهر ثلاثون يوماً ، ولها خمسة أيّام تسمّيها النسيء ، فأوّل شهـور القبط الـذي يجعلونـه رأس سنتهم : تـوت ، ويسمّـون أوّل يـوم منـه نـيروز ، ويقـولون إن فيـه ابتداء عمـارة الأرض ، وهـذه أسمـاء شهـورهم : تـوت ، بابه ، هَتُور ، كيهك ، طوبه ، امشير ، برمهات ، برموذه ، بشنش ، بونه ، ابيب ، مسـرى ؛ وكانت الخمسـة الأيّام التي ينسئـونها بين مسـرى وتوت . والخطّ الـذي تكتب بـه القبط بين اليـونـانيّ والـروميّ ، وهـو على هـذا الرسم[١] .

ممالك البربر[٢] والأفارقة

وكانت البربر والأفارقة ، وهم أولاد فارق بن بيصـر بن حام بن نـوح ، لمّا ملك إخوتهم بأرض مصر ، فأخذوا من العريش إلى اسوان طولاً ، ومن أيْلة إلى برقة عرضاً ، خرجوا نحو المغرب ، فلمّا جازوا أرض بـرقة أخـذوا

---

(١) لم يثبت رسم الخط في الأصل .

(٢) البـربر : سكـان بلاد البـربر في أفـريقيا الشمـالية الأصليون . من الجنس الأبيض ولا يُعرف من أين نزحوا . يعيشون اليوم في جبال الأطلس . اختلطوا بالفينيقيين على عهد قرطاجة ثم بالرومان ثم بالقبائل والجيوش العربية بعد الفتح الإسلامي . يعتقد العلماء أنّ لغتهم تنتمي إلى الفـرع السامي الحـامي . كانت ديـانتهم ، على عهـد الفينيقيين ، وثنية ، ودخلت النصرانية المغرب أيـام الرومانيين وبلاد البـربر هي : المغـرب الأدنى والأوسط والأقصى من برقة شرقاً إلى البحر المحيط غرباً ثم بلاد السودان جنوباً .
[الموسوعة العربية]

البلاد ، فغلب كلّ قوم منهم على بلد ، حتى انتشروا بأرض المغرب .

فأوّل من ملك منهم : لُواته في أرض يقال لها أجدابِيَة من جبال برقة ، وملكت مزَاته في أرض يقال لها وَدّان ، فنسب هؤلاء القوم إلى أبيهم ، وجاز قوم منهم إلى بلد يقال له تَوَرْغَة ، فملكوا هناك ، وهم هواره، وسار آخرون إلى بلاد ارميك، وهم بذرعه، وسار قوم إلى طرابلس يقال لهم المصالين ، وجاز قوم إلى غربيّ طرابلس يقال لهم وهيله .

ثمّ استعلت بهم الطريق ، فأخذ قوم إلى القيروان يقال لهم برقشانه ، وأخذ آخرون ذات الشمال ، فصاروا إلى تاهرت ، وهم الذين يقال لهم كتامه وعَجيسه ، وأخذ قوم آخرون إلى سجلماسة ، وهم الذين يقال لهم نَفُوسه ولمايه ، وأخذ قوم إلى جبال هكان ، وهم الذين يقال لهم لَمْطه ، ويسمّون العالالات[1] ، وهم في بادية ، في غير مساكن ، وأخذ قوم إلى طنجة يقال لهم مكناسه ، وأخذ قوم إلى السوس الأقصى ، وهم الذين يقال لهم مداسه .

وقد ذكر قوم من البربر والأفارقة أنّهم من ولد بربر بن عيلان بن نزار ، وقال آخرون : إنّهم من جذام ولخم ، وكانت مساكنهم فلسطين ، فأخرجهم بعض الملوك ، ولمّا صاروا إلى مصر منعتهم ملوك مصر النزول ، فعبروا النيل ، ثمّ غرّبوا ، فانتشروا في البلاد ، وقال آخرون : إنّهم من اليمن نفاهم بعض الملوك من بلد اليمن إلى أقاصي المغرب ، وكلّ قوم ينصرون رواياتهم ، واللّه أعلم بالحقّ في ذلك .

ممالك الحبشة والسودان

وكان ولد حام بن نوح قصدوا عند تفرّق ولد نوح من أرض بابل إلى المغرب ، فجازوا من عبر الفرات إلى مسقط الشمس ، وافترق ولد

---

(١) بلا نقط في الأصل .

كوش بن حام ، وهم الحبشة والسودان ، لمّا عبروا نيل مصر فرقتين ، فقصدت فرقة منهم التيمن بين المشرق والمغرب ، وهم النوبة ، والبُجَة ، والحبشة ، والزنج ، وقصدت فرقة الغرب ، وهم زغاوه، والحس[1]، والقاقو، والمرويّون، ومرندة ، والكَوْكَوْ ، وغانه .

فأمّا النوبة[2] فإنّها لمّا صارت في الجانب الغربيّ من النيل جاورت مملكة القبط، وهم ولد بيصر بن حام بن نوح تملّكوا هناك، فصارت النوبة مملكتين، فإحداهما: مملكة الذين يقال لهم مُقُرّة، وهم في شرق النيل وغربه، ومدينة مملكتهم دُنْقُلة ، وهم الذين سالموا المسلمين ، وأدّوا إليهم البقط ، وبلادهم بلاد نخل وكرم وزرع ، واتّساع المملكة شبيه بشهرين .

والمملكة الثانية من النوبة الذين يقال لهم عَلْوة ، أعظم خطراً من مقرّة ، ومدينة مملكتهم يقال لها سُوبة ، ولهم بلاد واسعة شبيهة بثلاثة أشهر ، والنيل متشعّب عندهم في عدّة خُلْجان .

مملكة البجة

وهم بين النيل والبحر ، ولهم عدّة ممالك ، في كلّ بلد ملك منفرد . فأوّل مملكة البجة من حدّ أُسْوان ، وهي آخر عمل المسلمين من التيمن بين المشرق والمغرب إلى حدّ بركات ، وهم الجنس الذي يقال له : نقيس ، ومدينة المملكة يقال لها : هجر ، ولهم قبائل وبطون كما تكون للعرب ، فمنهم : الحدرات ، وحجاب ، والعماعر ، وكوبر ، ومناسه ، ورسفه ، وعربربعه[3] ، والزنافج ، وفي بلادهم المعادن من

---

(١) بلا نقط في الأصل .

(٢) النوبة : بلاد في شرق شمالي أفريقيا . حدودها القطر المصري والبحر الأحمر وصحراء ليبيا وبلاد الخرطوم . فيها يجري النيل من قرب أسوان إلى ملتقى النيل الأبيض بالأزرق . يتكلم سكانها بالعربية والنوبية .

[الموسوعة العربية]

(٣) يلاحظ أنّ أسماء هذه القبائل تنقصها النقط .

التبر ، والجوهر ، والزمرّد ، وهم مسالمون للمسلمين ، والمسلمون يعملون في بلادهم في المعادن .

والمملكة الثانية من البجة ، مملكة يقال لها : بقلين ، كثيرة المدن ، واسعة ، يضارعون[1] في دينهم المجوس والثنوية[2] ، فيسمّون اللّه ، عزّ وجلّ ، الزنجير الأعلى ، ويسمّون الشيطان صحى حراقه ، وهم الذين ينتفون لحاهم ، ويقلعون ثناياهم[3] ، ويختتنون[4] ، وبلادهم بلاد مطر .

ثمّ المملكة الثالثة يقال لها : بازين ، وهم يتاخمون مملكة عَلْوَة من النوبة ، ويتاخمون بقلين من البجة ، ويحاربون هؤلاء ، وزرعهم الذي يأكلونه . . . . . .[5] وهو طعامهم واللبن .

والمملكة الرابعة يقال لها : جارين ، ولهم ملك خطير ، وملكه ما بين بلد يقال له : باضع ، وهو ساحل البحر الأعظم إلى حدّ بركات من مملكة بقلين ، إلى موضع يقال له : حل الدجاج ، وهم قوم يقلعون ثناياهم من فوق وأسفل ، ويقولون : لا يكون لنا أسنان كأسنان الحمير ، وينتفون لحاهم .

والمملكة الخامسة يقال لها : قطعة ، وهي آخر ممالك البجة ، ومملكتهم واسعة من حدّ موضع يقال له : باضع ، إلى موضع يقال له : فَيْكون ، ولهم حدّ شديد ، وشوكة صعبة ، ولهم دار مقاتلة يقال لها دار السوا ، فيها أحداث شباب ، جلد ، مستعدّون للحرب والقتال .

---

(١) يضارعون : يحاكون .
(٢) سبق الحديث بالتفصيل عن هذين الدينين .
(٣) الثنايا : جمع ثنية وهي مقدمة الاسنان .
(٤) الختْن : قطع القلفة عند الذكر .
(٥) بياض في الأصل .

ثـم المملكـة السادسة ، وهي مملكة النجاشي[1] ، وهـو بلد واسع ، عـظيم الشـأن ، ومـدينـة المملكــة كعبـر ، ولم تــزل العـرب تـأتي إليهـا للتجارات ، ولهم مدن عظام ، وساحلهم دَهْلَك ، ومن في بلاد الحبشة من الملوك ، فهم من تحت يـد الملك الأعظم يعـطونه الـطاعـة ، ويؤدون إليـه الخراج ، والنجاشيّ على دين النصـرانيّة اليعقـوبيّة ، وآخـر مملكة الحبشـة الـزنج ، وهم يتّصلون بـالسند ومـا ضارع هـذه البلدان ، ويتّصل أيضـاً بما دون الـزنج ممّـا يتاخم السنـد والكُرك ، وهم قـوم لهم حساب ، واجتمـاع قلوب .

وأمّا السودان الذين غرّبوا وسلكوا نحو المغرب فـإنّهم قطعـوا البلاد ، فصـارت لهم عدّة ممـالـك ، فـأوّل ممـالكهم : الـزغـاوه ، وهم النـازلـون بالموضـع الذي يقـال له : كـانم ، ومنازلهم أخصـاص القصب[2] ، وليسوا بـأصحاب مـدن ، ويسمّى ملكهم كاكـره . ومن الزغـاوه صنف يقال لهم : الحوضن ، ولهم ملك هو من الزغاوه .

ثمّ مملكـة أخـرى يقـال لهم : ملّل ، وهم يبـادون صــاحب كـانم ، ويسمّى ملكهم : ميوسى .

ثمّ مملكـة الحشة[3] ، ولهم مـدينة يقـال لها : ثبيـر ، ويسمّى ملك هذه المدينة مرح ، ويتّصـل بهم القاقـو ، إلاّ أنّهم معولـون ، وملكهم ملك ثبير .

ثمّ مملكـة الكوكـو ، وهي أعظم ممـالك السـودان ، وأجلّهـا قـدراً ، وأعـظمها أمـراً ، وكلّ الممـالـك تعـطي لملكهـا الـطاعـة ، والكـوكـو اسم المدينة ، ودون هذا عدّة ممالك يعطونه الطاعة ، ويقرون له بـالرئـاسة على

---

(١) النجاشي : لقب ملوك الحبشة . والنجاشي أيضاً لقب للشـاعر قيس بن عمـر الحارثي وهو شاعر يمني عاش في نجران ومكة .

(٢) أخصاص القصب : عيدانها .

(٣) بلا نقطة بعد الحاء .

أنّهم ملوك بلدانهم ، فمنهم مملكة المرو ، وهي مملكة واسعة ، وللملك مدينة يقال لها : الحيا ، ومملكة مُردبه ، ومملكة الهربر ، ومملكة صنهاجه، ومملكة بذكربر ، ومملكة الزيانير ، ومملكة ارور ، ومملكة بقاروت ، فهذه كلّها تنسب إلى مملكة الكوكو(١) .

ثمّ مملكة غانه ، وملكها أيضاً عظيم الشأن ، وفي بلاده معادن الذهب ، وتحت يده عدّة ملوك ، فمنهم مملكة : عام ، ومملكة : سامه ، وفي هذه البلاد كلّها الذهب .

ملوك اليمن

ذكرت الرواة ، ومن يدعي العلم بالأخبار وأحوال الأمم والقبائل : إنّ أوّل من ملك من ولد قحطان (٢) بن هود النبيّ : ابن عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح سبا بن يعرب بن قحطان ، وكان اسم سبا(٣) عبد شمس ، لأنّه كان أوّل من ملك من ملوك العرب ، وسار في الأرض ، وسبَى السبايا ، وكان يعرب بن قحطان أوّل من حُيّي بأنعمْ صباحاً وأبَيْتَ اللعن .

ثمّ ملك بعد سبا حمير بن سبا ، واسم حمير (٤)زيد ، وكان أوّل ملك لبس التاج من الذهب مفصّصاً بالياقوت الأحمر .

ثمّ ملك بعد حمير أخوه كهلان بن سبا ، فطال عمره حتى هرم(٥) .

---

(١) بعض أسماء هذه الممالك تنقصه النقط في الأصل .

(٢) جاء في رواية المسعودي : «اختلف الناس في أنساب قحطان ؛ فحكى هشام بن الكلبي عن أبيه والشرقي ابن القطامي أنهما كانا يذهبان إلى أنّ قحطان بن الهميسع بن نبت ـ وهو نابت ـ بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، ويحتجان لذلك بوجوه من الأخبار» .

[مروج الذهب ٢ ص . ٧٠]

(٣) وهو سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان .

(٤) كان يعرف بالمتوّج .

(٥) كان ملكه ثلاثمائة سنة .

ثمّ ملك بعد كهلان أبو مالك بن عمّيكرب بن سبا ، فدام ملكه ثلاثمائة سنة .

ثمّ ملك بعد أبي مالك حنادة بن غالب بن زيد بن كهلان ، وكان أوّل من صنع السيوف المشرفيّة ، وكان يصنع الطعام للجنّ بالليل ، وملك مائة وعشرين سنة .

وملك بعد حنادة الحارث بن مالك بن افريقيس بن صيفي بن يشجب بن سبا مائة وأربعين سنة .

ثمّ ملك بعد الحارث بن مالك الرائش ، وهو الحارث بن شدّاد بن مِلْطاط بن عمرو بن ذي ابين بن ذي يقدم بن الصوّار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن ايمن بن الهميسع بن حمير بن سبا ، وهو أوّل من غزا وأصاب الأموال وأدخل اليمن الغنائم من غيرها فسمّي الرائش فغلب اسمه ، وكان ملكه مائة وخمساً وعشرين سنة .

ثمّ ملك بعد الرائش ابنه ابرهة بن الرائش ، وهو ابرهة ذو منار ، وذلك أنّه صار إلى ناحية المغرب ، وكان إذا غلب على بلد ضرب عليها النار ، وكان ملكه مائة وثمانين سنة .

ثمّ ملك بعد ابرهة ابنه افريقيس بن ابرهة ، فسلك سبيل أبيه ، وكان ملكه مائة وأربعاً وستّين سنة .

ثمّ ملك بعد افريقيس أخوه العبد بن أبرهة ، وكان يسمّى ذا الاذعار لأنه ذعر العدوّ ، وكان يأتي بقوم عجيبة خلقهم ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثمّ ملك بعد ذي الاذعار الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش ، وكان ملكه سنة واحدة[1] .

---

(١) هناك تنازع في مدّة ملكه ، فمنهم من رأى أنه عشر سنين ، ومنهم من ذكر سبعاً ، ومنهم من قال : ستّاً .

ثمّ ملك بعد الهدهاد زيد ، وهو تبّع الأوّل بن نيكف ، فطال عمره ، وطغى ، وبغى ، وعتا ، فيزعم الرواة أنّه ملك أربعمائة سنة ، ثمّ قتلته بلقيس .

وملكت بلقيس[1] بنت الهدهاد بن شرحبيل ، فكان ملكها مائة وعشرين سنة ، ثمّ كان من أمرها مع سليمان ما كان[2] ، فصار ملك اليمن لسليمان بن داود ثلاثمائة وعشرين سنة ، ثمّ ملك رحبعم بن سليمان بن داود عشر سنين ، ثمّ رجع الأمر إلى حمير ، فملك ياسر ينعم بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن شرحبيل ، واشتدّ سلطانه ، فكان ملكه خمساً وثمانين سنة .

ثمّ ملك شمّر بن افريقيس بن ابرهة ثلاثاً وخمسين سنة .

ثمّ ملك تُبّع الأقرن بن شمّر بن عميد ، فغزا الهند ، وأراد أن يغزو الصين ، وكان ملكه مائة وثلاثاً وستّين سنة .

ثمّ ملك ملكيكرب بن تبّع ، فغزا البلاد ، ففرّق قومه في أقاصي الأرض ، ونقلهم إلى سجستان وخراسان ، واجتمعوا عليه ، فقتلوه ، وكان ملكه ثلاثمائة وعشرين سنة .

ثمّ ملك حسّان بن تبّع ، فأقام زماناً لا يغزو ، ثم وقع بين طسم وجديس ما وقع ، فسار إليهم تبّع ، فلمّا قرب منهم قال له رجل من طسم كان معه : إن معهم امرأة يقال لها اليمامة[3] تنظر فلا تخطىء ، فأخاف أن

---

(١) كان لمولد بلقيس خبر ظريف ذكرته الرواة فيما روي أنه تصور لأبيها في بعض قنصه حيّتان سوداء وبيضاء ، فأمر بقتل السوداء منهما وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الحية وأنّ الشيخ زوّجه بابنته واشترط عليه شروطاً لها ، فعلقت منه ببلقيس ونقض تلك الشروط المأخوذة عليه لها ، فغابت عنه . . .

[مروج الذهب ٢ :٧٥]

(٢) راجع القرآن الكريم في سورتي الأنبياء والنمل .

(٣) اليمامة : هي زرقاء اليمامة ، امرأة من جديس في الجاهلية . ذكر الجاحظ أنها كانت =

تنذرهم ، فأمر أصحابه ، فقطعوا من شجر الزيتون وقال : ليحمل كلّ واحد منكم غصناً عظيماً من الزيتون خلفه ! فحمل كلّ رجل غصناً عظيماً ، فلمّا نظرت قالت : أرى شجراً تمشي ! قالوا : وهل تمشي الشجر ؟ قالت : نعم وربّ كلّ حجر ومدر[1] ، وإنّها لخلف رجال حمير ! فكذبوها ، وصبّحهم حسّان ، فقتلهم . وملّه قومه ، وثقلت عليهم وطأته ، فواطأوا أخاه عمرو بن تبّع على قتله خلا ذا رُعَيْن ، فإنّه نهى عن ذلك ، فقتله ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثمّ ملك عمرو بن تبّع بعد أن قتل أخاه ، فذهب عنه النوم ، وتنغّص عيشه ، فقتل كلّ من أشار بقتل أخيه ، حتى بلغ إلى ذي رعين ، فقال : قد أشرت عليك أن لا تفعل ، فكتبت بيتي شعر هما عندك . وكان قد دفع إليه رقعة فيها :

ألا من يَشْتَرِي سَهَراً بنَوْم ، سَعيدٌ مَنْ يبيتُ قَريرَ عَيْنِ
فإمّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخَانَتْ فَمَعْذِرَةُ الإلَهِ لِذي رُعَيْنِ

وكان ملك عمرو أربعاً وستّين سنة .

ثمّ ملك تُبّع بن حسّان بن بحيلة[2] بن ملكيكرب بن تبّع الأقرن ، وهو أسعد أبو كَرِبَ ، وهو الذي سار من اليمن إلى يثرب[3] ، وكان الفطيون قد تملّك على الأوس والخزرج[4] ، فسامهم سوء العذاب ، فخرج مالك بن العجلان الخزرجي ، فشكا ذلك إلى تبّع ، فأعلمه غلبة قريظة والنضير[5]

= تبصر الشيء، من مسيرة ثلاثة أيام وضرب بها المثل فقيل : «أبصر من زرقاء اليمامة» .

[الأعلام للزركلي]

(١) المدر : الطين والتراب .
(٢) لعلها بجيلة .
(٣) أراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من أحبار اليهود ، فكساها القصب اليماني . . .
[مروج الذهب ٢ : ٧٧]
(٤) الأوس والخزرج : قبيلتان عربيتان سكنتا المدينة في الجاهلية ومنها أسر يهودية اعتنقت الإسلام بعد ظهوره .
(٥) من القبائل اليهودية .

عليهم ، فسار تبّع إليهم ، فقتل قوماً من اليهود ، وكان تبّع خلّف ابناً له بين أظهرهم ، فقتلوه ، فزحف إليهم ، وحاربهم .

وكان رئيس الأنصار عمرو بن طلحة الخزرجيّ من بني النجّار ، وكانوا يحاربونه بالنهار ، ويقرونه بالليل ، فيقول : إنّ قومنا لكرام . وجمع عظماء اليهود وقال : إني مخرّب هذه البلدة ، يعني المدينة ، فقالت الأحبار وعظماء اليهود : إنّك لا تقدر على ذلك ! قال : ولِمَ ؟ قالوا : لأنّها لنبيّ من بني إسماعيل يكون مخرجه من عند البيت المحرّم ، فخرج ، وأخرج معه قوماً من أحبار اليهود ، فلمّا قرب من مكّة أتاه نفر من هذيل ، فقالوا له : إنّ هذا البيت الّذي بمكّة فيه أموال وكنوز وجوهر ، فلو أتيته فأخذت ما فيه. وإنّما أرادوا أن يفعل، فيهلكه الله. وقيل إنّما أشار عليه قوم أن يهدمه ، ويحوّل حجارته إلى اليمن ، فيبني بها هناك بيتاً تعظّمه العرب ، فدعا تبّع أحبار اليهود ، فذكر ذلك لهم ، فقالوا : ما نعلم للّه بيتاً في الأرض غير هذا البيت ، وما أراده أحد بسوء إلاّ أهلكه الله .

واعترضته علّة في ليلته ، فقال له الأحبار : إن كنت أضمرت لهذا البيت مكروهاً ، فارجع عنه ، وعظّمه ، فرجع عما كان أضمر ، فأذهب اللّه عنه العلّة ، فقتل من أشار عليه بهدمه ، وطاف به وعظّمه ، ونحر ، وحلق رأسه ، ورأى في النوم أن اكسه ، فكساه الخَصَف[1] ، فتجافى ، فرأى في نومه أن اكسه ، فكساه المُلاء المعضّد[2] ، وقال شعراً فيه :

وَكَسَوْنا البَيْتَ الّذي حَرّمَ اللّـ	ـه مُلاءً مُعَضَّداً ، وبُرودا[3]
ونَحَرْنا بالشِّعْبِ سِتّةَ آلا	فٍ ترى النّاسَ نَحْوَهُنّ وُرُودا
وأمرنا أن لا تقَرّبَ للكعـ	ـبةِ مَيْتاً، ولا دَماً مصفودا
ثمّ طُفنا بالبيت سَبْعاً وسَبْعاً ،	وسَجدنا عند المقامِ سُجودا

---

(١) الخصف : الأثواب الغليظة . مفردها الخصفة .

(٢) الملاء المعضد : الأثواب المشدودة .

(٣) البرود : جمع بُرد وهو الثوب من قماش .

وأقَمْنا فيه من الشهْر سبعاً ، وجعلنا لبابه إقْليدا[1]

ثمّ رجع إلى اليمن ومعه الأحبار من اليهود ، فتهوّد هو وقومه ، وكان ملكه ثمانياً وسبعين سنة .

ثمّ تفرقت ملوك قحطان ، وملّكوا أقواماً متفرّقين منهم : عمرو بن تبّع[2] ، ثمّ نزعوه ، وملّكوا مرثد بن عبد كلال أخا تبّع لأمّه ، فأقام أربعين سنة .

ثمّ ملك وليعة بن مرثد تسعاً وثلاثين سنة .

ثمّ ملك ابرهة بن الصبّاح[3] ، وكان من أحكم ملوك اليمن وأغلظهم ، وكان ملكه ثلاثاً وتسعين سنة .

ثمّ ملك عمرو بن ذي قيقان .

ثمّ ملك ذو الكلاع .

ثمّ ملك لخيعة ذو شناتر[4] ، فكان من أخبث ملوك حمير وأرداها ، وكان يعمل عمل قوم لوط[5] ، يبعث إلى الغلام من أبناء الملوك ، فيلعب به ، ثمّ يتطلّع في غرفة له ، وفي فمه السواك[6] ، حتى بعث إلى ذي نواس[7] بن أسعد ليلعب به ، فدخل ، ومعه سكين ، فلمّا خلا به ، وثب عليه ذو نواس ، وقتله ، وحزّ رأسه ، وصيّره في الموضع الذي يتطلّع منه ، فلمّا خرج صاح به من بالباب من الجيش : يا ذا نواس ، لا بأس ! فقال :

---

(١) الإقليد : المفتاح .

(٢) وهو القاتل لأخيه حسان . ويقال إنه عدم النوم لما كان من فعله من قتل أخيه .

(٣) وهو الذي يُدعى شيبة الحمد حسب رواية المسعودي .

(٤) لم يكن من أهل بيت الملك .

(٥) أي من اللواطيين .

(٦) السواك : العود الذي تنظف به الأسنان .

(٧) اسمه يوسف ذو نواس بن زرعة .

البأس على صاحب الرأس ! فنظروا ، فإذا به قد قتله ، فملّكوا ذا نـواس . وكان ملك ذي شناتر سبعاً وعشرين سنة .

وملك ذو نواس بن أسعد ، وكـان اسمه زرعـة ، فعتا ، وهـو صاحب الأخـدود ، وذلك أنّـه كان على دين اليهـوديّة ، وقـدم اليمن رجل يقـال له عبد اللّه بن الثامر ، وكان على دين المسيـح ، فأظهـر دينه بـاليمن ، وكان إذا رأى العليل والسقيم قال : أدعو اللّه لك حتى يشفيك ، وترجع عن دين قومك ! فيفعل ذلك ، فكثر من اتّبعه .

وبلغ ذا نواس ، فجعل يطلب من قال بهـذا الدين ، ويحفـر لهم في الأرض الأخـدود ، ويحرق بـالنار ، ويقتـل بالسيف[1] ، حتى أتَى عليهم ، فسـار رجـل منهم إلى النجـاشيّ[2] ، وهـو على دين النصـرانيّـة ، فـوجّـه النجـاشيّ إلى اليمن بجيش عليهم رجل يقـال لـه اريـاط ، وهم في سبعين ألفاً ، ومع اريـاط في جيشـه ابـرهـة الأشـرم ، فسار إليـه ذو نواس ، فلمّـا التقـوا انهزم ذو نـواس ، فلمّا رأى ذو نواس افتراق قـومه وانهـزامهم ضـرب فـرسه ، واقتحم بـه البحر ، فكـان آخر العهـد به . وكـان ملك ذي نـواس ثمانياً وستّين سنة .

ودخل ارياط الحبشي اليمن ، فأقام بها عدّة سنين ، ثمّ نـازعه ابـرهة الأشرم الأمر، فافترقت الحبشة مع ارياط طائفة، ومع ابرهة طـائفة، وخـرجا للحرب، وسار كلّ واحد إلى صـاحبه، فلمّـا التقوا قـال ابرهـة لارياط: مـا نصنع يا ارياط بأن نقتـل الناس بيني وبينـك ؟ أُبرز إليّ وأبـرز إليك ، فـأيّنا أصـاب صـاحبـه انصرف إليـه جنده عنـه ! فبرز كـلّ واحد إلى صـاحبه ، فضـربه اريـاط بالحـربة ، فشـرم عينيـه ، وضـربـه غـلام لأبرهـة ، فقتلـه ، واجتمعت الحبشة باليمن على ابـرهة ، فلمّـا بلغ النجاشيّ غضب ، وحلف ليـطأنّ أرضه بـرجله ، أو ليجزّنّ نـاصيته ! فحلق ابـرهة رأسـه ، وبعث بهـا

---

(١) قال الله تعالى : **﴿قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود﴾** .

(٢) النجاشي : ملك الحبشة .

إليه ، وبجراب من تراب أرضه[1] ، وقال : إنما أنا عبدك ، وارياط عبدك ، اختلفنا في أمرك ، وكلّ طاعته لك ، فرضي عنه .

وخرج سيف[2] بن ذي يزن إلى قيصر يستجيش على الحبشة ، فأقام قبله سبع سنين ، ثمّ ردّه ، وقال : هم قوم على دين النصرانيّة لا أحاربهم ! فسار إلى كسرى ، فوجّه بأهل السجون ، ووجّه معهم رئيساً يقال له وَهْرز ، فلمّا قدم البلد حارب الحبشة ، فقتل ابرهة الحبشيّ ، وغلب على البلد ، ثمّ ملّك سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح ، وسيف الذي يقول فيه أميّة[3] بن أبي الصلت :

لايَطلُبُ الثّأرَ إلّا ابنُ ذي يَزَنٍ ،	أقَامَ في البَحْرِ للأعداءِ أحوالا
أتَى هِرقْلَ ، وقد شالَتْ نَعَامَتُه[4] ،	فلم يَجِدْ عندَهُ الأمْرَ الّذي قالا
ثمّ انْتَحَى نَحْوكِسْرَى بَعد سابعةٍ	مِنَ السّنِينَ ، لقد أبْعَدْتَ إيغالا
حتى أتَى ببَني الأحْرار يَقْدَمُهُم ،	اذهبْ إليك ، لقد أسْرَعْتَ قَلْقَالا

وكانت ملوك اليمن يدينون بعبادة الأصنام في صدر من ملكهم ، ثمّ دانوا بدين اليهود . وتلوا التوراة . وذلك أنّ أحباراً من اليهود صاروا إليهم ، فعلّموهم دين اليهوديّة ، ولم يكونوا يتجاوزون اليمن إلّا أن يغيروا على البلاد ، ثمّ يرجعون إلى دار ملكهم .

---

(١) ويضيف المسعودي في مروج الذهب ٢ ؛ ٧٨ : «وجعل من دمه في قارورة وضم إلى ذلك هدايا كثيرة وكتب إليه يعترف بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية أنه في طاعته . . . . وليطفىء الملك عني غضبه ، فقد أبررت يمينه وهو على سرير ملكه» .

(٢) سيف بن ذي يزن : ملك بني حمير في جنوبي جزيرة العرب (٥٧٠م) .

(٣) أميّة بن أبي الصلت (؟ - ٦٣٠ ؟) : شاعر عربي من رؤساء ثقيف وفصحائهم . كان من النسّاك ، وقال بالتوحيد ونبذ الأوثان وأشاد بدين الحنفية .

[الأعلام ٢ للزركلي]

(٤) شالت نعامة القوم : أخلوا منازلهم وتفرّقوا وتفرقت كلمتهم وذهب عزّهم .

وكـور بلاد اليمن تسمّى مخـاليف ، وهي أربعة وثمـانـون مخـلافـاً ، وهذه أسماؤهـا : اليَحْضِبين ، ويَكْلا ، وذِمَـار ، وطَمُؤ ، وعِيَان ، وطَمـام ، وهَمَـل ، وقُـدَم ، وخَيْـوان ، وسِنْجـان ، ورَيْحــان ، وجُـرَش ، وصَعْـدَة ، والأَخْرُوج ، ومُجَيَّح ، وحَـراز ، وهَوْزَن ، وقُفـاعة ، والـوَزِيرة ، والحجـر ، والمَعافِر ، وعُنّة ، والشّوافي ، وجُبْلان ، ووصَاب ، والسَّكُـون ، وشَرْعَب ، والجَنَـد ، ومَسْوَر ، والثُّجّـة ، والمُزْدَرِع ، وحَيْـران ، ومَـأرب ، وحَضُـور ، وعُلقـان ، ورَيْشـان ، وجَيْشــان ، والنِّهْم ، وبَيْش ، وضَنْكـان ، وقُـرْبَى ، وقَنَـوْنا ، ورنيـة ، وزنيف ، والعُرْش ، والخَصُـوف ، والسّـاعـد ، وبَلْجَـة ، والمَهْجَم ، والكَدْراءُ ، والمَعْقِر ، وزَبيد ، ورِمع ، والركْب ، وبني مَجيد ، ولَحْـج ، وأبْيَن ، والواديين ، وألْهـان ، وحَضْـرَمَـوْت ، ومُقْـرَى ، وحَيْس ، وحَـرَض ، والحَقْلَين ، وعَنْس ، وبني عـامـر ، ومَـأذَن ، وحُمْــلان ، وذي جُرَة ، وخَوْلان ، والسّرْو ، والدّثِينَة ، وكُبَيْبَة ، وتَبـالة .

ومن الســواحـل : عَــدن ، وهي : سـاحــل صنعـاء ، والمنــدب ، وغَلافقَة ، والجِرْدَة ، والشَّرْجَة ، وعَثّر ، والحمضة ، والسِّرّين ، وجدّة .

هذه بلاد مملكة اليمن وبلدانها ، وكـانوا ربّمـا أغاروا على البلدان ، فيرجعون إلى بلادهم .

واليمن قبـائل كثيـرة ، إذا دخلت فيهم قضاعـة ، فقد روي أن رجـلاً سأل رسول الله ، فقـال : يا رسـول الله أيّما أكثـر نزار أو قحـطان؟ قال : مـا شاب قضاعـة[1] ، وقضاعـة في هذا الـوقت مقيمة على أنّهـا ولد ملك بـن حمير .

وهذه جماهيـر قبـائـل اليمن مع مـا دخل فيهم من نـزار من قضاعـة ، وجذام ، ولخم ، وبجيلة ، وخثعم . وكان أوّل من ذكر اسمه وعرف قـدره :

(١) يريد صلى الله عليه وآله وسلم : أنسيتم قضاعة ؟ .

سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فمن ولده كهلان بن سبا ، وحِمْيَر بن سبا .

فمن قبائل كهلان طيء بن أُدد بن زيد بن عريب بن كهلان ، والأشعر بن أدد بن زيد ، وعنس بن قيس بن الحارث بن مرّة بن أُدد ، وجذام ، ولخم ، وعاملة ، وهم بنو عمرو بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدد بن زيد ، ومذحج بن أدد بن عريب بن كهلان .

فمن قبائل مَذْحج سعد العشيرة بن مذحج ، ومُراد بن مذحج ، والنخع بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مذحج ، وحكم وجُعْفى ابنا سعد العشيرة بن مذحج ، وخولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج ، وزُبَيد بن الصعب بن سعد العشيرة بن مذحج .

وهمدان ، واسمه أوْسلَة بن خيار بن ربيعة بن مالك بن زيد بن كهلان . وخثعم وبجيلة ابنا انمار بن نزار بن عمرو بن الحبار بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .

والأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان . فمن قبائل الأزد : عكّ بن عدنان بن الذنب بن عبد الله بن الأزد ، على أنّ عكاً تنسب إلى عدنان بن أدد ، والعتيك بن أسد بن عمرو بن الأزد ، وغسّان ، وهو مازن بن الأزد .

فمن قبائل غسّان خُزاعة ، وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن غسّان . . . . . . [1] بن وادعة بن عمران بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس ، والأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن غسّان ، قال حسّان[2] بن ثابت الأنصاري :

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) حسّان بن ثابت (٥٦٣ م - ٦٧٤) : ولد في يثرب ، وهو من الشعراء المخضرمين . اتصل أول أمره بالغساسنة فمدحهم ولقي في بلاطهم النابغة الذبياني وعلقمة ، ثم أصبح من الأنصار وهجا القريشيين ولقب بشاعر النبي ، وهو أول من نظم الشعر الديني في الإسلام . [الأعلام ٢ للزركلي]

ونحن بنو الغَوْثِ بن نبت بن مـالك بـ ـن زيـد بن كهـلان وأهْـلُ المفـاخـر

ومن قبـائل حميـر قضاعـة ، وقضاعـة ، فيما يـزعـم النسّـابـون ، ابن نزار بن معدّ بن عدنان ، وكان نزار يكنى أبا قضاعة .

فمن قبائل قضاعة : نهد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلُم بن الحاف بن قضـاعـة ، وجهينـة بن زيـد بن ليث بن سـود بن اسلُم بن الحـاف بن قضـاعة ، وعُـذرة بن سعد بن زيـد بن ليث بن سـود بن أسلم بن الحـاف بن قضاعة، وسليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وكلب بن وَبَرة بن تغلب بن حُلوان بن عمـران بن الحاف بن قضـاعة، والقين بن جَسْـر بن الأسد بن وبـرة بن تغلب بـن حلوان ، وتنـوخ ، وهـو مـالـك بن فَهْم بن تيم اللّه بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، فهذه جماهير قضاعة .

ومن حمير بن سبا : الصّدِف بن سهل بن عمرو بن قُيس بن معلوية بن جشم بن وائـل بن عبـد شمس بن الغـوث بن قـطن بن عـريب بن زهير بن الهَمَيْسع بـن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

والناس في حضرموت مختلفون ، وقد ذكر قوم أنّهم من الأمم الخالية التي تقـطّعت مثـل طسم ، وجـديس ، وعمـلاق ، وعـاد ، وثمـود ، وعَبْس الأولى ، واوبار ، وجرهم[١] .

وكان تفرق أهـل اليمن في البلاد وخـروجهم عن ديارهم بسبب سيـل العرم[٢] ، وكان أوّل ذلك ، على ما حملتـه الرواة : إنّ عمـرو بن عامـر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مـازن بن الأزد كان رئيس القـوم ، وكان كاهناً ، فرأى أنّ بلاد اليمن تغـرق ، فأظهـر غضبه على بعض ولـده ، وباع مـرباعـه ، وخرج هـو وأهل بيتـه ، فصار إلى بـلاد عـكّ ، ثمّ ارتحلوا إلى

---

(١) جميع هذه القبائل هي قبائل بائدة .

(٢) وقد ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم : ﴿**فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيلَ العرم**﴾ سورة سبأ ؛ الآية : ١٦ .أنظر خبره بعد قليل .

نجران ، فحاربتهم مذحج ، ثمّ ارتحلوا عن نجران ، فمروا بمكّة ، وبها يومئذ جرهم ، فحاربوهم حتى أخرجوهم عن البلد ، فصاروا إلى الجحفة ، ثمّ ارتحلوا إلى يَثْرِبَ ، فتخلّف بها الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو بن عامر ، ولحق بهم جماعة من الأزد غير ابني حارثة ، فصار بعضهم حلفاء ، ودخل بعضهم معهم .

وتفرّقت الأزد بيثرب ، وكانت يثرب منازل اليهود ، فنازعتهم ، وغلبتهم اليهود بكثرتهم ، وقهروهم ، حتى كان الرجل من اليهود ليأتي منزل الأنصاريّ ، فلا يمكنه دفعه عن أهله وماله ، حتى دخل رجل منهم يقال له الفطيون إلى دار مالك بن العجلان ، فوثب عليه ، فقتله ، ثم صار إلى بعض ملوك اليمن ، فشكا إليه ما يلقون من اليهود ، فسار ذلك الملك إليهم بجيشه حتى قتل من اليهود مقتلة عظيمة ، فصلحت حال الأوس والخزرج وغرس النخل ، وأنشأوا المنازل .

وسار باقي القوم يؤمّون الشأم ، حتى صاروا إلى أرض السراة ، فأقام أزد شنوءة بالسراة وما حولها ، وخرج منهم قبائل إلى عُمان ، فكان أوّل من صار منهم إلى عمان : مالك بن فهم بن غنم بن دَوْس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، وتزوّج مالك بامرأة من عبد القيس ، فولدت له عدّة أولاد ، فيقال إنّ أصغر ولده قتله إذ كان معه في إبل له ، فقام مالك بن فهم يطوف في الإبل ، فرفع رأسه ، فتوهّمه ابنه سارقاً ، فرماه فقتله ، وكان يقال لأمّه سليمة ، فيقال إنّ مالك بن فهم قال[1] :

أُعلّمُهُ الرِّمَايَةَ كلّ يَوْمٍ ، فلمّا اشتَدّ ساعدُهُ رَماني

ثمّ لحق بعد مالك بن فهم جماعة من بطون الأزد منهم : الربيعة وعمران بنو عمرو بن عديّ بن حارثة بن عمرو بن عامر ، وهم : بارق ،

---

(١) كذلك ينسب هذا البيت إلى غيره من الشعراء .

وغالب ، ويشكر بن قيس بن صَعْب بن دُهمان ، وقوم من عـامر ، وقـوم من حَوالة بعمان ، فلمّا صاروا بعمان انتشروا بالبحرين وهجر .

وكـان بـأرض تهـامـة من الأزد الجَـدَرَة[1] وهم من ولـد عمـرو بن خـزيمـة بن جِعْثِمَـة بن يشكـر بن مبشّـر بن صعب بن دهمـان بن نصـر بن زَهْران بن كعب بـن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد ، وذلك أنّ عمـراً بنى جدار الكعبـة ، فسمّي الجـادر ، وسـار منهم نفـر إلى هـراة من أرض خراسان .

وسارعت غسّان إلى الشأم ، حتى نزلت بأرض البلقاء ، وكان بالشـأم قوم من سَلِيح قد دخلوا ذمّـة الروم ، وتنصـروا ، فسألتهم غسّـان أن تدخـل معهم في ذلك ، فكتبوا إلى ملك الروم ، فأجـابهم ملك الروم إلى ذلـك ، ثمّ سـاء مجاورتهم عـاملـه على دمشق ، فحمـل عليهم صـاحب الـروم[2] بجمـاعة من العـرب من قضاعـة من قبل ملك الـروم ، ثـمّ إنّ غسّان طلبت الصلح ، فأجابهم ملك الروم ، وكان رئيس غسّـان يومئـذ جفنة بن عليّـة بن عمرو بن عامر ، فتنصّرت غسّـان ، فأقـامت بالشـأم مملّكة من قبـل صاحب الروم ، وسار ولد حَوالـة بن الهنو بن الأزد إلى المـوصل ، فـنزلوهـا ، وكان أهل اليمن يرون أنّ بلدهم يغرق من سدّ مأرب ، فحصّنوه ، وحـرسوه ، فلمّـا بعث الله عليهم سيل العرم دخل عليهم الماء من جحر لجرَذ كـان يحفر في السدّ ، فغرّقهم .

ملـوك الشأم

وكانت الشأم دار ملك بني إسرائيل ، فيقـال إنّ أوّل من ملك بدمشق بالغ بن بعور[3] .

---

(١) سمّوا كذلك لأنهم من بناة جدار الكعبة .

(٢) قوله : صاحب الروم ، لا معنى لها هنا ولعلها محرّفة .

(٣) رواية المسعودي : «فالغ بن يغور» .

ثمّ ملك يوباب[1] ، وهو أيّوب بن زارح الصدّيق ، وكان من خبره ما قد قصّه اللّه ، عزّ وجلّ[2] .

ثمّ ملك مينسوس ، وكانت بنو إسرائيل تحاربهم .

ثمّ ملك هوسير من أهل لد .

ثمّ انقطعت الممالك ، فكانت ملوك بني إسرائيل ، حتى انقرضوا .

وغلبت الروم على ملكها ، فخرج القوم عن البلاد ، فكانت قضاعة أوّل من قدم الشأم من العرب ، فصارت إلى ملوك الروم ، فملّكوهم ، فكان أوّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم بن تيم اللّه بن الأسد بن وبَرَة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، فدخلوا في دين النصرانيّة ، فملّكهم ملك الروم على من ببلاد الشأم من العرب ، فكان أوّل من ملك منهم : النعمان بن عمرو بن مالك .

ثمّ غلبت بنو سليح ، وهم بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وأقامت بنو سليح زماناً على ذلك ، فلمّا تفرّقت الأزد ، وصار من صار منهم إلى تهامة ، ومن صار إلى يثرب ، ومن صار إلى عمان وغير ذلك من البلدان ، فصارت غسّان إلى الشأم ، فقدموا أرض البلقاء ، فسألوا سليحاً أن يدخلوا معهم فيما دخلوا فيه من طاعة ملك الروم ، وأن يقيموا في البلاد ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، فكتب رئيس سليح ، وهو يومئذ دهمان بن العملق ، إلى ملك الروم ، وهو يومئذ نوشر ، وكان منزله أنطاكية ، فأجابهم إلى ذلك ، وشرط عليهم شروطاً ، فأقاموا .

ثمّ جرى بينهم وبين ملك الروم مشاجرة بسبب الإتاوة[3] التي يقبضها

---

(١) رواية المسعودي : «يوتاب وهو أيوب بن رزاح» .

(٢) قال الله تعالى : ﴿وأيوب إذ نادى ربه إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ سورة الأنبياء . ٨٣ .

(٣) الإتاوة : الخراج .

ملك الـروم ، حتى إنّ رجـلاً من غسّـان يقـال لـه جِـذْع ضـرب رجـلاً من أصحـاب ملك الـروم بسيفـه ، فقتله ، فقـال بعضهـم : خـذ من جِـذْعٍ مـا أعـطاك ! فذهب مثـلاً ، فحاربهم صـاحب الروم ، فـأقامـوا مليّاً يحـاربونـه ببصـرى من أرض دمشق ، ثمّ صاروا إلى المخفّف ، فلمّا رأى ملك الـروم صبرهم على الحرب ، ومقاومتهم جيوشـه ، كره أن تكـون ثلمة[1] عليهم ، وطلب القـوم الصلح على أن لا يكون عليهم ملك من غيـرهم ، فـأجـابهم ملك الـروم إلى ذلك ، فملّك عليهم جفنـة بـن عليّة بن عمـرو بن عـامـر ، واستقام الذي بينهم وبين الروم ، وصارت أمورهم واحدة .

وكـان أول ملك جـلّ قـدره وعـلا ذكـره من غسّـان ، بعـد جفنـة بن عليّـة : الحارث بن مالـك بن الحارث بن غَضَب بن جُشم بن الخـزرج بن حارثـة بن ثعلبـة بن عمرو بن عـامر بن ثعلبـة بن حارثـة بن عـديّ بن امـرىء القيس بن مازن بن الأزد .

وملك بعده الحارث الأكبر بن كعب بن عليّة بن عمرو بن عامـر وكعب هو جفنة ، وهو ابن مارية ، وأمّه مارية بنت عاديا بن عامر .

ثمّ ملك أخوه الحارث الأعرج ، فنزل الجَوْلان .

ثمّ ملك أخوه الحارث الأصغر .

ثمّ ملك جبلة بن المنذر .

ثمّ ملك الحارث بن جبلة .

ثمّ ملك الأيهم بن جبلة .

ثمّ جَبَلة بن الأيهم .

وكـان الحارث بن أبي شمـر بن الأيهم مملّكاً بـالأردنّ ، وكـان منـزل جبلة دمشق ، وفي جبلة بن الأيهم وأهله يقول حسّان بن ثابت[2] :

---

(١) الثلمة : الخلل والنافذة ينفذون منها إليهم .

(٢) تقدّمت ترجمته .

لـلّهِ درُّ عِصَـابَـةٍ نـادَمْـتُـهُـمْ يوماً بجِلّقَ ، في الزّمانِ الأولِ
بيض الوجوه كريمَةٍ أحْسابُهُم ، شُمِّ الأُنُـوفِ مِنَ الـطّرازِ الأوّلِ
أوْلادِ جَفْنَـةَ حَـوْلَ قَبْـرِ أبيهِمُ ، قَبْرِ ابنِ ماريةَ[1] الكَريمِ المُفْضِلِ
يغشونَ حتى ما تَهِرّ كِلابُهُمْ[2] ، لا يسألونَ عن السوادِ المُقبلِ
يَسقونَ مَنْ وَرَدَ البَريصَ[3] عليهمُ بَرَدى[4] يُصَفَّقُ بالرّحيقِ السَّلْسَلِ

ملوك الحيرة من اليمن

قالت الرواة ، وأهل العلم : إنّه لمّا تفرّق أهل اليمن قدم مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، حتى نزل أرض العراق في أيّام ملوك الطوائف ، فأصاب قوماً من العرب من معدّ وغيرهم بالجزيرة فملّكوه عشرين سنة .

ثمّ أقبل جذيمة الأبرش[5] ، فتكهّن ، وعمل صنمين يقال لهما الضَّيْزَنَان ، فاستهوى أحياء من أحياء العرب ، حتى صار بهم إلى أرض العراق ، وبها دار اياد بن نزار ، وكانت ديارهم بين أرض الجزيرة إلى أرض البصرة ، فحاربوه ، حتى صار إلى ناحية يقال لها بقّة على شط الفرات ، بالقرب من الأنبار ، وكان يملك الناحية امرأة يقال لها الزبّاء ، وكانت شديدة الزهادة في الرجال ، فلمّا صار جذيمة إلى أرض الأنبار ، واجتمع له من أجناده ما اجتمع ، قال لأصحابه : إني قد عزمت على أن أرسل إلى الزباء ، فأتزوّجها ، وأجمع ملكها إلى ملكي ! فقال غلام له يقال له قَصِير : إنّ الزبّاء لو كانت ممّن تنكح الرجال لسبقت إليها ! فكتب إليها ، فكتبت إليه أن أقْبِلْ إليّ أزوّجك نفسي ! فارتحل إليها ، فقال له

---

(١) يريد أمه مارية بنت عاديا بن عامر .
(٢) هرّت كلابهم : نبحت .
(٣) البريص ، هنا : الأرض لم يبق فيها مرعى .
(٤) بردى : نهر يعبر دمشق .
(٥) ويلقّب أيضاً بالوضاح .

قَصير : لم أرَ رجلاً يزفّ إلى امرأة قبلك ، وهذه فرسك العصا قد صنعتُها ، فاركبْها ، وانجُ بنفسك ! فلم يفعل ، فلمّا دخل عليها كشفت عن فخذها ، فقالت : أدأبَ[1] عروس ترى ؟ قال : دأب فاجرة ، بَظْراء[2] ، غادرة . فقطّعته الزبّاء ، وركب قصير الفرس العصا ونجا .

ولمّا قتل جذيمة ملك كانه ابن أخته عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عمم بن نُمارة بن لخم ، فقال قصير لعمرو : لا تَعْصني أنت ! قال : قل ما بدا لك ! قال : اجدعْ أنفي ، واقطع أذني ، وخلّني ! ففعل ذلك ، فصار إلى الزّبّاء ، وقال : إني كنت من النّصح لجذيمة على ما رأيت ، ولعمرو ابن أخته ، حتى ملّكته ، فكان جزائي عنده أن فعل بي ما ترين ، فجئتك لأكون في خدمتك ، ولعلّ الله أن يجري قتل عمرو على يدك .

ولم يزل يحتال لها حتى وجّهته في تجارة فأتاها بأموال كثيرة مرّةً بعد مرّة ، فأعجبها ذلك ، فوثقت به ، فلمّا استحكمت ثقتها به صار إلى عمرو ، فقال : أقعِدْ الرجال في الصناديق ! فحمل أربعة آلاف رجل على ألفي جمل ، معهم السيوف ، ثم أدخلهم مدينتها ، وفيهم عمرو ، وفرّق الصناديق في منازل أصحابها ، وأدخل عدّة منها دارها ، فلمّا كان الليل خرجوا ، وقتلوا الزبّاء وخلقاً من أهل مملكتها . وملك عمرو بن عديّ خمساً وخمسين سنة[3] .

ثمّ ملك امرؤ القيس بن عمرو خمساً وثلاثين سنة .

ثمّ ملك أخوه الحارث بن عمرو سبعاً وثمانين سنة .

---

(١) الدأب : الشأن . أي ما ترى هل هو من عمل بكر عذراء ؟ .

(٢) بظراء : عظيمة البظر ، الذي هو موضع الإثارة في فرج المرأة .

(٣) وقد ضرب المثل بذلك فقيل : «لأمرٍ ما جدع قصير أنفه» يضرب لمن يصمم على نيل مأربه مهما كان الثمن .

ثـم ملـك عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ أربعين سنة .

ثمّ ملك المنذر بن امرىء القيس ، وهو محرِّق ، وإنمـا سمّي محرّقـاً لأنّه أخذ قوماً حاربوه ، فحرّقهم ، فسمّي لذلك محرقاً .

ثمّ ملك النعمان ، وهو الذي بنى الخَوَرْنَقْ[1]، فبينما هو جـالس ينظر منه إلى ما بين يديه من الفرات وما عليـه من النخل والأجنّـة والأشجار ، إذ ذكر الموت ، فقال : وما ينفع هذا مع نزول الموت وفراق الدنيا ! فتنسّك ، واعتزل الملك ، وإيّاه عنى عديّ[2] بن زيد حيث يقول :

وتَفَكّــر رَبُّ الخَــوَرْنَقِ إذْ أشْـ	رَفَ يــومــاً وللهــدى تَفكيــرُ
سَــرّهُ حـالُــهُ ، وكَثْـرَةُ مــا يَمْـ	لِكُ، والبَحرُ مُعرِضٌ، والسديرُ[3]
فَارْعَوَى قَلبُهُ ، وقال : ومـاغِبْـ	ـطَةُ حَيٍّ إلى المَمـاتِ يَصِيرُ ؟

وملك بعده المنذر[4] بن النعمان ثلاثين سنة .

ثمّ ملك عمـرو بن المنذر ، وهـو الذي قتـل الحارث بن ظـالم عنـده خالدَ بن جعفر بن كلاب ، فنذر دمه ، وطلبه ، فطلب الحارث ابنه ، وكـان مسترضعاً في آل سنان ، فقتله .

ثم ملك عمرو بن المنذر الثاني ، وهو ابن هند ، وكان يلقب مضـرّط الحجارة ، وكان قد جعل الدهر يومين : يوماً يصيد فيـه ، ويومـاً يشـرب ، فـإذا جلس لشربـه أخذ النـاس بالـوقوف على بـابـه ، حتى يـرتفـع مجلس شرابه ، فقال فيه طرفة بن العبد[5] :

---

(١) الخورنق : قصر يطل على الفرات .

(٢) عدي بن زيد : من شعراء البلاط في الجاهلية . قومه من تميم نزلوا الحيرة وتنصّروا . قُتل بأمر النعمان الثالث (٥٨٧) .

[الأغاني ، الشعر والشعراء]

(٣) السدير : العشب ، وهو هنا نهر بجانب الحيرة .

(٤) وكان ملكه سنة ٤٣١ م حتى ٤٧٣ م .

(٥) طرفة بن العبد (٥٤٣ م ـ ٥٦٩ م): من شعراء الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات. بدّد =

فَلَيتَ لنـا مكـانَ المَلْكِ عَمْـرو ... رَغـوثاً[1] ، حـولَ حُجْـرَتِنـا تَخُورُ
قَسَمْتَ الدهرَ في زَمَنٍ رَخِيٍّ ، ... كذاكَ الدهرُ يَعْدِلُ ، أو يجـورُ
مِنَ الزَّمِرَاتِ أسبَـلَ قادِمـاها ، ... فَضَـرَّتُهـا[2] مُرَكَّنَـةٌ دَرُورُ[3]
لعَمـرُكَ ! إنّ قابـوسَ بن هِنْـدٍ ... ليَخْـلِطُ مُلْكَـهُ نُـوكٌ[4] ، كـثِيـرُ
لنا يـومٌ ، وللكـرْوانِ[5] يَـوْمٌ ، ... تَـطِيـر البـائِسـاتُ ، ولاَ نَـطِيـرُ
فـأمّـا يَـوْمُهنّ ، فيَـوْمُ سُـوءٍ ، ... تُـطارِدُهنّ بـالخسفِ الصّقـورُ
وأمّـا يـومنـا ، فَـنظَلّ رَكْبـاً ، ... وُقـوفـاً نَـحُـلّ ، وَلا نَـسِيـرُ

ولم يزل طرفة يهجـوه ويهجـو أخاه قـابوسـاً ، ويذكـرهما بـالقبيح ، ويشبب بأخت عمرو ، ويذكرها بالعظيم ، فكان ممّا قال فيه :

إنّ شِـرارَ الملوكِ قـد عُلِمُـوا ... طُرّاً[6] ، وأدناهُمُ مِنَ الـدّنَسِ
عمروٌ ، وقابوس ، وابنُ أمّهما ، ... من يـأتِهم[7] للخَنـا بمُحتبسِ
يأتِ[8] الّذي لا تُخـافُ سبّتُهُ ، ... عمرو وقابـوس قَيْنَتا[9] عُـرُسِ
يصبحُ عمروٌ على الأمورِ ، وقد ... خَضْخَضَ[10] ما للرجالِ كالفَرَسِ

= ثروته وهام متشرداً إلى أن اتصل بعمرو بن هند ملك الحيرة فمدحه . ثم غضب عليه الملك وأمر بقتله . ومطلع معلقته :

لخولة أطلال بُبـرقة ثهمـد ... تلوح كباقي الـوشم في ظاهر اليد

[الأعلام ٥ للزركلي]

(١) الرغوث : النعجة المرضعة .
(٢) الضرة : الزوجة الثانية مع وجود الأولى .
(٣) درور : كثيرة الدّر .
(٤) نوك : غباء وحمق .
(٥) الكروان : نوع من الطيور حسن الصوت ، وهنا إشـارة إلى يوم الصيـد عند عمـرو بن منذر .
(٦) طراً : كافةً .
(٧) الخنا : الفحش في الكلام .
(٨) يأتِ : جواب الشرط «من يأتِهـم» .
(٩) القينة : الجارية .
(١٠) خضخض : حرّك .

وكـان المتلمّس[1] حليفاً لـطرفة ، فكـان يساعـده على هجائـه ، فقال لهـاعمـرو : قـد طـال ثـواكـما[2] ، ولا مـال قبـلي ، ولكن قـد كتبت لكـما إلى عـامـلي بـالبحـرين يـدفـع لكـلّ واحـد منكـما مـائـة ألف درهم ، فـأخـذ كـلّ واحـد منهـما صحيفة ، فاستراب[3] المتلمّس بأمره ، فلمّا صارا عند نهر الحيرة لقيا غلامـاً عباديّاً فقـال له المتلمّس : أتحسن أن تقـرأ ؟ قال : نعم ! قـال : اقرأ هـذه الصحيفة ! فإذا فيهـا : إذا أتاك المتلمّس ، فـاقطع يـديه ورجليـه ، فـطرح الصحيفـة ، وقال لطرفـة : في صحيفتـك مثل هـذا ، قال : ليس يجتـرىء على قـومي بهذا ، وأنـا بذلـك البلد أعـزّ منـه . فمضى طـرفـة إلى عـامـل البحرين فلمّا قرأ صحيفته قطع يديه ورجليه ، وصلبه .

ثمّ ملك أخوه قابوس بن المنذر .

ثمّ ملك المنذر بن المنذر أربع سنين ، وكان هؤلاء الملوك من قبَـل الأكاسرة يؤدون إليهم الطاعة ، ويحملون الخراج .

وكانت قبائل معدّ مجتمعة عليهم ، وكان أشدها امتناعاً غطفان وأسـد ابن خزيمة ، وكـان يأتيهم الـرجل من معـدّ على جهة الـزيارة ، فيحيّـونه ، ويكرمونه ، وكان ضمن إيّاهم من رؤسـاء القبائـل الربيـع بن زياد العبسيّ ، والحـارث بن ظالم المـرّيّ ، وسنان بن أبي حـارثـة ، والنـابغـة الـذبيـاني الشّاعر ، وكانت الملوك تعظّم الشعراء ، وترفع أقدارهم لمـا يقون لهم من المدح والذكر ، فكان النابغة مقدماً عند ملكوهم ، ثمّ شبّب[4] بامرأة المنـذر في قصيدته التي يقول فيها :

سَقَطَ النّصيفُ[5] ، وَلَمْ تُرِدْ إسقاطه ، فتَنـاوَلَـتْـهُ وَاتّقَتْنـا بِالـيَـدِ

(١) هو خال طرفة بن العبـد .

(٢) ثواكما : مقامكما .

(٣) استراب : داخله الريب والشك .

(٤) شبّب : تغزّل .

(٥) النصيف : الخمار .

فنذر المنذر دمه ، فهرب إلى الشأم إلى ملوك غسّان ، ثمّ اعتذر إلى المنذر بشعره الذي يقول فيه :

فإنّك كالليلِ الّذي هوَ مُدْرِكي ، وَإنْ خِلْتَ أن المُنْتأى عنك واسعُ

ويقول :

نُبّئْتُ أنّ أبا قابوس[١] أوْعَدني ، وَلا قَرارَ[٢] على زَأرٍ مِنَ الأسَدِ

وكان مع المنذر أهل بيت من بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، وكان من أهل ذلك البيت عديّ[٣] بن زيد العباديّ ، وكان خطيباً شاعراً قد كتب العربيّة والفارسيّة ، وكان المنذر قد جعل عندهم ابنه النعمان ، فأرضعوه ، وكان في حجورهم ، فكتب كسرى إلى المنذر أن يبعث له بقوم من العرب يترجمون الكتب له ، فبعث بعديّ بن زيد وأخوين له ، فكانوا في كتّابه يترجمون له ، فلمّا مات المنذر قال كسرى لعديّ بن زيد : هل بقي أحد من أهل هذا البيت يصلح للملك؟ قال: نعم! إنّ للمنذر ثلاثة عشر ولداً ، كلّهم يصلح لما يريد الملك ؛ فبعث ، فأقدمهم ، وكانوا من أجمل أهل بيت المنذر ، إلاّ ما كان من النعمان ، فإنّه كان أحمر أبرش قصيراً ، فكان أهل بيت عديّ بن زيد الذين ربّوه ، وأمّه سبيّة يقال لها سَلْمَى ، يقال إنّها من كلب ، فأنزلهم عديّ بن زيد كلّ واحد على حِدته[٤] ، وكان يفضّل إخوة النعمان عليه في النزل ، ويريهم أنّه لا يرجوه ، ويخلو بهم رجلاً رجلاً ، ويقول لهم : إن سألكم الملك هل تكفوني العرب ؟ فقالوا له : لن نكفيكهم ، إلاّ النعمان . وقال للنعمان : إن سألك الملك عن إخوتك ، فقل : إن عجزت عنهم ، فأنا عن العرب أعجز .

---

(١) أبو قابوس : كنية المنذر .

(٢) القرار : المستقر .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) على حدته : منفرداً .

وكان من بني المنذر رجل يقال له الأسود ، وكانت أمّه من بني الرباب ، وكان من الرجال ، وكان يحضنه أهل بيت من الحيرة يقال لهم بنو مَرينا ، كانوا أشرافاً ، وكان منهم رجل يقال له عديّ بن أوس بن مرينا ، كان مارداً شاعراً ، وكان يقول للأسود بن المنذر : أخي النعمان ، إنّك قد عرفت أني لك راجٍ ، وأنّ طلبتي إليك ورغبتي أن تحالف عديّ ابن زيد ، فإنّه والله ما ينصحك أبداً ! فلم يلتفت إلى قوله ، فلمّا أمر كسرى عديّ بن زيد أن يدخلهم عليه ، جعل يدخلهم رجلاً رجلاً ، فكان يرى رجالاً ما رأى مثلهم ، فإذا سألهم : هل تكفوني ما كنتم تكفون؟ قالوا : لن نكفيك العرب ، إلاّ النعمان . فلمّا دخل عليه النعمان رأى رجلاً وسيماً ، فكلّمه فقال : هل تستطيع أن تكفيني العرب ؟ قال : نعم ! قال : فكيف تصنع بإخوتك ؟ قال : إن عجزت عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز ! فملّكه ، وكساه وألبسه اللؤلؤ ، فلمّا خرج وقد مُلّك قال عديّ بن أوس بن مرينا للأسود : دونك قد خالفت الرأي .

ومضى النعمان مملّكاً على عديّ بن مرينا ، فأمر قوماً من خاصّة النعمان وأصحابه أن يذكروا عديّ بن زيد عنده ، ويقولوا : إنّه يزعم أنّ الملك عامله ، وأنه هو ولّاه ، ولولاه ما ولي ، وكلاماً نحو هذا ، فلم يزالوا يتكلّمون بحضرة النعمان ، حتى أحفظوه[1] وأغضبوه على عديّ بن زيد ، فكتب النعمان إلى عديّ : عزمت عليك إلاّ زرتني ! فاستأذن كسرى ، وقدم عليه ، فلمّا صار إلى النعمان أمر بحبسه في حبس لا يصل إليه فيه أحدٌ .

وكان له مع كسرى أخوان يقال لأحدهما أُبَيّ والآخر سُمَيّ ، وكانا عند كسرى ، وكان أحدهما يسرّه هلاكه ، والآخر يحبّ صلاحه ، فجعل عديّ يقول الشعر في محبسه ، ويستعطف النعمان ، ويذكر له حرمته ، ويعظه بذكر الملوك المتقدّمين ، فلم ينفعه ذلك ، وجعل أعداؤه من آل

---

(١) أحفظوه : أثاروا غضبه وغيظه .

مرينا يحملون عليه النعمان ، ويقولون له : إن أفلت قتلك ، وكان سبب هلاكك ، فلمّا يئس عديّ أن يجد عند النعمان خيراً كتب إلى أخيه :

أَبْلِغْ أُبَيّاً على نأيه ، ... وهل ينفعُ المرءَ ما قد عَلِمْ
بأنّ أخاك شَقيقَ الفؤا ... دِ وكُنْتَ به والِهاً ما سَلِمْ
لدى مَلِكٍ مُوثَقٌ بالحديـ ... ـد ، إمّا بِحَقّ ، وإمّا ظُلِمْ
فلا تُلفينّ كذاك الغلا ... م إلاّ تَجِدْ عارِماً يَعْتَزِمْ
فأرْضَكَ أرْضَكَ إنْ تأتِنا ... تَنَمْ نَوْمَةً لَيْسَ فيها حُلُمْ

وكتب إلى ابنه عمرو بن عديّ ، وكانت له ناحية من كسرى :

لِمَنْ لَيْلٌ بذي حَبْسٍ طويلُ ، ... عظيمٌ شقّه ، حَزَنٌ ، دخيلُ
وما ظلمُ امرىءٍ في الجيدِ غُلٌّ[1] ، ... وفي السّاقينِ ذو حَلَقٍ طويلُ
ألا هَبلَتْكَ أُمُّكَ[2] ، عمرو بعدي ! ... أتقْعدُ لا أُفَكّ ، ولا تَصُولُ
ألم يَحْزُنْكَ أنّ أباكَ عانٍ ، ... وأنتَ مُغَيَّبٌ غالَتْكَ غُولُ[3]
تُغَنّيك ابْنَةُ القَيْنِ ابن جَسْرٍ ، ... وفي كَلَبٍ فيَصْحَبُكَ الشَّمولُ[4]
فلو كُنْتَ الأسيرَ ، ولا تَكُنْهُ ، ... إذاً عَلِمَتْ مَعَدٌّ ما أقولُ
وإنْ أهلِكْ ، فقد أبْلَيْتُ قومي ... بَلاءً كلّهُ حَسَنٌ جَميلُ
وما قصرتُ في طَلَبِ المَعالي ، ... فتَقْصُرُني المَنِيّةُ ، أو تَطولُ

فقام أخوه وابنه ومن معهما إلى كسرى فكلّماه في أمره ، فكتب كسرى إلى النعمان يأمره بتخلية سبيله ،ووجّه في ذلك رسولاً قال: فسأل أُبَيّ ابن زيد الرسول أن يبتدىء بعديّ ، فابتدأ الرسول به ، فقال عديّ : إنّك إن فارقتني قُتلت ! قال : كلا ! إنّه لا يجترىء النعمان على الملك ! فبلغ النعمان مصير رسول كسرى إلى عديّ ، فلمّا خرج من عنده ، وجّه إليه

---

(١) الغُلّ : القيد .
(٢) هبلتك أمك : ثكلتك أمك .
(٣) الغول : المصيبة .
(٤) الشمول : الخمرة .

النعمـان من قتله ، ووضـع على وجهـه وسـادة ، حتى مـات ، ثمّ قـال للرسول : إنّ عديّاً قد مات ، وأعطاه وأجازه ، وتوثّق منه ألّا يخبر كسـرى إلّا أنّه وجده ميتـاً ، وكتب إلى كسرى أنّه مات .

وكان عمرو بن عديّ يترجم الكتب لكسرى ، وطلب كسرى جارية ، ووصف صفتها ، فلم توجد له ، فقال له عمرو بن عديّ بن زيد : أيّها الملك ! عند عبدك النعمان بنات له وقرابات على أكثر ممّا يطلب الملك ، ولكنّه يرغب بنفسه[1] عن الملك ، ويزعم أنّه خير منه ، فوجّه كسرى إلى النعمـان يأمره أن يبعث إليه ابنته ليتزوّجها ، فقال النعمـان : أما في عينِ السـواد وفارس مـا بلّغ الملك حاجتـه ؟ فلمّا انصـرف الرسـول خبّر كسـرى بقول النعمان ، فقال كسرى : وما يعني بالعين ؟ قـال عمرو بن عـديّ بن زيد : أراد البقر ، ذهـاباً بـابنته عن الملك ، فغضب كسـرى ، وقال : رُبَّ عبـد قـد صـار إلى أكبـر من هـذا ، ثمّ صـار أمـره إلى تبـاب[2] ! فبلغت النعمان ، فاستعدّ .

وأمسك عنه كسرى شهراً ، ثمّ كتب إليه بالقدوم عليه ، فعلم النعمان ما أراد ، فحمل سلاحه وما قوي عليه ، ولحق بجبلَيْ طيّ ، وكانت سعدى بنت حارثة عنده ، فسأل طيّئاً أن يمنعوه من كسرى ، فقالوا : لا قوّة لنا به ! فانصرف عنهم ، وجعلت العرب تمتنع من قبـوله ، حتى نـزل في بطن ذي قـار ، في بني شيبان ، فلقى هـانىء بن مسعود بن عـامر بن عمـرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، فدفع إليه سلاحه ، وأودعـه بنته وحرمته ، ومضى إلى كسرى ، فنزل ببابه ، فأمر به فقيِّد ، ثمَّ وجَّـه به إلى خـانقين ، فلقيه عمرو بن عديّ بن زيد ، فقال : يانُعَيْمُ ! تصغيـراً به ، لقـد شددت لك أواخي لا يقلعها إلّا المهر الأرِنُ[3] ! فقال : أرجو أن تكون قـد قرنتهـا

---

(١) يرغب بنفسه عليه : يفضّل نفسه عليه .

(٢) تباب : هلاك .

(٣) الأرِن : النشيط والسريع .

بقارح[1] ! فلمّا مضى به إلى خانقين طرح به تحت الفيلة ، فداسته ، حتى قتلته ، وقُرّب للأسود فأكلته .

ووجّه كسرى إلى هانىء بن مسعود أنْ ابعث إليّ مال عبدي الذي عندك وسلاحه وبناته ، فلم يفعل هانىء ، فوجّه إليه كسرى بجيش ، فاجتمعت ربيعة ، وكانت وقعة ذي قار[2] ، فمزّقت العرب العجم ، وكان أوّل يوم ظفرت فيه العرب بالعجم .

ويروى عن رسول اللّه أنّه قال : هذا أوّل يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبي نُصروا .

حرب كندة[3]

وكان بين كندة وحضرموت حروب أفنت عامتهم ، وكانت كندة قد اجتمعت على رجلين أحدهما سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب ، وكان على بني الحارث بن معاوية بن زيد ، وشرحبيل بن الحارث على السكون ، واجتمعت حضرموت على عدّة رؤساء منهم : مسعر بن مستعر ، وسلامة بن حجر ، وشرحبيل بن مرّة ، وعدّة بعد هؤلاء ، فزال هؤلاء كلّهم . وطالت الحرب بينهم ، وفنّنت رجالهم ، ودامت حتى ضرّستهم ، وكثر القتل في كندة .

وملّكت حضرموت ، علقمة بن ثعلب ، وهو يومئذ غلام ، فلانت كندة بعض اللين وكرهت محاربة حضرموت ، ودخل أهل اليمن التشتيت والتفريق ، فلما افترق أهل اليمن وانتشروا في البلاد ملّك كلّ قوم عظيمهم ، وصارت كندة

---

(١) القارح : القوس البائنة عن وترها . والقارح أيضاً : الفرس الذي شقّ نابه وطلع .

(٢) ذو قار: موضع ماء بين واسط والكوفة .

(٣) بنو كندة : عرب قطنوا جنوبي الجزيرة العربية في الجاهلية . رحل قسم منهم إلى مصر مع عمرو بن العاص ، منهم خرج الحارث ملك الحيرة وشرحبيل أبو امرىء القيس والمقنع النبي الكذاب . إليهم ينتسب الكندي الفيلسوف وأبو العلاء المعري .
[معجم أعلام الشرق والغرب]

إلى أرض معدّ ، فجاورتهم ، ثمّ ملّكوا رجلاً منهم كان أوّل ملوكهم يقال له مُرتع بن معاوية بن ثور ، فملك عشرين سنة .

ثمّ ملك ابنه ثور بن مرتع ، فلم يقم إلاّ يسيراً حتى مات ، فملك بعده معاوية بن ثور .

ثم ملك الحارث بن معاوية ، فكان ملكه أربعين سنة .

ثمّ ملك وهب بن الحارث عشرين سنة .

ثمّ ملك بعده حُجْر بن عمرو ، آكل المُرار[1]، ثلاثاً وعشرين سنة ، وهو الذي حالف بين كندة وربيعة ، وكان تحالفهم بالذّنائب .

ثمّ ملك بعده عمرو بن حجر أربعين سنة ، وغزا الشأم ، ومعه ربيعة ، فلقيه الحارث بن أبي شمر ، فقتله ، فملك بعده الحارث بن عمرو ، وأمّه ابنة عوف بن محلّم الشيبانيّ ، ونزل بالحيرة ، وفرّق ملكه على ولده .

وكان له أربعة أولاد: حُجْر، وشُرَحبيل، وسَلَمة الغلفاءُ، ومعديكرب، فملّك حجراً في أسد وكنانة، وملّك شرحبيل على غنم وطيّء والرباب، وملّك سلمة الغَلْفاءَ على تغلب والنمر بن قاسط، وملّك معديكرب على قيس بن عيلان ، وكانوا يحاورون ملوك الحيرة ، فقتل الحارث ، وقام ولده بما كان في أيديهم ، وصبروا على قتال المنذر ، حتى كافأوه .

فلما رأى المنذر تغلّبهم على أرض العرب نفسَهم ذلك ، وأوقع بينهم الشرور ، فوجّه إلى سلمة الغلفاء بهدايا ، ثمّ دسّ إلى شرحبيل من قال له : إنّ سلمة أكبر منك ، وهذه الهدايا تأتيه من المنذر ، فقطع الهدايا ، فأخذها ، ثمّ أغرى بينهما ، حتى تحاربا ، فقتل شرحبيل ، فكانت معه

---

(١) لقّب بآكل المرار لتشوّه في وجهه . والمرار عشب إذا أكلته الإبل قلّصت مشافرها فبدت أسنانها .

تميم وضبّة ، فلّما قتل خاف الناس أن يقولوا لأخيه سلمة : إنّ أخاك قد قتل ، وجعل يسمع قولهم ، فجزع لقتل أخيه ، وندم على أنّ المنذر إنّما أراد أن يقتل بعضهم بعضاً ، فقال :

إنّ جَنْبي عن الفراش لَنابِ ، كَتَجافي الأسَرّ[1] فوق الظِّرابِ[2]
من حَديث نَمى إليّ ، فما يَرقأ[3] دمعي ، ولا أُسيغُ شرابي

وتنكّرت بنو أسد بحجر بن عمرو ، وساءت سيرته فيهم ، وكانت عنده فاطمة بنت ربيعة ، أخت كُليب ومهلهل ، فولدت له هنداً ، فلما خاف على نفسه حملها ، فاجتمعت بنو أسد على قتله ، فقتلوه ، وادّعى قبائل من بني أسد قتل حجر ، وكان القائم بأمر بني أسد عِلْباء بن الحارث أحد بني ثعلبة .

وكان امرؤ القيس بن حجر غائباً ، فلما بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً ، وقصد لبني أسد ، فلما كان في الليلة التي أراد أن يغير عليهم في صبيحتها نزل بجمعه ذلك ، فذعر القطا[4] ، فطار عن مجاثمه ، فمرّ ببني أسد ، فقالت بنت علباء : ما رأيت كالليلة قطا أكثر ! فقال علباء : لو تُرك القطا لَغَفَا ونام ، فأرسلها مثلاً .

وعرف أنّ جيشاً قد قرب منه ، فارتحل ، وأصبح امرؤ القيس ، فأوقع بكنانة ، فأصاب فيهم وجعل يقول : يا للثارات ! فقالوا : واللّه ما نحن إلاّ من كنانة ! فقال :

ألا يا لَهْفَ نفسي ، بَعْدَ قومٍ ، هُمُ كانوا الشّفاءَ ، فلم يُصابوا
وَقَاهم جدُّهم ببني أبيهم ، وبالأشْقَيْنَ ما كانَ العِقابُ

---

(١) الأسرّ : الزند .
(٢) الظراب : ما نتأ من الحجارة .
(٣) يرقأ : يجف وينقطع .
(٤) القطا : ضرب من الحمام البرّي .

وأفلَتَهُنّ عِلْباءُ جريضاً ، ولو أدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ[1]

وفي هذا الوقت يقول عبيد بن الأبرص الأسديّ لامرىء القيس بن حجر في قصيدة طويلة :

يا ذا المُعَيّرُنا بقَتْـ ـلِ أبيهِ إذلالاً وحينا
أزَعَمْتَ أنّك قَدْ قتلـ ـتَ سَراتَنا[2] كَذِباً ومَيْنا[3]
هَلاّ على حُجْرِ بنِ أُ مِّ قطام تبكي لا عَلَينا
إنّا إذا عضّ الثقا فُ برأسِ صَعْدَتِنا لَوَيْنا
نَحْمي حَقيقَتَنا ، وبَعْـ ـضُ القَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنا

وفي هذا يقول أيضاً عبيد في قصيدة له طويلة :

يا أيّها السّائلُ عن مَجْدِنا ! إنّك مسْتَغْبَى بنا جاهِلُ
إنْ كنتَ لم تَأتِكَ أنباؤنا فاسْأل بنا يا أيّها السّائِلُ
سائلْ بنا حُجْراً ، غداةَ الوَغى ، يَوْمَ يُؤتى جمعُهُ الحافِلُ
يَوْمَ لقوا سَعْداً على مَأقِطٍ ، وحاوَلَتْ من خَلْفه كاهِلُ
فأوْرَدُوا سَرْباً له ذُبَّلاً[4] ، كَأنّهنّ اللّهَبُ الشّاعِلُ

ومضى امرؤ القيس إلى اليمن لما لم يكن به قوّة على بني أسد ومن معهم من قيس ، فأقام زماناً ، وكان يُدْمِن مع نَدامَى له ، فأشرف يوماً ، فإذا براكب مقبل ، فسأله : من أين أقبلت ؟ قال : من نجد ! فسقاه ممّا كان يشرب ، فلما أخذت منه الخمرة رفع عقيرته[5] ، وقال :

سقِينا امْرأ القيس بن حجر بن حارثٍ كؤوس الشّجا حتى تَعَوّدَ بالقَهْرِ

(١) يقال «صفرت وطابه» : مات أو قتل .
(٢) السراة : الأبطال أو الملوك .
(٣) المَيْن : الكذب .
(٤) ذبّلاً : شباباً أقوياء .
(٥) العقيرة : العصا .

وألْهَـاهُ شُـرْبُ نـاعِمٍ وقـراقـرٍ[1] ، وأعْيـاهُ ثَـأْرٌ كـان يَـطْلُبُ في حُجْـرِ
وذاك لَعَمْـري كـان أسْهَـلَ مَشْـرَعـاً عليـه مِنَ البِيضِ الصّـوارِمِ والسّمْـرِ

ففزع امرؤ القيس لذلك ، ثمّ قال : يا أخا أهل الحجاز ! من قائل هذا الشعر ؟ قال : عبيد بن الأبرص . قال : صدقت ! ثمّ ركب ، واستنجد قومه ، فأمدوه بخمسمائة من مذحج ، فخرج إلى أرض معدّ ، فأوقع بقبائل من معدّ ،وقتل الأشقر بن عمرو ، وهو سيّد بني أسد ، وشرب في قحف رأسه ، وقال امرؤ القيس في شعر له :

قُـولا لِدُودانَ : عبِيـدَ العَصَا ، مـا غَرّكم بـالأسَـدِ البـاسـلِ
يـا أيّها السـائِـلُ عن شَـأنِنـا ، ليس الّـذي يَعْلَمُ كـالجـاهِـلِ
حَلّتْ لِيَ الخَمْرُ ، وكنتُ امْرَأً عن شُـرْبِها في شُغُـلٍ شاغِـلِ

وطلب قبائل معدّ امرأ القيس ، وذهب من كان معه ، وبلغه أنّ المنذر ملك الحيرة قد نذر دمه ، فأراد الرجوع إلى اليمن ، فخاف حضرموت ، وطلبته بنو أسد وقبائل معدّ ، فلما علم أنّه لا قوة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معدّ على طلبه ، ولم يمكنه الرجوع ، سار إلى سعد بن الضباب الإياديّ ، وكان عاملاً لكسرى على بعض كور العراق ، فاستتر عنده حيناً ، حتى مات سعد بن الضباب ، فلما مات سعد خرج امرؤ القيس إلى جبلي طيّ ، فلقي طريف بن ....[2] الطائي ، فسأله أن يجيره ، فقال : واللّه ما لي من الجبلين إلّا موضع ناري ! فنزل بقوم من طيّءٍ ثمّ لم يزل ينتقل في طيء مرّة ، وفي جديلة مرّة ، وفي نبهان مرّة ، حتى صار إلى تَيْماء ، فنزل بالسموأل[3] بن عادياء ، فسأله أن يجيره ،

---

(١) القراقر : ضرب من الخمر .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) السموأل بن عادياء : يهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلق . يضرب به المثل في الوفاء لأنه فضل قتل ابنه على التفريط بأمانة أودعها عنده امرؤ القيس لما سار إلى الشام يريد القيصر . من شعراء الجاهلية .

[الأعلام ٣ للزركلي]

فقال له : أنا لا أجير على الملوك ، ولا أطيق حربهم ، فأودعه أدراعاً ، وانصرف عنه يريد ملك الروم ، حتى صار إلى قيصر ملك الروم ، فاستنصره ، فوجّه معه تسعمائة من أبناء البطارقة .

وكان امرؤ القيس قد مدح قيصر فسار الطمّاح الأسدي إلى قيصر فقال له : إن امرأ القيس شتمك في شعره وزعم أنك علج[1] أغلف . فوجّه قيصر إلى امرىء القيس بحُلّة قد نضح فيها السمّ ، فلمّا أُلبسها تقطّع جلده وأيقن بالموت فقال :

تَأوّبَني[2] دائي القَديمُ فغَلّسا ، أُحاذِرُ أنْ يَزْدادَ دائي ، فأُنكسا
لقد طَمَحَ الطّمّاحُ ، من بُعْدِ أرْضِه ، لِيُلْبِسَني من دائِه ما تَلَبّسا
فلو أنّها نَفْسٌ تَموتُ جَميعةً ، ولَكِنّها نفسٌ تَساقَطُ أنْفُسا

وهذه الأبيات في قصيدة له طويلة . وقال أيضاً في حاله تلك :

ألا أبْلِغْ بَني حُجْرِ بْنِ عَمْرو وَأبْلِغْ ذَلِكَ الحَيَّ الحَرِيدا[3]
بأنّي قد بَقيتُ بقاء نفسٍ ، ولم أُخْلَقْ سلاماً أو حديدا
ولو أنّي هَلَكتُ بِأرْضِ قومي لقُلتُ المَوْتُ حَقٌ لا خُلودا
ولَكِنّي هَلَكْتُ بأرْضِ قَوْمٍ ، سَحيقاً ، من دياركُمُ ، بَعيدا
بِأرْض الشّأمِ لا نَسَبٌ قَريبٌ ، ولا شافٍ فيُسْعِفَ أو يَجُودا

ومات امرؤ القيس بأنقرة من أرض الروم .

ولد إسماعيل[4] بن إبراهيم

وإنّما أخّرنا خبر إسماعيل وولده ، وختمنا بهم أخبار الأمم ، لأن

(١) العلج : العير أو الحمار .
(٢) تأوبني : عادني .
(٣) حرد : اعتزل عن قومه وانفرد .
(٤) أمه هاجر .

اللّه ، عزّ وجلّ ، ختم بهم النبوة والملك ، واتّصل خبرهم بخبر رسول اللّه والخلفاء .

ذكرت الرواة والعلمَاء : انّ إسماعيل بن إبراهيم أوّل من نطق بالعربيّة ، وعمر بيت اللّه الحرام بعد أبيه إبراهيم ، وقام بالمناسك ، وإنّه كان أوّل من ركب الخيل العتاق ، وكانت قبل ذلك وحوشاً لا تُركب .

وقالت بعضهم : إنّ إسماعيل أوّل من شقّ اللّه فاه باللسان العربي ، فلمّا شبّ أعطاه الله القوس العربيّة ، فرمى عنها ، وكان لا يرمي شيئاً إلاّ أصابه ، فلمّا بلغ أخرج الله من البحر مائة فرس ، فأقامت ترعى بمكّة ما شاء اللّه ، ثمّ ساقها الله إليه ، فأصبح وهي على بابه ، فرسنها وركبها ، وأنتجها ، وكانت دواب الناس البراذين[1] ، وركبها إسماعيل وبنوه وولده ، وفي إسماعيل يقول بعض شعراء معدّ :

أبونا الذي لم تُرْكَبِ الخَيلُ قَبلَهُ ، ولم يَدْرِ شيَخٌ قبلَهُ كيفَ تُرْكَبُ

ويقال إنّما سُمّيت أجياد مكة لأنّ الخيل كانت فيها، فأوحى الله، عزّ وجلّ، إلى إسماعيل أن يأتي الخيل، فأتاها، فلم تبقَ فرس إلاّ أمكنته من ناصيتها ، فركبها وركبها ولده ، فكان إسماعيل أوّل من ركب الخيل ، وأول من اتخذها ، وأوّل من نفى أهل المعاصي عن الحرم ، فقال : أُعرّبه ! فسمّيت العَرَبَة بذلك .

وكان ولد جرهم بن عامر ، لما صار إخوتهم من بني قحطان بن عامر إلى اليمن ، فملكوا ، صاروا هم إلى أرض تهامة ، فجاوروا إسماعيل بن إبراهيم ، فتزوّج إسماعيل الحنفاء[2] بنت الحارث بن مُضاض الجرهميّ ، فولدت له اثني عشر ذكراً ، وهم : قيدار ، ونابت ، وادبيل ، ومبشام ،

---

(١) البراذين : مفردها برذون وهو التركي من الخيل وخلافها العِراب .

(٢) وهي التي قال لها والده إبراهيم إذ قدم مكة وهي زوجة إسماعيل : قولي لزوجك إذا جاء : قد رضيت لك عتبة بابك . أي أنه رضي بها زوجة لابنه .

[تاريخ الطبري ١ ٢٢٠]

ومسمع ، ودوما ، ومسا ، وحداد ، وتيما ، ويطور ، ونافس ، وقيدما ، وهذه الأسماء تختلف في الهجاء واللغة لأنّها مترجمة من العبرانيّة ، فلمّا كملت لإسماعيل مائة وثلاثون سنة توفّي ، فدفن في الحجر[1] ، فلما توفّي إسماعيل ولي بعده نابت بن إسماعيل ، ويقال وليه قيدار ، وبعد قيدار نابت بن إسماعيل .

وافترق ولد إسماعيل يطلبون السعة في البلاد ، وحبس قوم أنفسهم على الحرم ، فقالوا : لا نبرح من حرم اللّه . ولما توفّي نابت ، وقد تفرّق ولد إسماعيل ، وَلِيَ البيت المضاض بن عمرو الجرهمي ، جدّ ولد إسماعيل ، وذلك أنّ من بقي في الحرم من ولد إسماعيل كانوا صغاراً ، فلمّا ولي المضاض نازعه السميدع بن هوبر ، ثمّ ظهر عليه المضاض ، فمضى السميدع إلى الشأم وهو أحد ملوك العمالقة ، واستقام الأمر لمضاض حتى توفّي .

ثمّ ملك بعده الحارث بن مُضاض ، ثمّ ملك عمرو بن الحارث بن مضاض ، ثمّ ملك المعتسم بن الظليم ، ثمّ ملك الحواس بن جحش بن مضاض ، ثمّ ملك عداد بن صداد بن جندل بن مضاض ، ثمّ ملك محص[2] بن عداد بن صداد ، ثمّ ملك الحارث بن مضاض بن عمرو ، وكان آخر من ملك من جرهم .

وطغت جرهم ، وبغت ، وظلمت ، وفسقت في الحرم ، فسلّط اللّه عليهم الذرّ[3] ، فأهلكوا به عن آخرهم ، وكان ولد إسماعيل منتشرين في البلاد يقهرون من ناوأهم ، غير أنّهم كانوا يسلّمون الملك لجرهم للخؤولة ، وكانت جرهم تطيعهم في أيّامهم ، ولم يكن أحد يقوم بأمر الكعبة في أيّام

---

(١) عند قبر أمه هاجر . وفي رواية الطبري أنّ اسماعيل شكا إلى ربه تبارك وتعالى حرَّ مكة ، فأوحى الله تعالى إليه إني فاتح لك باباً من الجنة يجري عليك روحها إلى يوم القيامة وفي ذلك المكان تدفن .

(٢) وردت بدون نقط في الأصل .

(٣) الذر : صغار النمل .

جرهم غير ولد إسماعيل تعظيماً منهم لهم ، ومعرفة بقدرهم ، فقام بأمر الكعبة بعد نابت أمين ، ثمّ يشجب بن أمين ، ثمّ الهميسع ، ثمّ أدد ، فعظم شأنه في قومه ، وجلّ قدره ، وأنكر على جرهم أفعالهم ، وهلكت جرهم فى عصره ، ثمّ عدنان بن أدد ، ثمّ معد بن عدنان ، ثم افترق ولد عدنان في البلاد ، ولحق قوم منهم باليمن ، منهم : عكّ ، والدّيث ، والنعمان ، فولد لعكّ من بنت ارغم بن جُماهر الأشعريّ ، ثمّ هلك ، وبقي ولده بعده ، فانتموا إلى الأخوال والدار .

وكان عدنان أوّل من وضع الأنصاب[1] وكسا الكعبة ، وكان معد بن عدنان أشرف ولد إسماعيل في عصره ، وكانت أمّه من جرهم ، ولم يبرح الحرم ، فكان له من الولد عشرة أولاد ، وهم : نزار ، وقُضاعة ، وعُبيد الرّمّاح ، وقَنَص ، وقُناصة ، وجُنادة ، وعَوف ، وأوْد ، وسلهم ، وجنب ، وكان معدّ يكنّى أبا قضاعة ، فانتسب عامّة ولد معدّ في اليمن ، وكان لهم عدد كثير ، وانتمت قضاعة إلى ملك حمير ، وقضاعة ، فيما يقال ، ولد على فراش معدّ ، وكان معدّ أوّل من وضع رَحْلاً على جمل وناقة ، وأوّل من زمّها[2] بالنّسع[3] .

وكان نزار بن معدّ سيّد بني أبيه وعظيمهم ، ومقامه بمكّة ، وأمّه ناعمة بنت جوشم بن عديّ بن دبّ الجرهميّة ، وكان له من الولد أربعة : مضر ، واياد ، وربيعة ، وأنمار ، وأمّهم سَوْدة بنت عكّ بن عدنان ، ويقال إنّ أمّ مضر واياد حبيّة بنت عكّ بن عدنان ، وأمّ ربيعة وانمار جدالة بنت وعلان بن جوشم الجرهميّ .

ولما حضرت نزار الوفاة قسم ميراثه على ولده الأربعة ، فأعطى مُضَرَ واياداً وربيعةَ وانماراً ماله ، فمضر وربيعة : الصريحان من ولد إسماعيل ،

---

(١) الأنصاب : ما عُبد من دون الله من الأصنام والتماثيل . مفردها نُصْب .

(٢) زمّها : خطمها .

(٣) النسع : سير أو حبلٌ عريض طويل تُشد به الرحال .

فأعطى مضر ناقته الحمراء وما أشبهها من الحمرة ، فسمّي مضر الحمراء ، وأعطى ربيعة الفرس وما أشبهها ، فسمّي ربيعة الفرس ، وأعطى إياداً غنمه وعصاه ، وكانت الغنم برقاء[1] ، فسمّي إياد البرقاء ويقال إياد العصا ، وأعطى انماراً جارية له تسمّى بَجيلة فسمّي بها ، وأمرهم إن تخالفوا أن يتحاكموا إلى الأفعى بن الأفعى الجرهميّ ، فكان منزله بنجران ، فتحاكموا إليه .

فأما انمار بن نزار ، فإنه تزوّج في اليمن ، فانتسب ولده إلى الخؤولة ، فمنهم : بجيلة وخثعم لم يخرج من ولد نزار غيرهم .

وأمّا ربيعة بن نزار ، فإنّه فارق إخوته ، فصار ممّا يلي بطن عِرْق إلى بطن الفرات ، فولد له أولاد منهم : أسد ، وضُبيعة ، وأكْلُب ، وتسعة بعدها ، ولا ينسبون في اليمن .

وانتشر ولد ربيعة بن نزار وولد ولده حتى كثروا ، وامتلأت منهم البلاد ، فجماهير قبائل ربيعة : بهثة بن وهب بن جُلَيّ بن أحْمَس بن ضُبيعة بن ربيعة ، وعنزة بن أسد بن ربيعة ، وعبد القيس بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ويشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى ، وحنيفة بن لُجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط ، وعجل بن لُجيم بن صعب بن عليّ بن بكر ، وقيس بن ثعلبة بن عُكابة بن عليّ بن بكر ، وتيم اللاّت بن ثعلبة بن عكابة .

وكانت الحكومة والرئاسة من ربيعة في بني ضبيعة ولد بهثة بن وهب بن جليّ بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة ، ثمّ تحولت الحكومة والرئاسة في ولد عنزة بن أسد بن ربيعة ، ثمّ تحولت في عبد القيس بن أفصى بن دُعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، ثمّ سارت عبد القيس ، حتى نزلت اليمامة بسبب حرب كانت بينهم وبين بني النمر بن قاسط ، وكانت إياد باليمامة ، فأجلوهم ، ثمّ صارت الرئاسة في النمر بن قاسط ،

---

(١) برقاء : فيها سواد وبياض .

ثمّ تحـولت من النمـر بن قـاسط ، فصـارت في بني يشكـر بن صعب بن عليّ بن بكر ، ثمّ تحولت الـرئاسـة من يشكر بن صعب ، فصـارت في بني تغلب ، ثمّ صارت في بني شيبان .

وكـانت لربيعـة أيّام مشهـورة وحروب معـروفة، فمن مشهـور أيّامهم: يوم السُّلّان[1]، فإن مذحـج أقبلت تريـد غزو أهـل تهامـة ومن بها من أولاد معدّ ،فاجتمع ولد معد لحرب مذحج ، وكان أكثرهم ربيعة ، فرأسـوا عليهم ربيعة بـن الحـارث بن مـرّة بن زهيـر بن جشم بن بكـر ، فـالتقـوا ومـذحـج بالسُّلّان ،فهزموا مذحجاً ، وكان لهم الظفر .

وأمّـا يوم خَـزاز[2]، فـإن اليمن أقبلت ، وعليهم سَلَمـة بن الحـارث بن عمرو الكندي ، فرأّست ولد معدّ كُلَيْب بن ربيعة بن الحارث بن مرّة ، فلمّـا رأى سلمـة كثرة القـوم استجار ببعض الملوك ، فـأمدّه ، فـالتقـوا بخَـزاز ، وعلى ولد معدّ كليب ، ففضّت جموع اليمن .

وأمّـا يوم الكُـلاب ، فـإنّ سلمـة وشـرحبيـل ابني الحـارث بن عمـرو الكنديّ تحاربا ، فكان مع سلمة ربيعة ومع شـرحبيل قيس ، فكثـرت ربيعة قيساً ، فقتلت شرحبيل بن الحارث بن عمرو ، وكان لهم العلوّ .

وأمّا أيّام البَسوس فإنّهـا بين بني شيبان وتغلب بسبب قتـل جَسّاس بن مرّة بـن ذُهل بن شيبان كُليب بن ربيعة بن الحارث بن مُرّة بن زهيـر بن جُشم التغلبيّ ، فاشتبكت الحرب ، واتّصلت حتى أفنتهم ، ودامت أربعين سنة .

---

(1) السلّان : هي أرض تهامة مما يلي اليمن . وقيل إنّ السلان وادٍ فيه ماء وحلفاء . وقد أنشد زهير بن خباب الكلبي فقال :

شهـدتُ المـوقـديـن على خـزاز وفـي السـلان جـمـعـاً ذا زُهـاء .

وقال عمرو بن معدي كرب :

لـمن الـديـار بـروضـة الـسـلّان فـالـرقمتين فجـانب الصمّـان ؟

[معجم البلدان ٣ ص . ٢٣٥]

(٢) خزاز : جبل كانت العرب توقد عليه غداة الغارة ، ويوم خزاز يوم أعقب يوم السلان

[معجم البلدان ٢ مادة خزز]

وأمّا يوم ذي قار[1] ، فإنّه لمّا قتل كسرى ابرويز النعمان بن المنذر بعث إلى هانىء بن مسعود الشيبانيّ أن ابعث إليّ ما كان عبدي النعمان استودعك من أهله وماله وسلاحه ، وكان النعمان أودعه ابنته وأربعة آلاف درع ، فأبَى هانىء وقومه أن يفعلوا ، فوجّه كسرى بالجيوش من العرب والعجم ، فالتقوا بذي قار ، فأتاهم حنظلة بن ثعلبة العجليّ ، فقلّدوه أمرهم ، فقالوا لهانىء : ذمّتك ذمتنا ، ولا نخْفر ذمتنا ، فحاربوا الفرس ، فهزموهم ومن معهم من العرب ، وكان مع الفرس إياس بن قبيصة الطائيّ وغيره من إخوة معدّ وقحطان ، فأتَى عمرو بن عديّ بن زيد كسرى ، وأخبره الخبر ، فخلع كتفه ، فمات ، فكان أوّل يوم انتصرت فيه العرب من العجم .

وأمّا إياد بن نزار ، فإنّه نزل اليمامة ، فولد له أولاد انتسبوا في القبائل ، فيقول النسّابون : إنّ ثقيفاً قَسيّ بن النبت بن مُنَبّه بن منصور بن يَقْدم بن أفْصى بن دُعْمي بن إياد ، وإنّهم انتسبوا إلى قيس .

وكانت ديار إياد، بعد اليمامة، الحيرة، ومنازلهم الخوَرنق والسّدير وبارِق ، ثمّ أجلاهم كسرى عن ديارهم ، فأنزلهم تكريت ، مدينة قديمة على شط دجلة ، ثمّ أخرجهم عن تكريت إلى بلاد الروم ، فنزلوا بأنْقِرة من أرض الروم ، ورئيسهم يومئذ كعب بن مامة ، ثم خرجوا بعد ذلك ،

---

(١) تقدم الحديث عنه في سياق ترجمة النعمان بن المنذر .
وذو قار : ماء لبكر بن وائل .
قريب من الكوفة بينها وبين واسط . وهذا اليوم هو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، انتصفوا ، وهي من مفاخر بكر بن وائل ، قال أبو تمام يمدح أبا دُلف العجلي :

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها ... وزادت على ما وطّدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

وقال جرير يذكر هذا اليوم :

أبيت بذي قار أقول لصحبتي ... لعلّ لهذا الليل نحباً نطاوله .

[معجم البلدان ٤ ص ٢٩٤]

فجماهير قبائل إياد أربعة : مالك ، وحُذاقة ، ويَقْدُم ، ونزار ، فهذه بطون إياد ، وفيهم يقول الأسود بن يعفر التميميّ[1] :

أهْلُ الخَوَرْنَقِ والسّديرِ وبارِقٍ ، والقَصْرِ ذي الشُّرفاتِ مِنْ سِنْدادِ[2]
الواطِئونَ عَلى صُدُورِ نِعَالِهِمْ ، يَمْشُونَ في الدَّفَنيّ والأبْرادِ
عَفَتِ الرّياحُ على مَحَلّ دِيارِهِمْ ، فكَأنّما كانوا على مِيعادِ
نَزَلُوا بأنْقِرَةٍ يَسِيلُ عَليهِمُ ماءُ الفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أطْوَادِ[3]
بَلَدٌ تَخَيّرَها ، لطولِ مقيلها[4] ، كَعْبُ بن مامَةَ[5] وابنُ أُمّ دُؤادِ

وذكر أبو دؤاد الإيادي بعض ذلك ، وكان أبو دؤاد أشعر شعرائهم ، وبعده لَقيط بالعراق ، فلمّا بلغه أنّ كسرى آلى على نفسه أن ينفي إياداً من تكريت ، وهي من أرض الموصل ، كتب صحيفة بعث بها إليهم ، وفيها :

سلامٌ في الصّحيفةِ من لَقِيطٍ إلى مَنْ بالجَزِيرَةِ من إيادِ
فإنّ اللّيْثَ يَأتيكُمْ بَياتاً[6] ، فلا يَشغَلْكُمُ سوقُ النّقَادِ
أتاكُمْ منهُمُ سَبْعُونَ ألْفاً ، يَزُجّونَ الكتائِبَ كالجَرَادِ

وأمّا مضر بن نزار ، فسيّد ولد أبيه ، وكان كريماً حكيماً ، ويروى عنه أنّه قال لولده : من يزرع شرّاً يحصد ندامة ، وخير الخير أعجله ، فاحملوا

---

(١) الأسود بن يعفر : هو الشاعر العربي المكنّى بأبي الجرّاح والمعروف بأعشى بني نهشل . كان سيداً جواداً ، نزل العراق ونادم النعمان مدة في بلاط الحيرة . توفي حوالى ٦٠٠ م .

[الأعلام للزركلي]

(٢) يريد بهم أهل إياد .

(٣) الأطواد : الجبال . واحدها طود .

(٤) المقيل : النوم أو الاستراحة .

(٥) كعب بن مامة الإيادي : يضرب المثل في جوده لأنه في ساعة العطش القتّال سقى صاحبه ما لديه من الماء ومات هو عطشاً .

[أنظر المنجد : أعلام الشرق والغرب]

(٦) بياتاً : ليلاً .

أنفسكم على مكروهها ، فيما أصلحكم ، واصرفوها عن هواها ، فيما أفسدكم ، فليس بين الصلاح والفساد إلّا صبر ووقاية .

وروي أن رسول اللّه قال : لا تسبّوا مضر وربيعة ، فإنّهما كانا مسلمين ، وفي حديث آخر : فإنّهما كانا على دين إبراهيم ، فولد مضر بن نزار الياس بن مضر وعَيلانَ بن مضر ، وأمهما الحنفاء بنت إياد بن معدّ ، فولد عيلان بن مضر قيس بن عيلان ، فانتشر ولده وكثروا ، وصار فيه العدد والمنعة ، فجماهير قبائل قيس بن عيلان : عدوان بن عمرو بن قيس ، وفهم بن عمرو بن قيس ، ومحارب بن خَصفَة بن قيس ، وباهلة بن اعصر بن سعد بن قيس ، وفزارة بن ذبيان بن بَغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس ، وسليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ، وعامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ومازن بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ، وسلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وثقيف ، وهو قسيّ بن منبّه بن بكر بن هوازن ، وثقيف ينسب إلى إياد بن نزار ، وكلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وعقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقشير بن كعب بن ربيعة ، والحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وعوف بن ربيعة بن عامر ، والبكاء بن عامر بن ربيعة .

وكانت الرئاسة والحكومة في قيس ، وانتقلت في عدوان ، وكان أوّل من حكم منهم ورأس : عامر بن الضّرب ، ثمّ صارت في فزارة ، ثمّ صارت في عبس ، ثمّ صارت في بني عامر بن صعصعة ، ولم تزل فيهم .

وكانت لقيس أيام مشهورة وحروب متّصلة منها : يوم البَيْداء ، ويوم شِعْب جَبَلَة(1) ، ويوم الهَبَاءَة ، ويوم الرّقْم(2) ، ويوم فَيْفِ الرّيح ، ويوم

---

(1) كان النصر فيه لبني عامر . يقول فيه لبيد :

منّا حماةُ الشعب يوم تواعدت ... أسدٌ وذبيان الصفا وتميم

(2) الرقم : موضع بالمدينة ، وقيل : جبال دون مكة بديار غطفان . ويوم الرقم معروف لغطفان على عامر . [معجم البلدان ٣ : ٥٨]

المِلْبَط ، ويوم رَحْرَحان ، ويوم العُزّى ، ويوم حرب داحِس والغَبْراء[1] بين عبس وفزارة .

وكان الياس بن مضر قد شرف وبان فضله ، وكان أوّل من أنكر على بني إسماعيل ما غيّروا من سنن آبائهم ، وظهرت منه أمور جميلة ، حتى رضوا به رضاً لم يرضوه بأحد من ولد إسماعيل بعد أدد ، فردّهم إلى سنن آبائهم حتى رجعت سنّتهم تامّةً على أوّلها ، وهو أوّل من أهدى البُدن إلى البيت ، وأوّل من وضع الركن بعد هلاك إبراهيم ، فكانت العرب تعظّم الياس تعظيم أهل الحكمة ، وكان لإلياس من الولد : مُدْرِكة ، واسمه عامر ، وطابخة ، واسمه عمرو ، وقمعة ، واسمه عُمير ، وأمهم جميعاً خِنْدِف ، واسمها ليلى بنت حُلوان بن الحاف بن قضاعة .

وكان الياس قد أصابه السلّ ، فقالت خندف امرأته : لئن هلك لا أقمت ببلد مات به ! وحلفت ألاّ يظلّها بيت ، وأن تسيح في الأرض . فلمّا مات خرجت سائحة في الأرض حتى هلكت حزناً . وكانت وفاته يوم الخميس ، فكانت تبكيه ، وإذا طلعت شمس ذلك اليوم بكت حتى تغيب ، فصارت مثلاً . وقيل لرجل من إياد هلكت امرأته : ألا تبكيها ؟ فقال :

لو أنّه أغنىٰ بكَيتُ[2] كَخِنْدِفٍ ... على الياسَ ، حتى ملّها السرُّ تَنْدُبُ
إذا مُؤنِسٌ لاحَتْ خراطيمُ شمسهِ ... بكَتْ غدوةً حتى تَرى الشمس تغربُ

يعني بقوله مؤنس : يوم الخميس ، لأنّ العرب كانت تسمّي الأيّام بغير أسمائها في هذا الوقت ، فكانت تسمّي الأحد الأوّل ، والاثنين اهون ، والثلاثاء جُبار ، والاربعاء دُبار ، والخميس مؤنساً ، والجمعة عَروبة ، والسبت شِيار ، وكانوا يسمّون أيّام الشهر عشرة أسماء كلّ ثلاث

---

(١) داحس والغبراء : إسما فرسين .

(٢) أي لو أن البكاء يعيدها لبكيت عليها بكاء خندف على الياس .

ليـال اسم ، فالثـلاث التي أوّل الهلال الغُـرَر ، ثمّ النُّفل ، ثمّ التُّسَـع ، ثمّ العشــر ، ثـمّ البـيض ، ثمّ الـظُّلَم ، ثـمّ الخُـنّس ، ثمّ الـحنَـادِس ، ثـمّ المُحاق ، والآخر ليلة السّرار ، إذا استسرّ الهلال ، وكانـوا يسمّون المحـرّم مؤتمراً، وصفراً ناجراً، وربيعاً الأول خوّان، وربيعاً الآخر وَبْصـان، وجمادى الأولى حنين ، وجمـادى الآخـرة رُبّى ، ورجبـاً الأصَمّ ، وشعبـان العـاذل ، ورمضان ناتقاً ، وشوالاً وَعْلاً ، وذا القعدة وَرْنَـة ، وذا الحجة بُـرَكاً ، وكـان آخرون من العرب يسمّون الثلاث ليال من أوّل الشهر هلالاً ، ثمّ ثلاث قمر حين يقمر ، ثمّ ثلاث بهـر حين يضيء ويبهر لـونه ، وثـلاث نُفَل ، وثـلاث بيض ، وثـلاث درع ، وثـلاث ظُلَم ، وثــلاث حنـادس ، وثــلاث دَآدي ، وليلتان محاق ، وليلة سرار .

وولد لطابخة بن إلياس ادّ بن طـابخة ، فتفـرّقت من ولد ادّ بن طـابخة أربع قبائل ، وهي : تميم بن مرّ بن ادّ ، والـرباب ، وهـو عبد منـاة بن ادّ ، وضبّـة بن أدّ ، ومُـزَينـة بن أدّ ، وكـان العـدد في تميم بن مـرّ بن أدّ ، حتى امتـلأت منهم البلاد ، وافتـرقت قبائـل تميم ، فمن جماهيـر قبـائـل تميم : كعب بن سعد بن زيد مناة ، وحنظلة بن مـالك بن زيـد مناة ، وهـم يسمَّـون البرَاجم ، وبنو دارم ، وبنو زُرارة بن عُدس ، وبنو أسد ، وعمرو بن تميم ، فهؤلاء ولد أدّ بن طابخـة بن إلياس بن مضـر ، وفيهم العدد والمنعـة والبأس والنجـدة والشعر والفصـاحة ، وكـانت الرئـاسة في تميم ، وكـان أوّل رئيس فيهم : سعـد بن زيد منـاة بن تميم ، ثمّ حنـظلة بن مـالـك بن زيـد منـاة ، وكـانت لهم أيّام مشهـورة وحروب معـروفة ، فمنهـا يوم الكُـلاب[1] ، ويوم المَرّوت ، ويوم جَـدود ، ويوم النّسار .

---

(١) الكُلاب : وادٍ يُسلك بين ظهري ثهلان ، وثهلان : جبـل في ديار بني نميـر . وقيل : ماء بين جبلة وشمام وفيه كان الكـلاب الأول بين شرحبيـل وأصحابـه وأخيه سلمـة بن الحـارث ، وقـد قتـل شـرحبيـل وانهـزم أصحـابـه . والكـلاب الثـاني بين بني سعـد والرباب ، وقد قتل فيه عبد يغوث بن صلاءة الحارثي بعد أن أسر .
[معجم البلدان ٤ ص . ٤٧٢ ـ ٤٧٣]

وكان مدركة بن الياس سيّد ولد نزار قد بان فضله ، وظهر مجده ، وخرج أخوه قمعة إلى خزاعة ، فتزوّج فيهم ، وصار ينسب ولده معهم ، وكان ولده فيهم ، وكان من ولده عمرو بن لُحَيّ بن قمعة ، وهو أوّل من غيّر دين إبراهيم ، وولد مدركة بن إلياس خُزَيمة ، وهذيلاً ، وحارثة ، وغالباً ، وأمّهم سلمى ابنة الأسود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، ويقال : بنت أسد بن ربيعة بن نزار؛ وأمّا حارثة فدرج صغيراً؛ وأمّا غالب فانتسبوا في بني خزيمة؛ وأمّا هذيل بن مدركة، فإنّ العدد منهم في بني سعد بن هذيل ، ثمّ تميم بن سعد ، ثمّ في معاوية بن تميم ، والحارث بن تميم وهذيل شجعان أصحاب حروب وغارات ونجدة وفصاحة وشعر .

وكان خزيمة أحد حكّام العرب ، ومن يعدّ له الفضل والسؤدد، فولد خزيمة بن مدركة كنانة ، وأمه عُوانة بنت قيس بن عيلان ، وأسد والهون ، وأمّهم برّة بنت مرّ بن أدّ بن طابخة أخت تميم بن مرّ ، فأمّا أسد بن خزيمة ، فإنّ ولده انتشروا في اليمن ، وهم : جذام ، ولخم ، وعاملة بنو عمرو بن أسد ؛ وكانت مضر تدّعي جذاماً خاصّة ، وبنو أسد مقيمون على أنّهم منهم يواصلونهم على ذلك ، ويعدّونهم منهم ، قال امرؤ القيس بن حجر الكنديّ[1] :

صَبَرْنا عَنْ عَشِيرتِنَا، فبَانوا[2] ، كما صَبَرَتْ خُزَيْمَةُ عن جُذامِ

وقال عبد المطّلب بن هاشم في شعر له :

فقُلْ لجُذَامٍ إنْ أتَيْتَ بِلادَهُمْ ، وَخُصّ بني سَعْدٍ بها ثمّ وائِلِ
أنِيلُوا ، وَأدْنوا من وسائلِ قَوْمِكم فيعطفَ منكم قبلَ قَطْعِ الوسائِلِ

وقال عبيد[3] بن الأبرص في شعر له طويل :

---

(١) من قبيلة كندة وقد تقدم الحديث عنها مفصلاً .

(٢) بانوا : فارقوا .

(٣) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهلي معاصر للنابغة الذبياني ، عاش في بلاط ملك الحيرة . قتله الملك المنذر بن ماء السماء سنة ٥٥٤ م .

[الأعلام ٣ للزركلي]

أَبْلِغْ جُذاماً ولَخماًإنْ عَرَضْتَ لهم ، وَالقَــوْمُ يَنفَعُـهمْ عِـلْمٌ إذا عَـلِمُــوا
بـأنّكم في كتـابِ الـلهِ إخـوتَنـا ، إذا تَـقَسّـمَـتِ الأرْحـامُ والـنَّسَـمُ

ويقال إنّ هذا الشعر لشمعان بن هبيرة الأسديّ ، فأمّا جذام بن عديّ بن الحارث ، فإنّها مقيمة على نسبها في اليمن ، فتقول : جذام بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أدد بن يشجب بن عريب بن مالك بن كهلان؛ وكان لأسد ابن خزيمة من الولد : دودان ، وكاهل ، وعمرو ، وهند ، والصّعْب ، وتَغلب ، وكان العدد في دودان ، ومنه افترقت قبائل بني أسد .

وقبائل بني أسد قُعَيْن ، وفَقْعَس ، ومنقذ ، ودبان ، ووالبة ، ولاحق ، وحُرثان ، ورئاب ، وبنو الصيْداء ، وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة إلى تهامة ، وكانت الطيّء محالفة متّفقة معها ، ودارهما تكاد أن تكون واحدة ، وكانت محاربة لكندة ، حتى قتلت حجر بن الحارث بن عمرو الكنديّ ، وهرب امرؤ القيس ، وذلّت كندة ، ثمّ حاربت بني فزارة ، حتى قتلت بدر بن عمرو ، ثمّ اختلف الذي بينها وبين طيّء ، فتحارب الحيّان أسد وطيّء حتى قتلوا لام بن عمرو الطائيّ ، وأسروا زيد بن مهلهل ، وهو زيد الخيل[1] ، وأخذوا السبايا ، وقال زيد الخيل :

ألا أبْلِغِ الأقْيـاسَ : قيس بن نـوْفَـلِ وقَيْسَ بن اهبـان وقَيْسَ بـن جـابـرِ
بَني أسَـدٍ رُدّوا عـلينـا نِسـاءنَـا ، وَأبْنـاءنَـا ، وَاسْتَمْتِعُـوا بـالأبـاعـرِ[2]
وبـالمالِ ، إنّ المـالَ أَهْوَنُ هـالِكٍ ، إذا طـرقَتْ إحـدى الليـالي الغـوابـرِ
ولا تَجْعَـلُوهـا سنّـةً يَـقتَـدي بـهَـا بنـو أسَـد ، واعفـوا بِـأيْـدٍ قـوادِرِ

---

(١) سمّي زيد الخيل لكثرة خيله ومنها الستة التي ذكرها في شعره وهي : الهطال والكميت والورد وكامل ودوول ولاحق . كان من أجمل الناس . أسلم بين يدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فسمّاه زيد الخير . مات بالحمى حوالى ٦٥٠ م .

[الأعلام ٣ للزركلي]

(٢) الأباعر : جمع بعير وهوالجمل البازل للذكر والأنثى .

فأطلقوه وردّوا ظعائنهم[1] لمّا سمعوا هذا الشعر ، وبقي فرس لـزيد ، وكان زيد يحبّ الخيل ، فقال زيد :

يـابني الصّيْـداءِ رُدّوا فـرَسي ، إنّمـا يُفْعَـلُ هَـذا بـالـذّليـلِ
عَـوّدُوا مُهْـري الّـذي عَـوّدْتُـهُ دَلَـجَ اللّيْـلِ ، وايـطاءَ القتيـلِ

فـردّوا عليه فـرسه ، وكـانت بنو أسـد تقـول : قتلنـا أربعـة كلّهم بنـو عمرو ، وكلٌّ سيّد قومه ، قتلنا حجـر بن عمرو ملك كنـدة ، ولام بن عمـرو الطائي ، وصخر بن عمرو السلميّ ، وبَدْر بن عمرو الفزاريّ .

والهون بن خزيمة ، وهو القارة ، وإنّما سمّوا القارة لأنّ بني كنانة لمّـا خرجت بنو أسد بن خزيمة من تهامة ، وخالفـوا كنانـة ، وضمّوا القليـل إلى الكثير ، جعلوا بني الهون بن خزيمة قارة بينهم لأحد دون أحد .

ويقال إنّ بني الهون نـزلوا أرضـاً منخفضة ، والعـرب يسمّون الأرض المنخفضـة القارة ، فقيـل لهم : أصحاب القـارة ، والقارة المـرامي ، فقال بعضهم : قـد أنصف الـقـارة مـن راماهـا ،ويقـال إنّ حـربـاً جَـرَت بين الهون بن خزيمة وبين بكر بن كنانة ، فقـال رجل من بني بكـر : أيّما أحبّ إليكم ، المراماة ، أو المسابقة ؟ فقال رجل منهم :

قـد عَلِمَتْ سَلْمٌ ، وَمَنْ وَالاهـا ، أنّـا نَصُـدّ الخَيْـلَ عن هَـواهـا
قـد أنْـصَـفَ الـقـارَةَ ، أمّـا إذا مـا فِئَـةً نَـلْقَـاهـا
نَـرُدّهـا دامِـيَـةً كُـلاهـا

وقبـائل بني الهـون بن خـزيمـة عَضَـل وديش ابنـا ييثـع بن الهـون بن خزيمة ، فـأمّا الحكم بن الهـون بن خزيمـة ، فإنّـه صار الى اليمن ، فحـلّ بلاد مذحج ، فولد له بهـا أولاد ، ومات ، فـانتسب ولده إلى حكم بن سعـد العشيرة .

---

(١) الظعائن : جمع ظعينة وهي الرحل .

وظهـر في كنانـة بن خـزيمـة فضـائـل لا يحصى شـرفهـا ، وعـظّمتـه العرب ، فروي أنّ كنانة أُتي ، وهو نائم في الحجر ، فقيل له : تخيّر يا أبا النضر بين الهضيل أو الهدر ، أو عمارة الجدر ، أو عزّ الدهر ! فقـال : كلّ هذا يا ربّ ! فأُعطيه ، فولـد كنانـة بن خزيمـة النّضْر ، وحُـدال ، وسعداً ، ومـالكاً ، وعـوفاً ، ومخـرمة ، وأمّهم هـالة بنت سـويد بن الغـطريف ، وهو حارثة بن امـرىء القيس بـن ثعلبة بن مـازن بن الغوث ، وعليّـاً ، وغزوان ، وأمّهمـا برّة بنت مُـرّ ، وجرولاً ، والحـارث ، وأُمهما من أزد شنـوءة ، وعبد منـاة ، وأمّـه الـذفـراء ، واسمهـا فكيهـة بنت هنيّ بن بليّ بن عمـرو بن الحاف بن قضاعة ، فأمّـا مخرمـة ، فيقال إنّهم بنـو سـاعـدة ، رهط سعد بن عُبـادة ، وبنـو عبـد منـاة بن كنـانـة ، فهم عـدد كنـانـة ، فمنهم : بنـو ليث بن بكـر بن عبـد مناة ، وبنـو الدّئـل بن بكر ، وبنـو ضَمْرَة بن بكـر منهم : بنو غِفـار بن مُلَيك بن ضمرة ، وبنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة الذين أصـابهم خالـد بن الوليد بالغُمَيْصَاء[1] ، وبنو مُدلج بن مرّة بن عبد مناة .

ومن بني مـالك بن كنـانة بن خـزيمة : بنـو فُقَيم بن عـديّ بن عـامـر بن ثعلبـة ابن الحـارث بن مـالـك بن كنـانــة ، ومن بني فقيم كـان النَّسَـأة ، وهـم القـلامس ، كـانوا ينسئـون ويحلّون ويحرّمون ، وكان أوّلهم حذيفـة بن عبـد فقيم الـذي يسمّى القَلَمّس ، ثمّ صار ذلك في ولده ، فقـام بعده عبّـاد بن حذيفـة ابنه ، ثمّ بعــد عبّاد قَلَع بن عبّــاد ، ثمّ أميّـة بن قلع ، ثمّ عــوف بن أميـة ، ثمّ جنادة بن عوف ، وهو أبو ثُمامة ، ومنهم فراس بن غُنْم بن مالك بن كنانـة ، فهذه جماهير قبائل كنانة .

وأمّا النضر بن كنانة ، فكـان أوّل من سمّي القرشيّ ، يقال إنّه سمّي

---

(١) الغميصاء : موضع في بادية العرب قرب مكة ، كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة الذين أوقع بهم خالد بن الوليد ، عام الفتح ، فقال رسـول الله : «اللهم إني أبـرأ إليك ممـا صنع خالد». ووداهم رسول الله على يـدي علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه .

[معجم البلدان ٤ ؛ ٢١٤]

القرشيّ لتقرّشه وارتفاع همّته ، وقيل لتجارته ويساره ، ويقال لدابّة في البحر تسمّى القِرْش[1] ، سمّتْه أمّه قريشاً تصغير قرش ، فمن لم يكن من ولد النضر بن كنانة ، فليس بقرشيّ ، فولد النضر بن كنانة مالكاً ، ويخلدَ ، والصلت ، وكان النضر أبا الصلت ، وأمّ ولد النضر عِكْرِشة بنت عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، وأمّا يخلد فلم يبقَ منهم أحد يُعرف ، وأمّا ولد الصلت ، فصاروا في خزاعة ، وكان من ولده كُثَيّر[2] بن عبد الرحمن الشاعر ، وهو الذي يقول في النسب :

أَلَيسَ أبي بالصّلتِ أمْ ليسَ إخْوَتي بكلّ هجانٍ[3] من بني النضرِ أزْهَرَا

وكان مالك بن النّضر عظيم الشأن ، وكان له من الولد : فهر ، والحارث ، وشيبان ، وأمّهم جندلة بنت الحارث بن مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهميّ ، ويقال إنّ اسم فهر بن مالك : قريش ، وإنّما فهر لقب ، والاسم قريش .

وظهر في فهر بن مالك علامات فضل في حياة أبيه ، فلمّا هلك أبوه قام مقامه ، وكان لفهر بن مالك من الولد : غالب ، والحارث ، ومُحارب ، وجندلة ، وأمّهم ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، فمن ولد الحارث بن فهر ضبّة بن الحارث رهط أبي عبيدة بن الجرّاح ، ومن ولد محارب بن فهر شيبان بن محارب : رهط الضّحاك بن قيس ، وكان غالب بن فهر أفضلهم وأظهرهم مجداً ، فيروى أنّ فهر بن مالك قال لابنه غالب ، حين حضرته الوفاة : أي بنيّ ! إنّ في الحذر انغلاق النفس ،

---

(١) القرِش : نوع من السمك يُعرف بكلب البحر ، يقطع الحيوان في الماء بأسنانه كما يقطع السيف وتخافه جميع دواب البحر .

[لسان العرب مادة قرش]

(٢) وهو معروف بكثير عزة وعزة هي صاحبته ، شاعر أقام في المدينة . قال بالرجعة والتناسخ . توفي سنة ٧٢٣ م .

(٣) الهجان من كل شيء : خياره وخالصه .

وإنما الجزع قبل المصائب ، فإذا وقعت مصيبة برّد حرّها ، وإنما القلق في غليانها ، فإذا قامت ، فبرّدْ حرّ مصيبتك بما ترى من وقع المنيّة أمامك وخلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، وما ترى في آثارها من محق الحياة ، ثمّ اقتصر على قليلك ، وإن قلّت منفعته ، فقليل ما في يدك أغنى لك من كثير ممّا أخلقَ وجهَك إن صار إليك ، فلمّا مات فهر شرف غالب بن فهر وعلا أمره ، وكان له من الولد لؤيّ ، وتَيم الأدْرَم ، وأمّهما عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة ، وتغلب ، ووهب ، وكثير ، وحراق ، هؤلاء لا بقيّة لهم ، فأمّا تَيم الأدرم ، فإنّه أعقب .

وكان لُؤيّ بن غالب سيداً شريفاً بيّن الفضل ، يروى أنّه قال لأبيه غالب ابن فهر ، وهو غلام حدث : يا أبه ! ربّ معروف قلّ إخلافه ، ونصر ، يا أبه ، مَنْ أخلفه أخمله ، وإذا أُخمل الشيء لم يذكر ، وعلى المولى تكبير صغيره ونشره ، وعلى المولى تصغير كبيره وستره . فقال له أبوه : يا بنيّ إني أستدلّ بما أسمع من قولك على فضلك ، وأستدعي به الطول لك في قومك ، فإن ظفرت بطول ، فعد على قومك ، واكْفِ غرب جهلهم بحلمك ، والمْمْ شعثهم برفقك ، فإنّما يفضُل الرجالُ الرجالَ بأفعالهم ، فإنّها على أوزانها[1] ، وأُسقط الفضل ؛ ومن لم تعلُ له درجة على آخر لم يكن له فضل ، وللعليا أبداً على السفلى فضل . فلمّا مات غالب بن فهر قام لؤيّ بن غالب مقامه .

وكان للؤيّ من الولد : كعب ، وعامر ، وسامة ، وخزيمة ، وأمّهم عائذة ، وعوف ، والحارث ، وجشم ، وأمّهم ماويّة بنت كعب بن القين ؛ وسعد بن لؤيّ ، وأمّه يسرة بنت غالب بن الهون بن خزيمة ، فأمّا سامة بن لؤيّ ، فإنّه هرب من أخيه عامر بن لؤيّ ، وذلك أنّه كان بينهما شرّ ، فوثب سامة على عامر ففقأ عينه ، فأخافه عامر ، فهرب منه ، فصار إلى عُمان ، فيقال إنّه مرّ ذات يوم على ناقة له ، فوضعت الناقة مشفرها في الأرض ،

---

(١) سقط بعض الكلام هنا .

فعلقتها أفعى ونفضتها ، فوقعت على سامة ، فنهشت الأفعى ساقه ، فقتلته ، فقال فيما يزعمون ، حين أحسّ بالموت :

عَيْنِ فَابْكي لِسامَةَ بنِ لُؤيٍّ ، عَلِقَتْ مَا بِساقِهِ العَلاّقَهْ
لَمْ يَرَوْا مِثْلَ سامَةَ بنِ لؤيٍّ ، يَوْمَ حَلّوا بِهِ ، قتيلاً لِنَاقَهْ
بَلّغا عامِراً وكعباً رَسُولاً أنّ نَفسي إليهما مُشْتاقَهْ
إنْ تَكُنْ في عُمانَ داري ، فإنّي ماجِدٌ قد خَرَجْتُ من غيرِ فَاقَهْ
رُبَّ كأس هَرَقْتَ يابنَ لُؤيٍّ حَذَرَ المَوْتِ لَمْ تَكُنْ مِهْرَاقَهْ
رُمْتَ دَفعَ الحُتُوفِ ، يابنَ لُؤيٍّ ، ما لمن رامَ ذاكَ بالحَتْفِ[1] طاقَهْ

فأمّا خزيمة بن لؤيّ ، وهو عائذة ، فإنّه نزل في شيبان ، فانتسب ولده في ربيعة ، وأمّا الحارث ، وهو جُشَم وسعد ، فإنّهم نزلوا في هِزّان فانتسبوا فيهم ، وفيهم يقول جرير[2] بن الخَطَفَى :

بني جُشَمٍ لَسْتُمْ لِهِزّانَ ، فانتموا لأعلى الرّوابي من لؤي بن غالب

وأمّا عوف بن لؤيّ ، فإنّه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى إذا كان في أرض غطفان أبطأ به بعيره ، فانطلق من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد بن ذُبيان ، فاحتبسه ، وجعله له أخاً ، فصار نسبه في عوف بن سعد بن ذبيان . قال الحارث بن ظالم ، وهو من بني مرّة بن عوف :

وما قومي بثَعْلَبَةَ بن سَعْدٍ ، ولابفزارَةَ الشُّعْرِ الرِّقابا
وقومي إنْ سألتَ بني لؤيّ ، بمكّةَ علّموا مُضَرَ الضِّرابا[3]
سفهنا باتباع بني بَغِيضٍ ، وتَرْكِ الأقربينَ لَنا انْتِسابا

(١) الحتف : الموت .

(٢) جرير (٦٥٣ م - ٧٣٣) : كنيته أبو حزرة . شاعر من كليب ، اتصل بالأمويين فمدحهم . امتاز بالهجاء لاسيما هجو الأخطل والفرزدق وقد كوّن معهم ما سمي بالمثلث الأموي .

[الأعلام ٢ للزركلي]

(٣) الضراب : الطعن .

وقال الحارث[1] بن ظالم في ذلك أيضاً :

إذا فـارَقـتَ ثعلبـةَ بـن سَـعْـدٍ   وإخـوَتـهـم نُسِبتَ إلـى لُـؤيّ
إلى نَسَبٍ كـريمٍ غَيْر . . . .[2] ،   وحَـيّ هـم أكـارِمُ كـلّ حَـيّ
فـإنْ يبعـد بهم نَسَبي ، فَمِنْهُمْ   قَـرابـينُ الإلَـهِ بـنـو قُـصَـيّ

وللحارث بن ظالم في هذا شعر كثير ، وقد كان عمر بن الخطّاب دعا بني عـوف إلى أن يـردّهم إلى نسبهم في قـريش ، فشـاوروا عليّ بن أبـي طـالب ، فقال لهم : أنتـم أشـراف في قومكم ، فـلا تكونوا مستلحقين في قـريش[3] ، فأمّـا عـامـر بن لؤيّ فـإنّـه كـان له من الولد جِسْـل بن عـامـر ، ومَعيص بن عـامـر ، وعـويص بن عـامـر ، وأمّهم امـرأة من قــرن ، وليس لعويص بن عامر بقيّة ، والبقيّة في حسل ومعيص .

فأما كعب بن لؤيّ ، فكان أعظم ولد أبيه قدراً ، وأعظمهـم شـرفاً ، وكان أول من سمّى يوم الجمعة بالجمعة ، وكـانت العرب تسميـه عروبـة ، فجمّعهم فيـه ، وكـان يخـطب عليهم ، فيقـول : اسمعـوا ، وتعلّمـوا ، وافهموا ، واعلموا أنّ الليل ساجٍ ، والنهار ضاح ، والأرض مهاد ، والسماء عمـاد ، والجبال أوتـاد ، والنجوم أعـلام ، والأوّلـون كـالآخـرين ، والأبنـاء ذكر ، فصِلُوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمّروا أموالكم ، فهـل رأيتم من هـالك رجـع ، أو ميّت نشر الـدار أمامكم ، والـظنّ غير مـا تقـولـون ، وحرمكم زينوه وعظّموه ، وتمسّكـوا به ، فسيـأتي نبأ عـظيم ، وسيخرج منه نبيّ كريم ، ثمّ يقول :

نهـار وليل كـلٌّ يؤوبُ بحـادِثٍ ،   سـواءٌ علينـا ليلُهـا ونـهـارُهـا
يؤوبـان بـالأحـداثِ حِينَ يُؤَوّبـا ،   وبـالنِّعَم الضّـافي علينـا ستُـورُهـا

---

(1) هو الذي أودعه امرؤ القيس دروعه كما مرّ سابقاً .
(2) بياض في الأصل .
(3) أي لا تكونوا تابعين لها .

صروف[1] ، وأنْباء تغلّب أهلها ، لهـا عُقَدٌ مـا يُسْتَحَـلّ مَـريـرُهـا[2]
على غَفْلَةٍ يَـأتي النّبيّ محمّـدٌ ، فيُخبـرُ أخْبـاراً صـدوقـاً خبيـرُهـا

ثمّ يقول : يا لَيْتَني شـاهِـد نَـجْـوَى دَعْوَتِـه ، لو كنت ذا سمـع ، وذا بصـر ويد ورجـل تنصّبت لـه العجـل ، وأرقلتُ إرقـال[3] الجمـل ، فَـرِحـاً بدعوته ، جذلاً بصرخته ، فلمّا مات كعب أرّخت قريش من موت كعب .

وكان لكعب من الولد : مرّة ، وهُصيص ، وأمّهما وحشيـة ابنة شيبان ابن محارب بن فهر بن مالك ، وعديّ بن كعب ، وأمّه حبيبة بنت بجالـة بن سعـد بن فَهْم بن عمرو بن قيس بن عيـلان ، فعـديّ بن كعب رهط عمـر بن الخطاب ، وولد هُصَيص بن كعب سَهْماً وجُمَحاً .

وكان مرّة بن كعب سيّداً همامـاً ، فتزوّج هنـد بنت سُرَيْـر بن ثعلبة بن الحارث بن مالـك بن كنانـة ، وكان سـرير أوّل من نسـأ[4] الشهور ، فـولدت هند لمرّة كـلابـاً ، ثـمّ تزوج مرّة . . . . . . [5]بنت سعـد بن بارق ، فـولدت لـه تيماً ويقـظة ، فتيم بن مرّة رهط أبي بكـر ، ومخـزوم بن يقـظة بن مـرّة رهطه أيضاً .

وشرف كلاب بن مرّة ، وجلّ قدره ، واجتمع لـه شرف الأب والجـدّ من قبل الأم لأنهم كانوا يجيزون الحـجّ ، ويحرّمـون الشهور ، ويحلّلونهـا ، فكانوا يسمّون النَّسَأة والقلامس ؛ وكان لكـلاب بن مرّة من الـولد : قُصَيّ ، وزُهرة ، وفيهما قال رسول الله : صـريحا قـريش بن كلاب ، وأمّهمـا فاطمـة بنت سعد بن سَيَل الأزديّ ، وكان سعد بن سيـل أوّل من حلّيت له السيـوف بالذهب والفضّة ، وله يقول الشاعر :

---

(١) صروف : أحداث .
(٢) المرير من الحبال : ما اشتد فتله .
(٣) أرقل الجمل : أسرع في سيره .
(٤) نسأ : أخّر وأجّل .
(٥) بياض في الأصل .

لا أرى في الناسِ شخصاً واحداً، فـاعلمـوا ذاكَ ، كسَعْـدِ بن سَيَـلْ

فلمّـا مات كـلاب تزوّجت فـاطمة بنت سعـد بن سيل ربيعـة بن حَرَام العـذريّ ، فخرج بهـا الى بلاد قـومه ، فحملت قصيّـاً معها ، وكـان اسمـه زيداً ، فلمّا بعد من دار قومه سمته قصيّاً ، فلمّا شبّ قصيّ ، وهو في حجر ربيعـة ، قال لـه رجل من بني عـذرة : الحق بقومـك ، فـإنّـك لست منّـا ! فقـال : ممّن أنا ؟ فقـال : سَلْ أمّـك ! فسألهـا ، فقـالت : أنت أكـرم منـه نفسـاً ، وولداً ، ونسبـاً ! أنت ابن كلاب بن مـرّة ، وقـومـك آل اللّه ، وفي حرمه .

وكانت قريش لم تفارق مكّة ، إلاّ أنهم لمّا كثروا قلّت المياه عليهم ، فتفـرّقوا في الشعـاب ، فكره قصيّ الغـربة ، وأحبّ أن يخـرج إلى قومـه ، فقالت له أمّـه : لا تعجل حتى يـدخل الشهـر الحرام ، فتخـرج في حجاج قضاعة ، فإني أخاف عليك ! فلما دخـل الشهر الحـرام شخص معهم حتى قدم مكّة ، وأقام قصيّ بمكّة ، حتى شرف وعزّ وولد لها الأولاد .

وكـانت حجابـة البيت[1] إلى فـزاعة ، وذلـك أنّ الحجابـة كانت إلى إيـاد ، فلمّا أرادوا الـرحيل عن مكّـة حملوا الركن على جمـل ، فلم ينهض الجمل ، فدفنـوه ، وخرجـوا ، وبصرت بهم امـرأة مِن خزاعـة حين دفنوه ، فلمّـا بعدت إيـاد اشتدّ ذلـك على مضر ، وأعـظمته قـريش وسائـر مضـر ، فقالت الخزاعيّة لقومها : اشرطـوا على قريش وسـائر مضـرأن يصيّروا إليكم حجابة البيت ، حتى أدلّكم على الركن ، ففعلوا ذلك ، فلما أظهروا الـركن صيّروا إليهم الحجابة ، فقدم قصيّ بن كلاب مكّة ، والحجابة إلى خزاعة ، والإجازة إلى صُوفة ، وهو الغَوْث بن مرّ أخي تميم ، وكـان الحـج وإجـازة النـاس من عرفـات إليه ، ثمّ صـارت إلى عقبه من بعـده ، وبنـو القيس بن كنانة ينسئون الشهور ، ويحلّون ، ويحـرّمون ، فلمـا رأى قصيّ ذلك جمـع إليه قومه من بني فهر بن مالك ، وحازهم إليه ، فلما حضر الحـجّ حال بين

---

(١) أي الإشراف عليها وحراستها .

صـوفة وبين الإجـازة ، وقامت معـه خزاعـة وبنـو بكـر ، وعلمـوا أنّ قصيّـاً سيصنع بهم كما صنع بصوفة ، وأنّه سيحـول بينهم وبين أمر مكّـة وحجابـة البيت ، وانحـازوا عنه ، وصـاروا عليه ، فلمـا رأى ذلك أجمـع لحـربهم ، وبعث إلى أخيه من أمّه درّاج بن ربيعة العُذريّ ، فأتاه أخـوه بمن قدر عليـه من قضاعة ، وقيـل : وافَى درّاج ، وقصيّ قد نصب لحـرب القوم ، ودرّاج يـريـد البيت ، فـأعـان أخـاه بنفسـه وقـومـه ، فـاقتتلوا قتـالاً شـديـداً بالأبطح[1] ،حتى كثرت القتلى في الفريقين ، ثمّ تـداعَوْا إلى الصلح ، وأن يحكم مـا بينهم رجـل من العـرب فيمـا اختلفـوا فيـه ، فحكّمـوا يَعْمـر بن عـوف بن كعب بن ليث بن بكـر بن كنـانـة ، فقضى بينهم بـأنّ قصيّـاً أولى بالبيت وأمر مكّة من خزاعة ، وأنّ كلّ دم أصابه قصيّ من خزاعة وبني بكـر موضوع يشدخه تحت قدميه ، وأنّ مـا أصابت خـزاعةُ وبنـو بكر من قـريش ففيه الدية[2] ، فودوا خمساً وعشرين بـدنة[3]وثـلاثين حَرَجـاً[4] ، وأن يخلوا بين قصيّ وبين البيت ومكّة ، فسمّي يعمر الشدّاخ .

ولـم يكن بمكّة بيت في الحرم ، إنّما كانوا يكونـون بها نهـاراً ، فإذا أمسوا خرجوا، فلما جمـع قصيّ قريشـاً، وكان أدهى من رُئي من العـرب، أنزل قريشاً الحرم، وجمّعهم ليـلاً، وأصبح بهم حـول الكعبة، فمشت إليـه أشـراف بني كنانـة ، وقالـوا : إنّ هـذا عـظيم عنـد العـرب ، ولـو تـركنـاك ما تركتك العرب . فقال : والله لا أخرج منه ، فثبت .

وحضر الحجّ ، فقال لقريش : قد حضر الحجّ ، وقد سمعت العرب مـا صنعتم ، وهم لكم معظّمون ، ولا أعلم مكرمـة عنـد العـرب أعـظم من الطعـام ، فليخـرج كلّ إنسـان منكم من مالـه خَرْجـاً ! ففعلوا ، فجمع من

---

(١) الأبطح : جبل بمكة .

(٢) الدية : ما يدفعه القاتل لأهل القتيل .

(٣) البدنة : الناقة المسمّنة .

(٤) الحرج : جماعة الغنم أو الإبل .

ذلك شيئاً كثيراً ، فلمّا جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزوراً[1] ، ونحر بمكة ، وجعل حظيرة ، فجعل فيها الطعام من الخبز واللحم ، وسقى الماء واللبن ، وغدا على البيت ، فجعل له مفتاحاً وحَجَبَة ، وحال بين خزاعة وبينه ، فثبت البيت في يد قصيّ ، ثمّ بنى داره بمكّة ، وهي أول دار بنيت بمكة ، وهي دار النّدْوَة .

وروى بعضهم أنه لمّا تزوج قصي إلى حُليل بن حُبْشِية الخزاعي حُبّى ابنته ، وولدت له ، أوصى حُليلاً عند موته بولاية البيت إلى قصيّ ، وقال : إنّما ولدك ولدي ، وأنت أحق بالبيت . وكانت حُبّى بنت حُليل بن حبشيّة قد ولدت لقصيّ بن كلاب ، عبد مَناف ، وعبد الدار ،وعبدالعُزّى ، وعبد قصيّ ، وقال آخرون : دفع حُليل بن حبشيّة المفتاح إلى أبي غُبْشان ، وهو سليمان بن عمرو بن بُوَيّ بن مَلَكان بن أفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر . فاشتراه قصي منه وولاية البيت بزقّ[2] خمر وقَعود ، فقيل : أخسّ من صفقة أبي غُبْشان ، ووثبت خزاعة ، فقال : لا نرضى بما صنع أبو غبشان ، فوقعت بينهم الحرب ، فقال بعضهم :

أبو غُبشانٍ أظْلَمُ من قُصَيّ ، وأظْلَمُ من بني فِهرٍ خُزاعَهْ
فلا تَلْحَوْا[3] قُصَيّاً في شِرَاهُ ، ولُوموا شَيْخَكم إذْ كان باعَهْ

فولي قصيّ البيت وأمر مكّة والحكم ، وجمع قبائل قريش ، فأمر لهم بأبطح مكّة ، وكان بعضهم في الشعاب ورؤوس الجبال . فقسم منازلهم بينهم ، فسمّي مُجمّعاً ، وفيهم يقول الشاعر :

أبوكمْ قُصَيٌّ كانَ يُدْعَى مُجَمِّعاً ، به جَمّعَ اللهُ القَبائلَ من فِهْرِ

---

(١) الجزور : الناقة حين تجزر .
(٢) الزق : وعاء الخمر ، وهو جراب من جلد .
(٣) لا تلحوا : لا تلوموا .

وملّكه قومه عليهم ، فكان قصيّ أوّل من أصاب الملك من ولد كعب ابن لؤيّ ، فلما قسم أبطح مكّة أرباعاً بين قريش ، هابوا أن يقطعوا شجر الحرم ليبنوا منازلهم ، فقطعها قصيّ بيده ، ثمّ استمروا على ذلك .

وكان قصيّ أوّل من أعزّ قريشاً ، وظهر به فخرها ، ومجدها ، وسناها ، وتقرّشها ، فجمّعها ، وأسكنها مكّة ، وكانت قبل متفرقة الدار ، قليلة العزّ ، ذليلة البقاع ، حتى جمع اللّه الفتها ، وأكرم دارها ، وأعزّ مثواها .

وكانت قريش كلّها بالأبطح خلا بني محارب والحارث ابني فهر ، ومن بني تيم بن غالب ، وهو الادرم ، وبني عامر بن لؤيّ ، فإنّهم نزلوا الظواهر ، ولمّا حاز قصيّ شرف مكّة كلّها ، وقسمها بين قريش ، واستقامت له الأمور ، ونفى خزاعة ، هدم البيت ، ثمّ بناه بنياناً لم يَبْنِه أحد ، وكان طول جدرانه تسع أذرع ، فجعله ثماني عشرة ذراعاً ، وسقّفها بخشب الدّوْم(١) وجريد النخل ، وبنى دار الندوة . وكان لا ينكح رجل من قريش ، ولا يتشاورون في أمر ، ولا يعقدون لواء بالحرب ، ولا يعذرون غلاماً ، إلاّ في دار الندوة ؛ وكانت قريش في حياته ، وبعد وفاته ، يرون أمره كالدين المتبع ، وكان أوّل من حفر بمكّة بعد إسماعيل بن إبراهيم ، فحفر العَجول في أيّام حياته ، وبعد وفاته ، ويقال إنّها في دار أمّ هانىء بنت أبي طالب .

وكان قصيّ أوّل من سمّى الدابّة الفرس ، وكانت له دابة يقال لها العقاب السوداء ، وكان لقصيّ من الولد عبد مناف ، وكان يدعى القمر ، وهو السيّد النهر ، واسمه المغيرة ، وعبد الدار ، وعبد العزّى ، وعبد قصيّ ، ويقال انّ قصيّاً قال : سمّيت اثنين بإلهي ، وآخر بداري وآخر بنفسي .

---

(١) الدوم : جنس شجر من فصيلة النخليات ساقه متشعبة ، يستخرج من ثماره نوع من الدبس ، ينبت في الجزيرة العربية وفي مصر والسودان ، يعرف أيضاً بشجرة المقْل .
[لسان العرب مادة دوم]

وقسم قصيّ بين ولده ، فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف ، والدار لعبد الدار ، والرفادة لعبد العزّى ، وحافتي الوادي لعبد قصيّ ، وقال قصيّ لولده : من عظّم لئيماً شاركه في لؤمه ، ومن استحسن مستقبحاً شركه فيه ، ومن لم تُصْلِحْه كرامتكم ، فدلّوه بهوانه ، فالدواء يحسم الداء .

ومات قصيّ ، فدفن بالحَجون[1] ، ورأس عبد مناف بن قصيّ ، وجلّ قدره وعظم شرفه . ولمّا كبر أمر عبد مناف ابنه جاءته خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة يسألونه الحلف ليعزّوا به ، فعقد بينهم الحلف الذي يقال له حلف الأحابيش ، وكان مدبّر بني كنانة الذي سأل عبد مناف عقد الحلف : عمرو بن هلل بن معيص بن عامر ، وكان تحالف الأحابيش على الركن : يقوم رجل من قريش وآخر من الأحابيش ، فيضعان أيديهما على الركن ، فيحلفان بالله القاتل ، وحرمة هذا البيت ، والمقام ، والركن ، والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعاً ، حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها ، وعلى التعاقد ، وعلى التعاون على كلّ من كادهم من الناس جميعاً ما بلّ بحر صوفة ، وما قام حرى وثَبير[2] . وما طلعت شمس من مشرقها إلى يوم القيامة ، فسمّي حلف الأحابيش . فولد عبد مناف بن قصيّ هاشماً ، واسمه عمرو ، وكان يقال له عمرو العُلى ، وسمي هاشماً ، لأنّه كان يهشم[3] الخبز، ويصبّ عليه المرق واللحم في سنة شديدة نالت قريشاً ، وعبد شمس ، والمطّلب ، ونوفلاً ، وأبا عمرو ، وحنّة ، وتُماضر ، وأمّ الأخثَم ، وأمّ سفيان ، وهالة ، وقلابة ، وأمّهم جميعاً ، إلاّ نوفلاً وأبا عمرو : عاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثَة بن

---

(١) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .

[معجم البلدان ٢ ؛ ٢٢٥]

(٢) حرى وثبير : جبلان بمكة .

[معجم البلدان ٢ ؛ ٧٣]

(٣) يهشم : يقطع .

سليم ، فولدت له هؤلاء ، وهي التي جرت حلف الأحابيش . . . .[1] وأمّ نوفل وأبي عمرو : واقدة بنت أبي عديّ ، وهو عامر بن عبد نُهْم من بني عامر بن صعصعة ، ويقال : إنّ هاشماً وعبد شمس كانا تَوْأمَيْن ، فخرج هاشم ، وتلاه عبد شمس ، وعقبه ملتصق بعقبه ، فقطع بينهما بموسى ، فقيل : ليخرجنّ بين ولد هذين من التقاطع ما لم يكن بين أحد .

وشرف هاشم بعد أبيه ، وجل أمره ، واصطلحت قريش على أن يولّى هاشم بن عبد مناف الرئاسة والسقاية والرفادة ، فكان إذا حضر الحجّ قام في قريش خطيباً ، فقال : يامعشر قريش ! إنّكم جيران اللّه وأهل بيته الحرام ، وإنّه يأتيكم في هذا الموسم زوّار اللّه يعظّمون حرمة بيته ، فهم أضياف اللّه ، وأحقّ الضيف بالكرامة ضيفه ، وقد خيّركم اللّه بذلك ، وأكرمكم به ، ثمّ حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره ، فأكرموا ضيفه وزوّاره ، فإنّهم يأتون شُعْثاً غُبراً من كلّ بلد على ضوامر كالقداح ، وقد أعيوا وتَفِلوا[2] ، وقملوا ، وأرملوا ، فاقروهم[3] ، واغنوهم ! فكانت قريش ترافد على ذلك .

وكان هاشم يخرج مالاً كثيراً ، ويأمر بحياض من أدم[4] ، فتجعل في موضع زمزم[5] ، ثمّ يسقى فيها من الآبار التي بمكّة ، فيشرب منها الحاج ، وكان يطعمهم بمكّة ومنى وعرَفَة وجَمْع ، وكان يثرد[6] لهم الخبز واللحم والسمن والسويق ، ويحمل لهم المياه ، حتى يتفرق الناس إلى بلادهم ، فسمّي هاشماً .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) تفلوا : أنتنت ريحهم لترك الطيب والادّهان .

(٣) اقروهم : أضيفوهم .

(٤) من أدم : من جلد .

(٥) زمزم : ماء على طريق مكة .

(٦) الثريد : نوع من الطعام يصنع من الخبز والمرق وسواه .

وكان أوّل من سنّ الرحلتين : رحلة الشتـاء إلى الشأم ورحلة الصيف إلى الحبشة إلى النجاشي[1] ، وذلك أنّ تجارة قريش لا تعدو مكّة ، فكانوا في ضيق ،حتى ركب هاشم إلى الشأم ، فنزل بقيصر ، فكان يذبح في كل يوم شاة ، ويضع جفنة[2] بين يديه ، ويدعو من حواليه .

وكان من أحسن الناس وأجملهم ، فذكر لقيصر ، فأرسل إليه ، فلمّـا رآه ، وسمع كلامه ، أعجبه ، وجعل يرسل إليه ، فقال هاشم : أيّها الملك إنّ لي قـومـاً ، وهم تجّـار العـرب ، فتكتب لهم كتـابـاً يؤمنهم ويؤمن تجـاراتهم ، حتى يأتـوا بما يستـطرف من أدم الحجاز وثيـابه ، ففعـل قيصر ذلك ، وانصرف هاشم ، فجعل كلّما مرّ بحيّ من العرب أخذ من أشـرافهم الايـلاف[3] أن يـأمنـوا عنـدهم وفي أرضهم ، فـأخـذوا الإيـلاف من مكّـة والشام .

قـال الأسود بن شعر الكلبيّ : كنت عِسّيفاً[4] لعقيلة من عقـائـل الحيّ أركب الصعبـة والـذلـول ، لا أليق مـطرحـاً من البـلاد أرتجي فيـه ربحـاً من الأمـوال ، إلّا يرغب إليه من الشأم[5] بخُرْثِيِّـه ، وأثاثـه ، أريد كبّـة العرب ، فعـدت ، ودهـم الموسم فدفعت إليها مُسْدفاً ، فحسبت الركاب ، حتى انجلى عني قميص الليل ، فإذا قباب سامية مضروبـة من أدم الطائف ، وإذا جـزُر تنحر وأخرى تساق وإكْلَة وجبْنَةٌ على الظّهـارِ . . . . . .[6] ألا عجّلوا ! فبهرني مـا رأيت ، فتقدّمت أريد عميدهم ، وعـرف رجـلٌ شـأني ، فقـال : أمـامـك ! فدنوت ، فإذا رجل على عـرش سامٍ تحتـه نمرقـة قد كـار عمامـة سوداء ،

---

(١) ملك الحبشة .
(٢) جفنة : قصعة .
(٣) الإيلاف : العهد .
(٤) عسّيفاً : ظالماً .
(٥) يوجد هنا سقط في الكلام .
(٦) بياض في الأصل .

وأخرج من ملائمها جُمّة[1] فَيْنانة ، كأنّ الشّعرى تطلع من جبينه ، وفي يده مخصرة ، وحوله مشيخة جلّة منكّسو الأذقان ، ما منهم أحد يُفيض بكلمة ، ودونهم خدم مشمّرون إلى أنصاف ، وإذا برجل مِجْهَر على نشز[2] من الأرض ينادي : يا وفد اللّه ، هلمّوا الغداء ! وإنسيّان على طريق مَن طعم يناديان : يا وفد اللّه ! من تغذّى فليرجع إلى العشاء ! وقد كان نمي إليّ من حبر من أحبار اليهود : إنّ النبي الأميّ هذا أوان توكّفه ، فقلت : لأعرف ما عنده ، يا نبيّ الله ! فقال : مَه ، وكأنْ قدِ له ، فقلت لرجل كان إلى جانبي : من هذا ؟ فقال : أبو نضلة هاشم بن عبد مناف ، فخرجت ، وأنا أقول : هذا واللّه المجد لا مجد آل جفنة ؛ ومرّ مطرود بن كعب الخزاعيّ برجل مجاور في بني هاشم ، وبنات له وامرأة في سنة شديدة ، فخرج يحمل متاعه ورحله هو وولده وامرأته لا يؤويه أحد ، فقال مطرود الخزاعيّ :

يـاأيّها الـرّجُلُ المُحَـوِّلُ رَحْـلَـهُ ! — هَـلاّ نَـزَلتَ بـآلِ عَبْـدِ منـافِ ؟
هَبَلَتْكَ أُمُّكَ[3] لوحللتَ بدارِهِمْ ، — ضمنـوك من جـوع ومن اقـرافِ
عمـروالعُلى هَشَمَ الثّريـدَلقَوْمِـه ، — ورجـالُ مكّـةَ مُسْنِتـون عِجـافُ[4]
نَسَبُـوا إليـهِ الـرِّحْلَتَيْنِ كليهمـا — عنـد الشّتـاء ورِحْلَةَ الأصْيـافِ
الآخـذونَ العهـد في آفـاقهـا ، — والـرّاحـلونَ لـرحـلةِ الإيـلافِ

وخرج هاشم بتجارات عظيمة يريد الشأم ، فجعل يمرّ بأشراف العرب ، فيحمل لهم التجارات ، ولا يلزمهم لها مؤونة ، حتى صار إلى غزّة ، فتوفي بها .

ولمّا هلك هاشم بن عبد مناف جزعت قريش ، وخافت أن تغلبها العرب ، فخرج عبد شمس إلى النجاشي ملك الحبشة ، فجدّد بينه وبينه

---

(١) جمّة : ضفيرة شعر .
(٢) نشز : مرتفع .
(٣) هبلتك أمك : ثكلتك أمك .
(٤) يلاحظ في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

العهد ، ثمّ انصرف ، فلم يلبث أن مات بمكّة ، ودفن بالحَجون[1] ، وخرج نوفل إلى العراق ، وأخذ عهداً من كسرى ، ثم أقبل ، فمات بموضع يقال له سَلْمان ، وقام بأمر مكّة المطّلب بن عبد مناف .

وكان لهاشم من الولد عبد المطلب ، والشفاء ، وأمّهما سلمى بنت عمرو بن زيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجّار، واسم النجّار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، ونضلة بن هاشم وأمه أميمة بنت عديّ بن عبد اللّه ، وأسد أبو فاطمة بنت أسد أمّ عليّ بن أبي طالب ، وأمّه قيلة بنت عامر بن مالك بن المطّلب ، وأبو صيفي انقرض نسله ، إلاّ من رقيقة بنت أبي صيفي ، وصيفي درج صغيراً ، وأمّهما هند بنت عمرو بن ثعلبة بن الخزرج ، وضعيفة ، وخالدة ، وأمّهما واقدة بنت أبي عديّ ، وحنّة بنت هاشم ، وأمّها أمّ عُدَيّ بنت حُبيّب بن الحارث الثقفيّة .

وكان هاشم لمّا أراد الخروج الى الشأم حمل امرأته سلمى بنت عمرو إلى المدينة لتكون عند أبيها وأهلها ، ومعه ابنه عبد المطلب ، فلمّا توفّي أقامت بالمدينة .

وكان المطلب بن عبد مناف قد قام بأمر مكّة بعد أخيه هاشم ، فلمّا كبر عبد المطلب بلغ المطلب مكانه ووصف له حاله ، ومرّ رجل من تهامة بالمدينة ، فإذا غلمان يتناضلون ، وإذا غلام فيهم إذا أصاب قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء ! فقال له الرجل : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف . فانصرف الرجل ، حتى قدم مكّة فوجد المطّلب بن عبد مناف جالساً في الحجر ، فقال : يا أبا الحارث ، علمتَ أني جئت من يثرب ، فوجدت غلماناً يتناضلون . وقص عليه ما رأى من عبد المطّلب قال : وإذا أظرف غلام ما رأيته قطّ . قال المطّلب : أغفلته ، أما واللّه لا أرجع إلى أهلي حتى آتيه ! فخرج المطّلب حتى أتى المدينة عشاء ، ثمّ خرج على راحلته حتى أتى بني عديّ بن النجّار ، فلمّا

---

(١) في هذا الجبل مدافن أهل مكة كما أوردنا سابقاً .

نظر إلى ابن أخيه قال: هذا ابن هاشم ؟ قال القوم : نعم ! وعرف القوم المطّلب ، قالوا : هذا ابن أخيك ، فإن أردت أخذه الساعة لا تعلم أمّه ، فإنّها إنْ علمت حلنا بينك وبينه . فأناخ راحلته ، ثمّ دعاه : يا بن أخي ! أنا عمّك وقد أردت الذهاب بك إلى قومك ، فاركبْ ! فما كذّب عبد المطّلب أنْ جلس على عجز الراحلة ، وجلس المطّلب على الرحل ، ثم بعثها ، فانطلقت ، فلمّا علمت أمّه علقت تدعو حَرَبَها[1] ، فأُخبرت أنّ عمّه ذهب به .

ودخل المطّلب مكّة ، وهو خلفه ، والناس في أسواقهم ومجالسهم ، فقاموا يرحّبون به ، ويحيّونه ، ويقولون : من هذا معك ؟ فيقول : عبدي ابتعته بيثرب ، ثمّ خرج حتى أتى الحَزْوَرَة[2] ، فابتاع له حلّة ، ثمّ أدخله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم ، فلمّا كان العشيّ ألبسه ، ثمّ جلس في مجلس بني عبد مناف ، وأخبرهم خبره ، وجعل بعد ذلك يخرج في تلك الحلّة ، فيطوف في سكك[3] مكة ، وكان أحسن الناس ، فتقول قريش : هذا عبد المطّلب ! فلجّ اسمه عبد المطلب، وتُرك شيبة .

ولمّا حضر رحيل المطلب إلى اليمن قال لعبد المطلب : أنت يا بن أخي أولى بموضع أبيك ، فقم بأمر مكّة . فقام مقام المطلب ، فتوفي المطلب في سفره ذلك بردْمان[4] ، فقام عبد المطّلب بأمر مكّة ، وشرف وساد ، وأطعم الطعام ، وسقى اللبن والعسل ، حتى علا اسمه ، وظهر

---

(١) حربها : هلاكها وويلها .

(٢) الحزورة : سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه ؛ وفي الحديث : وقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بالحزورة فقال : يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبَّك إليّ ولولا أنّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك .

[معجم البلدان ٢ ؛ ٢٥٥]

(٣) سكك : طرق .

(٤) ردمان : هو باليمن ، وفي الحديث ؛ أملوك ردمان أي مقاولها

[معجم البلدان ٣؛ ٤٠]

فضله ، وأقرّتْ له قريش بالشرف ، فلم يزل كذلك .

قال محمد بن الحسن : لمّا تكامل لعبد المطّلب مجده وأقرّت له قريش بالفضل ، رأى ، وهو نائم في الحجر ، آتياً أتاه ، فقال له : قُمْ يا أبا البطحاء ، واحفر زمزم حفيرة الشيخ الأعظم . فاستيقظ ، فقال : اللهم بيّن لي في المنام مرّة أخرى ، فرآه يقول : قم فاحفر بَرّة ! قال : وما برّة ؟ قال : مَضَنّة ضُنّ بها على العالمين ، وأعطيتها ؛ ثمّ رأى قائلاً يقول له : قم يا أبا الحارث ، فاحفر زمزم لا تُنْزَف ولا تذمّ ، تروي الحجّ الأعظم ؛ ثمّ رأى ثالثة : قم فاحفر ! قال : وما أحفر ؟ قال : احفر بين الفرث[1] والدم عند مبحث الغراب الأعصم وقرية النمل ، فإذا أبصرت الماء ، فقل : «هلمّ إلى الماء الرَّوا ، أُعطيته على رغم العدا» . فلمّا استيقن عبد المطّلب أنّه قد صدق جلس عند البيت مفكراً في أمره ، وذبحت بقرة بالحَزْوَرَة ، فأفلتت ، وأقبلت تسعى ، حتى طرحت نفسها موضع زمزم ، فسلخت هناك ، وقسم لحمها ، وبقي الفرث والدم ، فقال عبد المطّلب : اللّه أكبر ! ثمّ سعى لينظر ، فإذا قرية نمل مجتمع في الأرض ، فانطلق ، فأتى بمعول ، وابنه الحارث وحيده ، فاجتمعت إليه قريش فقالوا : ما هذه ؟ قال :أمرني ربّي أن أحفر ما يروي الحجيج الأعظم ! فقالوا له : أمر ربّك بالجهل ، لِمَ لا تحفر في مسجدنا ؟ قال : بذلك أمرني ربّي . فلم يحفر إلاّ قليلاً ، حتى بدا الطيّ[2] ، فكبّر ، واجتمعت قريش ، فعلمت لمّا رأت الطيّ أنّه قد صدق ، وليس له من الولد يومئذ إلاّ الحارث ، فلمّا رأى وحدته قال : اللهمّ ! إنّ لك عليّ نذراً ، إن وهبت لي عشرة ذكوراً ، أن أنحر لك أحدهم . وحفر حتى وجد سيوفاً ، وسلاحاً ، وغزالاً من ذهب مقرّطاً ، مجزّعاً ، ذهباً وفضّة ، فلمّا رأت قريش ذلك قالوا : يا أبا الحارث. . . . .[3] من فوق الأرض ومن تحتها ، فأعطنا هذا

---

(١) الفرث : السرجين ما دام في الكرش .

(٢) الطيّ : الوحل الممزوج بالماء .

(٣) بياض في الأصل .

المال الذي أعطاك اللّه ، فإنّها بئر أبينا إسماعيل ، فأشركنا معك ! فقال : إني لم أؤمر بالمال إنّما أُمرت بالماء ، فأمهلوني ! فلم يزل يحفر حتى بدا الماء ، فكثر ، ثمّ قال : بحّرها لا تنزف ، وبنى عليها حوضاً وملأه ماء ، ونادى :«هلمّ إلى الماء الرَّوا ، أعطيته على رغم العدا» . وكانت قريش تفسد ذلك الحوض وتكسره ، فرأى في المنام أنْ قمْ ، فقل : اللهمّ ! إني لا أحلّه لمغتسل، ولكن لشارب حلّ ، فقام عبد المطّلب ، فقال ذلك ، فلم يكن يفسد ذلك الحوض أحد إلاّ رُمي بداء من ساعته ، فتركوه .

ولمّا استقام له الماء دعا ستّة قداح . فجعل للّه قدحين أسودين ، وجعل للكعبة قدحين أبيضين ، وجعل لقريش قدحين أحمرين ، ثمّ أخذها بيده ، واستقبل الكعبة ، ثمّ أفاض ، وهو يقول :

يا رَبّ أنتَ الفَرْدُ الصّمَدْ ، إنْ شئتَ ألْهَمْتَ الصّوابَ والرَّشَدْ
وَزِدْتَ في المالِ ، وأكثرْتَ الوَلَدْ ، إنّيَ مولاكَ على رَغْمِ مَعَدّ

ثمّ ضرب فخرج الأسودان للّه ، فقال قال ربّكم : هو مالي ، ثمّ أفاض ، وهو يقول :

لَهُمّ أنتَ المَلِكُ المَحمودُ ، وأنتَ رَبّي المُبْدئُ المُعِيدُ
من عندك الطارفُ والتليدُ[1] ، إنْ شِئْتَ ألْهَمتَ بما تُريدُ

فخرج الأبيضان للكعبة ، فقال : أخبرني ربّي أن المال كلّه له ، فحلّى به الكعبة ، وجعله صفائح على باب الكعبة ، وكان أوّل من حلّى الكعبة .

ولمّا رأت قريش ما أعطيه نفست ذلك عليه ، فقالت : إنّا لشركاء معك لأنها بئر أبينا إسماعيل ، فقال : هذا شيءٌ خُصصت به دونكم ،

---

(١) الطارف : المال الجديد وكل ما يمتلكه المرءبجهده وعمله ، والتليد :المال الموروث وما شابه .

فنافروه[1] إلى كاهنة بني سعد ، فقضت له عليهم .

وروى بعضهم أن ماء عبد المطّلب نفد في الطريق ومياه القوم ، فخافوا الهلكة ، فقال عبد المطلب : ليحفر كل رجل منّا لنفسه حفيراً ، ثمّ ليقعد فيه ، حتى يأتيه الموت ، ففعلوا ، ثمّ قال : إنّ إلْقاءنا بأيدينا لعجز ، فلو ركبنا وطلبنا الماء ! فلمّا استوى على راحلته انفجرت تحت صدرها عين ماء ، فقال : ردوا الماء ! فقالوا : لقد قضى لك اللّه علينا ، ولا حاجة في أن نناوئك ، فانصرفوا .

ولمّا رأت قريش أن عبد المطّلب قد حاز الفخر طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزّوا ، وكان أوّل من طلب ذلك بنو عبد الدار لمّا رأت حال عبد المطّلب ، فمشت بنو عبد الدار إلى بني سهم ، فقالوا : امنعونا من بني عبد مناف ! فلمّا رأى ذلك بنو عبد مناف اجتمعوا ، خلا بني عبد شمس ، فإنّ الزبيريّ قال : لم يكن ولد عبد شمس في حلف المطيّبين ، ولا ولد عبد مناف ، وإنّما كان فيهم هاشم ، وبنو المطّلب ، وبنو نوفل ، وقال آخرون : كانت بنو عبد شمس معهم ، فأخرجت لهم أمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطّلب طيباً في جفنة[2] ، ثمّ وضعتها في الحجر ، فتطيّب بنو عبد مناف ، وأسد ، وزهرة ، وبنو تيم ، وبنو الحارث بن فهر ، فسمّوا حلف المطيّبين ، فلمّا سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة ، وقالوا : من أدخل يده في دمها ولعق منه ، فهو منّا ! فأدخلت أيديها بنو سهم ، وبنو عبد الدار ، وبنو جُمَح ، وبنو عديّ ، وبنو مخزوم ، فسمّوا اللَّعَقَة ، وكان تحالف المطيّبين ألاّ يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً ، وقالت اللعقة : قد أعتدنا لكلّ قبيلة قبيلة .

وكان عبد المطّلب لمّا حفر زمزم صار إلى الطائف فاحتفر بها بئراً يقال لها ذو الهَرَم ، فكان يأتي أحياناً ، فيقيم بذلك الماء ، فأتى مرّة ،

---

(١) نافروه : خاصموه واشتكوا أمره .

(٢) الجفنة : القصعة الكبيرة .

فوجد به حيّين من قيس عيلان ، وهم بنو كلاب ، وبنو الرباب ، فقال عبد المطلب : الماء مائي ، وأنا أحقّ به ، وقال القيسيّون : الماء ماؤنا ، ونحن أحقّ به ، قال : فإني أنافركم إلى من شئتم يحكم بيني وبينكم ، فنافروه إلى سطيح الغسّانيّ ، وكان كاهن العرب يتنافرون إليه ، فتعاهد القوم وتعاقدوا على أن سطيحاً إن قضى بالماء لعبد المطّلب ، فعلى كلاب وبني الرباب مائة من الإبل لعبد المطّلب ، وعشرون لسطيح ، وإن قضى سطيح بالماء للحيّين ، فعلى عبد المطّلب مائة من الإبل للقوم ، وعشرون لسطيح ، فانطلقوا ، وانطلق عبد المطلب بعشرة نفر من قريش ، فيهم حرب بن أميّة ، فجعل عبد المطلب لا ينزل منزلاً إلّا نحر جزوراً وأطعم الناس ، فقال القيسيّون : إنّ هذا الرجل عظيم الشأن ، جليل القدر ، شريف الفعل ، وإنّا نخشى أن يطمع حاكمنا بهذا ، فيقضي له بالماء ، فانظروا لا نرضى بقول سطيح حتى نخبّىء له خَبْأً ، فإن أخبرنا ما هو رضينا بحكمه ، وإلّا لم نرضَ به .

فبينا عبد المطّلب في بعض الطريق إذ فني ماؤه وماء أصحابه ، فاستسقى القيسيّين من فضل مائهم ، فأبوا أن يسقوهم ، وقالوا : أنتم الذين تخاصموننا وتنازعوننا في مائنا ، والله لا نسقيكم ! فقال عبد المطلب : أيهلك عشرة من قريش ، وأنا حيّ ؟ لأطلبنَّ لهم الماء ، حتى ينقطع خَيْط عنقي . وأبْلي عُذْراً ؛ فركب راحلته ، وأخذ الفلاة ، فبينا هو فيها ، إذ بركت راحلته وبصر به القوم ، فقالوا : هلك عبد المطّلب فقال القرشيّون : كلّا والله لهو أكرم على الله من أن يهلكه ، وإنّما مضى لصلة الرحم ، فانتهوا إليه ، وراحلته تفحص[1] بكركرتها[2] على ماء عذب ، رِوى ، قد ساح على ظهر الأرض ، فلمّا رأى القيسيّون ذلك أهرقوا أسقيتهم ، وأقبلوا نحوهم ليأخذوا من الماء ، فقال القرشيّون : كلّا والله ،

(١) تفحص : تبحث .

(٢) الكَركرة : الصدر عند البهائم . جمعها كراكر .

ألستم الذين منعتمونا فضل مائكم؟ فقال عبد المطّلب : خلّوا القوم ، فإنّ الماء لا يمنع ! فقال القيسيّون : هذا رجل شريف سيّد ، وقد خشينا أن يُقْضَى له علينا ؛ فلمّا وصلوا إلى سطيح قالوا : إنّا قد خبأنا لك خَبْأً ، وأخذ إنسان منهم تمرة في يده فقال : فأخبرنا ما هو؟ فقال : خبأتم لي ما طال، فسمك، ثمّ أينع، فما هلك، ألْقِ التمرة من يدك! فقالوا: قاتله الله! أخبئوا له خبْأً هو أخفى منه. فأخذ إنسان جرادة، فقالوا له: إنّا قد خبأنا لك خبْأً ، فأخبرنا ما هو؟ قال : خبأتم لي ما رجله كالمنشار ، وعينه كالدينار ، قالوا : إي . قال : ما طار ، فسطَعْ ، ثمّ قبض ، فوقَعْ ، فتركُ الصيد أنفَعْ . قالوا ما له ، قاتله اللّه ؟ أخبئوا له خبْأً هو أخفى من هذا ! فأخذوا رأس جرادة ، فجعلوه في خرز مزادة[1] ، ثمّ علقوه في عنق كلب لهم يقال له سوار ، ثمّ ضربوه حتى ذهب ، ثمّ رجع على الطريق ، فقالوا : قد خبأنا لك خبْأً ، فأخبرنا ما هو؟ قال : خبأتم لي رأس جرادة في خرز مزادَهْ ، بين عنق سوار والقلادَهْ . قالوا : اقضِ بيننا ! قال : قد قضيت . اختصمتم أنتم وعبد المطّلب في ماء بالطائف يقال له ذو الهَرَم ، فالماء ماء عبد المطّلب ، ولا حق لكم فيه، فأدّوا إلى عبد المطّلب مائة من الإبل ، وإلى سطيح عشرين ، ففعلوا .

وانطلق عبد المطّلب ينحر ويطعم ، حتى دخل مكّة ، فنادى مناديه : يا معشر أهل مكّة ! إن عبد المطّلب يسألكم بالرّحِم[2] ، لمّا قام كلّ رجل منكم حدّثته نفسه أن يغنيني عن هذا الغرم[3] ، فأخذ مثل ما حدّثته نفسه . فقاموا ، وأخذوا من بعير واثنين وثلاثة على قدر ما حدّثت كلّ امرىء منهم نفسه ، وفضلت بعد ذلك جزائر[4] ، فقال عبد المطّلب لابنه أبي طالب : أي بنيّ ! قد أطعمت الناس ، فانطلق بهذه الجزائر ، فانحرها على أبي

---

(١) المزادة : ما يوضع فيه الـزاد .

(٢) الرحم : القرابة .

(٣) الغرم : الخسارة .

(٤) الجزائر : جمع جزور وقد تقدم شرحها .

قُبَيْس ، حتى يأكلها الطير والسباع ، ففعل أبو طالب ذلك ، فأصابها الطير والسباع . قال أبو طالب :

ونطعم حتى يأكل الطير فَضْلَنا ، إذا جَعَلَتْ أيدي المُفِيضينَ تَرْعد

قال أبو إسحاق وغيره من أهل العلم : تزوج عبد المطلب النساء ، فولد له الأولاد ، ولمّا كمل عشرة رهط قال : اللهمّ إني قد كنت نذرت لك نحر أحدهم ، وإني أقرع[1] بينهم ، فأصِبْ بذلك من شئت . فأقرع فصارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب ولده إليه ، وكان ولده العشرة الحارث ، وبه يكنى ، وقثم وأمّهما صَفيّة بنت جُنْدُب من ولد عامر بن صعصعة ، والزبير ، وأبو طالب ، وعبد اللّه ، والمقوَّم ، وهو عبد الكعبة ، وأمّ الأربعة فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحمزة وأمه هالة بنت أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة ، والعبّاس ، وضرار وأمّهما نُتَيْلة بنت جنّاب بن كليب بن النمر بن قاسط ، وأبو لهب ، وهو عبد العزّى ، وأمّه لُبْنى بنتُ هاجر بن عبد مناف بن ضاطر الخزاعيّ ، والغَيْداق ، وهو جحل ، وأمّه ممنّعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعيّ ، وكانت بناته ستّاً : أمّ حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وبرّة ، وأرْوا ، وأُميمة وأمّهنّ جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وصَفيّة وأمها هالة بنت أُهيب ، فانطلق عبد المطلب بعبد اللّه ليذبحه ، وأخذ الشفرة ، واتّبعه ابنه الحارث ، فلمّا سمعت ذلك قريش لحقته ، وقالت : يا أبا الحارث ! إنك إن فعلت ذلك صارت سنّة في قومك ، ولم يزل الرجل يأتي بولده إلى ههنا ليذبحه ، فقال : إني عاهدت ربّي ، وإني موفٍ له بما عاهدته . فقال له بعضهم : افدِه ! فقام ، وهو يقول :

عاهَدتُ رَبّي ، وأنا موفٍ عَهْدَهُ ، أخافُ رَبّي إنْ تَرَكْتُ وَعْدَهُ
واللّهُ لا يُحْمَدُ شيءٌ حَمْدَهُ

---

(١) أقرع : أراهن وأختار بالقرعة .

ثمّ أحضر مائة من الإبل ، فضرب بالقداح[1] عليها ، وعلى عبد اللّه ، فخرجت على الإبل ، فكبّر الناس ، وقالوا : قد رضي ربّك ! فقال عبد المطّلب :

لَهُمّ ربّ البَلَدِ المُحَرَّمِ ، الطّيّبِ ، المبارَكِ ، المعظَّمِ
أنتَ الذي أعَنْتَني في زَمْزَمِ

ثم قال: إني معيد القداح ، فأعادها، فخرجت على الإبل ، فقال :

لَهُمّ قد أعْطَيْتَني سؤالي ، أكْثَرْتَ بعد قلّةٍ عيالي
فاجْعَلْ فِداهُ اليَوْمَ جُلّ مالي

ثمّ ضرب بالقداح ثالثةً ، فخرجت على الإبل ، فنحرها ، ونادى مناديه : ألا فخذوا لحمها ! وانصرف عنها ، ووثب الناس يأخذونها ، فلذلك يقول مرّة بن خلف الفهميّ :

كما قُسِّمَتْ نَهْباً دِياتُ ابنِ هاشمٍ ببَطحاءِ بَسْلٍ حَيثُ يعتصبُ البَرك[2]

وصارت الدية من الإبل على ما سنّ عبد المطلب .

ولمّا قدم أبرهة ملك الحبشة صاحب الفيل[3] مكّة ليهدم الكعبة تهاربت قريش في رؤوس الجبال ، فقال عبد المطلب : لو اجتمعنا ، فدفعنا هذا الجيش عن بيت اللّه ؟ فقالت قريش : لا بدّ لنا به ! فأقام عبد المطّلب في الحرم ، وقال : لا أبرح من حرم اللّه ، ولا أعوذ بغير الله ؛ فأخذ أصحاب ابرهة إبلاً لعبد المطّلب ، وصار عبد المطّلب إلى أبرهة ،

---

(١) القداح : وهي الأزلام عند العرب ، والعرب تستقسم بها في كل أمورها ، ولا يكون لها سفر ولا مقام ، ولا نكاح ، ولا معرفة حال إلاّ إذا رجعت إلى القداح ، وكانت القداح سبعة : فواحد عليه : الله عزّ وجلّ ؛ والآخر : لكم ؛ والآخر : عليكم ؛ والآخر : نعم ؛ والآخر : منكم ؛ والآخر : من غيركم ؛ والآخر ؛ الوعد .

(٢) البرك : جماعة الإبل الباركة .

(٣) سمي صاحب الفيل لأنه أول من استخدم الفيلة في القتال مع الفرس سنة ٥٧٠ م . وتسمى سنة هذه الحرب «عام الفيل» ومنها يؤرخون مولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فلمّا استأذن عليه قيل له : قد أتاك سيّد العرب ، وعظيم قريش ، وشريف الناس ، فلمّا دخل عليه أعظمه ابرهة ، وجلّ في قلبه لما رأى من جماله ، وكماله ، ونبله ، فقال لترجمانه : قل له : سل ما بدا لك ! فقال : إبلاً لي أخذها أصحابك ، فقال : لقد رأيتك ، فأجللتك ، وأعظمتك ، وقد تراني حيث نهدم مكرمتك وشرفك ، فلم تسألني الانصراف ، وتكلّمني في إبلك ؟ فقال عبد المطّلب: أنا ربّ هذه الإبل ، ولهذا البيت الذي زعمت أنّك تريد هدمه ربّ يمنعك منه . فردّ الإبل ، وداخله ذعر لكلام عبد المطّلب ، فلمّا انصرف جمع ولده ومن معه ، ثمّ جاء إلى باب الكعبة ، فتعلق به وقال :

لَهُمّ ! إنْ تَعْفُ فإنّهم عيالك . . . . . . (1)إلاّ فشيءٌ ما بدا لك

ثمّ انصرف وهو يقول :

لَهُمّ ! إنّ المرءَ يمنع رحلَه فامنعْ حلالك
لا يغلبنّ صليبُهم ومحالُهم عَدْواً محالك
ولئن فعلت ، فإنّهُ أمرٌ تتمّ به فعالك

وأقام بموضعه ، فلمّا كان من غد بعث ابنه عبد اللّه ليأتيه بالخبر ، ودنا ، وقد اجتمعت إليه من قريش جماعة ليقاتلوا معه إن أمكنهم ذلك ، فأتَى عبد اللّه على فرس شقراء يركض ، وقد جرّدت ركبته ، فقال عبد المطّلب : قد جاءكم عبد اللّه بشيراً ونذيراً ، واللّه ما رأيت ركبته قطّ قبل اليوم ، فأخبرهم ما صنع اللّه بأصحاب الفيل(2) ، وقال عبد المطلب لمّا كان من أصحاب الفيل ما كان :

أيّها الدّاعي لقد أسْمَعْتَني ، ثُمّ نادِ ، عن نداكم ، من صَمَمْ

---

(1) يلاحظ اختلال في وزن البيت الشعري مع سقط في الكلام .
(2) قال الله تعالى : ﴿ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ .
[سورة الفيل الآية : 1]

هـل يَـدُ الـلّهِ أمَـرّ ، أمْ لَـهُ ... سُنّـةٌ في القَـوْمِ لَيْسَتْ في الأمَمْ
قُلْتُ ، وَالأشْـرَمُ تَـرْدي خَيْلُه : ... إنّ ذا الأشـرم غـرّ بـالـحَـرَمْ
إنّ لـلبَيْـتِ لَـرَبّـاً مَـانـعـاً ، ... مَـنْ يُـرِدْهُ بـأثـام يُصْـطَلَمْ[1]
رامه تُبّـعُ[2] ، فيمـا قـد مَضى ، ... وكـذا حِمْيَـرُ[3] ، والحيُّ قُـدَمْ
فَـانْـثَنى عنـهُ ، وفـي أوْداجـه ... حـارِجٌ أمْسَـكَ منـه بـالكَـظَمْ[4]
هَلَكَتْ بـالبَغْيِ فيـه جُـرْهُـمُ ، ... بَعْدَ طَسْمٍ ، وجَدِيسٍ ، وجممْ[5]
وكـذا الأمـر بـمن كـادَهْ بِـحَـرْ ... بِ ، فـأمْـرُ اللّهِ بـالأمْـرِ اللممْ
نـعـرفُ اللّه ، وفـينـا سُنّـةٌ ، ... صِلَةُ الـرّحْمِ ، وإيفـاءُ الـذّمَمْ
لَـمْ يَـزَلْ لـلّهِ فينـا حُـجّـةٌ ، ... يَـدْفَـعُ الـلّهُ بهـا عنّـا الـنّقَمْ
نَـحْنُ أهْـلُ الـلّهِ فـي بَـلْدَتِـهِ ، ... لَمْ يَـزَلْ ذاكَ على عهـدِ ابْـرَهَمْ[6]

أديان العرب

وكانت أديان العرب مختلفة بالمجاورات لأهـل الملل ، والانتقال إلى البلدان ، والانتجاعات[7] ، فكـانت قريش ، وعـامّة ولـد معدّ بن عـدنان ، على بعض دين إبـراهيم ، يحجّون البيت ، ويقيمـون المناسـك ، ويقـرون الضيـف ، ويعظّمون الأشهر الحرم ، وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ، ويعاقبون على الجرائم ، فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت .

وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معدّ : ثعلبة بن إياد بن نزار بـن معدّ ، فلمّا خرجت إياد وليت خزاعة حجابة البيت ، فغيّروا ما كان

(١) يصطلم : يستأصل ويقضى عليه .
(٢) تبع : ملك اليمن .
(٣) حمير : من تبابعة اليمن .
(٤) الكظم : الغيظ .
(٥) جميع هذه القبائل هي من القبائل البائدة .
(٦) يريد إبراهيم الخليل .
(٧) الانتجاع : طلب المعروف .

عليه الأمر في المناسك ، حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ، ومن جمع بعد أن تطلع الشمس .

وخرج عمرو بن لُحَيّ ، واسم لحيّ ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ، إلى أرض الشأم ، وبها قوم من العمالقة[1] يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأوثان التي أراكم تعبدون ؟ قالوا : هذه أصنام نعبدها ، نستنصرها ، فننصر ، ونستسقي بها ، فنسقى ، فقال : ألا تعطونني منها صنماً ، فأسير به إلى أرض العرب ، عند بيت اللّه الذي تفد إليه العرب ؟ فأعطوه صنماً يقال له هُبَل ، فقدم به مكّة ، فوضعه عند الكعبة ، فكان أوّل صنم وضع بمكّة ، ثمّ وضعوا به إساف ونائلة كلّ واحد منهما على ركن من أركان البيت ، فكان الطائف ، إذا طاف ، بدأ بإساف ، فقبّله ، وختم به ، ونصبوا على الصفا[2] صنماً يقال له مجاور الريح ، وعلى المروة[3] صنماً يقال له مطعم الطير ، فكانت العرب إذا حجّت البيت ، فرأت تلك الأصنام ، سألت قريشاً وخزاعة ، فيقولون : نعبدها لتقربنا إلى اللّه زُلْفَى[4] ، فلمّا رأت العرب ذلك اتّخذت أصناماً ، فجعلت كلّ قبيلة لها صنماً يصلّون له تقرّباً إلى اللّه[5] ، فيما يقولون ، فكان لكلب بن وبرة

---

(١) العمالقة : شعب قطن جنوبي فلسطين .

(٢) الصفا : جبل بمكة .

(٣) المروة : جبل بمكة .

(٤) زلفى : تقرباً . قال الله تعالى : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ . [سورة الزمر الآية : ٣]

(٥) يروي المسعودي في مروج الذهب ٢ ص . ٢٣٨ : «نشأ عمرو بن لحي فساد قومه بمكة واستولى على أمر البيت ، ثم سار إلى مدينة البلقاء من عمل دمشق من أرض الشام ، فرأى قوماً يعبدون الأصنام ، فسألهم عنها ، فقالوا : هذه أرباب نتخذها : نستنصر بها فننصر ،ونستسقي بها فنسقى ، وكل ما نسألهم نُعطى ، فطلب منهم صنماً يدعونه هُبَل ، فسار به الى مكة ، ونصبه على الكعبة ومعه إساف ونائلة ودعا الناس إلى تعظيمها وعبادتها ، ففعلوا ذلك إلى أن أظهر الله الإسلام وبعث محمداً عليه الصلاة والسلام ؛ فطهر البلاد وأنقذ العباد» .

وأحياء قضاعة وُدّ منصوباً بدومة الجندل ، بجُرش ، وكان لحمير وهمدان نسر منصوباً بصنعاء ، وكان لكنانة سُواع ، وكان لغطفان العُزّى ، وكان لهند وبجيلة وخثعم ذو الخَلَصة ، وكان لطيّء الفُلْس منصوباً بالجِبْس ، وكان لربيعة وإياد ذو الكعبات بسِنْداد ، من أرض العراق ، وكان لثقيف اللات منصوباً بالطائف ، وكان للأوس والخزرج مناة منصوباً بفَدَك ، ممّا يلي ساحل البحر ، وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفّين ، ولبني بكر بن كنانة صنم يقال له سعد ، وكان لقوم من عُذْرة صنم يقال له شمس ، وكان للأزد صنم يقال له رئام ، فكانت العرب ، إذا أرادت حجّ البيت الحرام ، وقفت كلّ قبيلة عند صنمها ، وصلّوا عنده ، ثمّ تلبّوا حتى تقدّموا مكّة ، فكانت تلبياتهم مختلفة .

وكانت تلبية قريش : لبّيك ، اللّهم ، لبّيك ، لبّيك لا شريك لك ، تملكه ، وما ملك .

وكانت تلبية كنانة : لبّيك اللهمّ لبّيك ! اليوم يوم التعريف ، يوم الدعاء والوقوف .

وكانت تلبية بني أسد : لبّيك اللهمّ لبّيك ! يا ربّ أقبلت بنو أسد أهل التواني والوفاء والجلد إليك .

وكانت تلبية بني تميم : لبّيك اللهمّ لبّيك ! لبّيك لبّيك عن تميم قد تراها قد أخلقت أثوابها وأثواب من وراءها ، وأخلصت لربّها دعاءها .

وكانت تلبية قيس عيلان : لبّيك اللهمّ لبّيك ! لبّيك أنت الرحمن ، أتتك قيس عيلان راجلها والركبان .

وكانت تلبية ثقيف : لبّيك اللهمّ ! إنّ ثقيفاً قد أتوك وأخلفوا المال وقد رجوك .

وكانت تلبية هذيل : لبّيك عن هذيل قد أدلجوا بليل في إبل وخيل .

وكانت تلبية ربيعة : لبّيك ربّنا لبّيك لبّيك ! إنّ قصدنا إليك ؛

وبعضهم يقول : لبّيك عن ربيعة ، سامعة لربّها مطيعة .

وكانت حمير وهمدان يقولون : لبّيك عن حمير وهمدان ، والحليفين من حاشدٍ وألْهَان .

وكانت تلبية الأزد : لبّيك ربّ الأرباب ! تعلم فَصْل الخطاب ، لملك كلّ مثاب .

وكانت تلبية مذحج : لبّيك ربّ الشعرى ، ورب اللات والعزّى .

وكانت تلبية كندة وحضرموت : لبّيك لا شريك لك ! تملكه ، أو تهلكه ، أنت حكيم فاتركه .

وكانت تلبية غسّان : لبّيك ربّ غسّان راجلها والفرسان .

وكانت تلبية بجيلة : لبّيك عن بجيلة في بارق ومخيلة .

وكانت تلبية قضاعة : لبّيك عن قضاعة ، لربّها دفّاعة ، سمعاً له وطاعة .

وكانت تلبية جذام : لبّيك عن جذام ذي النهى والأحلام .

وكانت تلبية عكّ والأشعريّين : نحجّ للرحمن بيتاً عجبا ، مستتراً ، مضبّباً ، محجّبا .

وكانت العرب في أديانهم على صنفين : الحُمْس والحِلّة ، فأمّا الحمس ، فقريش كلّها ، وأمّا الحِلّة ، فخزاعة لنزولها مكّة ومجاورتها قريشاً ، وكانوا يشدّدون على أنفسهم في دينهم ، فإذا نسكوا[1] لم يسلأوا[2] سمناً ، ولم يدّخروا لبناً ، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها ، حتى يعافه ، ولم يحزّوا شَعراً ، ولا ظفراً ، ولم يدّهنوا ، ولم يمسّوا النساء ولا الطيب ، ولم يأكلوا لحماً ، ولم يلبسوا في حجّهم وبراً ولا صوفاً ولا

(١) نسكوا : تزهّدوا وتعبدوا وتقشفوا .

(٢) سلأ السمن : صفّاه .

شعراً ، ويلبسون جديداً ، ويطوفون بالبيت في نعالهم لا يطأون أرض المسجد تعظيماً له ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ولا يخرجون إلى عرفات ، ويلزمون مزدلفة[1] ، ويسكنون في حال نسكهم قباب الأدم[2] .

وكان الحلّة ، وهي تميم ، وضبّة ، ومزينة ، والرّباب ، وعُكْل ، وثور ، وقيس عيلان ، كلّها ، ما خلا عدوان وثقيفاً ، وعامر بن صعصعة ، وربيعة بن نزار كلّها ، وقضاعة ، وحضرموت ، وعكّ ، وقبائل من الأزد لا يحرمون الصيد في النسك ، ويلبسون كلّ الثياب ، ويسلأون السمن ، ولا يدخلون من باب بيت ولا دار ، ولا يؤويهم ما داموا محرمين ، وكانوا يدّهنون ويتطيبون ، ويأكلون اللحم ، فإذا دخلوا مكّة ، بعد فراغهم ، نزعوا ثيابهم التي كانت عليهم ، فإن قدروا على أن يلبسوا ثياب الحمس كراءً أو عارية فعلوا وإلّا طافوا بالبيت عُراة ، وكانوا لا يشترون في حجّهم ، ولا يبيعون ، فهاتان الشريعتان اللتان كانت العرب عليهما .

ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود ، وفارقوا هذا الدين ، ودخل آخرون في النصرانيّة ، وتزندق[3] منهم قوم ، فقالوا بالثنويّة[4] ؛ فأما من تهوّد منهم ، فاليمن بأسرها ؛ كان تبّع حمل حبرين من أحبار اليهود إلى اليمن ، فأبطل الأوثان ، وتهوّد مَن باليمن ، وتهوّد قوم من الأوس والخزرج ، بعد خروجهم من اليمن ، لمجاورتهم يهود خيبر ، وقريظة ، والنضير ، وتهوّد قوم من بني الحارث بن كعب ، وقوم من غسّان ، وقوم من جذام .

---

(١) المزدلفة : موضع في الحجاز يقع بين منى وعرفات ، يبيت فيه الحجاج ليلتهم من التاسع الى العاشر من ذي الحجّة .

(٢) الأدم : الجلد .

(٣) تزندق : اعتنق الزندقة واتّصف بها . والزندقة هي الكفر باطناً مع التظاهر بالإيمان .

(٤) الثنوية : مذهب ماني وأتباعه ، يقولون بوجود مبدأين أساسيين متضادين لا ينفكان في عراك أبدي : مبدأ النور والخير ومبدأ الظلمة والشر .

وأما من تنصّر من أحياء العرب ، فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العُزّى ، منهم : عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزّى ، وورقة بن نوفل بن أسد ، ومن بني تميم بنو امرىء القيس بن زيد مناة ، ومن ربيعة بنو تغلب ، ومن اليمن طيّء ، ومذحج ، وبَهْراء ، وسَليح ، وتنوخ ، وغسّان ، ولخم ، وتزندق حُجر بن عمرو الكنديّ .

حكام العرب

وكان للعرب حكّام ترجع إليها في أمورها ، وتتحاكم في منافراتها ، ومواريثها ، ومياهها ، ودمائها ، لأنّه لم يكن دين يرجع إلى شرائعه ، فكانوا يحكّمون أهل الشرف ، والصدق ، والأمانة ، والرئاسة ، والسنّ ، والمجد ، والتجربة .

وكان أول من استقضي إليه[1] ، فحكم : الأفعى بن الأفعى الجرهميّ ، وهو الذي حكم بين بني نزار في ميراثهم ، ثم سليمان بن نوفل ، ثم معاوية بن عروة ، ثم سخر بن يعمر بن نُفاثة بن عديّ بن الدّئل ، ثم الشدّاخ ، وهو يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وسويد بن ربيعة بن حُذار بن مرّة بن الحارث بن سعد ، ومخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أُسَيّد بن عمرو بن تميم ، وكان يجلس على سرير من خشب ، فسمّي ذا الأعواد ، وأكثم بن صيفي بن رَباح بن الحارث بن مخاشن ، وعامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عَدوان بن عمرو بن قيس ، وهَرِم بن قُطْبة بن سيّار الفزاريّ ، وغيلان بن سَلِمَة بن مُعتّب الثقفيّ ، وسِنان بن أبي حارثة المرّيّ ، والحارث بن عُباد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر الضّحيان بن الضحّاك بن النمر بن قاسط ، والجعد بن صبرة الشيباني ، ووكيع بن

(١) استقضي إليه : طُلب إليه القضاء .

سلمة بن زهير الايادِيّ ، وهو صاحب الصّرح بالحزْوَرَة ، وقُسّ[1] بن ساعدة الايادِيّ ، وحنظلة بن نَهْد القضاعِيّ ، وعمرو بن حُمَمَة الدَّوسِيّ .

وكـان في قـريش حكّـام منهم : عبـد المـطّلب ، وحـرب بن أميّـة ، والـزبيـر بن عبـد المـطّلب ، وعبـد اللّه بن جـدعـان ، والـوليـد بن المغيـرة المخزوميّ .

ازلام[2] العرب

وكانت العرب تستقسم[3] بالأزلام في كلّ أمورها ، وهي القداح ، ولا يكـون لها سفـر ولا مقام ، ولا نكـاح ، ولا معـرفـة حـال ، إلاّ رجعت إلى القـداح ، وكانت القـداح سبعة : فـواحد عليـه : اللّه عزّ وجـلّ ، والآخر : لكم ، والآخـر : عليكم ، والآخر : نعم ، والآخـر : منكم ، والآخـر : من غيـركم ، والآخر : الـوعـد ؛ فكـانـوا إذا أرادوا أمراً رجعـوا إلى القـداح ، فضربوا بها ، ثم عملوا بما يخـرج من القداح لا يتعـدّونه ، ولا يجـوزونه ، وكان لهم أمناء على القداح لا يثقون بغيرهم .

وكانت العرب ، إذا كان الشتاء ونـالهم القحط ، وقلّت ألبان الإبـل ، استعملوا الميسر ، وهي الأزلام ، وتقامـروا[4] عليها ، وضـربوا بـالقـداح ، وكانت قداح الميسر عشرة : سبعة منها لها أنصب ، وثلاثـة لا أنصب لها ، فالسبعة التي لها أنصب يقال لأوّلها الفذّ ، وله جزء ، والتوأم ، وله جزآن ، والرقيب ، وله ثلاثة أجـزاء ، والحلس ، وله أربعـة أجزاء ، والنـافس ، وله

---

(١) قس بن سـاعدة : خـطيب جاهلي يضـرب به المثـل في البلاغـة والحكمة والمـوعظة الحسنة . كان يؤمن بالتوحيد ويدعو العرب إليـه . قيل إنـه أول من خطب واتكـأ على سيف أو عصا في خطابه .

[الأعلام ٥ للزركلي]

(٢) يريد القداح وقد أسهبنا في شرحها وتسميتها فيما مضى من هذا الكتاب .

(٣) تستقسم بها : تستحلفها ، وهنا تلجأ إليها .

(٤) تقامروا : راهنوا .

خمسة أجزاء ، والمسبل ، وله ستّة أجزاء ، والمعلّى ، وله سبعة أجزاء ، والثلاثة التي لا أنصب لها أغفال ليس عليها اسم يقال لها : المنيح ، والسفيح ، والوغد .

وكانت الجزور تشترى بما بلغت ، ولا ينقد الثمن ، ثم يدعى الجزّار ، فيقسمها عشرة أجزاء ، فإذا قسمت أجزاؤها على السواء أخذ الجزّار أجزاءَه ، وهي الرأس والأرجل ، وأحضرت القداح العشرة ، واجتمع فتيان الحيّ ، فأخذ كلّ فرقة على قدر حالهم ويسارهم ، وقدر احتمالهم ، فيأخذ الأول الفذّ ، وهو الذي فيه نصيب واحد من العشرة أجزاء ، فإذا خرج له جزء واحد أخذ من الجزور جزءاً ، وإن لم يكن يخرج له غرم ثمن جزء من الجزور ، ويأخذ الثاني التوأم ، وله نصيبان من أجزاء الجزور ، فإن خرج أخذ جزئين من الجزور ، وإن لم يخرج غُرم ثمن الجزئين .

وكذلك سائر القداح على ما سمّينا منها ، فما خرج أخذ صاحبه ما فيه ، وما لم يخرج غرم ما فيه من الأجزاء ، فإذا عرف كلّ رجل منهم قدحه دفعوا القداح إلى رجل أخسّ لا ينظر إليها ، معروف أنّه لم يأكل لحماً قطّ بثمن ، ويسمّى الحُرْضَة[1] ، ثم يؤتى بالمجول ، وهو ثوب شديد البياض ، فيجعل على يده ، ويعمد إلى السلفة وهي قطعة من جراب ، فيعصب بها على كفّه لئلاّ يجد مسّ قداح يكون له في صاحبه هوى ، فيخرجه ، ويأتي رجل ، فيجلس خلف الحرضة ، يسمّى الرقيب ، ثم يفيض الحرضة بالقداح ، فإذا نشز[2] منها قدح استلّه[3] الحرضة ، فلم ينظر إليه حتى يدفعه إلى الرقيب ، فينظر لمن هو ، فيدفعه لصحابه ، فيأخذ من أجزاء الجزور على نصيبه منها ، فإن خرج من الثلاثة الأغفال شيء ردّ من ساعته ، وإن خرج أولاً الفذّ أخذ صاحبه نصيبه ، وضربوا بباقي القداح

---

(١) الحرضة : الرجل الرذيل الفاسد المتروك .

(٢) نشز : ارتفع .

(٣) استله : شهره ورفعه .

على التسعة الأجزاء الأخر ، فإن خرج التوأم أخذ صاحبه جزئين ، وضربوا باقي القداح على الثمانية الأجزاء الأخر ، فإن خرج المعلّى أخذ صاحبه نصيبه ، وهو السبعة الأجزاء التي بقيت ، وخرجوا وفقاً ، ووقع غرم ثمن الجزور على من خاب سهمه ، وهم أربعة : صاحب الرقيب والحلس والنافس والمسبل ؛ ولهذه القداح ثمانية عشر سهماً ، فيجزّأ الثمن على ثمانية عشر جزءاً ، وأخذ كلّ واحد من الغرم مثل الذي كان نصيبه من اللحم لو فاز قدحه ، وإن خرج المعلّى أوّل القداح أخذ صاحبه سبعة أجزاء الجزور ، وكان الغرم على أصحاب القداح التي خابت ، واحتاجوا أن ينحروا جزوراً أخرى لأن في قداحهم المسبل ، وله ستّة أجزاء ، ولم يبق من اللحم إلّا ثلاثة أجزاء .

ولا ينبغي لمن خاب قدحه في الجزور الأولى أن يأكل منها شيئاً ، فإنّه يعاب به ، فإن نحروا الجزور الثانية ، وضربوا عليها القداح ، فخرج المسبل ، أخذ صاحبه ستّة أجزاء الجزور الأخرى : الثلاثة الباقية من الجزور الأولى ، وثلاثة أجزاء من الجزور الثانية ، ولزمه الغرم في الجزور الأولى ، ولم يلزمه في الثانية شيء لأن قدحه قد فاز ، وبقي من الجزور الثانية سبعة أجزاء ، فيضرب عليها بقداح من بقي ، فإن خرج النافس أخذ صاحبه خمسة أجزاء ، ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً ، لأن قدحه قد فاز ، ولزمه الغرم من الأولى ، وبقي جزآن من اللحم .

وفيما بقي من القداح الحلس له أربعة أجزاء ، فيحتاجون أن ينحروا جزوراً أخرى لتتمّة أربعة ، ولا ينبغي لمن خاب قدحه في الجزور الثانية أن يأكل منها شيئاً ، لأنّه يعاب به ، وإن نحروا الجزور الثالثة وفاز الحلس أخذ صاحبه أربعة أجزاء : جزئين من الجزور الثانية ، وجزئين من الجزور الثالثة ، ولم يغرم من الجزور الثالثة شيئاً لأنّه فاز قدحه ، ويبقى ثمانية أجزاء من الجزور الثالثة فيضرب بباقي القداح عليها ، حتى يخرج قداحهم ، وفقاً لأجزاء الجزور ، فهذا حساب غرمهم الثمن كما وصفت .

وربما كانت أجزاء اللّحم موافقة لأجزاء القداح ، فلا يحتاجون إلى

نحـر شيء إنّما تنحـر الجزور ، إذا قـصـرت أجـزاء اللحم عن بعض القداح ، فإن عاد بعض مَن فاز قدحه ثانيةً ، فخـاب غرم من ثمن الجـزور التي خـاب قدحه منها على هـذا الحسـاب ، فـإن فضـل من أجـزاء اللحم شيء ، وقد خرجت القـداح كلها ، كـانت تلك الأجزاء لأهـل المسكنة من العشيرة ، فهذا تفسير الميسر .

وكانوا يفتخرون به ويرون أنّه من فعال الكرم والشـرف ، ولهم في هذا أشعار كثيرة يفتخرون بها .

شعراء العرب

وكـانت العرب تقيم الشعـر مقام الحكمـة وكثير العلم ، فـإذا كان في القبيلة الشـاعر المـاهر ، المصيب المعـاني ، المخيّر الكلام ، أحضـروه في أسـواقهم التي كانت تقـوم لهم في السنـة ومـواسمهم عنـد حجّهم البيت ، حتى تقف وتجتمع القبائل والعشائر ، فتسمع شعـره ، ويجعلون ذلك فخـراً من فخرهم ، وشرفاً من شرفهم .

ولم يكن لهم شيء يرجعون إليـه من أحكامهم وأفعـالهم إلا الشعر ، فبه كانوا يختصمون ، وبه يتمثّلون ، وبه يتفاضلون ، وبه يتقـاسمون ، وبـه يتناضلون ، وبه يمدحون ويعابون ؛ فكان ممّن قدّم شعره في جاهليّة العرب على مـا أجمعت عليـه الـرواة وأهـل العلم بـالشعـر ، وجـاءت بـه الآثـار والأخبار ، من شعراء العـرب في جاهليّتهـا مع من أدركـه الإسلام ، فسمّي مخضرماً ، فإنّهم دخلوا مع من تقدّم ، فسموا الفحـول ، وقدِّمـوا على تقدّم أشعارهم في الجودة ، فإن كان بعضهم أقدم من بعض وهم على ما بيّنّا من أسمـائهم ومـراتبهم على الـولاء ، فـأوّلهم امـرؤ القيس[1] بن حجـر بن الحارث بن عمرو بن حجر أكل المرار بن معاوية بن ثور ، وهو كندة .

---

(١) امـرؤ القيس : ولـد في نجـد ٥٠٠ م . وتـوفي في انقـرة ٥٤٠ م . صـاحب المعلّقـة ومطلعها :

قفـا نبـك مـن ذكـرى حبيب ومـنـزل   بسقط اللوى بين الـدخـول فحـومـل

والنـابغة الذبياني[1] ، وهـو زياد بن معـاويـة بن ضبـاب بن جـابـر بن يربوع بن غيظ بـن مرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان .

وزهير[2] بن أبي سلمى ، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبـة بن ثور بن هُـذمة بن لاطم بن عثمـان بن عمرو بن أد .

والأعشى[3]، وهـو أعشى وائـل ، وهـو ميمـون بن قيس بن جنـدل بن شَراحيل بن عوف بن سعد بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة .

وعبيد[4] بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهيـر بن مالـك بن الحارث بـن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد .

ومهلهل[5] وهو امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل .

وعلقمة[6] بن عبدة بن نـاشرة بن قيس بن عبـد بن ربيعة بن مـالك بن زيد مناة بن تميم .

---

(١) النابغة الذبياني : «٥٣٥ م ـ ٦٠٤ م» من فحول شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات .
ومطلع معلقته :
يـا دار ميّـة بـالـعـليـاء فـالـسـنـدِ أقـوت وطـال عليهـا سـالـف الأبـد

(٢) زهيـر بن أبي سلمى (٥٣٠ م ـ ٦٢٧ م) : شاعـر جـاهلي من أصحـاب المعلقـات .
ومطلع معلقته :
أمـن أم أوفـى دمـنـة لـم تـكـلـم بـحـومـانـة الـدرّاج ، فـالـمـتـثـلـم

(٣) الأعشى : وهو أعشى قيس ، أدرك الإسلام ، لقب الأعشى لضعف بصـره ، ويعرف بالأعشى الأكبر وكني بأبي بصير إعجاباً بقـوة بصيرتـه ، ولقب أيضاً بصناجة العـرب لمتانة شعره وموسيقاه .

[أنظر ترجمة هؤلاء الشعراء في الأعلام للزركلي]

(٤) عبيد بن الأبرص : شـاعر جـاهلي ، عاش في بـلاط الحيرة . قتله الملك المنـذر بن ماء السماء سنة ٥٥٤ م .

(٥) المهلهـل : شاعـر جاهلي ، وهـو خال امرىء القيس ، وهو بـطل من أبـطال حـرب البسوس التي قتل فيها أخوه كليب .

(٦) علقمـة بن عبدة : ولقبـه علقمة الفحـل . اتصل بـالمنـاذرة في الحيـرة . تـوفي سنـة ٥٩٨ م .

والحارث بن حِلِّزَة بن مكروه بن يـزيد بن عبـد اللّه بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عامر بن ذبْيان بن كنانة بن يَشْكُر بن بكر بن وائل .

وعمـرو بن كلثوم بن مـالك بن عَتّـاب بن سعـد بن زهيـر بن جُشم بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل .

وسعـد بن مالـك بن ضُبَيعـة بن قيس بن ثعلبـة بن عُكـابة بن عليّ بن بكر بن وائل .

والأسود بن يَعْفُر بن عبد الأسود بن جنـدل بن نهشل بن دارم بن مـالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

وسويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد بن سعـد بن جشم بـن ذبْيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل .

وأوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عمرو بن خلف بن نمير بن أسيـد بن عمرو بن تميم بن مرّ .

وذو الإصبع العَدْوانيّ ، وهو حرثان بن حارث بن محـرث بن ثعلبة بن سيّار بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عبّاد بن بكر بن يشكر ابن عَدْوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان .

وبشـر بن أبي خـازم ، وهـو عمـرو بن عـوف بن حنش بن نـاشـرة بن أسامة بن والبة .

وعنترة[1] بن شدّاد بن معاوية بن نزار بـن مخزوم بن مالـك بن غالـب بن

---

(١) عنترة بن شداد (٥٢٥ م ـ ٦١٥ م) : من مشاهير شعراء الجاهلية وفرسانها . أمـه عبدة حبشيـة فكان أسـود اللون . اشتهر ببـطولته في الحـروب ونبوغـه في الشعر . ومـطلع معلقته :

هـل غـادر الـشعـراء مـن متـردّم	أم هـل عـرفت الـدار بعـد تـوهّم
يـا دار عـبلة بـالـجـواء تـكـلمـي	وعمي صبـاحاً ، دار عبلة ، واسلمي

[أنظر الأعـلام للزركلي]

قُطيعة بـن عبس بن بَغيض .

وعبدة بن الطبيب التميميّ .

والمتلمّس[1] ، وهـو جريـر بن عبـد المسيـح بن عبـد اللّٰه بن زيـد بن دوفان بن حرب بن وهب بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار .

وأبو دؤاد الايادي وهو حوثرة بن الحارث بن الحجّاج .

والمرقّش الأكبر وهو عوف ، وقيل عمرو بن سعد بن مالـك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة .

والمـرقش الأصغر ، وهـو ربيعـة بن معـاويـة بن مـالـك بن ضبيعـة بن قيس بن ثعلبة .

والمسيَّب بن عَلَس بن عمرو بن قضاعـة بن عمرو بن زيـد بن ثعلبة بن دعدي بن مالك بن جشم بن مالك بن جُماعة بن جُليّ .

وعديّ[2] بن زيد بن حمّـاد بن زيد بن أيّـوب بن محروف بن عـامر بن عُصَيّة بـن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم .

وسـلامـة بن جنـدل بن عبـد عمرو بن عبد الحارث ، وهـو مُقـاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وسُحَيْم بن وَثيل بن عمرو بن كـرز بن وُهَيْب بن حميري بن ريـاح بـن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيـد منـاة بن تميم .

والجُمَيْـح الأسـدي ، وهــو منقـذ بن الطماح بـن قيس بن طـريف بن عمرو بـن قُعَيْـن .

---

(١) المتلمس؛ عاش نحو ٥٥٠ م . شاعر جاهلي وهو خال طرفة بن العبد .

(٢) عدي بن زيد: من شعراء البلاط في الجاهلية . قومه من تميم نزلوا الحيرة وتنصروا . تـولى الكتابـة في ديوان ملك الفـرس هرمـز الرابـع . قتل بـأمر النعمـان الثـالث سنـة ٥٨٧ م .

[أنظر الأغاني ط . دار الكتب العلمية والشعر والشعراء لابن قتيبة]

وحاتم الطائيّ[1] ، وهو حاتم بن عبد اللّه بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عديّ بن أخْزَم بن ربيعة بن جَرْوَل بن ثُعل بن عمرو بن الغوث .

وطُفَيْل الخيل ، وهو طفيل بن عوف بن خليف بن ضَبيس بن مالك بن سعد بن عوف بن هِلّان بن غنم بن غَني .

والسفّاح ، وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أُسامة بن مالك بن بكر بن حُبَيْب بن غنم بن تغلب .

وتأبّط شرّاً[2] ، وهو ثابت بن جابر بن سفيان بن عديّ بن كعب بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان .

وابن المضلَّل الأسديّ ، وهو جلد بن قيس بن مالك بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قُعَيْن .

وكعب الأمثال الغنويّ ، وهو كعب بن سعد بن علقمة بن ربيعة بن زيد بن أبي مليل بن رفاعة بن مسلم بن سعد .

والحكم بن . . . .[3]

ومروان القَرَظ بن زِنْباع بن جذيمة بن رَواحة بن قطيعة بن عبس .

ودريد بن الصِّمّة بن الحارث بن بكر بن عَلَقَة بن جُداعة بن عرف بن

---

(١) حاتم الطائي : شاعر جاهلي اشتهر بشجاعته وسخائه وكرمه . ضرب به المثل : «أجود من حاتم» توفي في سنة ٦٠٥ م .

(٢) تأبّط شراً : من شعراء الجاهلية الصعاليك . قيل إنه أخذ سيفاً تحت إبطه وخرج من بيته فجاء من سأل عنه أمه فقالت : «لا أدري ؛ تأبّط شراً وخرج» . كان كثير الغارات على الأحياء ، سريع العدو . شعره قوي الملاحظة ، دقيق الوصف ، بديهي العاطفة ، ساذج الحكمة . توفي سنة ٥٣٠ م .

[الأعلام ٢ للزركلي]

(٣) بياض في الأصل .

جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وأميّة[1] بن أبي الصلت ، وهو عبد اللّه بن ربيعة بن عُقدة بن غيَرَة بن عوف بن قسيّ وهو ثقيف .

والأفْوَه الأوديّ ، وهو صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبّه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج .

وعمرو بن قَمِئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة .

وضابىء بن الحارث بن أرطأة بن شهاب بن عبيد بن حلول بن قيس بن حنظلة بن مالك .

وخُفاف بن ندبة ، وندبة هي أمّه ، وأبوه عمير بن الحارث بن عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عُصيّة بن خفاف بن امرىء القيس بن بُهثة بن سُليم .

والمتنخّل الهذليّ ، وهو مالك بن غنم بن سُويد بن حُبْشي بن خُناعة ابن الديل بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل .

والذهاب الفحل ، وهو مالك بن جندل بن مسلمة بن مجمّع بن ضبيعة بن عجل .

وعُروة بن الورد بن زيد بن عبد اللّه بن ناشب بن سفيان بن عوذ بن غالب بن قُطَيْعة بن عبس بن بغيض .

والحارث بن عُباد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ، وهو فارس النعامة .

---

(١) أميّة بن أبي الصلت : شاعر عربي من رؤساء ثقيف وفصحائهم . قيل إنه كان من النسّاك . قال بالتوحيد ونبذ الأوثان ووصف الكمالات الإلهية وأشاد بدين الحنفيّة . توفي سنة ٦٣٠ م .

[الأعلام ٢ للزركلي]

وأنس بن مدرك بن عمرو بن سعد بن عوف بن العتيك بن حارثة بن عامر بن تيم الله بن مبشّر بن أكْلُب بن ربيعة بن عِفْرِس بن خَلْف بن خثعم .

والمنخّل بن مسعود بن أفلت بن قطن بن سوادة بن مالك بن ثعلبة بن غنم بن حبيّب بن كعب بن يشكر .

وأشْيَم بن شَراحيل بن عبد رضى بن عبد عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

والحارث[1] بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيض بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

وصفوان بن حصين بن مالك بن رفاعة بن سالم بن عبيد بن سعد العنزيّ .

والسموأل[2] بن عاديا ، وهو ينسب إلى غسّان ، فيقول بعضهم إنه يهوديّ من سبط يهوذا .

وعمرو بن الأهتم بن سميّ بن سِنان بن خالد بن منْقَر بن عُبيد بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

ومطرود بن كعب بن عُرْفُطة بن النافذ بن مرّة بن تيم بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعيّ .

وأوس بن غَلْفاء بن فقسط[3] بن مَعْبد بن عامر بن بمامة[4] .

---

(١) الحارث بن ظالم : وهو الذي جاء السموأل مطالباً بدروع كان امرؤ القيس قد أودعها إياه .

(٢) السموأل بن عاديا : يهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلق . يضرب به المثل في الوفاء لأنه فضل قتل ابنه على التفريط بأمانة أودعها عند امرؤ القيس لما سار إلى الشام يريد القيصر . له قصيدة مشهورة مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

[الأعلام ٣ للزركلي]

(٣و٤) بلا نقط في الأصل .

وحصين بن الحُمام بن ربيعة بن حَرام بن وائلة بن سهم بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن عامر بن صعصعة .

والركّاض الأسديّ ، وهو ركّاض بن اباق بن بديل أحد بني دُبَيْر .

وسويد بن كراع العكلي .

والحويدرة ، واسمه قطبة بن أوس بن محصن بن جرول بن حبيب الأعظم بن عبد العزّى بن خَزيمة بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

وأعشى بني أسد ، وهو قيس بن بجرة بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قُعين .

وابن الزبعرى السهميّ ، وهو عبد اللّه بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم من قريش .

و . . . . .[1] قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة .

وابن دجاجة الفقيم ، وهو نكر بن ـرـد[2] بن أنس بن امرىء القيس .

وسويد بن سلامة بن حديج بن قيس بن عمرو بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة .

وقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعة بن عبس بن بغيض .

ومِقْيَس بن صُبابة أخو بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن كنانة ، أدركه الإسلام ، وأسلم ، ثم ارتدّ فقتل يوم فتح مكة كافراً .

---

(١) بياض في الأصل .
(٢) بلا نقط في الأصل .

والمسيّب بن الرفيل بن حارثة بن حيّان بن قيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب بن هبل الكلبيّ .

والبَرّاض بن قيس بن رافع بن قيس بن جُديّ بن ضمرة الكنانيّ .

وسَبْرة بن عمرو بن اهنان بن دِثار بن فقعس .

وشافع بن عبد العزّى الضمريّ .

وسُراقة بن مالك بن جعشم المُدْلجيّ .

ومصروف واسمه عمرو بن قيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهْل .

وابن رُمَيْلة الضبّيّ .

وقيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهْل .

ومِرْداس بن أبي عامر بن جارية بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث ابن بُهثة بن سليم بن منصور .

ومن شعراء الجاهليّة الفحول المتقدّمين الذين أدركوا الإسلام : النابغة[1] الجعديّ ، وكان في السنّ مثل النابغة الذبياني ، واسمه قيس بن عبد اللّه بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

ولبيد[2] بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن عامر بن صعصعة .

---

(١) النابغة الجعدي : شاعر مخضرم أقام في بلاط الملوك اللخميين في الحيرة ، ثم سار على رأس قبيلته فقدم خضوعه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ساهم في فتح فارس وناصر الإمام علياً في صفين ضد معاوية بن أبي سفيان . توفي في أصفهان سنة ٦٨٤ م .
[الأعلام ٧ للزركلي]

(٢) لبيد بن ربيعة : من بني عامر وشاعر جاهلي من أصحاب المعلقات . انتقل إلى الكوفة بعد إسلامه . ومطلع معلقته :

عفت الديارُ محلُّها فمقامها ... بمنى تأبّد غَولها فرجامها .

وتميم بن أُبيّ بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العَجْلان بن عبد اللّه بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وكعب[1] بن زهير بن أبي سلمى ، وهو ربيعة بن رياح بن قُرْط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هُذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أُدّ .

وعبد اللّه بن عامر بن كرب الكنديّ .

وأبو سَمّال الأسديّ ، واسمه شمعان بن هبيرة بن مساحق .

وزيد بن مهلهل ، وهو زيد الخيل بن يزيد بن منهب بن عبد رضى بن المحلس بن ثور بن عديّ بن كنانة بن مالك بن نبهان بن عمرو بن الغوث .

والحُطَيْئة[2] واسمه جرول بن أوس بن مالك بن جويّة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قُطيعة بن عبس .

وضرار بن الخطّاب بن مِرْداس بن كَبير بن عمرو المحاربيّ .

والشمّاخ بن ضرار بن سنان بن أميّة بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

وأبو ذؤيْب الهذليّ ، وهو خويلد بن خالد بن محرّث بن ربيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن تميم بن سعد بن هذيل .

وأبو كبير الهذليّ ، وهو عامر بن الحُلَيس .

---

(١) كعب بن زهير : من الشعراء المخضرمين . أسلم أخوه بُجير ، فلامه كعب وهجا النبي والإسلام ، فأهدر دمه ، فأرسل إليه أخوه أن يقبل إلى النبي معتذراً ، ففعل وأنشد قصيدته المشهورة التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... مُتيَّم إثرها لم يُفدَ مكبولُ

توفي سنة ٦٦٢ م .

(٢) الحطيئة : شاعر من بني عبس ، من المخضرمين . شارك في حروب الردّة على أيام أبي بكر الصديق . اشتهر بالهجاء . توفي سنة ٦٧٨ م .

والحرث بن عمرو بن جرجة بن يربوع بن فزارة .

وعبد بني الحسحاس ، وهو سُحَيْم بن هند بن سفين بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خُزيمة .

اسواق العرب

كانت أسواق العرب عشرة أسواق يجتمعون بها في تجاراتهم ، ويجتمع فيها سائر الناس، ويأمنون فيها على دمائهم وأموالهم، فمنها: دومة الجندل[1] ، يقوم في شهر ربيع الأول ، ورؤساؤها غسّان وكلب أيّ الحيّين غلب قام .

ثم المشقَّر[2] بهجر يقوم سوقها في جمادى الأولى ، تقوم بها بنو تيم رهط المنذر بن ساوى .

ثم صُحار[3] يقوم في رجب في أول يوم من رجب ، ولا يحتاج فيها إلى خفارة ، ثمّ يرتحلون من صحار إلى ريّا يعشرهم فيها الجلندَى وآل الجلندى .

ثم سوق الشِّحْر[4] شِحْر مَهْرَة ، فيقوم سوقها تحت ظلّ الجبل الذي عليه قبر هود النبيّ ، ولم تكن بها خفارة ، وكانت مهرة تقوم بها .

---

(١) دومة الجندل : وهي من أعمال المدينة .

[معجم البلدان ٢ : مادة دوم]

(٢) المشقَّر : حصن بالبحرين لعبد القيس يلي حصناً لهم آخر يقال له الصف قبل مدينة هجر والمسجد الجامع المشقر .

[معجم البلدان ٥ : ١٣٤]

(٣) صُحَار : قصبة عُمان مما يلي الجبل .

[معجم البلدان ٣ : ٣٩٣]

(٤) الشحر : بين عدن وعُمان .

[معجم البلدان ٣ : ٣٢٧]

ثمّ سوق عدن يقوم في أول يوم من شهر رمضان ويعشرهم بها الأبناء ، ومنها كان يحمل الطيب إلى سائر الآفاق .

ثم سوق صنعاء يقوم في النصف من شهر رمضان يعشرهم بها الأبناء .

ثم سوق الرابية بحضرموت ، ولم يكن يوصل إليها إلاّ بخفارة لأنها لم تكن أرض مملكة ، وكان مَن عزّ فيها بزّ ، وكانت كندة تخفر فيها .

ثم سوق عكاظ[1] بأعلى نجد يقوم في ذي القعدة ، وينزلها قريش وسائر العرب إلاّ أن أكثرها مضر ، وبها كانت مفاخرة العرب ، وحمالاتهم ، ومهادناتهم .

ثم سوق ذي المجاز[2] ، وكانت ترتحل من سوق عكاظ وسوق ذي المَجَاز إلى مكّة لحجّهم .

وكان في العرب قوم يستحلّون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق ، فسمّوا المحلّين، وكان فيهم من ينكر ذلك، وينصب نفسه لنصرة المظلوم، والمنع من سفك الدماء ، وارتكاب المنكر ، فيسمّون الذادة المحرمين ، فأمّا المحلّون فكانوا قبائل من أسد وطيّء وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة وقوماً من بني عامر بن صعصعة .

وأمّا الذادة المحرمون ، فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد مناة ، وقوم من هذيل ، وقوم من بني شيبان ، وقوم من بني كلب بن وبرة ، فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس ، وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع أسلحتهم في الأشهر الحرم . . .[3] وكانت العرب تحضر

---

(١) عكاظ : نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث وسوق العرب كانت تقام بموضع منه يقال له الأثيداء .

[معجم البلدان ٤ : ١٤٢]

(٢) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة .

[معجم البلدان ٥ : ٥٥]

(٣) بياض في الأصل . والأشهر الحرم هي : ذو القعدة ، ذو الحجة ، رجب ، المحرّم .

سوق عكاظ ، وعلى وجوهها البراقع[1] ، فيقال إنّ أوّل عربيّ كشف قناعه ظريف بن غنم العنبريّ ، ففعلت العرب مثل فعله .

مولد رسول اللّه

وكان مولد رسول الله في عام الفيل[1] ، بينه وبين الفيل خمسون ليلة ، وكان على ما رواه بعضهم يومَ الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ، وقيل ليلة الثلاثاء لثمان خلون من شهر ربيع الأول .

وقال مَن رواه عن جعفر بن محمّد يوم الجمعة حين طلع الفجر لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وولد على ما قال أصحاب الحساب بقران العقرب .

قال ، ما شاء الله ، المنجّم : كان طالعُ السنة التي كان فيها القِران الذي دلّ على مولد رسول الله الميزان اثنتين وعشرين درجة حدّ الزهرة وبينها والمشتري في العقرب ثلاث درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة ، وزحل في العقرب ستّ درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة راجعاً ، وهما في الثاني من الطوالع ، والشمس في نظير الطالع في الحمل أوّل دقيقة ، والزهرة في الحمل على درجة وستّ وخمسين دقيقة ، وعطارد في الحمل على ثماني عشرة درجة وستّ عشرة دقيقة راجعاً ، والمرّيخ في الجوزاء اثنتي عشرة

---

(١) البراقع : جمع برقع وهو ماتستر به المرأة وجهها .

(٢) عام الفيل هو العام الذي استخدم فيه أبرهة الأشرم الحبشي ، ملك اليمن ، الفيلة في قتاله ضد الفرس سنة ٥٧٠ م .

درجة وخمس عشرة دقيقة ، والقمر وسط السماء في السرطان درجة وعشرين دقيقة .

وقال الخوارزميّ[1] : كانت الشمس يوم وُلد رسول الله في الثور درجةً ، والقمر في الأسد على ثماني عشرة درجة وعشر دقائق ، وزُحل في العقرب تسع درجات وأربعين دقيقة راجعاً ، والمشتري في العقرب درجتين وعشر دقائق راجعاً ، والمرّيخ في السرطان درجتين وخمسين دقيقة ، والزهرة في الثور اثنتي عشرة درجة وعشر دقائق . وكانت قريش تؤرّخ السنين بموت قصيّ[2] بن كلاب لجلالة قصيّ ، فلمّا كان عام الفيل أرّخت به لاشتهار ذلك العام ، فكان تأريخهم من مولد رسول الله .

ولمّا وُلد رسول الله رُجمت الشياطين وانقضّت الكواكب . فلمّا رأت ذلك قريش أنكرت انقضاض الكواكب وقالوا : ما هذا إلّا لقيام الساعة ، وأصابت الناس زلزلة عمّت جميع الدنيْا حتّى تهدّمت الكنائس والبِيَع[3] ، وزال كلّ شيء يُعْبَد دون الله ، عزّ وجلَّ ، عن موضعه ، وعُمّيَت على السّحَرَة والكُهّان أمورُهم وحُبست شياطينُهم ، وطلعت نجومٌ لم تُرَ قبل

---

(١) الخوارزمي : هو محمد أبو عبد الله ، أقدم كاتب مسلم ألّف كتاباً موسوعياً هو «مفاتيح العلوم» منه الكلام على الطب والحساب والهندسة والفلك وغير ذلك من علوم العهد ، كذلك نقل عن اليونانية مؤلفات بعض الكتاب كاقليدس ونيقوماخس وسواهما .

[الأعلام ٦ للزركلي]

(٢) قُصي بن كلاب : قيل إن اسمه كان زيداً ثم لقب بالقصيّ لأنه قضى أيام حداثته قاصياً وبعيداً في أرض الشام وعاد إلى مكة فاستملكها وجمع حوله قريش وعمّر بيته بالقرب من الكعبة وفتحه داراً للندوة . كان له الحقّ في سدانة الكعبة وبعد موته خلفه فيها ابنه عبد مناف أبو هاشم .

[الأعلام ٥ للزركلي]

(٣) البيع : جمع بيعة أي المعبد للنصارى واليهود .

ذلك ، فأنكرتها كُهّان اليهود ، وزلزل إيوانُ كسرى[1] فسقطت منه ثلاث عشرة شرّافة ، وخمدت نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام . ورأى عالمُ الفرس وحكيمهُم وهو الذي تسميه الفرسُ موبذان موبذ القيّم بشرائع دينهم كأنه إبلاً عِراباً تقود خيلاً صعاباً حتى قطعت دجلة وانتشرت في البلاد . فراع ذلك كسرى أنوشروان وأفزعه ، فوجّه إلى النّعمان[2] فقال : هل بقي من كهّان العرب أحدٌ ؟ قال : نعم! سطيح الغسّانيّ بدمشق من أرض الشأم . قال : فجئني بشيخ من العرب له عقل ومعرفة أوجّهه إليه . فأتاه بعبد المسيح بن بُقَيْلة ، فوجّهه إليه . فخرج عليه عبد المسيح على جمل حتّى قدم دمشق . فسأل عنه فدُل عليه وهو ينزل في باب الجابية ، فوجده في آخر رمق . فنادى في أذنه بأعلى صوته :

أصَمٌّ أمْ تَسْمَعُ غِطْرِيفَ اليَمَنْ[3] ... يا فارِجَ الكُرْبَةِ أعْيَتْ مَن وَمَنْ
وفاصِلَ الخُطْبَةِ في الأمْرِ العَنَنْ[4] ... أتاك شَيْخُ الحَيّ من آلِ يَزَنْ

فقال : عبد المسيح ، على جمل مشيح ، نحو سطيح ، حين أشفى على الضّريح . بعثك ملك بني ساسان بهدم الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان. رأى إبلاً عراباً تقود خيلاً صعاباً حتى قطعت دجلة وانتشرت في البلاد . يا بن ذي يَزَن تكون هنة وهنات ويموت ملوك وملكات بعدد الشرّافات . إذا غاضت بحيرة ساوة وظهرت التلاوة بأرض تهامة وظهر صاحب الهراوة فليست الشأم لسطيح شاماً . ثم فاضت نفسه .

---

(١) إيوان كسرى : بناء عظيم في جنوبي بغداد ، كان قصراً لملوك الفرس ، وكان فيه من التمثيل والصور شيء كثير .

(٢) هو النعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس ، وهو آخر ملوك بني لخم في الحيرة ، كان مسيحياً وأخته هند راهبة ، وقد كلّفه هرمز ملك الفرس بحراسة الحدود بين فارس وبلاد الروم . كان النابغة الذبياني شاعره الخاص .

[أنظر المنجد :أعلام الشرق والغرب]

(٣) غطريف اليمن : سيّدها .

(٤) العنن : الشاق والصعب .

وجاء رجل من أهل الكتاب إلى ملإ من قريش فيهم هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة فقال : وُلد لكم الليلة مولود . قالوا : لا . قال : أخطأكم والله معشر قريش فقد وُلد إذاً بفلسطين غلام اسمه أحمد ، به شامة كلون الحرّ الأدكن يكون به هلاك أهل الكتاب ، فلم يريموا[1] حتى قيل لهم إنّه وُلد لعبد الله بن عبد المطّلب الليلة غلام . فمضى الرجل حتى نظر إليه ثمّ قال : هو واللّهِ هو ! ويلُ أهل الكتاب منه . فلما رأى سرورَ قريش بما سمعت منه قال : واللّهِ ليسطونّ بكُم سطوةً يتحدّث بها أهل المشرق والمغرب . وكان تزويج عبد الله بن عبد المطّلب لآمنة بنت وهب بعد حفر زمزم[2] بعشر سنين ، وقيل بضع عشرة سنة . وبين فداء عبد المطّلب لابنه وبين تزويجه إيّاه سنة ، فكان اسم عبد الله إبي رسول الله عبد الدار ، وقيل : كان اسمه عبد قصيّ . فلمّا كان في السنة التي فُدي فيها قال عبد المطّلب : هذا عبد الله ، فسمّاه يومئذ كذلك . وكان بين تزويج أبي رسول الله لأمّه وبين مولده على ما روى جعفر بن محمّد عشرة أشهر ، وقال بعضهم سنة وثمانية أشهر .

وروي عن أمّه أنّها قالت : رأيتُ لمّا وضعتُه نوراً بدا منّي ساطعاً حتّى أفزعني ، ولم أرَ شيئاً ممّا يراه النّساء .

وروى بعضهم أنّها قالت : سطع مني النور حتّى رأيت قصور الشأم ، ولما وقع إلى الأرض قبض قبضة من تراب ثمّ رفع رأسه إلى السماء[3] . . .

فكان أوّلُ لبن شربه بعد أمّه ثُوَيْبَة مولاة إبي لهب . وقد أرضعت ثويبة هذه حمزة بن عبد المطّلب وجعفر بن إبي طالب وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ . وقال رسول الله ، بعدما بعثه الله : رأيت أبا لهب في

---

(١) يريموا : يزالوا .

(٢) زمزم : بئر على طريق مكة .

(٣) بياض في الأصل .

النـار يصيح العـطش العـطش فيُسقى في نقـر إبهـامـه . فقلت : بمَ هـذا ؟ فقال : بعتقي[1] ثويبة لأنّها أرضعتك .

وتوفّي عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله على مـا روى جعفر بن محمّد بعد شهرين من مولده . وقال بعضهم إنه توفّي قبـل أن يولـد ، وهذا قولٌ غير صحيح لأنّ الإجماع على أنّه توفّي بعد مولده . وقال آخـرون بعد سنة من مولده ، وكانت وفاة عبد الله بالمدينة عند أخوال أبيه بني النجّار في دار تعرف بدار النابغة ، وكانت سنّه يوم توفّي خمساً وعشرين سنة .

واستـرضع[2] في بني سعـد بن بكر بن هـوازن . وكان عبـد المطّلب دفعه إلى الحارث بن عبـد العزّى بن رفـاعة السعـديّ زوج حليمة بنت إبي ذؤيب السعدَيّ ، فلم يزل مقيمـاً في بني سعد يـرون به البـركة في أنفسهم وأموالهم حتى كان من شأنه في الذي أتاه في صورة رجل ، فشقّ عن بـطنه وغســل جوفـه ، ما كـان . فخافـوا عليه وردّوه إلى جـدّه عبد المـطّلب ولـه خمس سنين ، وقيل أربع سنين ، وهو في خلق ابن عشر وقوّته .

وتُوفيت أمّه آمنـة بنت وهب بن عبد منـاف بن زهرة بعـدما أتى عليـه ستّ سنين وثلاثة أشهر ، ولها ثلاثون سنة . وكانت وفاتها بمـوضع يقـال له الأبواء بين مكّة والمدينة . وكان عبد المطّلب جدّ رسـول الله يكفله ، وعبد المطلب يومئذ سيّد قريش غير مدافَع ، قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحـداً ، وسقاه زمـزم وذا الهَرْم ، وحكّمتْـه قريش في أمـوالهـا ، وأطعم في المَحل[3] حتى أطعم الطيرَ والوحوش في الجبال . قال أبو طالب :

ونُـطْعِمُ حتى تَـأكُـلَ الـطّيْـرُ فضلنَـا إذا جَعَلَتْ أيْـدي المُفيضين تَـرْعَـدُ

ورفض عبادة الأصنام ووحّد اللّهَ ، عزّ وجلّ ، ووفى بالنّذر وسنّ سنناً نـزل القرآن بـأكثـرهـا ، وجـاءت السنّـة من رسـول الله بهـا وهي : الـوفـاء

---

(١) عتقي : تحريري .

(٢) استرضع : طلب مرضعة أو إرضاعاً .

(٣) المحل : الجدب وانقطاع المطر ويبس الأرض التي تسبب جوعاً شديداً .

بالنّذور ، ومائة من الإبل في الدية ، وألّا تنكح ذات محرم[١] ، ولا تُؤتى البيوت من ظهورها ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل المِوءودة ، والمباهلة[٢] ، وتحريم الخمر ، وتحريم الزنا ، والحدّ عليه ، والقرعة ، وألّا يطوف أحدٌ بالبيت عرياناً ، وإضافة الضيف ، وألّا ينفقوا إذا حجّوا إلّا من طيّب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم ، ونفي ذوات الرايات . ولمّا قدم صاحب الفيل خرجت قريش من الحرم فارّة من أصحاب الفيل[٣] ، فقال عبد المطّلب : واللّهِ لا أخرج من حرم الله وأبتغي العزّ في غيره . فجلس بفناء البيت ثمّ قال :

لـهُمّ إن تَـعْـفُ فـإنّـهُـمُ عِـيـالَـكْ ... .[٤] إلّا فـشـيءٌ مـا بـدا لـك

فكانت قريش تقول : عبد المطّلب إبراهيم الثاني . وكان المبشّر لقريش بما فعل الله بأصحاب الفيل عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله . فقال عبد المطّلب : قد جاءكم عبد الله بشيراً ونذيراً . فأخبرهم بما نزل بأصحاب الفيل . فقالوا : إنّك كنت لعظيم البركة لميمون الطائر منذ كنت .

وكان لبعد المطّلب من الولد الذكور عشرة . ومن الإناث أربع : عبد الله أبو رسول الله ، وأبو طالب وهو عبد مناف ، والزبير وهو أبو الطاهرِ ، وعبد الكعبة وهو المُقوَّم ، وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي أمّ أمّ حكيم البيضاء . وعاتكة وبرّة وأروى وأُميْمة بنات عبد المطّلب ، والحارث وهو أكبر ولد عبد المطّلب وبه كان يكنّى ، وقثم ، وأمهما صفيّة بنت جُنْدُب بن حُجَيْر بن زَبّاب بن حَبيب بن سُوَأة بن

---

(١) يريد المرأة المحصنة .

(٢) المباهلة : التلاعن . وتباهل الرجلان أي تلاعنا .

(٣) أصحاب الفيل : هم أصحاب ملك اليمن أبرهة الأشرم الحبشي الذين حاربوا معه في قتاله ضد الفرس .

(٤) بياض في الأصل .

عامر بن صعصعة ، وحمزة وهو أبو يعلى أسد الله وأسد رسول الله ، وأمّه هالة بنت وُهيب بن عبد مناف بن زُهرة وهي أمّ صفيّة بنت عبد المطلب ، والعبّاس ، وضِرَار ، أمّهما نُتَيلة بنت جَنّاب بن كُلَيب بن النمر بن قاسط ، وأبو لهب وهو عبد العزّى ، وأمّه لُبْنَى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر الخزاعيّ ، والغَيْداق وهو جَحْل وإنّما سمي الغَيْداق لأنّه كان أجود قريش وأطعمهم للطعام ، وأمّه ممنَّعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعيّ . فهؤلاء أعمام رسول الله وعمّاته . وكان لكلّ واحد من ولد عبد المطّلب شرفٌ وذِكْر وفضل وقدر ومجد . وحجّ عامر بن مالك ملاعب الأسنّة البيت فقال : رجالٌ كأنهم جمال جون ، فقال : بهؤلاء تمنع مكّة . وحجّ أكثم بن صيفي في ناس من بني تميم فرآهم يخترقون البطحاء كأنّهم أبرِجة الفضّة يُلْحِقون الأرض جيرانهم . فقال : يا بني تميم إذا أحبّ الله أن ينشىء دولة نبت لها مثل هؤلاء . هؤلاء غرسُ الله لا غرس الرجال . وكان يفرش لعبد المطلب بفناء الكعبة ، فلا يقرب فراشه حتى يأتي رسول الله ، وهو غلام ، فيتخطّى رقاب عمومته ، فيقول لهم عبد المطلب ، دعوا ابني ، إن لابني هذا لشأناً .

وكان عبد المطّلب قد وفدَ على سيف[1] بن ذي يَزَن مع جلّة قومه لمّا غلب على اليمن ، فقدّمه سيف عليهم جميعاً وآثره . ثمّ خلا به فبشّره برسول الله ووصف له وصفته ، فكبَّر عبد المطّلب وعرف صدق ما قال سيف ، ثمّ خرّ ساجداً . فقال له سيف : هل أحسست لما قلت نبأً ؟ فقال له : نعم ! ولد لابني غلام على مثال ما وصفتَ ، أيّها الملك . قال : فاحذر عليه اليهود وقومك ، وقومك أشدّ من اليهود ، والله متمّم أمره ومعلٍ دعوته . وكان أصحاب الكتاب لا يزالون يقولون لعبد المطّلب في رسول الله منذ وُلد فيعظم بذلك ابتهاج عبد المطّلب . فقال : أما واللّهِ لئن

---

(١) سيف بن ذي يزن : ملك بني حمير في اليمن ، وهو بطل الأساطير الشعبية المدونة في سيرة ابن ذي يزن .

نفستني قريش الماءَ ، يعني ماءً سقاه الله من زمزم وذي الهرم ، لتنفسني غداً الشرف العظيم والبناءَ الكريم والعزّ الباقي والسّناء العالي إلى آخر الدهر ويوم الحشر .

وتوالت على قريش سنون مجدبة حتى ذهب الزرع وقحل[1] الضرع ، ففزعوا وقالوا : قد سقانا الله بك مرّة بعد أُخرى فادعُ الله أن يسقينا ، وسمعوا صوتاً ينادي من بعض جبال مكّة : معشرَ قريش إنّ النبيّ الأمّيّ منكم ، وهذا أوان توكّفه[2] ، ألا فانظروا منكم رجلاً عُظاماً جُساماً له سِنٌّ يدعو إليه وشرف يعظم عليه فليخرج هو وولده ليمسوا من الماء ويلتمسوا من الطيّب ويستلموا الركن ، وليدع الرجل وليؤمّن القوم فخصبتم ما شئتم إذاً وغثتم ، فلم يبق أحد بمكّة إلاّ قال : هذا شيبة الحمد ، هذا شيبة الحمد . فخرج عبد المطّلب ومعه رسول الله وهو يومئذ مشدود الإزار ، فقال عبد المطّلب : اللهم سادّ الخلّة وكاشف الكُربة ، أنت عالم غير معلَّم ، مسؤول غير مبخَّل وهؤلاء عِبدّاؤك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنيهم التي أقحلت الضرع وأذهبت الزّرع ، فاسمعن اللهم وأمطرن غيثاً مَريعاً مُغدقاً . فما راموا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ[3] الوادي بثجّه[4] ، وفي ذلك يقول بعض قريش :

بشَيْبَةِالحَمدِ أسقى اللّهُ بلْدتَنَا — وقد فَقَدْنا الكَرَى واجلوّذ[5] المطَرُ
منّاً مِنَ اللهِ بالمَيْمونِ طائره — وخَيْرِ مَن بَشِرَتْ يوْماً به مُضَرُ
مُبارَكِ الأمْرِ يُستَسقى الغَمامُ به — ما في الأنام له عِدْلٌ ولا خَطَرُ

وأوصى عبد المطلب إلى ابنه الزبير بالحكومة وأمرِ الكعبة وإلى أبي

---

(١) قحل : جفّ .
(٢) توكف المطر : انهمر وسال .
(٣) كظّ : امتلأ .
(٤) الثج : السيل الغزير .
(٥) اجلوذ المطر : امتدّ وقت تأخره .

طالب برسول الله وسقاية زمزم ، وقال له : قد خلّفت في أيديكم الشرف العظيم الذي تطأون به رقابَ العرب . وقال لأبي طالب :

أوصِيكَ يا عبدَ منَافٍ بَعْدي　　بِمُفْرَدٍ بَعْدَ أبيه فَرْدِ
فارَقَه وهْوَ ضَجيعُ المَهْدِ　　فكنتَ كالأمّ له في الوَجدِ
تُدْنِيهِ مِنْ أحْشائِها والكَبْدِ　　فأنْتَ من أرْجَى بنيّ عِنْدي
لِدَفْعِ ضَيْمٍ أوْ لِشَدّ عَقْدِ

وتوفي عبد المطلب ولرسول الله ثماني سنين ولعبد المطّلب مائة وعشرون سنة ، وقيل مائة وأربعون سنة . وأعظمت قريش موته ؛ وغُسل بالماء والسّدر[1] . وكانت قريش أوّل من غسل الموتى بالسّدر ، ولُفّ في حُلّتين من حلل اليمن قيمتهما ألف مثقال ذهب ، وطرح عليه المسك حتى ستره ، وحُمل على أيدي الرجال عدّة أيّام إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغييبه في التراب . واحتبى[2] ابنه بفناء الكعبة لمّا غُيّب عبد المطّلب واحتبى ابن جدعان التيميّ من ناحية والوليد بن ربيعة المخزوميّ ، فادّعى كلّ واحد الرئاسة .

وروي عن رسول الله أنّه قال : إن الله يبعث جدّي عبد المطّلب أمّة واحدة في هيئة الأنبياء وزيّ الملوك .

فكفل رسولَ الله بعد وفاة عبد المطّلب أبو طالب عمّه ، فكان خير كافلٍ . وكان أبو طالب سيّداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقه[3] .

قال علي بن أبي طالب : أبي ساد فقيراً ، وما ساد فقيرٌ قبله . وخرج به إلى بُصْرَى من أرض الشأم وهو ابن تسع سنين ، وقال : والله ! لا أكِلك إلى غيري . وربّته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة أبي طالب وأمّ أولاده

---

(١) السدر : شجر النبق تستخرج منه بعض المواد المطيّبة .
(٢) احتبى : اشتمل .
(٣) الإملاق : شدة العوز .

جميعاً . ويروى عن رسول الله لمّا توفّيت ، وكانت مسلمة فاضلة ، أنّه قال : اليوم ماتت أمّي وكفّنها بقميصه ونزل على قبرها واضطجع في لحدها. فقيل له : يا رسول الله ، لقد اشتد جزعك على فاطمة . قال : إنّها كانت أمّي ، إن كانت لتُجيع صبيانها وتُشبعني وتشعّثهم وتدهنني، وكانت أمّي .

ولمّا بلغ العشرين ظهرت فيه العلامات وجعل أصحابُ الكتب يقولون فيه ويتذاكرون أمره ويتوصّفون حاله ويقرّبون ظهوره ، فقال يوماً لأبي طالب : يا عمّ إني أرى في المنام رجلاً يأتيني ومعه رجُلان فيقولان : هو هو، وإذا بلغ فشأنك به ، والرجل لا يتكلم . فوصف أبو طالب ما قال لبعض مَن كان بمكّة من أهل العلم . فلمّا نظر إلى رسول الله قال : هذه الروح الطيّبة ! هذا والله النبيّ المطهَّر . فقال له أبو طالب : فاكتمْ على ابن أخي لا تغرِ به قومه ، فوالله إنّما قلت لعليّ ما قلت ، ولقد أنبأني أبي عبد المطلب بأنّه النبيّ المبعوث وأمرني أن أسترَ ذلك لئلاّ يغري به الأعادي .

الفجار[1]

وشهد رسول الله الفجار وله سبع عشرة سنة، وقيل عشرون سنة، وكان سبب الفجار ، وهي الحرب التي كانت بين كنانة وقيس، أن رجلاً من بني ضمرة يقال له البرّاض بن قيس، وكان بمكّة في جوار حرب بن أميّة، وثب على رجل من هذيل يقال له الحارث فقتله ، وأخرجه حرب بن أميّة من جواره فلحق بالنعمان بن المنذر ، فاجتمع هو وعُروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب . وكان النعمان يوجّه في كلّ سنة بلطيمة[2] إلى عكاظ[3] للتجارة ، ولا يعرض لها أحد من العرب ، حتى قتل النّعمانُ أخا بلعاء بن قيس ، فكان بلعاء

(١) سمّيت بالفجار لأن القتال حدث في الأشهر الحُرم .

(٢) اللطيمة : المسك .

(٣) عكاظ : سوق من أسواق العرب . راجع الجزء الأول من هذا الكتاب باب «أسواق العرب» .

بعد ذلك يغير على لطائم النعمان . فلما اجتمع عروة والبرّاض عنده قال : من يجير لطائمي ؟ فقال البرّاض : أنا ، وقال عروة : أنا ، مثله ؛ فتنازعا كلاماً . فلما خرجا وتوجّه عروة لينصرف ، عارضه البرّاض فقتله وأخذ ما كان معه من لطائم النّعمان . فاجتمعت قيس على قوم البرّاض ، ولجأت كنانة إلى قريش فأعانتها وخرجت معها ؛ فاقتتلوا في رجب ، وكان عندهم الشهر الحرام الذي لا تسفك فيه الدماء . فسمّي الفجار لأنّهم فجروا في شهر حرام . وكان على كلّ قبيل من قريش رئيس ، وعلى بني هاشم الزبير ابن عبد المطلب .

وقد روي أن أبا طالب منع أن يكون فيها أحدٌ من بني هاشم وقال : هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام ، ولا أحْضرُه ولا أحد من أهلي ؛ فأُخرج الزبير بن عبد المطلب مستكرهاً ، وقال عبد الله بن جُدعان التيميّ وحرب بن أُمية : لا نحضر أمراً تغيّب عنه بنو هاشم ، فخرج الزبير .

وقيل : إنّ أبا طالب كان يحضر في الأيّام ومعه رسول الله ، فإذا حضر هَزمت كنانة قيساً فعرفوا البركة بحضوره فقالوا : يا بن مطعم الطير وساقي الحجيج لاتغب عنّا فإنّا نرى مع حضورك الظفر والغلبة . قال : فاجتنبوا الظلم والعدوان والقطيعة والبهتان فإني لا أغيب عنكم . فقالوا : ذاك لك . فلم يزل يحضر حتى فتح عليهم .

وروي عن رسول الله أنّه قال : شهدت الفجار مع عمّي أبي طالب وأنا غلام .

وروى بعضهم أنّه شهد الفجار وهو ابن عشرين سنة وطعن أبا براء ملاعب الأسنّة فأرداه عن فرسه ، وجاء الفتح من قبله (فجمعنا جميع الروايات) ومات حرب بن أمية بن عبد شمس بالشأم بعد الفجار بأشهر .

حلف الفضول

حضر رسول الله حلف الفضول وقد جاوز العشرين ، وقال بعدما بعثه الله : حضرتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما يسرّني به حُمْر النّعم ، ولو دُعيت إليه اليوم لأجبت . وكان سبب حلف الفضول أنّ قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحميّة والمنعة ، فتحالف المطيبون وهم بنو عبد مناف وبنو أسد وبنو زُهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر على أن لا يُسلموا الكعبة ما أقام حِراء وثبير[1] وما بلّ بحر صوفة . وصنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه . وقيل إن الطيب كان لأمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، وهي توأم عبد الله أبي رسول الله ، وتحالفت اللّعقة وهم بنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو جُمَح وبنو سهم وبنو عديّ على أن يمنع بعضهم بعضاً ويعقل[2] بعضهم عن بعض وذبحوا بقرة فغمسوا أيديهم في دمها ؛ فكانت قريش تظلم في الحرم الغريب ومن لا عشيرة له حتى أتى رجل من بني أسد بن خزيمة بتجارة فاشتراها رجل من بني سهم فأخذها السهميّ وأبى أن يعطيه الثمن ، فكلّم قريشاً واستجار بها وسألها إعانته على أخذ حقّه فلم يأخذ له أحدٌ بحقّه فصعد الأسديّ أبا قُبَيْس فنادى بأعلى صوته :

يا أهْلَ فِهْرٍ لِمظلوم بضاعَتَهُ ... بِبَطْن مكّةَ نائي الأهْلِ والنّفَرِ
إن الحَرَامَ لمنْ تمّتْ حِرَامَتُه ... ولا حَرَامَ لثَوْبَيْ لابِسِ الغَدَرِ

وقد قيل : لم يكن رجل من بني أسد ولكنّه قيس بن شيبة السلميّ باع متاعاً من أبي خلف الجمحي وذهب بحقّه ، فقال هذا الشعر ، وقيل بل قال :

يا لَقُصَيّ كيْفَ هذا في الحَرَمْ ... وحُرْمَةِ البيْتِ وأخلاقِ الكرَمْ
أُظْلَمُ لا يُمْنَعُ منّي مَنْ ظَلَمْ

---

(١) حراء وثبير : جبلان بمكة .

(٢) عقل فلان عن فلان : أدّى عنه ما لزم من ديةٍ أو جناية .

فتذمّمت قريش فقاموا فتحالفوا ألاّ يُظلم غريب ولا غيره وأن يؤخذ للمظلوم من الظالم ، واجتمعوا في دار عبد الله بن جُدعان التيميّ . وكانت الأحلاف هاشم وأسد وزهرة وتيم والحارث بن فهر فقالت قريش : هذا فضول[1] من الحلف ، فسمّي حلف الفضول . وقال بعضهم : حضره ثلاثة نفر يقال لهم الفضل بن قضاعة والفضل بن حشاعة والفضل بن بضاعة فسمّي بهذا حلف الفضول . وقد قيل إنّ هؤلاء النّفر حضروا حلفاً لجُرْهم فسمّي حلف الفضول بهم وشبّه بالحلف في تلك السنة .

بنيان الكعبة

ووضع رسول الله الحجر في موضعه حين اختصمت قريش وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وذلك أن قريشاً هدمت الكعبة بسبب سيل أصابهم فهدمها . وقيل : بل كانت امرأة من قريش تجمّر[2] الكعبة فطارت شَرَرَة فأحرقت باب الكعبة ، وكان طولها تسعة أذرع فنقضوها . وكان أوّل من ضرب فيها بِمعْوَل الوليدُ بن المُغيرة المخزوميّ . وحفروا حتى انتهوا إلى قواعد إبراهيم فقلعوا منها حجراً فوثب الحجر ورجع مكانه فأمسكوا[3] .
ويقال إن الذي بدر الحجر من يده أبو وهب بن عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وخرج عليهم ثعبان فحال بينهم وبين البناء ؛ فاجتمعوا ، فقال : ماذا ترون ؟ فقال أبو طالب : إن هذا لا يصلح أن ينفق فيه إلاّ من طيّب المكاسب فلا تُدخلوا فيه مالاً من ظلم ولا عدوان ، فأحضروا ما لم يشكّوا فيه من طيّب أموالهم ورفعوا أيديهم إلى السماء ، فجاء طائر فاختطف الثعبان حتى ذهب . فوضعوا أُزْرَهُم[4] يعملون عراة إلا رسول الله فإنّه أبى أن ينزع ثوبه فسمع صائحاً يصيح : لا

(١) الفضول : الزيادة : أي كل ما أضيف إلى ما تحالفوا عليه سابقاً وارتضوا به هو فضول ، فسمّي حلف الفضول .
(٢) تجمّر : تبخر بواسطة المجمرة .
(٣) أمسكوا : توقفوا .
(٤) أزرهم : جمع إزار وهو ما يغطي به المرء جسده .

تنزع ثوبك . ونقلت الحجارة التي بُنيَ بها البيت من جبل يقال له السيادة من أعلى الوادي وصيّروها ثماني عشرة ذراعاً ، وكانت كلّ قبيلة تلي طائفة منها فكانت بنو عبد مناف تلي الربع وسائر ولد قصيّ بن كلاب وبنو تيم الربع ومخزوم الربع وبنو سهم وجمح وعديّ وعامر بن فهر الربع . فلمّا أرادوا أن يضعوا الحجر اختصموا فيه ، وقالت كلّ قبيلة : نحن نتولّى وضعه . فأقبل رسول الله ، وكانت قريش تسميه الأمين ، فلمّا رأوه مقبلاً ، قالوا : قد رضينا بحكم محمّد بن عبد الله ، فبسط رسول الله رداءه ثم وضع الحجر في وسطه وقال : لتحمل كلّ قبيلة بجانب من جوانب الرداء ثمّ ارفعوا جميعاً . ففعلوا ذلك ؛ فحمل عتبة بن ربيعة أحد جوانب الرداء وأبو زمعة بن الأسود وأبو حذيفة بن المغيرة وقيس بن عديّ السهميّ ، وقيل العاص بن وائل . فلمّا بلغ الموضع أخذه رسول الله ووضعه بموضعه الذي هو به وسقفوها ، ولم يكن لها قبل ذلك سقف .

تزويج خديجة بنت خويلد[1]

وتزوج رسول الله خديجة بنت خويلد وله خمس وعشرون سنة ؛ وقيل : تزوّجها وله ثلاثون سنة ، وولدت له ، قبل أن يُبعث ، القاسمَ ورُقيّة وزينب وأمّ كلثوم ، وبعدما بُعث عبد الله ، وهو الطيّب والطاهر لأنّه وُلد في الإسلام ، وفاطمة . وروى بعضهم عن عمّار بن ياسر أنّه قال : أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد : كنت صديقاً له ، فإنّا لنمشي يوماً بين الصفا والمروة[2] إذا بخديجة بنت خويلد وأختها هالة . فلما رأت رسول الله جاءتني هالة أختها فقالت : يا عمار ! ما لصاحبك حاجة في

---

(١) وهي تلقب بأم المؤمنين ، وكانت تدعى بالجاهلية الطاهرة ، وكانت أول الخلق على الإطلاق إسلاماً بعد البعثة ، وذكر في الجامع الصغير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : «أجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوصين» .

[راجع الروضة الفيحاء للموصلي]

(٢) الصفا والمروة : جبلان بمكة .

خديجة ؟ قلت : والله ما أدري . فرجعتُ فذكرت ذلـك له ، فقـال : ارجعْ فواضعْها وعِدْها يوماً نأتيها فيه ، ففعلت . فلمّا كان ذلك اليـومُ أرسلتْ إلى عمرو بن أسد وسَقَتْه ذلك اليوم ودهنت لحيته بـدهن أصفر ، وطـرحت عليه حِبَراً[1] . ثمّ جاء رسول الله في نفر من أعمـامه تقـدّمهم أبو طـالب فخطب أبو طالب فقـال : الحمد لله الـذي جعلنا من زرع إبـراهيم وذرّيّة إسمـاعيل وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكّام على الناس وبارك لنـا في بلدنا الذي نحن به ، ثمّ إن ابن أخي محمّد بن عبد الله لا يُوزن برجل من قريش إلاّ رجح ولا يُقاس بأحد إلاّ عظم عنه ، وإن كان في المـال قلّ فـإن المال رزق حائل وظلّ زائل ، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة وصداق ما سـألتموه عـاجله من مالي ، ولـه والله خطب عـظيم ونبأ شـائع . فتـزوجهـا وانصرف . فلمّا أصبـح عمّها عمـرو بن أسد أنكـر ما رأى فقيـل له : هـذا ختنـك محمّد بن عبـد الله بن عبد المـطّلب أهدى لـك هذا . قـال : ومتى زوّجتُه ؟ قيل له : بالأمس . قال : ما فعلتُ . قيـل له : بلى ، نشهـد أنّك قـد فعلت . فلمّا رأى عمـرو رسول الله قـال : اشهدوا أنّي إن لم أكن زوّجته بالأمس فقد زوّجته اليوم ، وأنّه ما كان ممّا يقول الناس إنّها استأجرته بشيء ولا كان أجيراً لأحـد قطّ ، وروى محمّد بن إسحـاق أنّ خويلد بن أسـد بن عبـد العزّى زوّج خـديجة ابنتـه من رسـول الله ومـات بعـد الفجـار بخمس سنين ، وروى بعضهم أنّه قُتل في الفجار أو مات عام الفجار .

الـمبعـث

وبُعث رسـول الله لمّا استكمـل أربعين سنة ، فكـان مبعثـه في شهـر ربيع الأوّل وقيل في رمضان ، ومن شهور العجم في شبـاط . وكانت سنتـه التي بُعث فيها سنة قـران في الدلـو . قال ، مـا شاء الله ، الحـاسب : كان طـالع السنـة التي بُعث فيها رسـول الله وهو القـران الثالث من قـران مولـده السنبلة أربـع درجـات ، والقمـر في الميـزان سبـع عشرة درجـة ، والمـرّيـخ من الـطالـع في السنبلة ثـلاث عشرة درجـة راجعـاً ، والمشـتري في الخـامس في الجـدي إحـدى

(١) الحبر : ضرب من برود اليمن .

وعشرين درجة ، وزحل في الدلو في السادس في تسع درجات حدّ الزهرة في الحوت ، والشمس في الثامن في الحمل دقيقة ، وعطارد في الحمل أربع عشرة درجة ، وحدّ مدخل السنة منذ أوّل يوم دخلت فيه الشمس . وقال الخوارزمي[١] : كانت الشمس يومئذ في الدلو أربعاً وعشرين درجة وخمس عشرة دقيقة ، والقمر في السرطان سبع عشرة درجة ، وزحل في الدلو تسع عشرة درجة ،والمشتري[٢] . . . . اثنتي عشرة درجة ، والمرّيخ في الحوت خمس عشرة درجة وثلاثين دقيقة ، والزهرة في الحمل إحدى عشرة درجة ، وعطارد في الدلو ثلاثاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة . وكان جبرائيل يظهر له فيكلّمه . وربّما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل فيذعر من ذلك رسول الله ؛ ثمّ قال له : إنّ ربّك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان ، فكان أوّل أمره. فكان رسول الله يأتي خديجة ابنة خويلد ويقول لها ما سمع وتكلّم به . فتقول له : استر يا بن عمّ ، فوالله إنّي لأرجو أن يصنع الله بك خيراً . وأتاه جبرائيل ليلة السبت وليلة الأحد ثمّ ظهر له بالرسالة يوم الاثنين ، وقال بعضهم يوم الخميس ، وقال من رواه عن جعفر بن محمد يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ولذلك جعله عيداً للمسلمين وعلى جبرائيل جبّة سندس وأخرج له درنوكاً[٣] من درانيك الجنّة فأجلسه عليه وأعلمه أنّه رسول الله وبلّغه عن الله وعلّمه : **﴿اقرأ باسم ربّك الذي خلق﴾**[٤] . وأتاه من غد وهو متدثّر ، فقال : **﴿يا أيّها المدثر قم فأنذر﴾**[٥] . وقال رسول الله : أوّل ما نهاني عنه جبرائيل بعد

---

(١) الخوارزمي : تقدمت ترجمته في موضع سابق من هذا الكتاب من باب مولد الرسول .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) الدرنوك والدرنيك : نوع من البسط أو الثياب له خُمل .

(٤) من سورة العلق الآية ١ والآية ٢ : **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق﴾** .

(٥) من سورة المدثر الآية ١ : **﴿يأيها المدثر ، قُم فأنذر﴾** .

عبادة الأصنام ملاحاة الرجال . وروى بعضهم أنّ إسرافيل وُكّل به ثلاث سنين وأنّ جبرائيل وُكّل به عشرين سنة ؛ وقال آخرون : ما زال جبرائيل موكّلاً به . وقد كان ورقة[1] بن نوفل قال لخديجة بنت خويلد : اسأليه من هذا الذي يأتيه ؟ فإن كان ميكائيل فقد أتاه بالخفض والدعة واللين ، وإن كان جبرائيل فقد أتاه بالقتل والسبي ، فسألته ، فقال : جبرائيل ، فضربت خديجة جبهتها . وكان أول ما افترض عليه من الصلاة الظهر ؛ أتاه جبرائيل فأراه الوضوء ، فتوضأ رسول الله كما توضّأ جبرائيل ثمّ صلّى ليريه كيف يصلّي فصلّى رسول الله . وروى بعضهم أن الظهر الصلاة الوسطى أوّل صلاة صَلاّها رسول الله ، وكان يوم جمعة . ثمّ أتى خديجة ابنة خويلد فأخبرها فتوضّأت وصلّت ، ثمّ رآه عليّ بن أبي طالب ففعل كما رآه يفعل .

ولمّا بُعِث رُمِيَت الشياطين بشُهُب من السماء ومُنعت من أن تسترق السمع . فقال ابليس : ما هذا إلاّ لأمر قد حدث ونبيّ قد بُعث ، وأصبحت الأصنام في جميع الدنيا منكّسة ، وخمدت النيران التي كانت تُعبَد .

وكان أول من أسلم خديجة بنت خُوَيلد من النّساء وعليّ بن أبي طالب من الرجال ، ثمّ زيد بن حارثة ثمّ أبو ذرّ ، وقيل أبو بكر قبل أبي ذرّ ، ثمّ عمرو بن عَبَسَة السلميّ ثمّ خالد بن سعيد بن العاصِ ثمّ سعد بن أبي وقّاص ثم عتبة بن غزوان ثمّ خبّاب بن الأرتّ ثمّ مصعب بن عمير .

وروي عن عمرو بن عبسة السلميّ قال : أتيت رسول الله أوّل ما بُعث وبلغني أمره فقلت : صف لي أمرك . فوصف لي أمره وما بعثه الله به . فقلت : هل يتبعك على هذا أحد ؟ قال : نعم ! امرأة وصبيّ وعبد ، يريد خديجة بنت خويلد وعليّ بن أبي طالب وزيد بن حارثة .

وأقام رسول الله بمكة ثلاث سنين يكتم أمره وهو يدعو إلى توحيد

---

(١) ورقة بن نوفل : من أقارب خديجة ، قيل إنه كان مسيحياً . تعلّم التوراة ونسخ الإنجيل بالعبرية ، مات قبل انتشار الإسلام .

الله ، عزّ وجلّ ، وعبادته والإقرار بنبوّته ، فكان إذا مرّ بملإ من قريش ، قالوا : إن فتى ابن عبد المطّلب ليُكلَّم من السماء حتى عاب عليهم آلهتهم وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كفّاراً ثمّ أمره الله عزّ وجلّ ، أن يصدع بما أرسله ، فأظهر أمره وأقام بالأبطح[1] فقال : إني رسول الله أدعوكم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضرّ ولا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت . فاستهزأت منه قريش وآذته وقالوا لأبي طالب : إنّ ابن أخيك قد عاب آلهتنا وسفّه أحلامنا وضلّل أسلافنا فليُمسك عن ذلك وليحكم في أموالنا بما يشاء . فقال : إنّ الله لم يبعثني لجمع الدنيا والرغبة فيها وإنما بعثني لأبلّغ عنه وأدلّ عليه . وآذوه أشدّ الإيذاء ، فكان المؤذون له منهم أبو لهب والحكم بن أبي العاص وعُقْبة بن أبي مُعَيْط وعديّ بن حمراء الثقفيّ وعمرو بن الطُّلاطِلَة الخزاعيّ . وكان أبو لهب أشدّ أذىً له .

وروى بعضهم أن رسول الله قام بسوق عُكاظ ، عليه جبّة حمراء ، فقال : يا أيّها الناس قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا وتنجحوا . وإذا رجل يتبعه له غديرتان[2] كأنّ وجهه الذهب وهو يقول : يا أيّها الناس إن هذا ابن أخي وهو كذاب فاحذروه . فقلت : مَن هذا ؟ فقيل لي : هذا محمد بن عبد الله ، وهذا أبو لهب ابن عبد المطّلب عمّه . وكان المستهزئون به العاص به وائل السهميّ والحارث ابن قيس بن عديّ السهميّ والأسود بن المطّلب بن أسد والوليد بن المغيرة المخزوميّ والأسود بن عبد يغوث الزهريّ ؛ وكانوا يوكّلون به صبيانهم وعبيدهم فيلقونه بما لا يحبّ حتّى إنّهم نحروا جزوراً[3] بالحَزْورة ورسول الله قائم يصلّي ، فأمروا غلاماً لهم فحمل السّلى والفرث حتى وضعه بين كتفيه وهو ساجد . فانصرف فأتى أبا طالب، فقال : كيف موضعي فيكم ؟ قال : ما ذاك يا بن أخي ؟ فأخبره ما

---

(١) الأبطح : جبل بمكة .

(٢) غديرتان : ضفيرتان من الشعر .

(٣) الجزور : ما يجزر من النوق .

صُنع به . قال : فأقبل أبو طالب مشتملاً على السيف يتبعه غلام له فاخترط سيفه[1] وقال : والله لا تكلّم رجل منكم إلاّ ضربته . ثمّ أمر غلامه فأمرّ ذلك السلى والفرث على وجوههم واحداً واحداً . ثمّ قالوا : حسبك هذا فينا يا بن أخينا. واجتمعت قريش الى أبي طالب ، فقالوا : ندعوك إلى نصفة ؛ هذا عُمارة بن الوليد بن المُغيرة أحسنُ قريش وجهاً وأكملهم هيئة فخذه فصيّره ابنك وصيّرْ إلينا محمّداً نقتلْه . فقال : ما أنصفتموني ! أدفع إليكم ابني تقتلونه ، وتدفعون إليّ ابنكم أغذوه ! وقال أبو طالب في ذلك :

عَجِبْتَ لِحلْمٍ يا بن شيبة عارِفِ ... وأحلام أقْوامٍ لديكَ سِخافِ
يقولون شايِعْ مَن أرادَ مُحَمّداً ... بسوءٍ وقُمْ في أمْرِهِ بِخِلافِ
أصاميمُ إمّا حاسدٌ ذو خِيانَةٍ ... وإمّا قريبٌ منه غَيْرُ مُصافي
ولا يَرْكَبَنَّ الدّهْرَ مِنكَ ظُلامَةً ... وأنْتَ امْرُؤ مِن خَيْرِ عبدِ مَنافِ
وإنّ له قُرْبى إليكم وسيلةً ... وليْسَ بِذي حِلْفٍ ولا بِمُضافِ
ولكنّهُ من هاشمٍ في صَمِيمِها ... إلى أبْحُرٍ فَوْقَ البُحورِ طَوافي
فإنْ عصَبَتْ فيه قرَيْشٌ فقُلْ لها ... بني عَمّنا ما قوْمُكُمْ بضِعافِ
فما قوْمُكم بالقوم يخشون ظُلمَهُم ... وما نحن فيما ساءَكم بِخِفافِ

وقال أيضاً :

وَيَنْهَضُ قَوْمٌ نحوكم غيرَ عُزَّل ... ببيضٍ حَديثٍ عَهْدُها بالصياقِلِ[2]
وأبْيَضُ يُسْتَسْقى الْغَمَامُ بوَجهِهِ ... ثِمالُ اليَتامى[3] عِصْمَةٌ للأرامِلِ

الإسراء[4]

وأُسرِي به وأتاه جبرائيل بالبُراق ، وهو أصغر من البغل وأكبر من

(١) اخترط سيفه : شهره .

(٢) الصياقل ، مفردها صيقل : مبالغة صاقل وهو شحاذ السيوف .

(٣) ثمال : مغيث ، وثمال اليتامى : غياثهم الذي يقوم بأمرهم .

(٤) قال الله عزّ وجلّ : ﴿سُبْحانَ الّذي أسْرى بِعَبْدِهِ ليلاً مِن المَسْجِدِ الحرام إلى المسجد الأقصا﴾ .

[سورة الإسراء ؛ الآية : ١]

الحمار مضطرب الأذنين خطوهَ مدّ بصره له جناحان يحفـزانه من خلفـه عليه سـرج يـاقـوت ، فمضى بـه إلى بيت المقـدس فصلّى بـه ثمّ عـرج إلى السماء ، فكان بينه وبين ربّه كما قال الله : ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ ثمّ هبط به فنزل في بيت أمّ هانىء بنت أبي طالب . فقصّ عليها القصة فقالت له : بأبي أنت وأمي ، لا تذكر هذا لقريش فيكذّبوك .

وفي الليلة التي أُسري به افتقده أبـو طالـب فخاف أن تكون قريش قد اغتالته أو قتلته ، فجمع سبعين رجلاً من بني عبد المطّلب معهم الشّفار[1] وأمرهم أن يجلس كلّ رجل منهم الى جانب رجل من قريش ، وقال لهم : إن رأيتموني ومحمّداً معي فأمسكوا حتى آتيكم وإلاّ فليقتل كلّ رجـل منكم جليسه ولا تنتظروني . فوجدوه على باب أمّ هانىء ، فأتى به بين يديه حتى وقف على قـريش فعرّفهم مـا كان منه فأعـظموا ذلـك وجـلّ في صـدورهم وعاهدوه وعـاقدوه أنّهم لا يؤذون رسـول الله ولا يكون منهم إليه شيء يكرهـه أبداً .

النذارة [2]

وأمـره الله ، عـزّ وجـلّ ، أن ينـذر عشيـرتـه الأقـربين ؛ فـوقف على المروة[3] ثمّ نادى بأعلى صوتـه : يا آل فهـر ، فاجتمعت إليـه بطون قـريش حتى لم يبقَ أحـد منهم . فقـال لـه أبـو لهب : هـذه فهـر ثم نـادى : يـا آل غـالب ، فـانصرفت بنـو محارب وبنـو الحـارث بن فهـر . ثمّ نـادى : يـا آل لؤيّ ، فانصرفت بنو تيم الأدْرَم بن غالب . ثمّ نادى : يا آل كعب ، فانصرفت بنو عامر وبنو عوف بن لؤيّ . ثمّ نادى : يا آل مـرّة ، فانصـرفت بنو عـديّ بن كعب وبنـو سَهْم وجُمَح ابني هُصيص بن كعب. ثمّ نـادى: يا آل كـلاب، فانصرفت بنو تيم بن مرّة وبنو مخزوم بن يَقَظة بن مرّة . ثمّ نـادى : يا آل

---

(١) الشفار : السيوف .

(٢) النذارة : الإعلام والتحذير من العواقب .

(٣) المروة : جبل بمكة .

قصيّ ، فانصرفت بنو زهرة . ثمّ نادى : يا آل عبد مناف ، فانصرفت بنو عبد الدار وبنو عبد العُزّى ابني قصيّ . ثم نادى: يا آل هاشم ، فانصرفت بنو عبد شمس وبنو نَوْفَل . وأقام بنو عبد المطّلب ، فقال أبو لهب : هذه هاشم قد اجتمعت ، فجمعهم في بعض دورهم . وحدّثني أبو عبد الله الفضل بن عبد الرحمٰن الهاشميّ من ولد ربيعة بن الحارث أنّهم كانوا في دار الحارث بن عبد المطّلب وكانوا أربعين رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ؛ فصنع لهم طعاماً فأكلوا عشرة عشرة حتى شبعوا . وكان جميع طعامهم رِجْل شاة وشرابهم عُسّ[1] من لبن .وإنّ منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفَرْقَ . ثمّ أنذرهم كما أمره الله ودعاهم إلى عبادة الله تعالى ، وأعلمهم تفضيل الله إيّاهم واختصاصه لهم إذ بعثه بينهم وأمره أن ينذرهم . فقال أبو لهب : خذوا على يدي صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم ؛ فإن منعتموه قُتِلتم وإن تركتموه ذللتم . فقال أبو طالب : يا عورة ، واللّهِ لننصرنّه ثمّ لنعيننّه . يا بن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربّك فأعْلِمنا حتى نخرج معك بالسّلاح . وأسلم يومئذ جعفر بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وأسلم خلق عظيم وظهر أمرهم وكثرت عدّتهم وعاندوا ذوي أرحامهم من المشركين . فأخذت قريش من استضعفت منهم إلى الرجوع عن الإسلام والشتم لرسول الله ؛ فكان ممن يعذَّب في الله عمّار بن ياسر وياسر أبوه وسُميّة أمّه حتى قتل أبو جهل سُمَيّة ؛ طعنها في قُبلِها[2] فماتت ، فكانت أوّل شهيد في الإسلام ، وخَبّاب بن الأرتّ وصُهَيب بن سِنان وأبو فُكَيْهَة الأزديّ وعامر بن فُهيْرة وبلال بن رباح . وقال خباب بن الأرتّ : يا رسول الله ادْعُ لنا . قال : إنّكم لتعجلون ، لقد كان الرجل ممّن كان قبلكم يُمشط بأمشاط الحديد ويُشق بالمنشار فلا يردّه ذلك عن دينه ، والله ليتمّمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الرّاكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله

---

(١) العس : القدح أو الإناء الكبير .

(٢) يريد في فرجها .

والذئب على عنزه . واشتدّ على القوم العذاب ونالهم منه أمر عظيم فرجع عن الإسلام خمسة نفر وهم : أبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة[1] ..... فروي أن فيهم نزلت هذه الآية : ﴿الذينَ تَتوفّاهُم المَلائِكةُ ظَالِمي أنْفُسِهِمْ﴾[2] إلى آخر الآية .

مهاجرة الحبشة[3]

ولمّا رأى رسول الله ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب وما هو فيه من الأمن بمنع أبي طالب عمّه إيّاه قال لهم : ارحلوا مهاجرين الى أرض الحبشة إلى النجاشيّ[4] فإنّه يحسن الجوار . فخرج في المرّة الأولى اثنا عشر رجلاً وفي المرّة الثانية سبعون رجلاً سوى أبنائهم ونسائهم ، وهم المهاجرون الأوّلون ، فكان لهم عند النجاشيّ منزلة ؛ وكان يرسل إلى جعفر فيسأله عمّا يريد ، فلمّا بلغ قريشاً ذلك وجّهت بعمرو بن العاص وعمارة بن الوليد المخزوميّ إلى النجاشيّ بهدايا وسألوه أن يبعث إليهم بمن صار إليه من أصحاب رسول الله ، وقالوا : سفهاء من قومنا خرجوا عن ديننا وضلّلوا أمواتنا وعابوا آلهتنا ، وإن تركناهم ورأيهم لم نأمن أن يُفسدوا دينك . فلمّا قال عمرو وعمارة للنجاشيّ هذا ، أرسل إلى جعفر فسأله ، فقال : إن هؤلاء على شرّ دين يعبدون الحجارة ويصلّون للأصنام ويقطعون الأرحام ويستعملون الظلم ويستحلّون المحارم ، وإن الله بعث فينا نبيّاً من أعظمنا قدراً وأشرفنا سرراً وأصدقنا لهْجَة وأعزّنا بيْتاً ، فأمر عن الله بترك عبادة الأوثان واجتناب المظالم والمحارم والعمل بالحقّ والعبادة له وحده ؛

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) ﴿...... الّذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ......﴾ .
[سورة النحل ؛ الآيات : ٢٨ .. ٣٢]

(٣) تمت هذه المهاجرة على دفعتين . والحبشة اليوم هي أثيوبيا وهي امبراطورية في أفريقيا الشرقية ، عاصمتها أديس أبابا .

(٤) النجاشي : هو لقب ملوك الحبشة .

فردّ على عمرو وعمارة الهدايا وقال : أدفع إليكم قوماً في جواري على دين الحقّ وأنتم على دين الباطل! وقال لجعفر: اقرأ عليّ شيئاً ممّا أُنزل على نبيّكم . فقرأ عليه : ﴿كهيعص﴾[1] ، فبكى وبكى من بحضرته من الأساقفة . فقال له عمرو وعمارة : أيّها الملك إنّهم يزعمون أن المسيح عبدٌ مملوك ؛ فأوحشه ذلك وأرسل إلى جعفر فقال له : ما تقول وما يقول صاحبكم في المسيح ؟ قال : إنّه يقول إنّه روح الله وكلمته ، ألقاها إلى العذراء البتول . فأخذ عوداً بين إصبعيه ثمّ قال : ما يزيد المسيح على ما قلت ولا مقدار هذا .

وكان عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد تلاحيا[2] في طريقهما ؛ وكان عمارة رجلاً مغرماً بالنساء وكان معه امرأته رابطة بنت منبّه بن الحجّاج السهميّ . فقال عمارة : قل لها فلتقبّلني . فقال : سبحان الله ! أتقول هذا لابنة عمّك ؟ قال : والله لتفعلنّ أو لأضربنّك بهذا السيف . فقال لها : قبّليه . ثمّ إن عمارة اعتقل عمراً فألقاه في البحر ، فعام عمرو وأوهمه أنّه فعل هذا مزاحاً . فقال : ألقِ إلى ابن عمك الحبل ، سبحان الله أهكذا يكون المزاح ؟ فألقى إليه الحبل ، فخرج . فلمّا أراد عمرو وعمارة الانصراف وأيسا من عند النجاشيّ ، قال عمرو لعمارة : لو أرسلت إلى امرأة الملك النجاشيّ فلعلّنا ننال منها حاجتنا عنده . ففعل ذلك ولاطفها حتى أرسلت إليه بطيب من طيب الملك ، فكاد[3] عمرو عمارةَ ، وقال للنجاشيّ : إن صاحبي هذا أرسل إلى امرأة الملك حتى أطمعته في نفسها وبعثت إليه بطيب من طيب الملك . فأخذه النجاشيّ فنفخ في أُنثييه السُّمّ وقيل الزّئبق ، فهام مع الوحوش على وجهه ؛ فلم يزل هائماً حتى قدم قوم من

---

(١) قال الله تعالىٰ : ﴿كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ .
[سورة مريم ؛ الآية : ١]

(٢) تلاحيا : تلاعنا وتشاتما .

(٣) كاد : أغاظ .

بني مخزوم فسألوه أن يأذن لهم في أخـذه ؛ فنصبوا لـه فأخـذوه . فلم يزل يضـطرب في أيديهم حتى مـات . وانصرف عمـرو إلى المشركين خـائبـاً ، وأقام المسلمون بأرض الحبشة حتى وُلـد لهم الأولاد . وجميع أولاد جعفـر وُلـدوا بأرض الحبشـة ولم يـزالـوا بهـا في أمن وسـلامـة . واسم النجـاشيّ أصحمة .

حصار قريش لرسول الله وخبر الصحيفة

وهمّت قـريش بقتل رسـول الله وأجمع مـلأُهـا على ذلـك، وبلغ أبـا طالب فقال :

والله لَنْ يصِلوا إليـْـكَ بجـمْعِـهِمْ ... حتى أُغَيَّبَ فـي التــرابِ دَفـينَــا
ودَعَـوْتَني وزَعَمْتَ أنّكَ نــاصِـحٌ ... ولقــد صَــدَقْتَ وكنتَ ثَمّ أميـنــا
وعـرضْتَ ديناً قــدْ عَلِمْتُ بـأنّــهُ ... من خَيْــرِ أديــانِ الـبـرِيّــةِ دينَــا

فلمّـا علمت قريش أنّهم لا يقـدرون على قتـل رسـول الله ، وأنّ أبـا طالب لا يسلّمه ، وسمعت بهذا من قول أبي طالب ، كتبت الصحيفـة القاطعة الـظالمة ألاّ يبـايعوا أحـداً من بني هاشم ولا ينـاكحوهم ولا يعـاملوهم حتى يـدفعوا إليهم محمّـداً فيقتلوه . وتعاقـدوا على ذلك وتعـاهدوا وختمـوا على الصحيفة بثمانين خاتماً ، وكـان الذي كتبهـا منصور بن عكـرمة بن عـامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، فشلّت يده . ثم حصـرت قريش رسـول الله وأهل بيته من بني هاشم وبني المطّلب ابن عبد مناف في الشِّعب الذي يقال له شعب بني هاشم بعد ستّ سنين من مبعثه . فأقام ومعه جميـع بني هـاشم وبني المطّلب في الشّعب ثـلاث سنين حتى أنفق رسول الله مـالـه ، وأنفق أبو طالب ماله ، وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها ، وصاروا الى حدّ الضـرّ والفـاقـة ، ثمّ نـزل جبـرائيـل على رســول الله فقـال : إن الله بعث الأَرَضـة[1] على صحيفة قـريش فـأكلت كـلّ مـا فيهـا من قـطيعـة وظلم إلاّ

---

(١) الأرضة : دويبة من فصيلة الأرضيات تقرض الأخشاب والورق .

المواضع التي فيها ذكر الله . فخبّر رسولُ الله أبا طالب بـذلك ثمّ خـرج أبو طـالب ومعه رسـول الله وأهل بيتـه حتى صار إلى الكعبـة ، فجلس بفنائهـا وأقبلت قريش من كلّ أوْب فقالوا : قد آن لك يا أبا طـالب أن تذكـر العهد وأن تشتـاق إلى قومـك وتَدَع اللّجـاج في ابن أخيك . فقـال لهم : يا قـوم أحضروا صحيفتكم فلعلّنا أن نجد فرجاً وسبباً لصلة الأرحام وترك القطيعة ؛ وأحضـروهـا وهي بخـواتيمهم . فقـال : هـذه صحيفتكم على العهـد لم تنكروها . قالوا : نعم. قال : فهل أحدثتم فيها حـدثاً ؟ قـالوا : اللهمّ لا . قال : فإن محمّداً أعلمني عن ربّه أنّه بعث الأرَضَـة فأكلت كـلّ ما فيهـا إلاّ ذكر الله ؛ أفرَأيْتُم إنْ كـان صادقـاً ماذا تصنعـون ؟ قالـوا : نكفّ ونُمْسِك . قال : فإنْ كان كاذبـاً دفعته إليكم تقتلونـه . قالـوا . قد أنصفت وأجملتَ ؛ وفُضّت الصحيفة فإذا الأرَضَة قد أكلت كلّ ما فيها إلاّ مواضع بسم الله ، عزّ وجلّ . فقالوا : ما هذا إلاّ سحر ، وما كنّا قطّ أجـدّ في تكذيبـه منّا سـاعتَنا هذه . وأسلم يومئذ خلق من الناس عظيم وخرج بنو هاشم من الشّعب وبنو المطّلب فلم يرجعوا إليه .

وفاة القاسم ابن رسول اللّه

وتُوفي القاسم ابن رسول الله ، فقال وهو في جنازته ، ونظر إلى جبل من جبال مكّة : يا جبل لـو أنّ ما بي بك لهدّك . وكـان للقاسم يـوم توفي أربـع سنين . ثمّ توفي عبـد الله ابن رسول الله بعـده بشهـر ، ولم يفـطم . فقالت خديجة : يا رسـول الله لو بقي حتى أفـطمه ! قـال : فإنّ فـطامه في الجنّة . وسألت خـديجة رسـول الله فقالت : أين أولادي منـك ؟ قال : في الجنة . قالت : بغيـر عمل ؟ قـال : الله أعلم بما كـانوا عـاملين . قالت : فأين أولادي من غيرك ؟ قـال : في النار . قـالت : بغير عمـل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

ما نزل من القرآن بمكّة(١)

ونزل من القرآن بمكّة اثنتان وثمانون سورة ، على ما رواه محمّد بن حفص بن أسد الكوفي عن محمد بن كثير ومحمّد بن السائب الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس . وكان أوّل ما نزَل على رسول الله : ﴿اقْرأ باسم رَبّكَ الّذي خَلَق﴾ ثمّ : ﴿نُون والقلمِ وما يَسْطرُونَ﴾ ثمّ : ﴿وَالضحىَ﴾ثمّ : ﴿يا أيّها المُدَّثّر﴾ ثمّ ﴿فاتحة الكتاب﴾ ثمّ ﴿تبّت﴾ ثمّ ﴿إذا الشمسُ كورت﴾ ثمّ ﴿سبّح اسم ربّكَ الأعلى﴾ ثمّ ﴿واللّيلِ إذا يَغْشى﴾ ثمّ ﴿وَالفجر﴾ ثمّ ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ ثمّ ﴿الرحمٰن﴾ ثمّ ﴿والعصر﴾ ثمّ ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾ ثمّ ﴿ألهاكم التكاثر﴾ ثمّ ﴿أرأيت الذي يكذّب بالدّين﴾ ثمّ ﴿ألم ترَ كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل﴾ ثمّ ﴿والنّجم إذا هوى﴾ ثمّ ﴿عبس وتولّى﴾ ثمّ ﴿إنّا أنزلْناه في ليلة القدر﴾ ثمّ ﴿والشمس وضحاها﴾ ثمّ ﴿والسماء ذات البروج﴾ ثمّ ﴿والتين والزيتون﴾ ثمّ ﴿لإيلاف قريش﴾ ثمّ ﴿القارعة﴾ ثمّ ﴿لا أُقسم بيوم القيامة﴾ ثمّ ﴿ويْلٌ لكلّ هُمَزَةٍ﴾ ثمّ ﴿والمُرْسَلات عُرْفاً﴾ ثمّ ﴿ق والقرآن المجيد﴾ ثمّ ﴿لا أُقسم بهذا البلد﴾ ثمّ ﴿والسماء والطارق﴾ ثمّ ﴿اقتربت الساعة﴾ ثمّ ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ ثمّ ﴿الأعراف﴾ ثمّ ﴿سورة الجنّ﴾ ثمّ ﴿سورة يس﴾ ثمّ ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان﴾ ثمّ ﴿سورة الملائكة﴾ ثمّ ﴿سورة مريم﴾ ثمّ ﴿سورة طه﴾ ثمّ ﴿طسم الشُّعراء﴾ ثمّ ﴿طس النمل﴾ ثمّ ﴿طسم القصص﴾ ثمّ ﴿سورة بني إسرائيل﴾ ثمّ ﴿سورة يونس﴾ ثمّ ﴿سورة هود﴾ ثمّ ﴿سورة يوسف﴾ ثمّ ﴿الحجر﴾ ثمّ ﴿الأنعام﴾ ثمّ ﴿الصافّات﴾ ثمّ ﴿لقمان﴾ ثمّ ﴿حم المؤمن﴾ ثمّ ﴿حم السجدة﴾ ثمّ ﴿حم عسق﴾ ثمّ ﴿الزخرف﴾ ثمّ ﴿حمد سبأ﴾ ثمّ ﴿تنزيل الزمر﴾ ثمّ ﴿حم

---

(١) وهي ما تسمى بالآيات المكية أو السور المكّية ، والسورة تصنف مكية إذا نزل أولها بمكة وإن كان تمامها بالمدينة ، لأن القرآن الكريم كان ينزل مفرّقاً ولا ينزل سورة سورة .

الدّخان﴾ ثمّ ﴿حم الشريعة﴾ ثمّ ﴿الأحقاف﴾ ثمّ ﴿والذاريات﴾ ثمّ ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ ثمّ ﴿سورة الكهف﴾ ثمّ ﴿سورة النحل﴾ ثمّ ﴿إنّا أرسلنا نوحاً﴾ ثمّ ﴿سورة إبراهيم﴾ ثمّ ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ثمّ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ثمّ ﴿الرعد﴾ ثمّ ﴿والطور﴾ ثمّ ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ ثمّ ﴿الحاقّة﴾ ثمّ ﴿سأل سائل﴾ ثمّ ﴿عمّ يتساءلون﴾ ثمّ ﴿والنازعات غرقاً﴾ ثمّ ﴿إذا السماء انفطرت﴾ ثمّ ﴿سورة الروم﴾ ثمّ ﴿العنكبوت﴾

وقد اختلف الناس في هذا التأليف في غير رواية ابن عبّاس ، وكان الاختلاف أيضاً يسيراً . وروى محمّد بن كثير ومحمّد بن السائب عن ابن صالح عن ابن عبّاس أنّه قال : كان القرآن ينزل مفرَّقاً ، لا ينزل سورة سورة ؛ فما نزل أوّلها بمكّة أثبتناها بمكّة وإن كان تمامها بالمدينة ، وكذلك ما نزل بالمدينة وإنه كان يعرف فصل ما بين السورة والسورة إذا نزل بسم الله الرحمٰن الرحيم ، فيعلمون أنّ الأولى قد انقضت وابتدىء بسورة أُخرى . وروى بعضهم أنّ التوراة أُنزلت لستّ خلَون من شهر رمضان والزبور[1] لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد التوراة بألف وخمسمائة عام ، والإنجيل لثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بثمانمائة عام ، وقيل ستمائة .

وروى آخرون أن القرآن نزل لعشرين ليلة خلت من شهر رمضان . وروى جعفر بن محمّد أنّه قال : إنّ الله لم يبعث قطّ نبيّاً إلّا بما هو أغلب على أهل زمانه ، فبعث موسى بن عمران إلى قوم كان الأغلب عليهم السحر فأتاهم بما ضلّ معه سحرهم من العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفلاق البحر وانفجارالحجر حتى خرج منه الماء والطمس[2] على وجوههم ؛ فهذه آياته ، وبعث داوُد في زمن أغلب الأمور

---

(١) الزبور : الكتاب الذي حوى مزامير داود النبي .

(٢) الطمس هنا : الوحل .

على أهله الصنعة والملاهي فألان له الحديد وأعطاه حسن الصوت فكانت الوحوش تجتمع لحسن صوته ، وبعث سليمان في زمان قد غلب على الناس فيه حبّ البناء واتّخاذ الطلسمات[١] والعجائب فسخّر له الريح والجنّ ، وبعث عيسىٰ في زمان أغلب الأمور على أهله الطبّ فبعثه بإحياء الموتى وإبراء الأكمه[٢] والأبرص ، وبعث محمّداً في زمان أغلب الأمور على أهله الكلام والكهنة والسجع والخطب فبعثه بالقرآن المبين والمحاورة .

وفاة خديجة وأبي طالب

وتُوفّيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولها خمس وستون سنة ؛ ودخل عليها رسول الله وهي تجود بنفسها ، فقال : بالكره منّي ما أرى ، ولعلّ الله أن يجعل في الكره خيراً كثيراً ، إذا لقيت ضرّاتك[٣] في الجنّة يا خديجة فاقرئيهنّ السلام . قالت: ومَن هنّ يا رسول الله ؟ قال: إنّ الله زوّجنيك في الجنّة وزوّجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثوم أخت موسى . فقالت : بالرفاء والبنين . ولمّا تُوفّيت خديجة ، جعلت فاطمة تتعلّقُ برسول الله وهي تبكي وتقول: أين أُمّي ؟ أين أُمّي ؟ فنزل عليه جبرائيل فقال : قل لفاطمة إن الله تعالى بنى لأُمّك بيتاً في الجنّة من قصب لا نصب[٤] فيه ولا صخب .

وتُوفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيّام وله ستّ وثمانون سنة ، وقيل بل تسعون سنة . ولمّا قيل لرسول الله إنّ أبا طالب قد مات عظُم ذلك في قلبه واشتدّ له جزعه ثمّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات وجبينه

---

(١) الطلسمات : مفردها طلسم ، وهي خطوط أو كتابة يستعملها الساحر ويزعم أنه يدفع بها كل مؤذٍ .

(٢) الأكمه : الأعمى .

(٣) الضرة : ضرة المرأة ، امرأة زوجها .

(٤) النصب : التعب .

الأيسر ثلاث مرّات ثمّ قال: يا عمّ ربّيت صغيراً وكفلت يتيماً ونصرت كبيراً . فجزاك الله عنّي خيراً ، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول : وصلتك رحم وجزيت خيراً ، وقال: اجتمعت على هذه الأمّة في هذه الأيّام مصيبتان لا أدري بأيّهما أنا أشدّ جزعاً ؛ يعني مصيبة خديجة وأبي طالب . وروي عنه أنّه قال: إن الله ، عزّ وجلّ ، وعدني في أربعة : في أبي وأمّي وعمّي وأخ كان لي في الجاهليّة .

عرض رسول اللّه نفسه على القبائل وخروجه إلى الطائف

واجترأت قريش على رسول الله بعد موت أبي طالب وطمعت فيه وهمّوا به مرّة بعد أخرىٰ ، وكان رسول الله يعرض نفسه على قبائل العرب في كلّ موسم ويكلّم شريف كلّ قوم ؛ لا يسألهم إلاّ أن يُؤووه ويمنعوه ، ويقول : لا أكره أحداً منكم ، إنّما أريد أن تمنعوني ممّا يُراد بي من القتل حتى أبلّغ رسالات ربي ، فلم يقبله أحد ، وكانوا يقولون : قوم الرجل أعلم به ؛ فعمد لثقيف بالطائف ، فوجد ثلاثة نفر إخوة هم يومئذٍ سادة ثقيف وهم : عبد ياليل بن عمرو وحبيب بن عمرو ومسعود بن عمرو ؛ فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء ، فقال أحدهم : ألا يسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك ؟ وقال الآخر : أعجز على الله أن يرسل غيرك ؟ وقال الآخر : والله لا أكلّمك أبداً ، لئن كنت رسولاً كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام ، ولئن كنتَ تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلّمك . وتهزّأوا به وأفشوا في قومهم ما قالوه له ، وقعدوا له صفّين . فلمّا مرّ رسول الله رجموه بالحجارة حتى أدموا رجله ، فقال رسول الله : ما كنت أرفع قدماً ولا أضعها إلا على حجر . ووافاه بالطائف عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومعهما غلام لهما نصرانيّ ويُقال له عدّاس ؛ فوجّها به إلى رسول الله ، فلمّا سمع كلامه أسلم . ورجع رسول الله إلى مكة .

قدوم الأنصار مكة

وكانت الأوس والخزرج[1] ابنا حارثة بن ثعلبة أهل عزّ ومنعة في بلادهم حتى كانت بينهم الحروب التي أفنتهم في أيّامٍ لهم مشهورة منها يوم الصُّفَيْنَة وهو أوّل يوم جرت الحرب فيه ويوم السرارة ويوم وفاق بني خَطْمَة ويوم حاطب بن قيس ويوم حُضَيْر الكتائب ويوم أُطم بني سالم ويوم أبتروة ويوم البقيع ويوم بُعاث ويوم مضرس ومُعَبّس ويوم الدار ويوم بُعاث الآخر ويوم فجار الأنصار[2] ؛ وكانوا ينتقلون في هذه المواضع التي تُعرف أيّامهم بها ويقتتلون قتالاً شديداً . فلمّا ضرّستهم الحرب وألْقَتْ بَرْكَها عليهم وظنّوا أنّها الفناء ، واجترأت عليهم بنو النّضير وقُريظة وغيرهم من اليهود خرج قوم منهم إلى مكّة يطلبون قريشاً لتقوّيهم ؛ وعزّوا فاشترطوا عليهم شروطاً لم يكن لهم فيها مقنع ، وكان المشترط عليهم أبو جهل بن هشام المخزوميّ ؛ وقد قيل إن قريشاً قد كانت أجابتهم حتى قدم أبو جهل من سفر له وكان غائباً فنقض الحلف واشترط عليهم شروطاً لم يقنعوا بها . ثمّ صاروا إلى الطائف فسألوا ثقيفاً فأبطأوا عنهم فانصرفوا . وقدم رجل منهم بعد مبعث رسول الله يُقال له سويد بن الصامت من الأوس حاجّاً أو معتمراً[3] فبلغه أمر رسول الله فلقيه وكلّمه فدعاه رسول الله إلى الله . فقال

---

(١) الأوس والخزرج : قبيلتان عربيتان سكنتا المدينة في الجاهلية ، ومنها أسر يهودية اعتنقت الإسلام بعد ظهوره .

(٢) سميت الفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم ، والفجارات أربعة ، كما جاء في مروج الذهب للمسعودي : «فجار الرجل ، أو فجار بدر ، وفجار القرد ، وفجار المرأة ، والفجار الرابع هو فجار البراض» . وخالفه أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني فقال : «واعلم أن الفجارات التي ذكرها المؤلف أربعة وهي أيام الفجار الأول . وربما عدّ آخر ما ذكره هو من أيام الفجار الثاني . . . .» .

[مروج الذهب ٢ / ٢٧٧ والأغاني ج ١٩ ص ٧٤ وما بعدها طبعة بولاق] .

(٣) الاعتمار والعمرة : هي أفعال مخصوصة تسمّى الحج الأصغر وأفعالها أربعة : الإحرام والطواف والسعي بين الصفا والمروة والحلق .

له سويد : إنّ معي مجلّة لقمان[1] . قال: فاعرضْها عليّ ؛ فعرضها عليه . فقال رسول الله : إنّ هـذا الكلام لحسن ، والـذي معي أحسن منه : كـلام الله ، وقرأ عليه . فقال : يا محمّـد إنّ هذا لكـلام حسن . ثمّ انصرف إلى المدينة ، فلم يلبث أن قتله الخـزرج ؛ ثمّ قدم نفـر منهم أيضاً إلى مكّـة ، وهم بنو عَفْراء ، يتفاخرون مع أسعد بن زُرارة ، فلقيهم رسـول الله ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن . فقـال رجل منهم يُقـال له إيـاس بن معاذ : يـا قوم هذا والله النبيّ الذي كانت اليهود تعدكم به ، فلا يسبقنّكم إليـه أحد ؛ فـأسلموا ، وأخـذ عليهم رسول الله الإيمـان بالله وبـرسـولـه ؛ ثمّ انصـرفـوا فأخبروا قومهم الخبر وقد كانـوا سألـوه أن يوجّـه معهم رجلاً من قبله يـدعو النّـاس بكتـاب الله . فبعث إليهم رسـول الله مصعب بن عميـر فنـزل على أسعد بن زرارة وجعل يـدعوهم إلى الله ، عـزّ وجـلّ ، ويعلّمهم الإسـلام ، وكان أول من قدم المدينة . ثم خـرج اثنا عشـر رجلاً منهم إليـه فلقوه وهم أصحاب العَقَبَة الأولىٰ[2] فآمنوا بالله وصدّقوه ، وانصرفـوا إلى المدينـة وكثر خبره وفشا الإسلام فيها .

فلمّـا كان العـام القابـل خرج إليـه جمـاعـة من الأوس وجمـاعـة من الخزرج فوافى منهم سبعون رجلاً وامرأتان فأسلموا وصدّقوه ؛ وأخـذ رسول الله عليهم بيعة النساء[3] . فسألوه أن يخـرج معهم إلى المدينـة ، وقالـوا : إنّه لم يصبح قوم في مثل ما نحن فيه من الشـرّ ، ولعلّ الله أن يجمعنـا بك

---

(١) لقمان : من الحكماء الذين يتمثل بهم ، ينسب إليه الحكم والأقوال والأمثال ، جاءت أخباره في الجاهلية وفي صدر الإسلام .
لقب بالمعمّر لطول عمره ، وقد نسج حول شخصيته الكثير من الأساطير .

(٢) العقبة : اسم الأمكنة الـواقعة بين منى ومكـة وفيها «الجمـرة» أو العمود الـذي يرجمـه الحجـاج ، وعندهـا صارت «بيعـة النساء وبيعـة الحرب» . فيهـا تحـالـف سبعـون من المدنيين على مناصرة النبي بسيوفهم . وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم :
﴿وهديناه النجدين . فلا اقتحم العقبة﴾ . . سورة البلد ؛ الآية : ١١
﴿ . . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة﴾ . . سورة البلد ؛ الآية : ١٢ .

(٣) أنظر الهامش رقم ٢ .

ويجمع ذات بيننا فلا يكون أحد أعزّ منّا . فقال لهم رسول الله قولاً جميلاً ، ثمّ انصرفوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام فكثر حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلاّ وفيها ذِكر حسن من ذِكر رسول الله ؛ وسألوه الخروج معهم وعاهدوه أن ينصروه على القريب والبعيد والأسود والأحمر ؛ قال له العبّاس بن عبد المطّلب : وإنّي فداك أبي وأُمّي آخذ العهد عليهم ؛ فجعل ذلك إليه وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يمنعوه وأهله ممّا يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم وعلى أن يحاربوا معه الأسود والأحمر وأن ينصروه على القريب والبعيد وشرط لهم الوفاء بذلك والجنّة .

خروج رسول اللّه من مكّة

وأجمعت قريش على قتل رسول الله ، وقالوا : ليس له اليوم أحد ينصره وقد مات أبو طالب ؛ فأجمعوا جميعاً على أن يأتوا من كلّ قبيلة بغلام نهد[1] فيجتمعوا عليه فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فلا يكون لبني هاشم قوّة بمعاداة جميع قريش . فلمّا بلغ رسول الله أنّهم أجمعوا على أن يأتوه في الليلة التي اتّعدوا[2] فيها ، خرج رسول الله لمّا اختلط الظلام ومعه أبو بكر ؛ وإنّ الله ، عزّ وجلّ ، أوحى في تلك الليلة إلى جبرائيل وميكائيل أنّي قضيت على أحدكما بالموت فأيّكما يواسي صاحبه ؟ فاختار الحياة كلاهما ، فأوحى الله إليهما : هلاّ كنتما كعليّ بن أبي طالب ، آخيت بينه وبين محمّد ، وجعلت عمر أحدهما أكثر من الآخر ، فاختار عليّ الموت وآثر محمّداً بالبقاء وقام في مضجعه ، اهبطا فاحفظاه من عدوّه . فهبط جبرائيل وميكائيل فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه يحرسانه من عدوّه ويصرفان عنه الحجارة ، وجبرائيل يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب مَن مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات !وخلّف عليّاً

---

(١) نهد : مراهق .

(٢) اتّعدوا : تواعدوا .

على فراشه لردّ الودائع التي كانت عنده وصار إلى الغـار[1] فكمن فيه وأتت قريش فراشـه فوجـدوا عليّاً فقـالوا : أين ابن عمّـك ؟ قال: قلتم لـه أخرج عنّـا ، فخـرج عنكم . فـطلبـوا الأثـر فلم يقعـوا عليـه ، وأعمى الله عليهم المواضع فوقفوا على باب الغار وقد عشّشت عليه حمامة ، فقـالوا : مـا في الغار أحد ؛ وانصـرفوا . وخـرج رسول الله متـوجّهاً إلى المـدينة ، ومـرّ بأمّ معبد الخزاعيّة فنزل عندها . ثمّ نفذ لوجهه حتى قدم المدينة ، وكان جميع مقامه بمكّة حتى خرج منها إلى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثـه . وروى بعضهم أنّه قال : ما علمتْ قريش أين تـوجّه رسـول الله حتى سمعوا هـاتفاً من بعض جبال مكة يقول :

فـإنْ يسْلِمِ السَّعْـدانِ يُصْبِحْ مَحمّـدٌ بمكّـةَ لا يَخْشى خـلافَ المُخـالِـفِ

وقال أبو سفيـان : من السعود سعـد هُذيم وسعـد تميم وسعد بكـر ، فسمعوا في الليلة المقبلة قائلاً يقول:

فيـا سعد سعدَ الأوْس كن أنتَ ناصـراً ويا سعدُ سعدَ الخزْرَجينَ الغطارفِ[2]
أنيبَـا إلـى داعي الـهُـدى وتَمـنَّيَـا على اللّهِ في الفـرْدَوْس مُنيـةَ عـارِفِ

فعلمت قـريش أنّه قـد مضى إلى يثـرب ، واتّبعـه سُـراقـة بن جُعْشُم المدلجيّ لمّا صـار إلى ماء بني مـدلج . فلمّـا لحقه قـال رسول الله : أَللّهُمَّ اكفِنـا سُراقـة ، فساخت قـوائم فرسـه ، فصاح : يـا بـن أبي قحافـة ، قـل لصاحبك أن يدعو الله بـإطلاق فـرسي ، فلعمري لئن لم يصبـه منّي خير لا يصبه منّي شرّ . فلمّا رجع إلى مكّة خبّرهم الخبر فكذّبوه . وكان أشدّهم له تكذيباً أبو جهل ، فقال سراقة :

أبـا حَكَمٍ واللّهِ لـو كنْـتَ شـاهِـداً لأمْرِ جَوادي حيْثُ سـاخَت[3] قوائمُـهْ

---

(١) وكـان برفقتـه صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكـر ، وعامـر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبـد الله بن أريقط الديلي دليل لهم على الطريق ، ولم يكن مسلماً .

(٢) الغطاريف: جمع غطريف وهو سيد القوم .

(٣) ساخت : غاصت .

عَلِمْتَ ولم تَشْكُكْ بأنّ محمّداً رسولٌ وبرْهانٌ فَمَنْ ذا يكاتِمُهْ

قدوم رسول اللّه المدينة

وقدم رسول الله المدينة يوم الاثنين لثمان خلَون من شهر ربيع الأوّل ؛ وقيل يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت منه ، والشمس يومئذ في السرطان ثلاثاً وعشرين درجة وستّ دقائق ، والقمر في الأسد ستّ درجات وخمساً وثلاثين دقيقة ، وزحل في الأسد درجتين ، والمشتري في الحوت ستّ درجات راجعاً ، والزهرة في الأسد ثلاث عشرة درجة ، وعطارد في الأسد خمس عشرة درجة ؛ فنزل على كلثوم بن الهِدْم ، فلم يلبث إلّا أيّاماً حتى مات كلثوم ؛ وانتقل فنزل على سعد بن خَيْثَمَة في بني عمرو بن عوف فمكث أيّاماً . ثمّ كان سفهاء بني عمرو ومنافقوهم يرجمونه في الليل ، فلمّا رأى ذلك قال: ما هذا الجوار ؟ فارتحل عنهم وركب راحلته وقال : خلّوا زمامها[1] ، فجعل لا يمرّ بحيّ من أحياء الأنصار إلّا قالوا له : يا رسول الله انزل بنا ، فإنّك تنزل في العدّة والكثرة[2] ، فيقول : خلّوا زمام الراحلة فإنّها مأمورة ، حتى وقفت على باب أبي أيّوب الأنصاريّ فبركت ، فنُخست[3] بقضيب فلم تبرح ، فنزل بأبي أيّوب فأقام عنده أياماً ثمّ انتقل إلى حجراته ، وقيل إنّ ناقته بركت في موضع المسجد فنزل فجاء أبو أيّوب فأخذ رحله فمضى بها إلى منزله ؛ وكلّمته الأنصار في النزول بها ، فقال: المرء مع رحله .

وقدم عليّ بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله وذلك قبل نكاحه إيّاها ، وكان يسير الليل ويكمن النّهار حتى قدم فنزل مع رسول الله . ثمّ زوّجها رسول الله من عليّ بعد قدومه بشهرين ، وقد كان جماعة من

---

(١) الزمام : ما يزمّ به أي يشدّ ، وزمّ الناقة : خطمها .

(٢) يريد في السلاح والرجال .

(٣) نخست : نكزت .

المهاجرين خطبوها إلى رسول الله ، فلمّا زوّجها عليّاً قالوا في ذلك ، فقال رسول الله : ما أنا زوّجته ولكن الله زوّجه ، وقدم العبّاس بن عبد المطلب بزينب بنت رسول الله ، وكانت بالطائف حين هاجر رسول الله عند أبي العاص بن بشر بن عبد دُهْمان الثقفي ، ثمّ رجع العبّاس إلى مكّة وقدم المهاجرون فنزلوا منازل الأنصار فواسوهم بالديار والأموال .

افتراض الصوم والصّلاة

وافترض الله ، عزّ وجلّ ، شهر رمضان ، وصرفت القبلة نحو المسجد الحرام في شعبان بعد مقدمه بالمدينة بسنة وخمسة أشهر ، وقيل بسنة ونصف . وأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿**قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولّينّك قبلة ترضاها فولّ وجهك شَطْرَ المسجد الحرام**﴾[1] . وكان بين نزول افتراض شهر رمضان وبين توجّه القبلة إلى الكعبة ثلاثة عشر يوماً . وروى بعضهم أن رسول الله كان يصلّي الظهر في مسجد بني سلمة ، فلمّا صلّى ركعتين نزل عليه : «صرف القبلة إلى الكعبة» . واستدار حتى جعل وجهه إلى الكعبة ، فسمّى ذلك المسجد مسجد القبلتين وبنى مسجداً باللّبن وسقفه بالجريد ؛ وقيل له : يا رسول الله لو وسّعت المسجد فقد كثر المسلمون . فقال : لا عرش كعرش موسى . وعمل غلام للعباس يُقال له كلاب منارة ، ولم تكن للمسجد منارة على عهد رسول الله ، وكان بلال[2] يؤذّن ثمّ أذّن معه ابن أُمّ مكتوم ، وكان أيّهما سبق أذّن فإذا كانت الصّلاة أقام واحد . وروى الواقدي[3] أنّ بلالاً كان إذا أذّن وقف على باب رسول الله فقال : الصّلاة يا رسول الله ، حيّ على الصّلاة حيّ على الصّلاة .

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٤٤ .

(٢) هو بلال بن رباح ، أوّل مؤذن في الإسلام . توفي في دمشق سنة ٦٤١ م .

(٣) الواقدي : هو أبو عبد الله محمد ، ولد في المدينة ، وعمل قاضياً في الرصافة . توفي سنة ٨٢٢ م .

ما نزل من القرآن بالمدينة

ونزل عليه بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة : أوّل ما نزل : **﴿ويلٌ للمطفِّفين﴾** ثمّ **(سورة البقرة)** ، ثمّ **(سورة الأنفال)** ، ثمّ **(سورة آل عمران)** ، ثمّ **(الحشر)** ثمّ **(سورة الأحزاب)** ، ثمّ **(سورة النور)** ، ثمّ **(الممتحنة)** ، ثمّ **﴿إنّا فتحنا لك﴾** ثمّ **(سورة النساء)** ثمّ **(سورة الحجّ)** ثمّ **(سورة الحديد)** ثمّ **(سورة محمد)** ثمّ **﴿هل أتى على الإنسان﴾** ثمّ **(سورة الطلاق)** ثمّ **(سورة لم يكن)** ثمّ **(سورة الجمعة)** ثمّ **(تنزيل السجدة)** ثمّ **(المؤمن)** ثمّ **﴿إذا جاءك المنافقون﴾** ثمّ **(المجادلة)** ثمّ **(الحجرات)** ثمّ **(التحريم)** ثمّ **(التغابن)** ثمّ **(الصفّ)** ثمّ **(المائدة)** ثمّ **(براءة)** ثمّ **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾** ثمّ **﴿إذا وقعت الواقعة﴾** ثمّ **(والعاديات)** ثمّ **(المعوّذتين جميعاً)** وكان آخر ما نزل **﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم﴾** إلى آخر السورة[١] ،وقد قيل: إن آخر ما نزل عليه **﴿اليومَ أكملتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ ديناً﴾**[٢] . وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة . وكان نزولها يوم النفر على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب . صلوات الله عليه ، بعد ترحّم . وقيل : آخر ما نزل **﴿واتّقوا يوماً ترْجعُون فيه إلى الله﴾**[٣] . وقال ابن عبّاس : كان جبرائيل إذا نزل على النبيّ بالوحي يقول له : ضع هذه الآية في سورة كذا في موضع كذا ، فلمّا نزل عليه **﴿اتّقُوا يَوْماً ترْجعُونَ فيه إلى الله﴾** قال: ضَعْها في سورة البقرة .

قال ابن مسعود : نزل القرآن بأمر ونهي وتحذير وتبشير ؛ وقال جعفر بن محمّد : نزل القرآن بحلالٍ وحرامٍ ، وفرائضَ وأحكامٍ ، وقصص وأخبار ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وعِبَر وأمثال ، وظاهر

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ١٢٨ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٣ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨١ .

وبـاطن ، وخاصّ وعـام . وأقام رسـول الله يتلوّم ويتهيّأ للقتـال حتى أنـزل الله ، عـزّ وجلّ : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقـاتِلُونَ بأنّهُمْ ظُلِمُـوا وإنّ الله عَلىٰ نَصْرِهِم لقـدير﴾ والآية التي بعدها[1] . وقـال : ﴿فقاتـلْ في سبيل الله لا تُكَلَّفُ إلاَّ نفسَك﴾[2] إلى آخـر الآية . فكـان الـرجـل من المؤمنين يُعَـدّ بعشـرة من المشـركين حتى أنـزل الله ، عـزّ وجـلّ : ﴿الآنَ خفّفَ اللَّهُ عَنْكُم وَعَلِمَ أنّ فِيكُم ضَعْفاً فإنْ يَكُنْ مِنْكُم مـائَةٌ صَـابِرَةٌ يَغْلِبـوا مائَتين وإنْ يَكُن مِنْكُمْ ألْفٌ يَغْلِبُـوا ألْفين﴾[3] وأنـزل الله عليـه سيفـاً من السمـاء لـه غمـد ؛ فقـال لـه جبرائيل: ربّك يأمرك أن تقاتل بهذا السيف قومَك حتى يقـولوا : لا إلـه إلاّ الله وإنّك رسول الله ؛ فإذا فعلوا ذلك حـرُمت دماؤهم وأمـوالهم إلاّ لمحقّها وحسـابهم على الله . فكان أوّل سـريّـة سـارت ، ولـواء عقـد في الإسـلام لحمزة بن عبد المطلب ، وقد ذكرنا هـذا وغيره في كتـابنا هـذا بعد انقضـاء الغزوات التي غزاها رسول الله .

وقعة بدر العظمى

وكـانت وقعـة بـدر يـوم الجمعـة لثـلاث عشـرة ليلة بقيت من شهـر رمضان[4] ، بعد مقدمه بثمـانية عشـر شهراً ، وكـان سببها أنّ أبـا سفيان بن حرب قدم من الشأم بعِير لقريش تحمل تجارات وأموالاً ، فخرج رسول الله يعارضه وجاء الصريخ إلى قريش بمكّة يخبرهم الخبر . وكان الرسول بذلك ضمضم بن عمرو الغفاريّ ، فخرجوا نافرين مستعدّين ، وخالف أبـو سفيان

---

(١) سورة الحج ؛ الآية : ٣٩ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٨٤ .

(٣) سورة الأنفال ؛ الآية : ٦٦ .

(٤) حـدّث ابن إسحاق في سيـرة ابن هشام ج ١ ص ٦١٢ ، فقـال : خرج في طلبـه يـوم الأربعاء لثلاث خلون من شهـر رمضان . . وفي ص ٦٢٦ : «كـانت وقعة بـدر الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان» .

وقال عبد الله في المصدر السابق : «التمسوا ليلة القدر يوم التقى الجمعان في تسـع عشرة أو إحدى وعشرين» .

الطريق فنجا بالعير . وأقبلت قريش مستعدّة لقتال رسول الله وعِدّتهم ألف رجل ، وقيل تسعمائة وخمسون ، وكانوا ينحرون كل يوم من الجزور[1] عشراً وتسعاً ، فنحر أبو جهل بن هشام عشراً وأميّة بن خلف الجمحيّ تسعاً وسهيل بن عمرو عشراً وعتبة بن ربيعة عشراً وشيبة بن ربيعة تسعاً ومنبّه ونُبَيْه ابنا الحجّاج السهميّان عشراً وأبو البختري العاص بن هشام الأسديّ عشراً والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مُناف عشراً والعبّاس بن عبد المطّلب عشراً . وقيل : إنّ العبّاس نحر يوم الوقعة فأُكفئت[2] القدور ، وإنّه خرج مستكرهاً كالأسير . وقال عبد الله بن العبّاس : إنّ أبي أطعم أسيراً ، وما أُطعم أسيرٌ قبله . وروى ابن إسحاق أنّ حكم بن حزام كان من المطعمين ، وكان أبو لهب عليلاً فلم يمكنه الخروج فأعانهم بأربعة آلاف درهم ، وقيل بل كان أبو لهب قامر[3] العاص بن هشام المخزومي فقمره نفسه فدفعه إليهم مكانه . وخرج رسول الله في ثلاثمائة ، وقيل : تسعين رجلاً منهم من المهاجرين واحد وثمانون ، ومن الأنصار مائتان واثنان وثلاثون رجلاً ، ومعه فرسان فرس للزبير بن العوّام وفرس للمقداد بن عمرو البهراني ، ويُقال فرس لمرثد بن أبي مرثد الغَنويّ ومعه سبعون راحلة ، فالتقوا يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان فقتل من المسلمين أربعة عشر رجلاً وقتل من المشركين من سادات قريش سبعون رجلاً وأُسر منهم سبعون رجلاً . فأمر رسول الله برجلين من الأسارى فضربت أعناقهما وهما عُقبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أُمية والنضر بن الحارث بن كَلَدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، وأخذ الفداء من ثمانية وستّين رجلاً ، وافتدى العبّاس نفسه وابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفاً لهما من بني فهر . وقال العبّاس لرسول الله : إنّه لا مال لي فدعني أسأل الناس بكفّي . فقال: أين المال الذي دفعته إلى أُمّ الفضل ؟ يعني لُبابة بنت

---

(١) الجزور : ما يذبح من النياق وسواه .

(٢) أكفئت القدور : صُبّ منها .

(٣) قامر : راهن .

الحارث الهلاليّة امرأته ، وقلتَ لها يكون عـدّة . فقال : أشهد أنّـك رسول الله ، والله ما اطلع على ذلك غيري وغيرهـا ؛ فافتـدى نفسه بسبعين أوقيـة وابني أخيـه بسبعين أوقيـة . وقـال رسـول الله في الليلة التي بـاتَ فيهـا العبّـاس أسيراً : لقـد أسهرَني أنين العبّـاس عمّي في القـدّ[1] منـذ الليلة ، وأسلَم العبّاس وخرج إلى مكّة يكتم إسلامه . وتُوفّي أبو لهب بعد وقعة بدر بأيّام أو بعد أن أتاهم الخبر بتسعة أيّام . وكان أوّل من قدم مكّة وخبّر بخبر قـريش ومن قتل منهـا عمرو بن جحـدم الفهريّ . وأعـزّ الله نبيّـه وقتـل من قريش من قتل فأوفدت العرب وفودها إلى رسول الله وحاربت ربيعة كسـرى وكانت وقعتهم بذي قـار[2] ، فقالـوا : عليكم بشعار التهـاميّ ، فنادوا : يـا محمّـد ، يا محمّـد ؛ فهزمـوا جيوش كسـرى وقتلوهم . فقال رسـول الله : اليوم أوّل يوم انتصفت فيـه العرب من العجم وبي نُصـروا . وكان يـوم ذي قار بعد وقعـة بدر بـأشهر أربعـة أو خمسة . وضحّى رسـول الله بالمـدينة ، وخرج الناس إلى المصلّى بعيدَيْهم ، ولم يخرج قبـل ذلك ، وكـانت العَنَزَة بين يـديه ، وذبـح شاتين بـالمصلّى بيـده ، وقيـل شـاة ، ومضى في طـريق ورجع في أُخرى .

وقعـة أُحُـد[3]

وكانت وقعة أُحُد في شوّال بعد بدر بسنة : اجتمعت قريش واستعدّت لطلب ثأرها يوم بدر ، واستعانت بالمال الذي قدم به أبو سفيـان ، وقالـوا : لا تنفقوا منه شيئاً إلاّ في حرب محمّد . فكتب العبّاس بن عبد المطلب إلى

(١) القدّ : السوط ، والمراد هنا الأسر حيث يعذّب الأسير ويضرب بالسوط .

(٢) ذو قار: موضع ماء بين واسط والكـوفة في العـراق . ويوم ذي قـار من أيام العـرب ، تواقع فيه عرب وائل مع الفرس .

[معجم البلدان ٤]

(٣) خرج رسول الله ، (ص) ، عشيّة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شـوال ، وكانت الوقعة يوم السبت للنصف من شوال . «سيرة ابن هشام» وذكرت كتب السير : «كـانت راية رسول الله ، (ص) ، يوم أُحد مرطاً (كسـاءً) مرحّـلاً أسود من مـراحل (من بـرود اليمن) كان لعائشة . . .»

رسول الله بخبرهم ، وبعث بالكتاب مع رجل من جهينة . فخبّر رسول الله أصحابه بخبرهم ، وخرج المشركون وعدّتهم ثلاث آلاف ورئيسهم أبو سفيان بن حرب . وكان رأي رسول الله ألاّ يخرج من المدينة لرؤيا رآها في منامه : أنّ في سيفه ثلمة[1] وأنّ بعيراً يُذبح له ، وأنّه أدخل يده في درع حصينة ، وتأوّلها محمد أنّ نفراً من أصحابه يُقتلون ، وأنّ رجلاً من أهل بيته يصاب ، وأن الدرع المدينة . فأشارت عليه الأنصار بالخروج ؛ فلمّا لبس لباس الحرب ردّت إليه الأنصار الأمر ، وقالوا : لا نخرج عن المدينة . فقال: الآن وقد لبست لأمتي[2] ، والنبيّ إذا لبس لأمته لا ينزعها حتى يقاتل ، ويفتح الله عليه . فخرج وخرج المسلمون وعدّتهم ألف رجل حتى صاروا إلى أُحُد ،ووافى المشركون فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ،فقُتلَ حمزة بن عبد المطلب ، أسدُ الله وأسدُ رسوله ؛ رماه وحشيّ عبد لجُبير بن مطعم بحربة ، فسقط ومثّلت به هند بنت عتبة بن ربيعة وشقّت عن كبده فأخذت منها قطعة فلاكتها[3] ، وجدعت أنفه ؛ فجزع عليه رسول الله جزعاً شديداً وقال: لن أُصاب بمثلك ، وكبّر عليه خمساً وسبعين تكبيرة ، وانهزم المسلمون حتى بقي رسول الله وما معه إلاّ ثلاثة نفر : عليّ والزبير وطلحة . وقال المنافقون : قُتل محمّد ، ورماه عبد الله بن قمئة فأثّر في وجهه واقتحم خالد بن الوليد . وكان على ميسرة المشركين الثغرة ، فقتل عبد الله بن جبير وجماعة من المسلمين ناشبةً . كان رسول الله صيّرهم على تلك الثغرة ، ودخل عسكر رسول الله وفيه كانت هزيمة المسلمين . قال الله تعالىٰ : **﴿إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد والرّسول يدعوكم في أخراكم﴾**[4] . وعاتب الله المسلمين في آيات من كتابه . وقتل من

(١) الثلمة هنا : ما يعتري حد السيف من تشقق .

(٢) لأمتي : درعي .

(٣) لاكتها : مضغتها وأدارتها في فمها .

(٤) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٥٣ .

المسلمين ثمانية وستّون رجلاً ، ومن المشركين اثنان وعشرون رجلاً ، ثمّ رجع المشركون وفرّق الله جمعهم . وجاء يهودي حتى وقف على باب الأُطم[1] الذي فيه النساء وكان حسّان بن ثابت معهنّ فصاح اليهوديّ : اليوم بطل السحر ؛ ثمّ ارتقى يصعد . فقالت صفيّة بنت عبد المطّلب : يا حسّان انزل إليه . فقال : رحمك الله يا بنت عبد المطّلب ، لو كنت ممّن يُنازل الأبطال خرجت مع رسول الله أُقاتل . فأخذتْ صفيّة السيف ، وقيل : أخذت هراوةً فضربت اليهوديّ حتى قتلته ؛ ثمّ قالت : إنزل فاسلبه . فقال: لا حاجة لي في سلبه . وروي أن رسول الله ضرب لصفيّة يومئذٍ بسهم ؛ فلمّا كان من غد يوم أُحُد ، نادى رسول الله فخرجوا على علّتهم وعلى ما أصابهم من الجروح ، وخرج رسول الله حتى انتهى إلى حَمْراء الأسد ثمّ رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيداً ، فهم الّذِين أجابوا الله ورسوله من بعد ما أصابهم القَرْح .

وقعة بني النضير

ثمّ كانت وقعة بني النضير ، وهم فخذ من جذام إلاّ أنّهم تهوّدوا ونزلوا بجبل يُقال له النضير ، فسُمّوا به ، وكذلك قُرَيْظة بعد أُحُد بأربعة أشهر . وكان رسول الله بعث إليهم بعد أن وجّه من يقتل كعب[2] بن الأشرف اليهوديّ الذي أراد أن يمكر برسول الله : أن اخرجوا من دياركم وأموالكم . فوجّه إليهم عبد الله بن أُبَيّ بن سلول وأصحابه المنافقون : لا تخرجوا فإنّا نعينكم ، فلم يخرجوا . فسار إليهم رسول الله بعد العصر

(١) الأطم : كل بيت مربع مسطح وكل بناء مرتفع كالحصن وسواه .

(٢) روى الطبري في تاريخه ٢ ص ١٧٨ وما بعدها : «جعل (كعب) يحرّض على رسول الله ، (ص) ، وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب الذين أصيبوا ببدر من قريش ، ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبّب بأم الفضل بنت الحارث ، فقال :

أراحل أنت لم تحلل بمنقبة ... وتارك أنت أمَّ الفضل بالحرم

لم أرَ شمساً بليل قبلها طلعت ... حتى تجلّت لنا في ليلة الظلم

ثم شبب بنساء من المسلمين حتى آذاهم .

فقـاتلهم ، فقتـل منهم جمـاعـة ، وخـذلهم عبـد الله بن أُبَيّ بن سلول وأصحابه . فلمّا رأوا أنّه لا قـوّة لهم على حرب رسـول الله ، طلبوا الصلح فصالحهم على أن يخرجوا من بلادهم ولهم مـا حملت الإبل من خُـرْثيّ[(١)] متـاعهم لا يخرجـون معهم بذهب ولا فضّـة ولا سـلاح فتحمّلوا إلى الشـأم وأسلم سلام بن . . . .[(٢)] ويامين النضيريّ . وكانت غنائمهم لرسول الله خـالصة ، ففـرّقها بين المهـاجرين دون الأنصـار إلّا رجلين : أبا دُجـانة وسهل بن حُنَيف ، فإنّهمـا شكيا حـاجة . وفي هـذه الغزاة شـرب المسلمون الفضيخ[(٣)] فسكروا ، فنزل تحريم الخمر[(٤)] .

وقعة الخَنْـدَق[(٥)]

ثمّ كانت وقعة الخندق ، وهو يوم الأحزاب ، في السنة السادسـة بعد مقدم رسول الله بالمدينة بخمسة وخمسين شهـراً ، وكانت قـريش تبعث إلى اليهود وسائر القبائل فحرّضوهم على قتال رسـول الله[(٦)] ، فاجتمـع خلق من

---

(١) الخرثي : أردأ المتاع وسقطه .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) الفضيخ : عصير العنب أو التمر المخمّر فيصبح خمراً .

(٤) قال الله عزّ وجلّ في تحريم الخمر :

﴿يسئلونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾ .

[سورة البقرة ؛ الآية : ٢١٩]

﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾ .

[سورة المائدة ؛ الآية : ٩٠]

﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ .

[سورة المائدة ؛ الآية : ٩١]

(٥) اوسببها ما كان من إجلاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ابني النضير عن ديارهم .

(٦) وقـالت لهم قريش : يـا معشر يهـوذا إنكم أهل الكتـاب الأول ، والعلم بمـا أصبحنـا نختلف فيه نحن ومحمد ؛ أفديننا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خيرٌ من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

[تاريخ الطبري ٢ ص . ٢٣٣] =

قـريش إلى موضـع يُقال لـه سَلْع ، وأشار عليـه سلمان الفـارسيّ أن يحفـر خندقاً ، فحفر الخندق وجعل لكلّ قبيلة حـدّاً يحفرون إليـه ، وحفر رسـولُ الله معهم حتى فرغ من حفر الخنـدق وجعل لـه أبوابـاً وجعل على الأبـواب حرساً ، من كلّ قبيلة رجلاً ، وجعـل عليهم الزبيـر بن العوّام وأمـره إن رأى قتالاً أن يقاتل . وكانت عـدّة المسلمين سبعمائـة رجل . ووافى المشـركون فأنكروا أمر الخندق وقالوا : مـا كانت العـرب تعرف هـذا . وأقامـوا خمسة أيّـام . فلمّا كـان اليـوم الخـامس خـرج عمـرو بن عبـد وُدّ وأربعـة نفـر من المشركين : نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّ وعكـرمة بـن أبي جهـل وضــرار بن الخـطّاب الفهــريّ وهُبَيْـرة بن أبي وهب المخــزوميّ ؛ فخـرج عليّ بن أبي طـالب إلى عمـرو بن ودّ فبـارزه وقتله وانهـزم البـاقـون ، وكبـا بنـوفل بن عبـد الله بن المغيرة فـرسـه فلحقـه عليّ فقتله . وبعث الله ، عـزّ وجلّ ، على المشركين ريحـاً وظلمة فـانصرفـوا هاربين لا يلوون على شيء حتى ركب أبـو سفيان نـاقته وهي معقـولة[١] . فلمـا بلغَ رسولَ الله ذلـك ، قال: عوجل الشيخ .وكانت الحرب على ما روى بعضهم ثلاثة أيام بـالرمي بغير مجالدة ولا مبارزة .واتّصلت في اليـوم الثالث حتى فـاتت صلاة الـظهر وصلاة العصر وصـلاة المغرب وصـلاة العشاء الآخـرة ، فقال رسـول الله : شغـلونا عن الصّـلاة ، ملأ الله بـطونهم وقبورهم نـاراً . ثمّ أمر بـلالاً فأقـام الصّلاة فصلّىْ الظهر ثمّ العصر ثمّ المغـرب ثمّ العشاء وذلـك قبل أن ينـزل عليه : ﴿**فإنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أو رُكباناً**﴾[٢] ، وفي هـذه الوقعـة ظهر النفـاق ، وقال المنافقون : تَعِد يا محمّد بقصور كسرى وقيصـر ولأحدنـا لا يقدر على

= وقد أنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿**ألَمْ تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتـاب ، يؤمنون بالجبت والطاغـوت ويقولـون للذين كفروا هؤلاء أهـدى من الذين آمنـوا سبيلاً** ـ إلى قوله عزّ وجلّ ـ **وكفى بجهنم سعيراً**﴾ . سورة النساء ؛ الآية : ٥١ .

(١) عقل الناقة : ثنّى وظيفها مع ذراعها فشدهما معاً بحبل هو العقال .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٣٩ .

الغائط[1] ، ما هـذا إلاّ غرور ، فـأنزل الله ، عـزّ وجلّ ، سـورة الأحزاب ، وقصّ فيهـا ما قصّ . فكـان قوم من اليهـود صـاروا إلى رسـول الله : منهم حُيَيّ بن أخـطب وسلاّم بن أبي الحُقيق ، فقـالوا لـه : يا محمّـد نزل ألم . قـال: نعم . قـال: جـاءك بهـا جبـرائيـل من عنـد الله . قـال: نعم . قـال حُيَي بن أخطب : ما بعث الله نبيّاً إلاّ أعلمه قدر ملكه ، فالألف واحد واللاّم ثلاثون والميم أربعون ، فذلك إحدى وسبعون سنة ، فهل غير هـذا ؟ قال: نعم المص . قـال: هي أثقـل وأطـول؛ أَلِف واحـد ولام ثـلاثـون والميم أربعون وصاد ستّون ، فهذه إحـدى وثلاثـون ومائـة سنة ، فهـل غير هـذا ؟ قـال : نعم ، الـر . قـال : هي أثقـل وأطـول ، أَلِف واحـد ولام ثـلاثـون وراء مـائتـان ، فهـذا مـائتـان وإحـدى وثـلاثـون سنـة ، فهـل غيـر هـذا ؟ قـال: نعم، المر. قـال: هذا أثقـل وأطول، أَلِف واحـد ولام ثلاثـون وميم أربعـون وراء مـائتـان ، فهـذا مـائتـان وإحـدى وسبعـون ، لقـد لبس علينـا أمرك يا محمّـد فلا نـدري أقليلاً أُعـطيت أم كثيراً ؟ ولعلّك قـد أعطيت ألم والمص والر والمر ، فذلك سبعمائة وأربع وستّون سنة .

وقتل يوم الخندق من المسلمين ستّة ومن المشركين ثمانية .

وقعة بني قريظة[2]

ثمّ كانت وقعة بني قريظة ، وهي فخذ من جذام إخوة النضير ؛ ويقال إن تهوّدهـم كان في أيّـام عاديـا أي السموأل[3] . ثمّ نـزلوا بجبـل يقال لـه قريظة ، فنُسبوا إليه . وقد قيل إن قريظة اسم جدّهم بعقب الخندق . وكان بينهم وبين رسـول الله صلح فنقضـوه ، ومـالـوا مـع قـريش . فـوجّـه إليهم

(١) يريد لا يقدر على قضاء حاجـة نفسه .

(٢) ذكـر الطبـري في تاريخه ٢ ص ٢٤٥: «فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معتمـراً بعمامـة من استبرق ، على بغلة عليها رحالـة ، عليها قـطيفة من ديبـاج ، فقـال : أقد وضعت السلاح يا رسـول الله ؟ قـال : نعم . قـال جبـريـل : ما وضعت الملائكة السلاح ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة ، وأنا عامد إلى بني قريظة . . . .

(٣) عاديا بن السموأل : أنظر ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب .

سعد بن مُعاذ وعبد الله بن رواحة وخَوّات بن جُبير فـذكّروهم العهـد وأساءوا الإجابة . فلما انهزمت قريش يوم الخندق دعا رسـول الله عليّاً ، فقـال له : قَـدِّم رايـةَ المهـاجـرين إلى بني قـريـظة، وقـال: عـزمت عليكم ألاَّ تصلّوا العصـر إلاّ في بني قـريـظة، وركب حمـاراً لـه . فلمّـا دنـا منهم لقيـه عليّ بن أبي طالب فقـال : يا رسـول الله لا تَدْنُ . فقـال : أحسب أن القوم أساءوا القول، فقال : نعم يـا رسول الله ؛ فيقـال إنّه قـال بيده هكـذا وهكذا . فانفرج البجل حين رأوه ، وقال : يا عبدَة الطاغوت يا وجوه القـردة والخنـازير فعـل الله بكم وفعل . فقـالوا : يـا أبا القـاسم ما كنت فـاحشاً . فاستحيَا ، فرجع القَهْقَـرَى ولم يتخلّف عنه من المهـاجرين أحـد . وأفاء[1] عامّة الأنصـار فقتل من بني قـريظة ثمّ تحصنـوا فحاصـرهم رسول الله أيّـامًا حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ الأنصاريّ ، فحضر سعد عليلاً ، فقـالوا لـه : قل يـا أبا عمـرو وأحسن . فقال : قـد آن لسعد أن لا تـأخذه في الله لومة لائم ؛ أرضيتم بحكمي ؟ قالوا : نعم . ثم قال : قد حكمت أن تُقتـل مقاتلتهم وتُسبى ذراريّهم[2] وتجعل أموالهم للمهاجرين دون الأنصار . فقـال رسـول الله : لقد حكمت بحكم الله من فـوق سبـع سمـاوات . ثمّ قـدّمهم عشـرة عشـرة ، فضـرب أعنـاقهم . وكـانت عـدّتهم سبعمـائـة وخمسين ، فانصرف رسـول الله واصطفى منهم ستّ عشـرة جاريـة فقسمها على فقـراء هاشم وأخذ لنفسه منهنّ واحدة يقال لها ريحانة . وقُسمت أموال بني قُريـظة ونساؤهم وأُعلم سهم الفارس وسهم الـراجل ؛ فكـان الفارس يـأخذ سهمين والـراجل سهمـاً ، وكان أول مغنم أُعلم فيـه سهم الفارس . وكـانت الخيل ثمانية وثلاثين فرساً .

وقعة بني المصطلق[3]

ثمّ كـانت وقعـة بني المصـطلق من خـزاعـة ، لقيهم رسـول الله

(١) أفاء: جعل ما يغنمونه فيئاً لهم .

(٢) ذراريهم : أبناؤهم .

(٣) وقعت في سنة ست للهجرة .

بالمُرَيْسيع[1] وهزمهم وسباهم . فكان ممّن سبى في غزاته جُـوَيْرِيَـة[2] بنت الحـارث بن أبي ضـرار ، وقتـل أبـوهـا وعمّهـا وزوجهـا فـوقعت في سهم ثـابت بن قيس بن شمّـاس الخـزرجي . فكـاتبهـا ، فـأتت رسـول الله في مكاتبتها[3] فقضى عليها مكاتبتها وتزوّجهـا وجعل صـداقها عتقهـا . فلم يبق عنده من سبي بني المصطلق أحد إلاّ أعتقه ، وتـزوّجوا من فيهم من النّسـاء لتزويج رسول الله جويرية .

وفي هـذه الغزاة قـال أصحاب الإفـك في عائشـة ما قـالوا ؛ فـأنـزل الله[4] ، عزّ وجلّ ، براءتها . وكانت تخلّفت لبعض شأنهـا ، فجاء صفـوان المعطَّل السلميّ فصيّرها على بعيره وقادها . فقال من قال فيها الإفك وجلد رسـول الله حسّان بن ثـابت ومِسطح بن أثـاثة وعبـد الله بن أُبيّ بن سلول ، وهـو الـذي تـولّـى كبـره ، وحَمْنَـة بنت جحْش أخت زينب بنت جحش . وأسلم بنـو المصطلق وبعثـوا إلى رسول الله بـإسـلامهم ، فبعث الـوليـد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ليقبض صدقاتهم فانصرف إلى رسول الله فأنزل الله ، عزّ وجلّ ؛ **﴿يَا أيّهَـا الّذينَ آمَنُـوا إنْ جاءَكُمْ فـاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبيّنُـوا أنْ تُصِيبوا قَـوْماً بِجَهالةٍ فَتُصْبِحوا عَلى مَا فَعَلْتُمْ نادِمِين﴾**[5] .

---

(١) المريسيع : ماء من ناحية قُديد وهي قرية جامعة قرب مكة .

[البكري : معجم ما استعجم]

(٢) اسمها برّة بنت الحارث ، وكانت قبلَ أن يتزوجها رسول الله عند مسافـع بن صفوان . وقد كاتبت الرسول على نفسها .

(٣) أي ، كتبت على نفسها عهداً بشروط لتستعيد حريتها .

(٤) قال الله تعالىٰ : **﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلاَّ إفك افتراه﴾** .

[سورة الفرقان؛ الآية: ٤]

وقال تعالىٰ: **﴿ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا: هذا إفك﴾** .

[سورة النور؛ الآية: ١٢]

(٥) سورة الحجرات؛ الآية: ٦ .

غزاة الحديبية[1]

ثمّ كانت غزاة الحديبية . خرج رسول الله في سنة ٦[2] يريد العمرة[3] ، ومعه ناس وساقَ من الهَدْي سبعين بدنة[4] . وساق أصحابه أيضاً ، وخرجوا بالسلاح ، فصدّته قريش عن البيت ، فقال : ما خرجت أريد قتالاً وإنّما أردت زيارة هذا البيت ؛ وقد كان رسول الله رأى في المنام أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ المفتاح ، فأرْسلت إليه قريش مِكْرَزَ بن حفص فأبى أن يكلّمه ، وقال : هذا رجل فاجر . فبعثوا إليه الحُلَيْس بن علقمة من بني الحارث بن عبد مناة ، وكان من قوم يتألّهون ، فلما رأى الهدي قد أكلت أوبارها رجع فقال: يا معاشر قريش إنّي قد رأيت ما لا يحلّ صدّه عن البيت . فبعثوا بعروة بن مسعود الثقفيّ ، فكلّم رسول الله ، فقال له رسول الله : يا عروة أفي الله أن يصدّ هذا الهدي عن هذا البيت ؟ فانصرف إليهم عروة بن مسعود فقال : تالله ما رأيت مثل محمّد لما جاء له . فبعثوا إليه سهيل بن عمرو فكلّم رسول الله وأرفقه وقال : نُخليها لك من قابل[5] ثلاثة أيّام ، فأجابهم رسول الله وكتبوا بينهم كتاب الصلح ثلاث سنين ، وتنازعوا بالكتاب لمّا كتب : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، من محمّد رسول الله ، حتى كادوا أن يخرجوا إلى الحرب . وقال سهيل بن عمرو والمشركون : لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك . وقال المسلمون : لا تمحها . فأمر رسول الله أن يكفّوا . وأمر عليّاً فكتب : باسمك اللهمّ ، من محمّد بن عبد الله ؛

---

(١) سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع ؛ وبين الحديبية ومكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، وفي الحديث : إنها بئر .

[معجم البلدان ٢ ص ٢٢٩]

(٢) في شعبان .

(٣) خرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً .

[تاريخ خياط ٨١]

(٤) البدنة : الناقة المسمّنة .

(٥) القابل : اسم للعام الذي بعد العام الحاضر .

وقال : اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوّتي . وشرطوا أنّهم يخلون مكّة له من قابل ثلاثة أيّام ويخرجون عنها حتى يدخلها بسلاح الراكب ، وأن الهدنة بينهم ثلاث سنين لا يؤذون أحداً من أصحاب رسول الله ولا يمنعونه من دخول مكّة ، ولا يؤذي أحد من أصحاب رسول الله أحداً منهم ؛ ووضع الكتاب على يد سُهيل بن عمرو . فأمر رسول الله المسلمين أن يحلقوا وينحروا هديهم في الحلّ ، فامتنعوا وداخل أكثر الناس الريب ، فحلق رسول الله ونحر فحلق المسلمون ونحروا .

وانصرف رسول الله إلى المدينة ثمّ خرج من قابل وهي عمرة القضاء فدخل مكّة على ناقة بسلاح الراكب ، وأخلتها قريش ثلاثاً وخلّفوا بها حُوَيْطِب بن عبد العزّى ، فاستلم رسول الله الركن بمحجنة[1] وصَدق اللّهُ رسولَهُ الرؤيا بالحق . وخرج عنها بعد ثلاث فابتنى بميمونة بنت الحارث الهلاليّة زوجته بسَرِفَ ، وغدرت قريش فقتلت رجلاً من خزاعة ممّن دخل في شرط رسول الله .

وقعة خيبر[2]

ثمّ كانت وقعة خيبر في أول سنة ٧ ففتح حصونهم وهي ستة[3] : حصون السُّلالم والقَموص والنَّطاة والقصارة والشِّق والمربطة ، وفيها عشرون ألف مقاتل ، فتحها حصناً حصناً ، فقتل المقاتلة وسبى الذريّة . وكان القموص من أشدّها وأمنعها ، وهو الحصن الذي كان فيه مرحب بن

---

(١) المحجنة : العصا المنعطفة الرأس .

(٢) خيبر: ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام .

[معجم البلدان ١؛٤٠٩]

(٣) روى ياقوت في معجمه أنها تشتمل على سبعة حصون وهي : حصن ناعم وعنده قُتل مسعود بن مسلمة أُلقيت عليه رحى ، والقموص حصن أبي الحُقَيق ، وحصن الشّقّ ، وحصن النطاة ، وحصن السلالم، وحصن الوطيح ، وحصن الكتيبة ، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن .

الحارث اليهوديّ . فقال رسول الله : لأدفعنّ الراية غداً إن شاء الله إلى رجل كرّار غير فرّار يحبّ الله ورسولَهُ ويحبّه اللّهُ ورسولُهُ ، لا ينصرف حتى يفتح الله على يده ، فدفعها إلى عليّ فقتل مرحباً اليهوديّ واقتلع باب الحصن ؛ وكان حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع ، فرمى به عليّ بن أبي طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون .

وقدم جعفر بن أبي طالب في ذلك من أرض الحبشة ، فقام إليه رسول الله فقبّل ما بين عينيه ثم قال : واللّهِ ما أدري بأيّهم أنا أشدّ سروراً ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر . واصطفى صفيّة[1] بنت حُيَيّ بن أخْطَب وأعتقَها وتزوّجها وقسم بين بني هاشم نساءهم ورجالهم وأوساق[2] التمر والقمح والشعير ثمّ قسم بين النّاس كافّة . وبلغه ما فيه أهل مكّة من الضرّ والحاجة والجدب والقحط فبعث إليهم بشعير ذهب ، وقيل نوى ذهب ، مع عمرو بن أُمية الضمريّ وأمره أن يدفعه إلى أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أُميّة بن خلف وسهل بن عمرو ويفرّقه ثلاثاً ثلاثاً ، فامتنع صفوان بن أُميّة وسهل بن عمرو من أخذه ؛ وأخذه أبو سفيان كلّه وفرقه على فقراء قريش ، وقال : جزى الله ابن أخي خيراً فإنّه وصول لرحمه .

وجاءته زينب بنت الحارث أخت مرحب بالشاة المسمومة فأخذ منها لقمة ، وكلّمته الذراع فقالت : إنّي مسمومة . وكان يأكل معه بشر بن البراء بن معرور فمات . فقال الحجّاج بن عِلاط السلميّ لرسول الله : قد أسلمت ، ولي بمكّة ما لي ، فتأذن لي أن أتكلّم بشيء يطمئنّون إليه لعلي أن آخذ ما لي . فأذن له فخرج حتى قدم مكّة فأتته قريش فقالوا : مرحباً

---

(١) وقد قتل النبي ، (ص) ، والدها مع بني قريظة ، وكانت عند سلام بن مشكم . وكان اسمها زينب فلما تزوجها سمّاها صفية .

[أنظر الروضة الفيحاء للموصلي]

(٢) أوساق التمر : ما يحمله شجر النخل .

بك يا بـن عِلاط ، هل عندك خبر من هذا القاطـع ؟ قال : نعم ! إن كتمتم عليّ ؛ فتعـاهدوا أن يكتمـوا عليه حتى يخـرج ؛ قـال : إني والله مـا جئت حتى هُزِم محمّد وأصحابه هزيمة وحتى أُخذ أسيراً . وقـالوا : نقتله بسيّـدنا حُيَيّ بن أخـطب ، فاستبشـروا وشربـوا الخمـور . وبلغ العبـاسَ والمسلمين الخبر. فاشتدّ جزعهم وأخذ الحجّاج كلّ ما كـان له ثمّ أتى العبـاس وأخبره بمـا فتح الله على نبيّـه وأنّ سهـام الله قـد جَـرتْ على خيبـر وقتـل ابن أبي الحُقَيْق وبات رسول الله عروساً[1] بـابنة حُيي بن أخـطب ثمّ خرج من مكّـة فـأصبح العبّـاس مسروراً ، فقـال لـه أبـو سفيـان : تجلّداً للمصيبـة يـا أبـا الفضـل ! فقال العبّـاس : إنّ الحجّاج ، والله ، خـدعكم حتى أخذ مـاله ؛ وقد أخبرني بإسلامـه وأنّه ما انصرف حتى فتـح الله على نبيّه وقتـل ابن أبي الحقيق وبـات عـروسـاً بـابنـة حُيَيّ بن أخـطب وفتـح جميـع الحصـون ، فـأعولت[2] امـرأة الحجّاج واجتمـع إليهـا نسـاء المشـركين واشتـدّت كـآبـة المشركين وغمّهم .

فتـح مكـة[3]

وكانت خزاعة في عقد رسـول الله وكنانـة في عقد قـريش ، فأعـانت قريش كنانة فأرسلوا مواليهم فوثبوا على خزاعة فقتلوا فيهم . فجاءت خزاعةُ إلى رسـول الله فشكـوا إليـه ذلـك فـأحـلّ الله لنبيّـه قـطع المـدّة التي بينـه وبينهم[4] وعـزم على غـزو مكّـة وقـال : اللّهمّ أعْمِ الأخبـار عنهم ، يعني قـريشاً . فكتب حـاطب بن أبي بَلْتَعة مـع سارة مـولاة أبي لهب إلى قـريش بخبر رسول الله وما اعتزم عليه . فنزل جبرائيل فـأخبره بمـا فعل حـاطب ؛

---

(١) عروساً ؛ زوجاً .

(٢) أعولت : رفعت صوتها بالبكاء والصياح .

(٣) خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعشرٍ خلون من شهر رمضان سنة ثمان يريد مكة .

[تاريخ ابن خياط ـ دار طيبة]

(٤) راجع صلح الحديبية .

فوجّه بعليّ بن أبي طالب والزبير وقال : خُذا الكتاب منها ، فلحقاها وقد كانت تنكّبت[1] الطريق فوجد الكتاب في شعرها ، وقيل في فرجها . فأتيا به إلى رسول الله ، فأسرّ إلى كلّ رئيس منهم بما أراد وأمره أن يلقاه بموضع سمّاه له ، وأن يكتم ما قال له . فأسرّ إلى خزاعيّ بن عبد نُهْم أن يلقاه بمُزَيْنة بالرّوْحاء وإلى عبد الله بن مالك أن يلقاه بغِفار بالسُّقيا وإلى قدامة بن ثمامة أن يلقاه ببني سليم بقُدَيْد وإلى الصعب بن جثامة أن يلقاه ببني ليث بالكَديد . وخرج رسول الله يوم الجمعة حين صلّى العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٨ ، وقيل لعشر مضين من رمضان ؛ واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ،ولقيته القبائل في المواضع التي سمّاها لهم ، وأمر الناسَ فأفطروا ؛ وسمّى الذين لم يفطروا العُصَاة . ودعا بماء فشربه ، وتلقّاه العبّاس بن عبد المطّلب في بعض الطريق .

فلمّا صار بِمَرّ الظّهْران خرج أبو سفيان بن حرب يتجسّس الأخبارَ ومعه حكيم بن حِزام وبُدَيْل بن ورقاء ، وهو يقول لحيكم : ما هذه النيران ؟ فقال : خزاعة أحمشتها الحرب[2] . فقال : خزاعة أقلّ وأذلّ . وسمع صوتَه العبّاسُ فناداه : يا أبا حنظلة ! فأجابه ، فقال له : يا أبا الفضل ما هذا الجمع ؟ قال : هذا رسول الله . فأردفه على بغلته ولحقه عمر بن الخطّاب وقال : الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد . فسبقه العبّاس إلى رسول الله فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد جاء ليسلم طائعاً. فقال له رسول الله: قُلْ أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي محمّدٌ رسول الله ، فقال : أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وجعل يمتنع من أن يقول : وأنّك رسول الله ، فصاح به العبّاس ، فقال . ثمّ سأل العبّاسُ رسولَ الله أن يجعل له شرفاً وقال إنّه يحبّ الشرف . فقال رسول الله : من دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن . وأوقفه العبّاس حتى رأى جند الله ، فقال له : يا أبا

(١) تنكبت الطريق: تنحّت عنها .

(٢) أحمشتها : أغضبتها .

الفضل لقد أُوتي ابن أخيك مُلكاً عظيماً . فقال : إنّه ليس بملك إنّما هي النبوّة . ومضى أبو سفيان مسرعاً حتى دخل مكّة فأخبرهم الخبر ، وقال : هو اصطلام[1] إن لم تسلموا ، وقد جعل أن من دخل داري فهو آمن . فوثبوا عليه وقالوا : وما تسع دارك ؟ فقال : ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . وفتح الله على نبيّه وكفاه القتال .

ودخل مكّة ودخل أصحابه من أربعة مواضع ، وأحلّها الله له ساعة من نهار ثمّ قام رسول الله فخطب فحرّمها ، وأجارت أمّ هانيء بنت أبي طالب حَمَوَيْن لها : الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة ، فأراد عليّ قتلهما ، فقال رسول الله : يا عليّ قد أجرنا من أجارت أمّ هانيء وآمنهم جميعاً إلاّ خمسة نَفر أمر بقتلهم ولو كانوا متعلّقين بأستار الكعبة وأربع نسوة وهم : عبد الله بن عبد العزّى بن خَطَل من بني تيم الأدرم بن غالب ، وكان رسول الله وجّهه مع رجل من الأنصار فشدّ على الأنصاريّ فقتله وقال : لا طاعة لك ولا لمحمّد ؛ وعبدُ الله بن سعد بن أبي سرح العامريّ ، وكان يكتب لرسول الله فصار إلى مكّة فقال : أنا أقول كما يقول محمّد ؛ والله ما محمّد نبيّ وقد كان يقول لي : أُكتب عزيز حكيم ، فأكتب لطيف خبير ، ولو كان نبيّاً لعلم . فآواه عثمان وكان أخاه من الرضاع ، وأتى به إلى رسول الله ، فجعل يكلّمه فيه ورسول الله ساكت ثمّ قال لأصحابه : هلاّ قتلتموه ! فقالوا : انتظرنا أن تومىء[2] . فقال : إنّ الأنبياء لا تقتل بالإيماء ؛ ومِقْيَس بن صُبابة أحد بني ليث بن كنانة ، وكان أخوه قُتل فأخذ الدية من قاتله ثمّ شدّ عليه فقتله ؛ والحُوَيْرث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد قصيّ ، كان ممّن يؤذي رسول الله بمكّة ويتناوله بالقولِ القبيح . والنّسوة : سارة مولاة بني عبد المطّلب ، وكانت تذكر رسول الله بالقبح ، وهند بنت عتبة ، وقريبة وفَرْتَنا جاريتا ابن خَطَل، كانتا تغنّيان في هجاء رسول الله .

---

(١) اصطلام : استئصال ، يُقال: اصطلمتهم الحرب أي استأصلتهم .
(٢) أي انتظرنا أمراً منك .

وأسلمت قريش طوعاً وكرهاً وأخذ رسول الله مفتاح البيت من عثمان بن أبي طلحة وفتح الباب بيده وستره ثمّ دخل البيت فصلّى فيه ركعتين ثمّ خرج فأخذ بعضادتي[1] الباب ، فقال : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، أنْجَزَ وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده ، فللّه الحمد والملكُ لا شريك له ، ثمّ قال : ما تظنّون وما أنتم قائلون ؟ قال سهيل : نظنّ خيراً ونقول خيراً ، أخٌ كريم وابنُ عمّ كريم وقد ظفرت . قال : فإنّي أقول لكم كما قال أخي يوسف : لا تثريبَ عليكم اليوم ؛ ثمّ قال : ألا كلّ دم ومال ومأثُرة[2] في الجاهليّة فإنّه موضوع تحت قدميّ هاتَين إلاّ سدانة الكعبة[3] وسقاية الحاجّ فإنّهما مردودتان إلى أهليهما ، ألا وإن مكّة محرّمة بحرمة الله لم تحلّ لأحد من قبلي ولا تحل لأحد من بعدي وإنّما حلّت لي ساعة ثمّ أُغلقت ، فهي محرّمة إلى يوم القيامة لا يُختَلى خلاها ولا يُعضَد شجرها ولا يُنفّر صيدها ولا تحلّ لُقَطتها إلاّ لمنشد ، ألا إنّ في القتل شبه العمد الدية مغلّظة[4] والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ثمّ قال : ألا لبئس جيران الذين كنتم فاذهبوا فأنتم الطّلقاء .

ودخل مكّة بغير إحرام وأمر بلالاً أن يصعد على الكعبة فأذنّ فعظم ذلك على قريش ؛ وقال عكرمة بن أبي جهل وخالد بن أسيد إن ابن رباح ينهق على الكعبة؛ وتكلّم قوم معهما فأرسل إليهم رسول الله. فقالوا: قد قلنا، فنستغفر الله. فقال: ما أدري ما أقول لكم ولكن يحضر الصلاة فمن صلّى فسبيل ذلك وإلاّ قدّمته فضربت عنقه . وأمر بكلّ ما في الكعبة من صورة فمُحيَت وغسلت بالماء . ودعا بعثمان بن طلحة فقال : رأيت في الكعبة قرني الكبش فخمّرْها فإنّه لا ينبغي أن يكون في الكعبة شيء ،

---

(١) عضادتا الباب : خشبتاه من جانبيه .
(٢) مأثُرة : ثروة ومال كثير .
(٣) سدانة الكعبة : خدمتها والقيام على حراستها .
(٤) مغلّظة : مضاعفة .

فصيّروا في بعض الجُدُر . وروى بعضهم أنّ رسول الله قسم ما كان في الكعبة من المال بين المسلمين . وقال آخرون : أقرّه ونادى منادي رسول الله : من كان في بيته صنم فليكسرْه ، فكسروا الأصنام . ودعا رسول الله بالنساء فبايعنه ، وكانت الخيل يوم الفتح أربعمائة فرس ، ونزلت عليه سورة : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ، فقال : نُعِيَتْ إليّ نفسي .

وبعث رسولُ الله ، وهو بمكّة ، خالدَ بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر، وهم بالغُمَيْصاء، وقد كانوا في الجاهليّة أصابوا من بني المغيرة وقتلوا عوفاً أبا عبد الرحمٰن بن عوف ، فخرج عبد الرحمٰن بن عوف مع خالد بن الوليد ورجال من بني سليم وقد كانوا قتلوا ربيعة بن مكدَّم في الجاهليّة ، فخرج جِذْلُ الطّعان فقتل من بني سليم بدم ربيعة مالك بن الشريد ، وبلغ جذيمة أنّ خالداً قد جاء ومعه بنو سليم ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح . فقالوا : إنّا لا نأخذ السلاح على الله ولا على رسوله ونحن مسلمون ، فانْظر ما بعثك رسول الله له فإن كان بعثك مصدّقاً فهذه إبلنا وغنمنا فاعدُ عليها . قال : ضعوا السلاح . قالوا : إنّا نخاف أن تأخذنا بإحْنَة[1] الجاهليّة . فانصرف عنهم وأذّن القوم وصلّوا ، فلمّا كان في السَّحَر شنّ عليهم الخيل فقتل المقاتلة وسبى الذرّيّة ، فبلغ رسول الله فقال : اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد ! وبعث عليّ بن أبي طالب فأدّى إليهم ما أخذ منهم حتى العقال[2] وميلغة[3] الكلب ، وبعث معه بمال ورَد من اليمن فودى[4] القتلى وبقيت معه منه بقيّة ، فدفعها عليّ إليهم على أن يحلّلوا رسول الله ممّا علم وممّا لا يعلم . فقال رسول الله : لمَا فعلت أحبّ إليّ من حمر النعم، ويومئذٍ قال لعليّ: فداك أبواي . وقال عبد الرحمٰن بن عوف:

---

(١) الإحنة : الحقد أو العداوة .

(٢) العقال: زكاة عام من الإبل والغنم ، يُقال : «أدّيتُ عقال سنة» أي صدقتها .

(٣) الميلغة: الإناء يلغ فيه الكلب أو يُسقى فيه .

(٤) ودى القتلى : أعطى أولياءهم دياتهم .

والله لقد قتل خالد القوم مسلمين ؛ فقال خالد : إنّما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف . فقال له عبد الرحمٰن : ما قتلتَ بأبي ولكنّك قتلت بعمّك الفاكه بن المغيرة .

وقعة حنين[1]

ثمّ كانت وقعة حنين ؛ بلغَ رسولَ الله ، وهو بمكّة ، أنّ هوازن قد جمعت بحُنين جمعاً كثيراً ورئيسُهم مالك بن عوف النصريّ ، ومعهم دريد ابن الصمّة من بني جشم ، شيخ كبير يتبرّكون برأيه ، وساق مالك مع هوازن أموالهم وحرمهم . فخرج إليهم رسول الله في جيش عظيم عدّتهم اثنا عشر ألفاً : عشرة آلاف أصحابه الذين فتح بهم مكّة وألفان من أهل مكّة ممّن أسلم طوعاً وكرهاً، وأخذ من صفوان بن أُمية مائة درع وقال عارية مضمونة؛ فأعجبت المسلمين كثرتهم، وقال بعضهم : ما نؤتى من قلّة ، فكره رسول الله ذلك من قولهم ؛ وكانت هوازن قد كمنت في الوادي ، فخرجوا على المسلمين . وكان يوماً عظيم الخطب وانهزم المسلمون عن رسول الله حتى بقي في عشرة من بني هاشم ، وقيل تسعة ، وهم : عليّ بن أبي طالب والعبّاس بن عبد المطّلب وأبو سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث وربيعة بن الحارث وعتبة ومعتّب ابنا أبي لهب والفضل بن العبّاس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطّلب ، وقيل أيمن بن أمّ أيمن .

---

(١) هو اليوم الذي ذكره جلّ وعزّ في كتابه الكريم **﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾** .

[سورة التوبة؛ الآية: ٢٥]

وحنين : موضع قريب من مكة ، وقيل: هو وادٍ قبل الطائف ، وقيل: وادٍ بجنب ذي المجاز . وقال الواقدي : بينه وبين مكة ثلاث ليال ، وقيل : بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً . وقد تغنى به أحد الشعراء فقال:

نصروا نبيّهم وشدوا أزره بحنينَ ، يوم تواكلِ الأبطال.

[معجم البلدان ٢ مادة حنن]

قال الله ، عزّ وجلّ[1] : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثمّ أَنْزَلَ الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تَرَوْها﴾ ، وأبدى بعض قريش ما كان في نفسه . فقال أبو سفيان : لا تنتهي ، والله ، هزيمتهم دون البحر ، وقال كَلَدَة بن حنبل : اليوم بَطُلَ السحر ، وقال شيبة بن عثمان : اليوم أقتلُ محمّداً ، فأراد رسولَ الله ليقتله فأخذ النبيّ الحربة منه فأشعرها[2] فؤاده . فقال رسول الله للعبّاس : صِحْ يا للأنْصار ، وصِحْ يا أهل بيعة الرضوان ، صِحْ يا أصحاب سورة البقرة ، يا أصحاب السَّمُرة . ثمّ انفضّ الناس وفتح الله على نبيّه وأيده بجنود من الملائكة ، ومضى عليّ بن أبي طالب إلى صاحب راية هوازن فقتله ، وكانت الهزيمة ، وقتل من هوازن خلق عظيم ، وسبي منها سبايا كثيرة ، وبلغت عدّتهم ألف فارس وبلغت الغنائم اثني عشر ألف ناقة سوى الأسلاب ، وقتل دريد بن الصمّة فأعظم الناس ذلك ، فقال رسول الله : إلى النار وبئس المصير ! إمام من أئمّة الكفر إن لم يكن يعين بيده فإنّه يعين برأيه . قتله رجل من بني سليم وقتل ذو الخمار سبيع بن الحارث ، فقال رسول الله : أبعده الله إنّه كان يبغض قريشاً . وصارت السبايا والأموال في أيدي المسلمين وبلغت هزيمة المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وكان جميع من استشهد أربعة نَفَر . وجاءت الشّيْماءُ بنت حليمة أخت رسول الله من الرضاعة إلى رسول الله فحباها[3] وأكرمها وبسط لها رداءَه ، وكلّمته في السبايا وقالت : إنّما هنّ خالاتك وأخواتك . فقال : ما كان لي ولبني هاشم فقد وهبته لك . فوهب المسلمون ما كان في أيديهم من السبايا كما فعل إلاّ الأقْرع بن حابس وعُيَيْنة بن حصن ، فقال رسول الله : اللهمّ نوّه سهميهما[4] ، فخرج

---

(١) أنظر الهامش ١ (في الصفحة السابقة) .

(٢) أشعرها : غرزها .

(٣) حباها : أعطاها وأكرمها .

(٤) سهميهما : نصيبهما .

لهما عجوز وكلّمته في مالك بن عوف النصريّ رئيس جيش هوازن ؛ وآمنه ، فجاء مالك فأسلم . ووجّهه رسول الله لحصار الطائف وأعطى المؤلَّفة قلوبهم من غنائم هوازن وأعطى اثني عشر رجلاً مائة مائة من الإبل ، وهم : أبو سفيان بن حرب ومعاوية بن أبي سفيان وحَكيم بن حِزام والحارث بن الحارث بن كَلَدَة العبدريّ والحارث بن هشام بن المغيرة وسهيل بن عمرو وصفوان بن أميّة بن خلف وحُوَيْطب بن عبد العزّى والعلاء بن حارثة الثقفيّ حليف بني زُهرة ومالك بن عوف النصريّ وعيينة بن حصْن الفزاريّ والأقرع بن حابس ، وأعطى الباقين ما دون ذلك . وسألته الأنصار ودخلها غضاضة[1]، فقال رسول الله: إنّي أعطي قوماً تألّفاً وأكِلكم إلى إيمانكم . وتكلّم بعضهم فقال : قاتل بنا محمّد حتى إذا ظهر أمره وظفر أتى قومه وتركنا . فأسقط الله سهمهم وأثبت للمؤلَّفة قلوبهم[2] سهماً في الصّدقات .

وخرج رسول الله إلى الطائف ووجّه بعليّ بن أبي طالب فلقي نافع بن غيلان بن سلمة بن معتّب في خيل من ثقيف فقتله ، وانهزم أصحابه . وحصرها رسول الله بضعة وعشرين يوماً ، ونزل إليه أربعون رجلاً ، وأمر رسولُ الله بقطع الكروم ؛ فكلّموه فتركها وأمر ألاّ تُقطع . ثمّ انصرف رسول الله وخلّف أبا سفيان بن حرب على حصار الطائف ووجّه عليّاً لكسر الأصنام فكسرها .

غزاة مؤتة[3]

ووجّه جعفر بن أبي طالب وزيدَ بن حارثة وعبد الله بن رَواحة في جيش إلى الشأم لقتال الروم سنة ٨[4] ، وروى بعضهم أنّه قال : أميرُ

(١) الغضاضة : المنقصة والذلّة .

(٢) في قوله تعالى في سورة التوبة الآية ٦٠ ﴿لِلْفُقَرَاءِ والْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهم﴾ .

(٣) في البلقاء، والبلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى .
[معجم البلدان لياقوت]

(٤) في جمادى الأولى .

الجيش زيد بن حارثة ، فإن قُتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فإن قُتل جعفر بن أبي طالب فعبد الله بن رواحة، فإن قُتل عبدالله بن رواحة فليَرتَضِ المسلمون من أَحَبّوا. وقيل: بل كان جعفر المقدّم ثمّ زيد بن حارثة ثمّ عبدالله بن رواحة؛ وصار الى موضع يقال له مؤتة، من الشأم من البلقاء[1] من أرض دمشق ، فأخذ زيد الراية فقاتل حتى قُتل ، ثمّ أخذها جعفر فقطعت يده اليمنى فقاتل باليسرى فقطعت يده اليسرى ثمّ ضرب وسطه، ثمّ أخذها عبدالله بن رَواحة فقتل، فرفع لرسول الله كلّ خفض، وخفض له كل رفع حتى رأى مصارعهم ؛ وقال : رأيت سرير جعفر المقدّم فقلت : يا جبرائيل إنّي كنت قدّمت زيداً . فقال : إنّ الله قدّم جعفراً لقرابتك . ونعاهم رسول الله فقال : أنبت الله لجعفر جناحين من زبرجد[2] يطير بهما من الجنّة حيث يشاء ، واشتدّ جزعه وقال : على جعفر فلتَبْكِ البواكي ؛ وتأمّر خالد بن الوليد على الجيش .

قالت أسماء بنت عميس الخثعميّة ، وكانت امرأة جعفر وأمّ ولده جميعاً : دخَلَ عليّ رسولُ الله ، ويدي في عجين ، فقال : يا أسماء أين ولدك ؟ فأتيته بعبد الله ومحمّد وعون ، فأجلسهم جميعاً في حجره وضمّهم إليه ومسح على رؤوسهم ودمعت عيناه . فقلت : بأبي وأمّي أنت يا رسول الله ! لِمَ تفعل بولدي كما تفعل بالأيتام ؟ لعلّه بلغك عن جعفر شيء ؟ فغلبته العبرة وقال: رحم الله جعفراً! فصحتُ: واويْلاه واسيّداه! فقال: لا تدعي بويل ولا حرب ، وكلّ ما قلتِ فأنت صادقة . فصحت : واجعفراه ! وسمعتْ صوتي فاطمة بنت رسول الله ، فجاءت وهي تصيح : وابن عمّاه !

---

(١) وقد لقيتهم جموع هرقل بالبلقاء .

(٢) الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد ، أشهره الأخضر ، جمعه زبارج .
[لسان العرب مادة زبر]

فخـرج رسول الله يجـرّ رداءه ، ما يملك عبـرته ، وهـو يقول : على جعفـر فلتبكِ البواكي ، ثمّ قـال : يا فـاطمة اصنعي لعيـال جعفر طعـاماً فـإنّهم في شغل ؛ فصنعت لهم طعاماً ثلاثة أيّام ، فصارت سُنّة في بني هاشم .

الغزوات التي لم يكن فيها قتال

وكـانت غزوات فيمـا بين ذلك لم يكن فيهـا قتـال . كـان رسـول الله يخرج فلا يلقى كيداً وينصرف ؛ وإنّما قدّمْنا ما كان فيها القتال على التي لا قتال فيها لنفرد الغزوات التي لم يكن فيها قتال .

غزاة الأبْواء[1] : خرج رسول الله إلى وَدّان[2] فرجع ولم يلقَ كيداً .

وغزاة بُوَاط[3] ؛ مثل ذلـك .

وغزاة ذي العُشَيْرة[4] : من بطن يَنْبُع وادَعَ بها بني مدلـج وحلفاءَ لهم من بني ضَمْـرة ، وكتب بينهـم كتاباً ؛ والـذي قام بـذلـك بينهم مخشيّ بن عمرو الضمريّ .

وغـزاة قَرْقَـرَة الكُدْر[5] ؛ خـرج رسول الله في طلب مكـدر بن جـابـر

---

(١) هي على أربع مراحل من المدينة إلى مكة . وغزوة الأبواء هي أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، خـرج من المدينـة حتى بلغ ودان يريـد قريشـاً وبني ضمرة ، فـوادعه مخشي بن عمرو الضمري .

[سيرة ابن هشام ج ١ ص . ٥٩١]

(٢) ودّان : قرية جامعة من نواحي الفُرع بينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال .

[ياقوت ـ معجم البلدان]

(٣) من ناحية رضوى (جبل ضخم بين المدينة والبحر عند سلع) خـرج صلى الله عليه وآله وسلم يعترض عير قريش فلم يلقَ كيداً .

[سيرة ابن هشام ج١]

(٤) خرج ، صلى الله عليه وآله وسلم لمستهل جمادى الأولى ورجع لخمسٍ بقين منه .

[سيرة ابن هشام ج١]

(٥) خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لغرّة شهر شوال ، ورجع لعشرٍ خلون من شوال .

[المصدر السابق] =

الفهريّ ، ويقال كُرْز بن جابر ، حين كان أغار على سَرْح المدينة ، وذلك أنّ أبا سفيان ضاف سَلاّم بن مِشْكَم ، وكان سيّد بني النضير ، فقراه[1] وسقاه خمراً ثمّ خرج من تحت ليلته حتى مرّ بمكان يقال له العُرَيْضُ ، فوجد بها رجلين من الأنصار في صَوْر لهما من النخل فقتلهما وانصرف إلى مكة ؛ فبلغ رسول الله الخبر ، فبلغ قرقرة الكدر ولم يلق كيداً وانصرف .

وغزاة حَمْراء الأُسْد[2] : خرج رسول الله من غد يوم أُحُد ، وقد ذكرناها مع خبر أُحُد .

وغزاة بدر الصغرى : وهي بدر الموعد ، لميعاد أبي سفيان بن حرب . فخرج رسول الله في شعبان في السنة الرابعة فأقام عليها ثماني ليال ينتظر أبا سفيان[3] ، ووافق السوق وكانت عظيمة ، فتسوّق المسلمون فربحوا ربحاً حسناً . وقال المنافقون للمؤمنين حين خرجوا لميعاد أبي سفيان : قد قتلوكم عند بيوتكم ، فكيف إذا أتيتموهم في بلادهم وقد جمعوا لكم ، والله لا ترجعون أبداً فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فأنزل الله في ذلك : **﴿الّذين قال لهُمُ الناسُ إنّ الناسَ قَدْ جَمَعوا لكمْ فاخشوهم فَزادَهُمْ إيماناً وقالوا حَسْبُنَا اللّهُ ونِعْمَ الوكيل فانْقَلَبوا بِنعْمَةٍ مِنَ اللّهِ وفَضْلٍ لم يَمْسَسْهُم سوءٌ واتّبعوا رضْوان اللّهِ واللّهُ ذو فضْلٍ عظيمٍ﴾**[4] . وانصرف رسول الله ولم يلق كيداً وخلفهم أبو سفيان ، وقال : هذا عام جدب ولا يصلحكم يا معشر قريش إلاّ عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإني راجع ، فرجعوا بعد أن كان قد بلغ مرّ الظهران .

= وقرقرة الكدر : موضع بناحية المعدن بينها وبين المدينة ثمانية برد .
[ياقوت ـ معجم البلدان]

(١) قراه : ضافه ، من القِرى أي الضيافة .

(٢) أنظر ما تقدم من غزوة أحد .

(٣) وقد نذر أبو سفيان ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً .

(٤) سورة آل عمران؛ الآية: ١٧٣ .

وغزاة تبُوك : سار رسولُ الله في جمع كثير إلى تبـوك من أرض الشأم يـطلب بـدم جعفـر بن أبي طـالب ، ووجّـه إلى رؤسـاء القبـائـل والعشـائـر يستنفرهم ويرغّبهم في الجهاد ، وحضّ رسول الله أهـلَ الغنى على النفقة ، فأنفقوا نفقات كثيرة وقوّوا الضعفاء . وقال رسول الله : أفضلُ الصدقـة جَهْدُ المُقِـلّ . فـأتـاه البكّـاؤون يستحملونـه ، وهم : هَـرَمى بن عبـد الله من بني عمـرو بن عوف وسـالم بن عُمَيْر وعمـرو بن الحُمام وعبـد الرحمٰن بن كعب وصخر بن سلمان . فقال : ما أجد ما أحملكم عليه . وأتاه قوم من الأغنياء فاستأذنوه وقالوا : دعنا نكن مع من تخلّف . فقال الله تعالى : ﴿رَضُوا بِـأنْ يكـونـوا مَـعَ الخَـوَالِف﴾ [1] . وهم : الجـدّ بن قيس ومجمّـع بن جـاريـة وخِدام بن خالد . فأذن لهم رسول الله ، فقال الله ، عـزّ وجلّ : ﴿عَفَـا اللّهُ عَنْكَ لمَ أذِنْتَ لهمْ﴾[2] .

وخـرج رسـول الله غـرّة رجب سنـة ٩ واستخلف عليّـاً على المـدينـة واستعمل الزّبير على راية المهاجرين وطلحـة على الميمنة وعبـد الرحمٰن بن عوف على الميسرة ، وخرج النساء والصبيان يودّعـونه عنـد الثنيّة ، فسمّـاها ثنيّة الوداع . وسـار رسول الله فـأصاب النـاس عطش شـديد ، فقـالوا : يـا رسول الله لو دعوتَ الله لسقانا ، فدعا اللّه فسقاهم . وقدم رسول الله تبـوك في شعبان فأتاه يحنّة بن رُؤبة أسقف أيْلة ، فصالحه وأعطاه الجزية ، وكتب له كتاباً وانصرف رسولُ الله فجلس له أصحاب العقبة لينفّروا به ناقته ؛ فقال لحذيفة : نحّهم وقـل لهم : لتنحنّ أو لأدعونّكم بـأسمائكم وأسمـاء آبائكم وعشائركم ، فصاح بهم حذيفة . وكان خروجه في رجب وانصـرف في شهر رمضان وكان حذيفة يقول : إنّي لأعرف أسماءَهم وأسماءَ آبائهم وقبائلهم .

الأمراء على السرايا والجيوش

ووجّـه رسولُ الله على السـرايا والجيـوش الأمراء وعقـد لهم الألـويـة

---

(١) تتمة الآية ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ سورة التوبة ؛ الآية : ٨٧ .

(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ٤٣ .

والرايات . فأوّل ذلك حمزة بن عبد المطّلب على سريّة إلى ساحل البحر ، وقيل : إنّ أوّلهم عبيدة بن الحارث بن المطّلب على سريّة إلى ثنيّة المَرَة[1] في ستّين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد . فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنيّة المَرَة ، فلقي به جمعاً عظيماً من قريش فلم يكن منهم قتال إلاّ أن سعد[2] بن وقّاص قد رمى يومئذ بسهم ، وكان أول سهم رمي في الإسلام ، ثمّ انصرف القوم عن القوم ، وللمسلمين حامية . وجاء المقداد بن عمرو البهرانيّ حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر الحارثيّ حليف بني نوفل ، وكانا مسلمين ولكنّهما خرجا فتوصّلا بالكفّار ، وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل .

وسعد بن أبي عبد المطلب على سريّة الخرّار وهو ماء من الجُحْفة ، فأصاب نَعماً[3] لبني ضمرة ، فأرسلوا إلى رسول الله فردّها بالحلف[4] الذي بينهم وبينه .

وحمزة بن عبد المطلب على سريّة إلى ساحل البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقي أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب من أهل مكّة فحجز بينهم مجديّ بن عمرو الجُهَنيّ ، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، وانصرف القوم بعضهم عن بعض ، ولم يكن قتال .

---

(١) ثنية المرة : موضع بالحجاز فيه ماء .

[ياقوت: معجم البلدان]

(٢) سعد بن أبي وقاص: أحد الصحابة العشرة الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنهم في الجنة ، وهو من مشاهير قواد المسلمين وقد ساهم في فتوحات فارس (القادسية ، جلولاء) . وهو مؤسس مدينة الكوفة في العراق . توفي نحو ٦٧٠ م .

[الزركلي: الأعلام جـ٣]

(٣) نعماً : إبلاً .

(٤) راجع صلح الحديبية فيما مضى من هذا الكتاب .

وعبدالله[1] بن جَحْش بن رِئاب على سريّة إلى نَخْلة في ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثمّ ينظر فيه فيمضي لِما أمره ولا يستكره من أصحابه أحداً . فلمّا سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ينظر فيه ، فإذا فيه : إذا نظرتَ في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلةً بين مكّة والطائف لترصد بها قريشاً وتعلم أخبارها . فمضى معه أصحابه ، لم يتخلّف منهم أحد ؛ فلمّا نزل نخلة مرّت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدَماً[2] وتجارة ، فيها عمرو بن الحضرميّ فقاتلوه فأسروا منهم رجلين ، فكانا أوّل أسير من المشركين ، وأفلت القوم . وأخذوا ما كان معهم ، فعزل رسول الله خُمُس العير وقسم سائرها لأصحابه ، فكان أول خمس قُسم في الإسلام[3] .

ووجّه مرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب على سريّة إلى جمع وذلك أنّه قدم على النبيّ نَفَرٌ من العَضَل وديش ، وهما حيّان من الهون بن خُزَيمة ، فقالا : يا رسول الله إنّ فينا إسلاماً فابعثْ معنا أصحابك يفقّهونَنا ويُقرئوننا القرآن . فبعث فيهم مرثدَ بن أبي مرثد وخالد بن البُكير حليف بني عديّ وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح العمريّ وزيد بن دَثِنّة البياضيّ وعبد الله بن طارق الظَّفَريّ وخُبَيْب بن عديّ العمريّ ، فلمّا كانوا على ماء يقال له الرّجيع لهُذيل خرج بعض الناس حتى انتهى إلى هذيل ، فقال : إنّ هاهنا نفراً من أصحاب محمد ، هل لكم أن نأخذهم ونسلبهم

---

(١) عبد الله بن جحش : أحد الأولين الذين أسلموا . هاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى المدينة . حضر بدر وقُتل في أُحد (٦٢٤ م) .

(٢) الأدم : الجلد .

(٣) عملاً بالآية الكريمة : **﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء، فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾** .

[سورة الأنفال؛ الآية: ٤١]

ونبيعهم من قريش؟ فما راع المسلمين إلاّ الرجال بأيديهم السيوف. فقالوا: استأسروا فلكم العهد والعقد ولا نقتلكم ولكن نبيعكم من قريش . فنادى مرثد ، وهو أمير القوم ، وعاصم وخالد فصاحوا بالقوم وسلّوا سيوفهم وتهيّأوا للقتال ، وأمّا خبيب وعبد الله وزيد فلانوا وأعطوا بأيديهم فقاتل أصحابهم قتالاً شديداً وقتل مرثد وخالد بن البكير وقاتل عاصم بن ثابت حتى قتل .

وزيد[1] بن حارثة الكلبيّ مولى رسول الله على سرية إلى قَرَدَةَ . لمّا انصرف رسول الله من بدر الصغرى، ميعاد أبي سفيان، هابت قريش أن يأخذوا طريقهم إلى الشأم على بدر ؛ فتركوا ذلك الطريق وسلكوا طريق العراق ، فخرج أبو سفيان وأبو العاص بن الربيع في عير قريش في مال كثير إلى الشأم ، فبعث رسول الله فأصابهم وما فيها . وخرج القوم هاربين : أبو سفيان وأصحابه ، فسبقوهم فقدم زيد بذلك المال وأسر معاوية بن المغيرة بن أبي العاص جدّ عبد الملك بن مروان ؛ وقيل إنّه قدم به . وأقبل أبو العاص بن الربيع حتى دخل المدينة فاستجار بزينب ابنة رسول الله ، فلمّا صلّى رسول الله الغداة نادت زينب : ألا إنّي قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فقال رسول الله حين انصرف : أسمعتم ؟ قالوا : نعم ! قال : قد أجرت من أجارت ، إنّ أدْنى المؤمنين يجير على أقصاهمْ . وقام فدخل عليهما فقال : لايفوتنّك ، أكْرمي مثواه . وردّ عليه ما أخذ له ، فرجع إلى مكّة فردّ إلى كلّ ذي حقّ حقّه ثمّ أسلم ورجع إلى رسول الله فردّ عليه زينب بالنّكاح الأوّل .

وأيضاً زيدَ بن حارثة على سريّة إلى الجحوم أو الجَموم ، فأصاب

---

(١) زيد بن حارثة : عبد اشترته خديجة وأهدته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعتقه وتبناه . كان من أوائل الذين دخلوا الإسلام حمل اللواء في وقعة مؤتة وقتل فيها سنة ٦٢٩ م .
[أعلام الشرق والغرب]

امرأةً من مزينة يقال لها حليمة فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سليم فأصابوا في تلك المحلة نعَماً وأسارى . وكان في أولئك الأسارى زوج حليمة . فلما قفل بها وهب رسول الله للمزينيّة زوجها ونفسها .

ومرة أُخرى لزيد على جيش إلى جُذام . وكان ابن خليفة الكلبيّ لما انصرف من عند قيصر مرّ بأرض جذام ،فأغار عليه الهُنيد بن عارض الجذّامي فسلبه ما كان معه ، وأدركه نفر من المسلمين فاستنقذوا ما أخذ منه فدفعوه إلى دحية[1] . فوجّه رسول الله زيد بن حارثة فسبى وقتل وأخذ الهنيد وابنه فضرب أعناقهما .

ووجّه أيضاً زيداً على جيش إلى وادي القُرَى[2] ، وكانت أمّ قِرْفة ابنة ربيعة بن بدر قد زوّجها مالك بن حذيفة بن بدر ، بعثت إلى رسول الله بأربعين رجلاً من بطنها وقالت : ادخلوا عليه المدينة . فبعث رسول الله زيدَ بن حارثة في خيل فلقيهم بوادي القرى فهزم أصحابه وارتُثّ[3] زيد من القتلى ؛ فحلف ألّا يغسل ولا يدهن حتى يغزوهم . فسأل رسول الله أن يبعث به إليهم ، فبعثه في خيل عظيمة فالتقوا بوادي القرى فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمت بنو فزارة وقتلوا وسبيت يومئذ أمّ قرْفة فقتلها قتلاً عنيفاً ، شقّها بين بكرين[4] . وأما ابنتها فوقعت في سهم قيس بن المحسّر فاستوهبها رسول الله منه لخاله حَزْن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، فولدت عبد الرحمٰن بن حزن .

ومرّة على جيش الطرَف إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ،

---

(١) الدحية : رئيس الجند .

(٢) وادي القرى : هي البطائح الواقعة بين الأعلاء والمدينة على الطريق التجارية القديمة بين جزيرة العرب والشام . أخبارها متصلة بقصة عاد والنبي هود لما فيها من الكهوف . تآمر سكانها اليهود على الرسول فهزمهم سنة ٦٢٦ م .
[البكري : معجم ما استعجم]

(٣) ارتُثّ : حمل من المعركة رثيثاً أي جريحاً فيه رمق .

(٤) البكر: الفتيّ من الإبل .

فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله سار إليهم ، فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ولم يكن بينهم قتال .

والمنذرَ بن عمرو الأنصاريّ على سريّة إلى بئر معُونة . وذلك أن أسد بن معونة قدم على رسول الله بهديّة من قبل عمّه أبي براء بن مالك ملاعب الأسنّة ، وأهدى له فرسين ونجائب[١] ؛ وكان صديقاً للنبيّ . فقال رسول الله : والله لا أقبل هديّة مشرك . فقال لبيد بن ربيعة : ما كنت أرى أن رجلاً من مضر يردّ هديّة أبي براء . فقال: لو كنتُ قابلاً من مشرك هديّة لقبلتها منه . قال : فإنّه يستشفيك من دُبَيْلة[٢] في بطنه قد غلبت عليه . فتناول رسول الله جبوبة[٣] من تراب فأمرّها على لسانه ثمّ دفّها بماء ثم سقاه إيّاه ، فكأنّما أُنْشط من عقال . وكان أبو براء سأل رسول الله أن يبعث إليه بنفر من أصحابه ليفقّهوهم في الدين ويبصروهم شرائع الإسلام ، فقال رسول الله : إنّي أخاف أن يقتلهم بنو عامر ، فأرسل أبو براء أنّهم في جِواري . فبعث إليه المنذرَ بن عمرو ونفراً من أصحابه في تسعة وعشرين عامّتهم بدريّ . فأغار عليهم عامر بن الطفيل وتابعه ثلاثة أحياء من بني سليم رِعل وذكوان وعُصَيّة فلذلك لعنهم رسول الله ، وأقبل عامر إلى حرام بن مِلْحان ، وهو يقرأ كتاب رسول الله ، فطعنه بالرمح . فقال : الله أكبرُ فُزْتُ بالجنّة . واقتتل القوم قتالاً شديداً وكثرتهم بنو سليم ، فقُتلوا من عند آخرهم ما خلا المنذر بن عمرو فإنّه قال لهم : دعوني أصلّي على أخي حرام بن مِلحان . قالوا : نعم . فصلّى عليه ثمّ أخذ سيفاً وأعنق نحوهم فقاتلهم حتى قتل . وقال الحارث بن الصمّة : ما كنت لأرغب بنفسي عن سبيل مضى فيه المنذر ، واللّهِ لأذهبنّ فلئن ظفر لأظفرنّ ولئن قُتل لأقتلنّ فذهب فقُتل وأعتق عامر بن الطفيل أسعد بن زيد الديناريّ عن رَقَبة كانت على أمّه .

---

(١) النجائب : النوق الأصيلة . مفردها : نجيب .

(٢) الدبيلة : داء في الجوف أو خُراج ودمّل يظهر فيه .

(٣) جبوبة : حفنة .

وبعثَ جعفرَ بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة إلى البَلْقاء من أرض الشأم فأصيبوا بمؤتة[1] ، وقد قدّمنا ذكرهم قبل هذا الموضع .

وبعث رسولُ الله غالبَ بن عبد الله الكلبيّ إلى بني مدلج وهم حلفاؤه وهم الذين قال الله فيهم : ﴿أو جَاؤوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُم﴾[2] فقالوا : لَسْنَا عَلَيْكَ وَلَسْنَا مَعَكَ ، وَلَمْ يجيبُوه ، فقال الناس : اغزهم يا رسول الله . فقال : إنّ لهم سيّداً أديباً لن يأخذ إلاّ خيرة أمره ، وإنّهم إذا نحروا ثجّوا[3] وإذا لبّوا عجّوا[4] ، ربَّ غاز من بني مدلج شهيد في سبيل الله .

وبعث نُمَيْلَةَ بن عبد الله الليثيّ إلى بني ضمرة فرجع إلى رسول الله فقال : يا رسول الله قالوا لا نحاربه ولا نسالمه ولا نصدّقه ولا نكذّبه . فقال الناس : يا رسول الله اغزهم . فقال : دَعوهم فإن فيهم عدداً وسودداً[5] ، وربّ شيخ صالح من بني ضمرة غاز في سبيل الله .

وبعث عمراً بن أُميّة الضمريّ إلى بني الديل فرجع فقال : يا رسول الله أدركتهم فلولاً وجئتهم حلولاً ، دعوتهم إلى الله ورسوله فأبوا أشدّ الإباء . فقال الناس : اغزهم يا رسول الله . فقال رسول الله : دعوا بني الديل ، إيّاكم ! ألا إن سيّدهم قد صلّى وأسْلَم فيقول : أسْلِمْ ، فيقولون : نعم .

وبعث رسول الله عبد الله بن سهيل بن عمرو العامريّ إلى بني معيص ومحارب بن فهر ومن يليهم من السواحل في خمسمائة ، فلقيهم

---

(١) راجع غزوات الرسول فيما تقدم من هذا الكتاب .

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٠ .

(٣) ثجوا : أسالوا . يريد الدماء .

(٤) عجوا : صاحوا ورفعوا أصواتهم عالياً .

(٥) يريد سؤدداً بالهمز .

على المدثرا . فلمّا واقعهم دعاهم إلى الإسلام ، فجاء معه نفر فقال رسول الله : ها قطيعة الإيمان كجذع النخل حلو أوّله حلو آخره .

وبعث أبا عبيدة بن الجرّاح على جيش إلى ذات القُصّة ، وكان بها قوم من محارب وثعلبة وأنمار . فخرج أبو عبيدة وأصحابه يسيرون ليلتهم حتى أصبحوا . فلمّا أبصر القوم بهم هربوا وخلّفوا إبلهم فغنموا الأموال وأخذوا رجلاً واحداً فأتوا به رسول الله فخمس رسول الله فأخذ الخمس وفرّق الباقي على أصحاب السريّة ؛ وأسلم الرجل فتركه .

وعمرَ بن الخطّاب على جيشٍ إلى زَبْيَة قريبة من الطائف فلم يلق كيْداً .

وعليَّ بن أبي طالب على جيشٍ إلى فَدَك . وبلغَ رسولَ الله أن بها جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ، فسار علي بن أبي طالب الليل وكمن النّهار حتى صبّحهم فقتلهم .

وأبا العوجاء السلميّ على سريّة ؛ فاستشهد كلّ من كان في السريّة فلم ينصرف منهم أحد .

وعُكّاشةَ بن مِحْصن بن حُرْثان الأسدي أسد بن خزيمة ،على سريّة إلى الغَمْرَة .

وأبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزوميّ إلى قَطَن .

ومحمّدَ بن مسلمة الأنصاريّ أخا بني حارثة على جيش إلى القُرَطاء من هوازن .

وبشيرَ بن سعد الأنصاريّ على سريّة إلى فَدَك فأصيب أصحابه جميعاً ولم يرجع منهم أحد . ثمّ بعث إليهم غالب بن عبد الله بن المُلَوَّحيّ ، فجاء بمرْداس بن نَهيك الفدكيّ .

ومرّة أُخرى إلى صروحان من أرض خيبر .

وعبد الله بن رواحة الأنصاريّ على سريّة إلى خيبر مرّتين ، إحداهما إلى أصحاب اليُسَيْر بن رِزام اليهوديّ وأصحابه ، وكان يجمع غطفانَ لغزو رسول الله .

وعبد الله بن أُنَيس الأنصاريّ إلى خالد بن سفيان بن نُبَيْح يجمع لرسول الله الناس ليغزوه ، فقتله ؛ ويقال لم تكن سريّة إنّما كان وحده .

وعُيَيْنَةَ بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاريّ على جيشٍ إلى بلعنبر فأصابهم وهم خلوف[1] . فجاء بسباياهم فطرحهم في المسجد . فركب إليه رجالاتهم ، فلمّا دخلوا المسجد صاحوا : يا محمّد اخرجْ إلينا . وكان فيهم بسّامة بن الأعور وسمرة بن عمرو ؛ قال الله ، عزّ وجلّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إليهم لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾[2] فخرج إليهم رسولُ الله ، فسألوه وطلبوا إليه أن يحكم سمرة بن عمرو وأن يهب لهم ثلاثاً ويؤخّر ثلاثاً ويأخذ ثلاثاً ، فبلغنا أنّ رسول الله قال : من أراد أن يعتق من ولد إسماعيل فليعتق من هؤلاء .

وكعبَ بن عُمير الأنصاريّ على سريّة إلى ذات أطْلاح[3] ، ويقال ذات أباطح ، فاستشهدوا جميعاً ولم يرجع من السريّة أحد .

وبعث رسولُ الله عمراً بن العاص على جيش إلى ذات السلاسل[4] من أرض الشأم ، وبها ناس من بني عُذْرة وبَلِيّ وقبائل من اليمن ، وكان

---

(١) خلوف : منهزمون ومتقهقرون إلى الخلف .

(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ٥ .

(٣) ذات أطلاح : موضع من وراء ذات القُرى إلى المدينة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٤) ذات السلاسل : ماء بأرض جذام ، وقيل : اسم الماء سلسل ، وبه سمّيت ذات السلاسل . قال الراعي :

ولمّا علت ذات السلاسل وانتحى ... لها مصغيان للفجاء عواسر

[ياقوت : معجم البلدان]

معه أبو بكر وعمر وأبو عُبيدة بن الجرّاح ، وأعطاه مالاً وقال : استنفر من قدرت عليه . فلمّا شارفَ القوم نهاهم ألّا يوقدوا ناراً فشقّ ذلك على المسلمين لشدّة القرّ[1] ، فقال : قد أمركم رسول الله أن تسمعوا لي وتطيعوا . فكلّموا أبا بكر في ذلك فأتى عمراً فلم يأذن له . فصاح به أبو بكر : يا بن بيّاعة العباء اخرجْ إليّ ، فأبى . قال : يا بن دبّاغة القرظ اخرج إليّ ، فأبى . فلمّا كان في السحر أغار بهم فأصاب وظفر ، فقال لأبي بكر : كيف رأيت رأي ابن بَيّاعة العباء ؟ وصلّى عمرو بن العاص بالنّاس وهو جُنُب ، فلمّا قدموا على رسول الله أخبره أبو عبيدة بن الجراح ، فقال عمرو : يا رسول الله كان البرد شديداً ولو اغتسلتُ لمتّ ؛ فضحك رسول الله .

وعبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ على سريّة إلى إضم[2] ، فلقي عامر بن الأضبط الأشجعيّ . فحمل عليه مُحَلّم بن جَثّامة بن قيس فطعنه فخاصمه عيينة بن حصن إلى رسول الله بديته فعجّل نصفاً وأخّر نصفاً . فقام إليه محلّم بن قيس فقال : يا رسول الله استغفر لي . قال : قتلت مسلماً ، لعنك الله ! فما لبث بعدها إلّا خمساً حتى مات .

وعبد الرحمٰن بن عوف على سريّة إلى كلب ؛ وعمّمه رسولُ الله بعمامة سوداء وأسدلها بين يديه ومن خلفه وقال : هكذا فاعتمّ[3] فإنّه أشبه وأعرف ، وأمره إن فتح الله عليه أن يزوّجه ابنة سيّدهم ، ففتح الله عليه فتزوّج تُماضر بنت الأصبغ التي صولحت عن ربع الثمن عن ثمانين ألف دينار .

وأمر عليّ بن أبي طالب حين خرج إلى تبوك[4] . . . . . وكان

(١) القر : البرد الشديد .

(٢) إضم : ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السُمَنية .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) اعتمّ : لبس العمامة .

(٤) بياض في الأصل .

المهاجر بن أبي أميّة أميره على صنعاء وزياد بن لبيد البياضيّ على حضرموت وصدقاتها وعديّ بن حاتم على صدقات طيء ومالك بن نُوَيْرة اليربوعيّ على صدقات حنظلة والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات بني سعد وعليّ بن أبي طالب إلى أهل نجران بجمع صدقاتهم وأخذ جزيتهم وخالد بن الوليد على سريّة إلى دومة الجندل وعتّاب بن أسيد بن أبي أميّة على مكّة وأبو سفيان بن حرب على نجران ويزيد بن أبي سفيان على تيماء وخالد بن سعيد بن العاص بن أميّة على صنعاء ، فقُبض النبيّ وهو عليها ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أميّة على قُرى عَرَبيّة وأبان ابن سعيد بن العاص بن أمية على الخطّ بالبحرين والوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق . وكذب عليهم وقد جئنا بحديثه في غزاة بني المصطلق[1] ، والعلاء حليف سعيد بن العاص على الغُطَيْف بالبحرين ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسيّ على الغنائم وأبو رهم الغفاريّ أميره على المدينة حين غزا خيبر. ويقال أبو رُهْم كُلْثوم بن الحصين الغفاريّ وأبو رهم الغفاريّ أيضاً على المدينة في غزاة الفتح وأميره على الموسم ، والناس بعد على الشرك ، عَتّاب بن أسيد ، فوقف عتّاب بالمسلمين ووقف المشركون على حِدَتهم، وأبو بكر أميره على الموسم في سنة ٩ وبعض الناس مشركون ، فوقف أبو بكر بالمسلمين ووقف المشركون ناحية على مواقفهم .

وفي تلك السنة وجّه عليّ بن أبي طالب بسورة بَرَاءَة فأخذها من أبي بكر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ! هل نزل فيّ شيء ؟ فقال : لا . ولكن جبرائيل قال لي : لا يُبلّغ هذا إلّا أنت أو رجل من أهلك . فقرأها على

---

(١) جاء في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٠ وما بعدها : بلغ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن بني المصطلق يجمعون له ، فخرج إليهم فلقيهم على ماء من مياههم يُقال له مريسيع من ناحية قُديد ، فاقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق وقُتل من قُتل منهم ، ونفل رسول الله ، صلّى الله عليه وآله وسلّم المسلمين أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، وكان فيما أصاب من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار والتي اتخذها زوجة له .

أهل مكّة، ويقال قرأها على سقاية زمزم[١]. وأمّن فنادى أن من كان له عهد من رسول الله في تأجيله أربعة أشهر فهو على عهده ومن لم يكن له عنده عهد فقد أجّله خمسين ليلة . وأميره على صلاة وفد ثقيف عثمان بن أبي العاص الثقفيّ ومعاذ بن جبل على بعض اليمن وعلى المقاسم يوم بَدْر مَحْمِيَة بن جَزْء بن عبد يغوث الزبيديّ حليف بني جُمَح وأسامة بن زيد مولى رسول الله على جيشٍ إلى ناحية الشأم ،فأنفذه أبو بكر بعد وفاة رسول الله . وكان أبو بكر وعمر في الجيش وكان رسول الله إذا بعث السرايا والجيوش قال : اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، وقاتلوا مَن كفر بالله ، لا تغلّوا[٢] ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً .

ووجّه رسولُ الله إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام . فوجّه عبدَ الله ابن حُذافة السهميّ إلى كسرى[٣] ، وكتب إليه : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتّبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله إلى الناس كافّة ليُنذر مَن كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين فأسلِمْ تَسْلَمْ ، فإن أبيْت فإنّ عليك أثام المجوس .

وكتب إليه كسرى كتاباً جعله بين سَرَقَتَيْ[٤] حرير وجعل فيهما مسكاً ، فلمّا دفعه الرسولُ إلى النبيّ فتحه فأخذ قبضة من المسك فشمّه وناوله أصحابه وقال : لا حاجة لنا في هذا الحرير ، ليس من لباسنا ، وقال : لتدخلنّ في أمري أوْ لآتينّك بنفسي ومن معي وأمر الله أسرع من ذلك . فأمّا كتابك فأنا أعلم به منك ، فيه كذا وكذا ، ولم يفتحه ولم يقرأه .

---

(١) زمزم : المياه المباركة المشهورة على طريق مكة ، وسميت زمزم لكثرة مياهها ، وقد قيل غير ذلك مما لا فائدة من ذكره هنا .

(٢) تغلّوا : تقيّدوا ، من الغل وهو القيد .

(٣) يريد كسرى أنوشروان ملك فارس .

(٤) السّرقة : الشقة من الحرير .

ورجع الرسول إلى كسرى فأخبره ، وقد قيل إن كسرى لمّا وصل إليه الكتاب وكان[1] . . . . راع أدم قدّه شتوراً ؟ فقال رسول الله : يمزّق الله ملكهم كلّ ممزّق .

ووجّه دِحْيَةَ بن خليفة الكلبي إلى قيصر[2] وكتب إليه : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، من محمّد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على مَن اتّبع الهدى . أمّا بعد فإنّي أدعوك بداعية الإسلام فأسلم تسلم ، ويؤتِك اللّهُ أجرك مرّتين ، قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذَ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ، فإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيّين[3] .

فكتب هرقل : إلى أحمد رسول الله الذي بشّر به عيسى من قيصر ملك الروم : إنّه جاءني كتابك مع رسولك وإني أشهد أنّك رسول الله نجدك عندنا في الإنجيل ؛ بشّرَنا بك عيسى بن مريم وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا ، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم ، ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك . فقال رسول الله : يبقى ملكهم ما بقي كتابي عندهم .

ووجّه عمراً بن أميّة الضمريّ إلى النجاشي[4] وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإُسكندريّة وجرير بن عبد الله البجليّ إلى ذي الكلاع الحميريّ والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى من بني تميم بالبحرين وعمّار بن ياسر إلى الأيهم بن النعمان الغسانيّ وسليط بن عمرو بن عبد شمس العامريّ إلى

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) يريد أمبراطور الروم هرقل .

(٣) الأريسيون : الخدم والخول . أنظر كتاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ـ مكاتب الرسول الجزء الأول للأحمدي ـ ، وفيه من التفاصيل حول الكتاب ولفظة «الأريسيين» ما يغنينا عن شرحها في هذا الموضع .

(٤) النجاشي : لقب ملوك الحبشة .

ابني هوذة بن عليّ الحنفيّ باليمامة والمهاجر بن أبي أمية إلى الحارث بن عبد كلال الحميريّ وخالد بن الوليد إلى الديّان وبني قَنان وعمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعبّاد ابني الجلندا إلى عمان ، وكتب إليهم جميعاً بمثل ما كتب به إلى كسرى وقيصر ، وسليم بن عمرو الأنصاري إلى حضرموت .

وبعث قوماً من أصحابه في قتل قوم من المشركين . فوجّه عمرو بن أميّة الضمريّ بقتل أبي سفيان بن حرب فلم يقتله . وبعث محمدَ بن مسلمة وأبا نائلة سِلْكان بن سلامة وعبّاد بن بشر وأبا عَبْس بن جَبْر والحارث بن أوس في قتل كعب بن الأشرف اليهوديّ فقتلوه في النضير . وبعث عبدَ الله بن رواحة إلى اليُسَير بن رزام اليهوديّ الخيبريّ فقتله. وبعث عبد الله بن عتيك وأبا قتادة بن رِبْعيّ وخُزاعيّ بن الأسود ومسعود بن سنان وابنُ عتيك أميرهم في قتل سلّام بن أبي الحُقَيْق فقتلوه بخيبر . وبعث في قتل ابن أبي حدعة وقال للموجّه : إن أصبتَه حيّاً فاقتله وأحرقه بالنار ، فأصابه قد لسعته حيّة فمات . وبعث عبدَ الله بن أبي حدرد في قتل رفاعة بن قيس الجُشَميّ فقتله ، وبعث عليّ بن أبي طالب في قتل معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أُميّة فقتله .

وفود العرب الذين قدموا على رسول اللّه

وقدمت عليه وفود العرب ، ولكلّ قبيلة رئيس يتقدّمهم . فقدمت مزينة ورئيسهم خزاعي بن عبد نُهْم ، وأشجع ورئيسهم عبد الله بن مالك ، وأسلم ورئيسهم بُرَيْدة ، وسليم ورئيسهم وقّاص بن قمامة ، وبنو ليث ورئيسهم الصعب بن جثّامة ، وفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن ، وبنو بكر ورئيسهم عديّ بن شراحيل ، وطيّء ورئيسهم عديّ بن حاتم ، وبجيلة ورئيسهم قيس بن غربة ، والأزد ورئيسهم صُرْد بن عبد الله ، وخثعم ورئيسهم عميس بن عمرو ، ووفد نفر من طيّء ورئيسهم زيد بن مهلهل وهو

زيـد الخيـل[1] ، وبنـو شيبـان[2] . . . . . وعبـد القيس ورئيسهم الأشجّ العصريّ ، ثمّ وفد الجارود بـن المعلّى فولّاه رسول الله على قومه، وأوفدت ملوك حمير[3] بإسلامهم وفوداً وهم : الحـارث بن عبد كُـلال ونُعيم بن عبد كـلال والنعمان قَيْـل ذي رُعَيْن وكتبوا إليـه بإسـلامهم فبعث إليهم مُعـاذ بن جبل ، وُعْكل ورئيسها خزيمة بن عاصم ، وجُذام ورئيسها فـروة بن عمرو ، وحضرموت ورئيسها وائل بن حجـر الحضرميّ، والضِّباب ورئيسها ذوالجوشن ، وبـنـو أسـد ورئيسهـا ضِـرار بـن الأزور وقيـل نُـقـادة بن الـعـايـف ، وعـامـر بـن الـطفيـل في بني عـامـر فـرجـع ولم يسلم ، وأرْبَـد ابـن قيس رجـع ولـم يـسـلم ، وبـنـو الـحـارث بـن كـعـب ورئـيـسـهـم يزيد بن عبد المَدان ، وبنو تميم وعليهم عُطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ومالك بـن نويـرة[4] ، وبنو نَهْـد وعليهم أبو ليلى خـالد بن الصَّقْعَب ،وكنانة ورئيسهم قـطن وأنس ابنا حـارثة من بني عُلَيم ، وهمـدان ورئيسهم ضمـام بن مـالـك ، وثُمـالـة والحُـدّان فخـذ من الأزد ورئيسهم مسلمة بن هزّان الحدّاني ، وباهلة ورئيسهم مطرّف بن كاهن الباهلي ، وبنو حنيفة ومعهم مُسَيلمة بن حبيب الحنفيّ ، ومُراد ورئيسهم فروة بن مسيـك ، ومهرة ورئيسهم مهري بن الأبيض .

كتّاب النبيّ

وكتب إلى رؤساء القبائـل يدعـوهم إلى الإسلام . وكـان كتّابـه الذين

---

(١) زيـد الخيل : سمّي زيـد الخيل لكثـرة خيله ومنها الستـة التي ذكـرهـا بشعـره وهي : الهطال والكميت والورد وكامل ودوول ولاحق . كـان يركب الفـرس المسترق ورجـلاه تخطان الأرض كأنه على حمار لفرط طوله ، أسلم بين يدي محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم فسمّاه زيد الخير . مات بالحمى حوالي سنة ٦٥٠ م .

[الزركلي : الأعلام ٣]

(٢) بياض في الأصل .

(٣) من ملوك اليمن .

(٤) مـالك بن نـويرة : من فـرسان الجـاهلية ، وقـد أدرك الإسلام وأسلم . قتله خـالد بن الوليد في حروب الردة سنة ٦٣٤ م .

يكتبون الوحي والكتب والعهود : عليّ بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعمرو بن العاص بن أمية ومعاوية بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعبدالله بن سعد بن أبي سرح والمغيرة بن شعبة ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وحنظلة بن الربيع وأُبَيّ بن كعب وجهيم بن الصلت والحصين النميريّ .

وكتب إلى أهل اليمن[1] : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، هذا كتاب من محمّد رسول الله إلى أهل اليمن فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلاّ هو . وقع بنا رسولكم مَقْدَمَنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلّغنا ما أرسلتم به وأخبرنا ما كان قِبَلكم ونبّأنا بإسلامكم وإن الله قد هداكم إن أصلحتم وأطعتم الله وأطعتم رسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خُمُسَ الله وسَهْمَ النبيّ والصفيّ وما على المؤمنين من الصدقة عُشْرَ ما سقى البعل وسقت السماء وما سقي بالغَرْب[2]نصف العشر ، وإن في الإبل من الأربعين حِقّة[3] قد استحقت الرحل وهي جذعة[4] ، وفي الخمس والعشرين ابن مخاض ، وفي كلّ ثلاثين من الإبل ابن لَبون ، وفي كلّ عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كلّ أربعين من البقر بقرة ، وفي كلّ ثلاثين من البقر تبيع ذكر أو جذعة ، وفي كلّ أربعين من الغنم شاة ، فإنّها فريضة الله التي افترض على المؤمنين ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، فمن أعطى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على الكافرين فإنّه من المؤمنين له ذمّة الله وذمّة رسوله محمّد رسول الله ، وإنّه من أسلم من

---

(١) أنظر ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ج ١ ص ٢٦٤ ، والبلاذري في فتوح البلدان ص ٨٣ ، قال : وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل مع معاذ كتاباً فيه الصدقة ؛ وكنز العمال ج ٥ ص ٣١٨ ، وترتيب مسند الإمام الشافعي ج ٢ ص ١٢٩ .

(٢) الغرب : الدلو . والمراد هنا ما يسقيه المرء بنفسه .

(٣) الحِقّة : الحق أو الحصة المعلومة .

(٤) جذعة : أنثى .

يهوديّ أو نصرانيّ فإنّه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديّته أو نصرانيّته فإنّه لا يغيّر عنها وعليه الجزية في كلّ حالم من ذكر أو أنثى حرّ أو عبد دينار وافٍ من قيمة المعافريّ أو عَرْضُه ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله فإنّ له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منعه فإنّه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين ، وإنّ رسول الله مولى غنيّكم وفقيركم ، وإنّ الصدقة لا تحل لمحمّد ولا أهله إنّما هي زكاة تؤدّونها إلى فقراء المؤمنين في سبيل الله ، وإنّ مالك بن مُرارة قد أبلغ الخبر وحفظ الغيب فآمركم به خيراً ، إني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأُولي كتابهم وأُولي علمهم فآمركم به خيراً فإنّه منظور إليه والسلام . وكان الرسول بالكتاب معاذ[1] بن جبل .

وكتب إلى همدان[2] : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى عمير ذي مرّان ومَن أسلم من همدان سِلْمٌ أنتم فإني أحمد الله إليكم ، الله الذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد ذلك فإنّه بلغني إسلامكم مرجعَنا من أرض الروم فابشروا فإنّ الله قد هداكم بهداه وإنكم إذا شهدتم أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبد الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فإنّ لكم ذمّة الله وذمّة رسوله على دمائكم وأموالكم وأرض البور التي أسلمتم عليها سهلها وجبلها وعيونها وفروعها غير مظلومين ولا مضيّق عليكم ، وإنّ الصدقة لا تحلّ لمحمّد ولا لأهل بيته إنّما هي زكاة تزكّونها عن أموالكم لفقراء المسلمين ، وإنّ مالك بن مُرارة الرهاويّ قد

---

(١) معاذ بن جبل :صحابي أنصاري، فقيه، أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن يدعو أهلها إلى الإسلام . حارب في أجنادين واليرموك . مات بالطاعون في عمواس سنة ٦٤٠ م.

[الزركلي : الأعلام ٧]

(٢) أنظر أسد الغابة ج ٤ ص ١٤٧ وج ٢ ص ١٤٥ ، وأعلام السائلين ص ٢٤ ، ونقل شطراً منه في الإصابة في ترجمة عمير ، وترجمة مالك بن مرارة ، وأوعز إليه ابن عبد البر في الاستيعاب .

حفظ الغيب وبلّغ الخبر فآمركم به خيراً فإنّه منظور إليه ، وكتب عليّ بن أبي طالب .

وكتب إلى نجران[1] : بسم الله ، من محمّد رسول الله إلى أسقفة نجران : بسم الله فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، أمّا بعد ذلكم فإنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإنْ أبيتم فالجزية وإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام .

وكتب إلى أهل هجر[2] : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، من محمّد رسول الله إلى أهل هجر سلْم أنتم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد فإني أوصيكم بالله وأنفسكم ألاّ تضلّوا بعد إذ هديتم ولا تغووا بعد إذ رشدتم ، أمّا بعد ذلكم فإنّه قد جاءني وفدكم فلم آتِ فيهم إلاّ ما سرّهم وإني لو جهدتُ حقّي كلّه فيكم أخرجتكم من هجر فشفّعت شاهدكم ومننت على غائبكم اذكروا نعمة الله عليكم . أمّا بعد فإنّه قد أتاني ما صنعتم وإنّ من يجمل منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء فإذا جاءكم أُمراؤكم فأطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفي سبيله فإنّه مَن يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضلّ له عند الله ولا عندي . أمّا بعد يا منذر بن ساوى فقد حمدك لي رسولي وأنا ، إن شاء الله ، مثيبك على عملك .

وقدم عليه أهل نجران ورئيسهم أبو حارثة الأسقف ، ومعه العاقب والسيّد وعبد المسيح وكوز وقيس والأيهم ، فوردوا على رسول الله . فلمّا دخلوا أظهروا الديباج والصّلُب ودخلوا بهيئة لم يدخل بها أحد . فقال

---

(١) أنظر البداية والنهاية ج٥ ص٥٣ والدرّ المنثور ج٢ ص٣٨، والبحار ج٦ وج٩ في تفسير آية المباهلة وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٧٦ ، عن صبح الأعشى ج٦ ص ٣٨٠ و ٣٨١ .

(٢) أنظر فتوح البلدان للبلاذري ص ٩٠ ، والأموال لأبي عبيد ص ١٩٩ ، والجمهرة ج ١ ص ٤٣ .

رسول الله : دَعُوهم فلقوا رسول الله فدارسوه يومهم وساءلوه ما شاء الله . فقال أبو حارثة : يا محمّد ! ما تقول في المسيح ؟ قال : هو عبد الله ورسوله . فقال : تعالى الله عمّا قلت ، يا أبا القاسم هو كذا وكذا . ونزل فيهم : ﴿إنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ إلى قوله : ﴿فَمَنْ حَاجّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقلْ تعالَوْا نَدْعُ أبْنَاءَنا وأبْنَاءَكُمْ ونِسَاءَنا ونِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأنْفُسَكُمْ ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[1] . فرضوا بالمباهلة[2] ، فلمّا أصبحوا قال أبو حارثة : انظروا مَن جاء معه . وغدا رسول الله آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمة وعليّ بن أبي طالب بين يديه وغدا العاقب والسيّد بابنين لهما عليهما الدرّ والحلي وقد حفّوا بأبي حارثة . فقال أبو حارثة : مَن هؤلاء معه ؟ هذا ابن عمّه وهذه ابنته وهذان ابناها. فجثا رسول الله على ركبتيه ثمّ ركع . فقال أبو حارثة : جثا والله كما يجثو النبيّون للمباهلة . فقال له السيّد : أُدنُ يا أبا حارثة للمباهلة ، فقال : إني أرى رجلاً حريّاً[3] على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقاً فإنْ كان صادقاً لم يَحُل الحول وفي الدنيا نصرانيّ يطعم الطعام . قال أبو حارثة : يا أبا القاسم لا نباهلك ولكنّا نعطيك الجزية . فصالحهم رسول الله على ألفَيْ حُلّة من حلل الأواقي ، قيمة كلّ حلة أربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك .

وكتب لهم رسول الله كتاباً[4] : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، هذا كتاب من النبيّ محمّد رسول الله لنجران وحاشيتها إذ كان له عليهم حكمة في كلّ بيضاء وصفراء وثمرة ورقيق كان أفضل ذلك كلّه لهم غير ألفَيْ حُلّة من حُلَل الأواقي قيمة كلّ حلّة أربعون درهماً ، فما زاد أو نقص فعلى هذا

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية : ٦١ .

(٢) المباهلة هي الاجتماع فالتداعي فاستنزال لعنة الله على الكاذب والظالم .

(٣) حريّاً : جديراً وكفؤاً .

(٤) أنظر فتوح البلدان ص ٧٦ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٨٧ ، وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٧٦ .

الحساب ألف في صَفَر وألف في رجب ، وعليهم ثلاثون ديناراً مثواة[1] رسلي شهراً فما فوق . وعليهم في كلّ حرب كانت باليمن دروع عاريّة مضمونة لهم بذلك جوار الله وذمّة محمّد فمن أكل الرّبا منهم بعد عامهم هذا فذمّتي منه بريئة . فقال العاقب : يا رسول الله إنّا نخاف أن تأخذنا بجناية غيرنا . قال فكتب : ولا يؤخذ أحد بجناية غيره . شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وكتب عليّ بن أبي طالب . فلمّا قدموا نجران أسلم الأيهم وأقبل مسلماً .

أزواج رسول الله

وتزوّج إحدى وعشرين امرأة ، وقيل ثلاثاً وعشرين . دخل ببعضهنّ وطلّق بعضاً ولم يدخل ببعض ، واللاّتي دخل بهنّ :

أوّلهنّ خديجة[2] ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ وولدت أولاده أجمعين خلا إبراهيم ، ولم يتزوّج عليها حتى ماتت .

ثمّ سَوْدة[3] بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن

---

(١) مثواة : إقامة .

(٢) ظل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرها بالخير ويرق لها ويصل أصدقاءها وأقاربها . قالت عائشة : كان رسول الله (ص) لا يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها ، فذكرها يوماً من الأيام ، فأخذتني الغيرة ، فقلت : هل كانت إلّا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها ، فغضب ثم قال : لا ، والله ما أبدلني خيراً منها : آمنت إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء . ماتت سنة خمس أو أربع أو ثلاث قبل الهجرة ، في رمضان ، ودفنت بالحجون .

[راجع الاستيعاب والإصابة وأسد الغابة وسائر كتب التاريخ]

(٣) تزوجها قبل عائشة ، وبنى بها قبل عائشة بالاتفاق ، سنة عشر من النبوة . كانت تحت ابن عم لها ، يُقال له السكران بن عمرو ، فتوفي عنها ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحين أراد أن يطلقها قالت له : لا تطلقني وامسكني : فإني لا أُريد ما يريد =

مالك بـن حِسْل بن عامر بن لؤيّ ، تزوّجها بمكّة .

ثمّ عائشة[1] بنت أبي بكر بن أبي قحافـة ، تزوّجهـا بمكّة ودخـل بها بالمدينة .

ثمّ غـزيّة بنت دودان بن عـوف بن جابـر بن ضبَاب من بني عـامر بن لؤيّ ،وهي أمّ شريك التي وهبت نفسها للنبيّ .

ثمّ حَفْصَة[2] بنت عمر بن الخطّاب .

ثمّ بنت نفيل بن عبد العزّى العبدوي .

ثمّ زينب[3] بنت خزيمة بن الحـارث من بني عـامـر بن صعصعـة ، وهي أمّ المساكين ؛ ولم يمت من نسائه عنده غيرها وغير خديجة .

ثمّ أمّ حبيبـة[4] بنت أبي سفيان بن حـرب بن أميّة بن عبـد شمس بن عبد مناف .

= النساء ، فإنما أود أن أحشر في زمـرة أزواجك ، وأنت في حـل من شأني ، فـأمسكها حتى توفي عنها .

[راجع مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥٥٨]

(١) تزوجها صلى الله عليه وآله وسلم وهي ابنة تسع ، وكانت حين عقد عليها بنت ست سنين ، وقيل سبع سنين .

[المصدر السابق]

(٢) تزوجها في شعبـان سنة ثـلاث ، كانت قبـل أن يتزوجهـا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنـد حصن بن حذافة ، وكان ممن شهد بدراً ومات بالمدينة فانقضت عدتُها ، فعرضها عمر على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فتزوجهـا فطلقهـا ثم راجعهـا (يحتمـل أن يكـون طلقهـا مرتين) .

[المصدر السابق]

(٣) كـانت عند عبـد الله بن جحش ، فاستشهـد بأُحـد ، وقيل : كـانت عنـد الـطفيـل بن الحارث ، ثم خلف عليها أخـاه عبيدة ثم تـزوجها رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة ثـلاث ، فأقامت عنده شهرين .

[المصدر السابق]

(٤) اسمهـا رملة بنت أبي سفيان ، وقيـل : اسمها هنـد ، ولدت قبـل البعثة بسبعـة عشـر =

ثمّ زينب[1] بنت جحش بن رِئاب بن قيس بن يعمر بن صبرة من بني أسد بن خزيمة .

ثمّ أمّ سَلِمَة[2] بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

ثمّ جُوَيْرِيَة[3] واسمها برّة بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقيّة من خزاعة .

ثمّ صفيّة[4] بنت حُيَيّ بن أخطب من بني النجّار من سبط هارون النبيّ .

ثمّ مَيْمونة[5] بنت الحارث بن حزن بن بُجَيْر الهلاليّ .

= عاماً ، تزوجها حليفهم عبيد بن جحش الأسدي ، فأسلما ثم هاجرا إلى الحبشة ، فتنصّر زوجها ففارقها ، فمات ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي في تزويجها إياه ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

[راجع مكاتيب الرسول]

(1) زوّجها إيّاه أخوها ، وكانت قبله صلى الله عليه وآله وسلم . عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوجها بأمر الله سبحانه.

[المصدر السابق]

(2) هي هند أو رملة ، كانت عند أبي سلمة ، فتوفي فخلّف عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعده .

[المصدر السابق]

(3) كانت تحت مسافع بن صفوان في سهم ثابت بن قيس .

[المصدر السابق]

(4) كانت عند سلام بن مشكم ، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق ، فقتل كنانة يوم خيبر ، فصارت صفية مع السبي ، فأخذها دحية ، ثم استعادها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأعتقها وتزوجها .

[المصدر السابق]

(5) كانت اسمها برّة ، تأيّمت من أبي وحم ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة سبع في عمرة القضاء .

[المصدر السابق]

ثمّ مارية[1] أمّ إبراهيم ؛ هؤلاء اللاّتي دخل بهنّ ، طلّق منهنّ أم شريك ، وأرجأ منهنّ سَوْدة وصفيّة وجويرية وأم حبيبة وميمونة ، وآوى عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة .

والنسوة اللاّتي لم يدخل بهن[2] :

خولة بنت الهذيل بن هبيرة الثعلبيّة ، هلكت في الطريق قبل وصولها إليه .

وشِراف أخت دحية بن خليفة الكلبيّ ، حُملت إليه فهلكت قبل دخولها عليه .

وسنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة السلمي ، ماتت قبل أن يصل إليها .

وريحانة بنت شمعون القريظيّة عرض عليها النبيّ الإسلام فأبت إلاّ اليهوديّة فعزلها ثمّ أسلمت بعد ، فعرض عليها التزويج فأجابت وضرب الحجاب ، فقالت : بل تتركني في ملكك ، يا رسول الله . فلم تزل في ملكه حتى قُبض .

وأسماء بنت النعمان الكنديّ ، من بني آكل المُرار ، كانت من أجمل نسائه وأتمّهنّ فقال لها نساؤه : إن أردت أن تحظي عنده فتعوّذي بالله إذا دخلت عليه . فلمّا دخل وأرخى الستر ، قالت : أعوذ بالله منك ! فصرف وجهه عنها . ثمّ قال : أمن عائذ الله ! الحقي بأهلك . فخلف على أسماء بنت النعمان الكنديّ المهاجر بن أميّة المخزوميّ ثمّ خلف عليها بعد

---

(١) بنت شمعون أهداها المقوقس ملك القبط إلى النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، مع أختها سيرين ، وأرسل معها البغلة التي كان يركبها وسمّاها دلدل ، فاصطفاها لنفسه ودخل بها .

[الروضة الفيحاء للموصلي]

(٢) وقد اختلف فيهنّ .

المهاجر قيس بن مكشوح المرادي .

وقُتَيْلَة بنت قيس بن معدي كرب ، وهي أخت الأشعث بن قيس بن فلان ، قُبضَ رسول الله قبل خروجها إليه من اليمن ، فخلف عليها عكرمة ابن أبي جهل .

وعَمْرة بنت يزيد بن عُبيد بن رُواس الكلابيّ ، بلغه أنّ بها بياضاً فطلقها ولم يدخل بها .

والعالية بنت ظبيان بن عمرو الكلابيّ ، طلّقها .

والجونية امرأة من كندة وليست بأسماء ، كان أبو أُسيد الساعدي قدم بها عليه ، فوليت عائشة وحفصة مشطها وإصلاح أمرها ، فقالت إحداهما لها : إنّ رسول الله يعجبه من المرأة إذا دخل عليها ومدّ يده إليها إن قالت : أعوذ بالله منك ، ففعلت ذلك فوضع يده على وجهه واستتر بها وقال : عذت ، فعاذت ثلاث مرّات . ثمّ خرج وأمر أبا أُسيد الساعديّ أن يمتّعها برازقيّتين ويلحقها بأهلها ؛ فزعموا أنّها ماتت كمداً .

وليلى بنت الحطيم الأوسيّ أتته وهو غافل فحطأت منكبه . فقال : مَن هذا أكله الأسود ؟ قالت : أنا بنت الحطيم ، وأبي مطعم الطير ، وقد جئتك أعرض نفسي عليك . قال : قبلتك . فأتت نساءه فقلن لها : بئس ما صنعت ! أنت امرأة غيور ورسول الله كثير الضرائر ، إنّا نخاف أن تغاري فيدعو عليك فتهلكي ، استقيليه ، فأتته فاستقالته ، فأقالها ، ودخلت حائطاً من حيطان المدينة فأكلها الأسود .

وصفيّة بنت بشامة العنبريّة ، عرض عليها المقام عنده أو ردّها إلى أهلها فاختارت أهلها فردّها .

وضُباعة بنت عامر القيسيّة ، كانت عند عبد الله بن جدعان فطلّقها ثمّ تزوّجها هشام بن المغيرة فأولدها سلمة ، فخطبها رسول الله إلى سلمة ،

فقال : استأمرها . فقالت : أفي رسول الله ؟ قد رضيت . فبلغه عنها كِبر ، فأمسك عنها .

مولد إبراهيم ابن رسول الله

ووُلد إبراهيم ابن رسول الله وأمه مارية[١] القبطيّة في ذي الحجّة سنة ٨ ، ولمّا وُلد هبط جبرائيل إلى رسول الله فقال : السلامُ عليك يا أبا إبراهيم ! وتنافست فيه نساء الأنصار أيّهنّ ترضعه ، فدفعه رسول الله إلى أمّ بردة بنت المنذر بن زيد من بني النجّار[٢] ، وعقّ رسول الله بكبش . وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله امرأة أبي رافع ، فجاء أبو رافع إلى رسول الله فأخبره فوهب له عبداً . وغارت نساء رسول الله واشتدّ عليهنّ حيث رزق منها ولداً فروى الزهريّ عن عروة عن عائشة قالت : دخل عليّ رسول الله ومعه ابنه إبراهيم يحمله ، فقال : انظري إلى شبهه بي . قالت عائشة : أرى شبهها . قال : أما ترين بياضه ولحمه ؟ قالت : من قصر عليه اللقاح أبيضّ وسمن . وتوفي إبراهيم في سنة ١٠ وله سنة وعشرة أشهر ، وكُسفت الشمس ساعتين من النهار ، فقال الناس : كسفت لموت إبراهيم . وقال رسول الله : إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم فافزعوا[٣] إلى مساجدكم . وقال : إن العين تدمع والقلب يخشع وإنّا بك يا إبراهيم لمخزونون ولكنّا لا نقول ما يسخط الربّ .

وأعتق جماعة عبيداً وإماءً[٤] منهم : زيد بن حارثة بن شراحيل وأسامة بن زيد وأبو رافع ، قبطيّ أهداه له المقوقس[٥] ، وأَنَسَة ، وكان

---

(١) راجع باب أزواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الكتاب .
(٢) قوم شاعر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حسان بن ثابت الأنصاري .
(٣) افزعوا : أسرعوا .
(٤) الإماء : الجواري .
(٥) وقد أهداه أيضاً مارية التي تزوج منها صلى الله عليه وآله وسلم .

حبشيّاً ، وأبو كَبْشة ، وكان فارسيّاً ، وأبو لبابة وأبو لقيط وأبو أيمن وأبو هند ورافع وسَفِينَة وثوبان وصالح ، وهو شُقْران ، وأم أيمن حبشيّة كان أبو طالب خلفها عليه واسمها بركة ، ويقال خضرة ، ويقال إنّه ورثها عن أبيه وكان يسمّي كلّ شيء لها .

وكان رسم رايته العقاب وكانت سوداء على عمل الطيلسان[1] ، وكان له سيف يقال له المِخْذم وسيف يقال له الرَّسوب وسيفه الذي يلزمه ذو الفَقار . وقد روي أن جبرائيل نزل به من السماء فكان طوله سبعة أشبار وعرضه شبراً وفي وسطه كال وكانت عليه قبيعة فضّة ونعل فضّة وفيه حلْقتان فضّة ورمحه المُثْوي حربته العَنَزَة ؛ وكان يمشي بها في الأعياد بين يديه ويقول : هكذا أخلاق السنن ، وقوسه الكتوم وكنانته الكافور ونبله المتّصلة وترسه الزَّلوق ومغفره السبوع ودرعه ذات الفضول وفيها زردتان زائدتان وفرسه السّكْب وفرس آخر المرتجز وفرس آخر السجل وفرس آخر البحر . وأجرى الخيل فجاء فرسه سابقاً فجثا على ركبتيه وقال : ماهو إلاّ البحر ؛ وكان يقول : الخيل في نواصيها الخير . وكانت له ناقة يقال لها القصوى وناقة يقال لها العَضباء وناقة يقال لها الجَذْعاء. وسابق بالإبل فجاءت ناقته العَضباء سابقة ، وعليها أسامة بن زيد . فقال الناس : سبق رسول الله . فقال رسول الله : سبق أسامة . وكانت بغلته الشهباء[2] يقال لها الدُّلْدُل أهداها له المقوقس وبغلة أُخرى طويلة مرتفعة يقال لها الابليّة . وحماره اليعفور . وكانت له شاة يشرب من لبنها يقال لها غيثة . وقدح يقال له الريّان وقدح يقال له العير . وقضيب يقال له الممشوق . وجبة يقال لها الكنّ . وعمامة سوداء يقال لها السحاب . وذكر أبو البختريّ أنّه كان له منطقة من أديم[3] مبشورة ، فيها إبزيم وثلاث حلقات كالفلك من فضّة ،

---

(١) الطيلسان : كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم .

(٢) أهداه إيّاها المقوقس القبطي مع ماريّة زوجته .

(٣) أديم : جلد .

فإنّه كان يلبس برود الحبر أُزُراً أو أرديـة البيضاء والقلنسوة[1] الحبر والجبّة السنـدس الخضراء وليس بـالّـذي عنّ عن لبسهمـا فمـا لبس الصـوف حتى قبضه الله إليه . وكان له فراش أدم وكان يلبس الملحفة المصبوغة بالزعفران والـورس[2] ويلبس الإزار الـواحـدة يعقـده بين كتفيـه . وكـان يتـطيّب حتى يصبغ الطيب رداءه من مـوضع رأسـه وحتى يرى وميض المسـك من مفرقـه وحتى يعـرف مجيئه بـطيب رائحته من بعيـد قبل أن يُـرى . وكـان يقـول : أطيب الطيب المسك . وكان لا يُعرض عليـه طيب إلاّ تطيب منـه . وكان إذا أراد الخروج من منزله امتشط وسوّى جمّته[3] وأصلح شعره . وكـان يقول : إنّ الله يحبّ من عبده أن يكون له حسن الهيئة . ويُروى أنّه كان يلبس البرنس والشملة وكـان له ثـوبان . وكـان يلبس الخاتم ويصيّـر فضّة فصّـه ممّـا يلي الكفّ ويلبسه في اليد اليمنى واليد اليسرى ويضعـه في إصبعه الـوسطى في المفصل ويديره في أصابع يده .

خطب رسول اللّه ومواعظه وتأديبه بالأخلاق الشريفة

وكـان يخطب أصحـابه ويعـظهم ويعلّمهم محـاسن الأخـلاق ومكـارم الأفعال .

خطب رسول الله فقال في خطبتـه : أيّها النـاس إنّ لكم مَعالِمَ فانتهوا إلى معـالمكم ، وإنّ لكم نهـايـة فـانتهـوا إلى نهـايتكم ، وإن المؤمن بين مخافتين : بين أجَل قد مضى ولا يدري ما الله صانـع فيه ، وأجـل قد بقي مـا يدري ما الله قـاضٍ فيـه ؛ فليـأخـذ العبـدُ من نفسـه لنفسـه ومن دنيـاه لآخرته : في الشبيبة قبل الكبـر ، وفي الحياة قبـل الممات ؛ فـوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتَب وما بعـد الدنيـا من دار إلاّ الجنّة ، أو النار .

---

(١) القلنسوة : نوع من ملابس الرأس ، وهو على هيئات متعددة .

(٢) الورس : نبات أصفر اللون .

(٣) الجمّة ؛ مجتمـع شعـر الرأس .

وخطب يوماً فقال في خطبته : إن الله ليس بينه وبين أحد قرابة يعطيه بها خيراً ولا حقّ يصرف به عنه سوءاً إلّا بطاعته واتّباع مرضاته واجتناب سخطه . إنّ الله ، تبارك وتعالى ، على إرادته ولو كره الخلق ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . تعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب .

وخطب رسول الله فقال في خطبته : طوبى لعبدٍ طاب كسبه وحسنت خليقته وصلحت سريرته[1] وأنفق الفضل من ماله ، وترك الفضول[2] من قوله ، وكفّ عن الناس شرّه وأنصفهم من نفسه ، إنّه من عرف الله خاف الله ومن خاف الله شحّت[3] نفسه عن الدنيا .

وخطب يوماً فقال في خطبته : اذكُروا الموت فإنّه آخذ بنواصيكم ، إنْ فررتم منه أدرككم وإن أقمتم أخذكم . . . . . .[4] لا خير بعده أبداً ، وفرقة لا ألفةَ بعدها ، وإنّ العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن إمامه من هو؟ قال الله ، عزّ وجلّ :

﴿يَوْمَ نَدْعُو كلّ أُناسٍ بإمامِهم﴾ إلى آخر الآية[5] .

وقال : مَن نظر في دينه إلى مَن هو فوقه فاقتدى به ، ونظر في دنياه إلى مَن هو دونه فحَمِد اللّه على ما فضّله به كتبه الله شاكراً وصابراً . ومَن نظر في دينه إلى مَن هو دونه ونظر في دنياه إلى مَن هو فوقه فأسف على ما فضّله الله لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً .

---

(١) أي خلصت نيته .
(٢) الفضول : الزيادة لا معنى لها في الكلام .
(٣) شحت : نجلت وحرصت .
(٤) بياض في الأصل .
(٥) سورة الإسراء؛ الآية : ٧١ .

وقال : مَن أُعطيَ قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وبدناً صابراً وزوجة صالحة فقد أُعطي الدنْيا والآخرة .

وقال : الرغبة في الدنْيا تورث الهمّ والحزن ، والزهد فيها يريح القلب والبدن .

وقال : السعادة في اثنتين الطاعة والتقوى .

وقال : يقول الله ، عزّ وجلّ : حسب عِندي المؤمِن حَقِيقَة إيمانه في ضَميرِهِ وصِدْق وَرَعِ نيّته حتى أجْعَلَ نومهُ عَملاً وصَمته ذكراً .

وقال : مَن أتى النّاسَ بما يحبّون وبارز الله بما يكره لقي الله وهو عليه غضبان آسف .

وقال : إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرّقوا ، وأن تناصحوا من وَلّاه أمركم ، ويكره لكم قالاً وقيلاً ، ويكره السؤال وإضاعة المال .

وقال : يقول ابن آدم مالي ! مالي ! وليس لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت ، أو لبستَ فأبليتَ أو أعطيت فأمضيت .

وقال : الدنْيا حلوة خَضِرَة ، والله مستعملكم فيها فانظروا كيف تعملون .

وقال : إن أحبّكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الموطّؤون أكنافاً[1] الذين يألفون ويؤلَفون ، وإنّ أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثّرْثارون المُتَفَيْهِقُون[2] .

وقال له رجل: أوْصني يا رسول الله. فقال: أكْثِر ذِكْرَ الموت يُسْلِكَ

---

(١) الموطّؤون : المتوافقون .

(٢) المتفيهقون : المدّعون على غير معرفة .

عن الدنيا ، وعليك بالشكر تُزَد في النعمة ، وأكثِرِ الدّعاء فإنــك لا تدري متى يستجاب لك ، وإيّاك والبَغي فإن الله ، عزّ وجلّ ، قضى أن ينصر مَن بُغي عليه ، وإيّاك والمكر فإنّ الله قضى ألاّ يحيق المكر السّيء إلاّ بأهله .

وقيل له : أيّ الأعمال أفضل ؟ فقال : اجتناب المحارم وألاّ يزال لسانك رَطباً من ذكر الله ، عزّ وجلّ ، قيل : فأيّ الأصحاب أفضل ؟ قال : الذي إذا نسيتَ ذكَرَك وإذا دعوتَ أعانك . قيل : أيّ الناس شرّ ؟ قال : العلماء إذا فسدوا .

وقال : إذا ساد القبيلَ فاسِقُهم ، وكان زعيم القوم أرذلُهم . وأكرم الرجل الذي اتُّقِيَ شرّه فانتظروا البلاء .

وقال : مَن ذبّ[1] عن لحمِ أخيه بظهر الغيب كان حقيقاً على الله ، عزّ وجلّ ، أن يحرِّم لحمه على النار .

وقال : يقول الله ، تبارك وتعالى : يا بن آدم بمشيئتي كنت ، أنت تشاءُ لنفسك ما تشاء ، وبإرادتي كنت تريد لنفسك ما تريد ، وبقوّتي أدّيت فريضتي ، وبنعمتي قويت على معصيتي ، فأنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك منّي بذلك ، وإنّي لا أُسْأل عمّا أفعل وهُم يُسألون .

وقال : إنّ الله فرض على الأغنياء ما يكفي الفقراء ، فإن جاع الفقراء كان حقيقاً[2] على الله أن يحاسب أغنياءهم ويكبّهم في نار جهنّم على وجوههم .

وقال : يقول الله ، عزّ وجلّ : إنّي لم أُغْنِ الغنيّ لكرامة به عليّ ، ولكنّه ممّا ابتليتُ به الأغنياء ، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنّة .

---

(١) ذبّ : دافع وذاد .

(٢) حقيقاً : جديراً .

وقال : أربع من أتى الله ، عزّ وجلّ ، بواحدة منهنّ وجبتْ له الجنّة : مَن سقَى هامةً صاديةً[1] أو أطعم كبداً جائعة أو كسا جلدة عارية أو أعتق رقبةً عانية .

وقال : كلّ عين ساهرة يوم القيامة إلّا ثلاث عيون : عين سهرت في سبيل الله ، وعين غضّت عن محارم الله ، وعين فاضت من خشية الله .

وقال : يقول الله ، عزّ وجلّ : عبدي إذا صلّيتَ ما افترضتُ عليك فأنت أعبد الناس ، فإذا قنعت بما رزقتك فأنت أغنى الناس .

وجمع بني عبد المطلب فقال : يا بني عبد المطلب افشوا[2] الإسلام وصِلوا الأرحام وتهجّدوا[3] والنّاس نيام وأطعموا الطعام وأطيبوا الكلام تدخلوا الجنّة بسلام .

وقال : أربعة من كنوز البرّ : كتمان الحاجة وكتمان الصدقة وكتمان الوجع وكتمان المصيبة .

وقال : أقربكم منّي غداً في الموقف أصدقكم في الحديث وآداكم للأمانة وأوفاكم بالعهد وأحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس .

وقال : الإبقاء على العمل أشدّ من العمل ؛ إن الرجل ليعمل في السرّ فلا يزال به الشيطان حتى يحدّث به أو يظهره فيسبّح في العلانية فيُكْتَب في الرياء .

وقال : إن علامة النّفاق جمود العبرة[4] وقساوة القلب والإصرار على الذّنب والحرص على الدنْيا .

---

(١) صادية : عطشى .

(٢) أفشى : نشر .

(٣) تهجدوا : اسهروا ، وتهجّد من أفعال الضد .

(٤) العبرة : الدمعة .

وقال : السخيّ قريب من الله قريب من النّاس قريب من الجنّة بعيد من النّار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنّة قريب من النّار .

وقال : العبد إذا استوت[1] سريرته وعلانيته ، قال الله ، عزّ وجلّ : عبدي حقّاً .

وقال : المؤمن من خلط حلمه بعلمه ، ينطق ليفهم ، ويجلس ليعلم ، ويصمت ليسلم ، ويحدّث أمانته الأصدقاء ، ويكتم شهادته الأعداء ، ولا يعمل شيئاً من الحقّ رياء ولا يتركه حياءً حتى إذا زكا[2] خاف ما يقولون فاستغفر ممّا لا يعلمون ؛ والمنافق لا يَعْبَره[3] قول مَن ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي ،إذا قام إلى الصلاة . . . . . .[4] وإذا ركع ربض وإذا سجد نقر وإذا جلس سعد ، يمسي وهمّه الطعام وهو مفطر ، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر، إن حدّثك كذبك وإن وعدك أخلفك ، وإن ائتمنته خانك وإن حالفك اغتابك .

وقال : مَن أجهد نفسه لدنياه ضرّ بآخرته ، ومن اجتهد لآخرته كفاه الله ما همّه .

وقال : مَن رأى موضع كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه .

وقال : إيّاكم وجدال المفتين ؛ فإن كلّ مفت ملقّن حجته إلى انقضاء مدته فإذا انقضت أحرقته فتنته بالنار .

وقال : سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية لله ، عزّ وجلّ ، وحرمة ماله كحرمة دمه .

---

(١) استوت : تساوت .

(٢) زكا : نما وزاد .

(٣) لا يعبر : لا يتعظ .

(٤) بياض في الأصل .

وقال : الحياءُ من الإيمان في الجنّة ، والبَـذاءُ[1] من الجفاء والجفـاءُ في النّار ، والله ، عزّ وجـلّ ، يحبّ الحييّ الحليم العفيف المتعفّف ، وإنّ الله يبغض البَذيّ السائـل المُلحف[2] . إن أسرع الخيرِ ثوابـاً وأسرع الشـرّ عقوبةً البغي .

وقـال : ألا أخبركم بشِـرَارِكم ؟ قالـوا : بلى يـا رسـول الله . قـال : المشّاؤون بالنميمـة المفرّقـون بين الأحبة البـاغون للبـراء العيب ، ومَن كفّ غضبه عن الناس كفّ الله عنه عذابه يوم القيامة .

وقـال : بئس العبد عبـداً ذا الـوجهين وذا اللسـانين يُـطْري أخـاه في وجهه ويأكله غائباً عنه ، إنْ أُعْطيَ حسده وإن ابْتُلي خذله .

وقال : إنّ الله حرّم الجنّة على المنّان والنمّام ومُدْمن الخمرة .

وقال لعليّ بن أبي طالب : عليك بالصدق فلا تخرجن مِن فيك كذبة أبداً ، والورعِ فلا تجترىء على خيانة أبداً ، والخوفِ من الله كأنّك تراه ، والبكاء من خشية الله يَبْنِ لك بكلّ دمعة بيتاً في الجنّة ، والأخذِ بسنّتي .

وقال : السعيد من سعـد في بطن أمـه . والشقي من وعظ به غيـره ، وأكيس الكيس التّقى ، وأحمق الحمق الفجـور ، وشـر الـروايـة الكـذب ، وشـرّ الأمور محـدثاتهـا[3] ، وشرّ العمـاء عماءُ القلب ، وشـرّ النـدامـة يـوم القيامة ، وأعظم الخطاءِ عند الله لسانٌ كذّاب ، وشرّ المأكل أكلُ مال اليتيم ظلماً ، وأحـسن زينةِ الرجل هدى حسن مع إيمان ، وأمـلك أمر يـديه قـوله وخواتمه ، مَن يتبع السمعة يسمـع الله به ، ومن ينـوي الدنْيـا تعجز عنـه ، ومن يعرف الله يصيّر إليـه . ولا تُسخطوا الله بـرضى أحد ، ولا تنفـروا إلى أحد من الخلق بما يباعد من الله .

---

(١) البذاء : الفحش في الكلام .

(٢) الملحف : الملحّ .

(٣) محدثاتها : ما أبدِعَ منها .

وقال : لا تستصغروا قليل الحسنات فإنّه لا يصغر ما ينفع يوم القيامة ، وخافوا الله في السرّ حتى تعطوا من أنفسكم النصف ، وسارعوا إلى طاعة الله واصدقوا الحديث وأدّوا الأمانة فإنّما ذلك لكم ، ولا تظلموا ولا تدخلوا فيما لا يحلّ لكم فإنّما ذلك عليكم .

وقال : إذا كثر الرّبا كثر موت الفجاءة[1]، وإذا طُفّف المكيال أخذهم الله بالسّنين والنّقص ، وإذا منعوا الزكاة مُنعت الأرض من زكاتها ، وإذا جاروا في الأحكام وتعاونوا وخانوا العهود سُلّط عليهم عدوّهم ، وإذا قطعوا الأرحام جُعلت الأموال في أيدي الأشرار ، وإذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويتّبعوا الأخيار سلّط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم .

وقال : أصل المرء قلبه ، وحَسَبه خلقه ، وكرمه تقواه ، والناس في آدم شَرَع سواء .

وقال : إنّ الله خصّ أولياءه بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا الله وإلّا فارغبوا إليه . قيل له : وما هي؟ قال : اليقين والقنوع والصبر والشكر والعقل والمروّة والحلم والسّخاء والشجاعة .

وقال : ثلاث لا يموت صاحبهنّ حتى يرى ما يكره : البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وإنّ أعجل الطاعة ثواباً لَصِلةُ الرحم ، وإنّ القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون فتنمو أموالهم ويثرون ، وإنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تترك الديار بلاقع[2] وتقطع السبل ، ومَن صدق لسانه زكا عمله ، ومن حسنت نيّته زاد الله في رزقه ، ومن حسن برّه بأهل بيته زاد الله في عمره .

---

(١) موت الفجاءة : الموت السريع ، أو ما يسمونه «بالسكتة القلبية» أو توقف القلب عن الخفقان بصورة مفاجئة .

(٢) بلاقع : مقفرة .

وقال : ثلاث لم يجعل الله لأحد فيها رخصة : برّ الوالدين برّيْن كانا أو فاجرين ، ووفاء العهد للبرّ والفاجر ، وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحْسِن إلى جاره وليُكْرِم ضيفه وليقل خيراً وليشكر .

وقال : المؤمن أخو المؤمن لا يخذله ولا يحزنه ولا يغتابه ولا يحسده ولا يبغي عليه ، فإنّ إبليس يقول لجنوده : ألقوا بينهم البغي والحسد فإنه يعدل عند الله الشرك .

وقال : مِنْ حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، فإيّاكم وما تعتذرون منه فإنّ المؤمن لا يسيء ويعتذر وإنّ المنافق يسيء كلّ يوم فلا يعتذر ، ولَلْغيبة أسرع في دين المسلم من الأكلة[1] في جوفه . إنّ أهل الأرض مرحومون ما تحابّوا وأدّوا الأمانة وعملوا بالحقّ .

وقال : يقول الله عزّ وجلّ[2] : ابن آدم أنا الحيّ لا أموت ، فأطِعْني أجعلْكَ حيّاً لا تموت وأنا على كلّ شيء قدير ؛ ابن آدم صِلْ رحمك أفُكّ عنك عسرك وأيسّرك ليسرك .

وقال : مَن أصبح وهو على الدنْيا حزين أصبح على الله ساخطاً ، ومَن شكا مصيبة نزلت به فإنّما يشكو ربّه ، ومَن أتى ذا ميسرة فخشع له

---

(١) الأكلة : داء يصيب الجوف .

(٢) من الآيات التي تدل على قدرته سبحانه وتعالىٰ :

﴿بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ .

[سورة آل عمران ؛ الآية: ٢٦]

﴿يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾ .

[سورة المائدة ؛الآية : ١٧]

﴿لله ملك السمٰوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾ .

[سورة المائدة ؛ الآية: ١٢٠]

﴿وإنه يحيي الموتى وإنه على كل شيء قدير﴾ .

[سورة الحج ؛الآية: ٦]

لينال من دنياه ذهب ثُلُثا دينه ، ومن تمنّى شيئاً هو لله رضىً لم يخرج من الدنْيا حتى يُعطاه .

وقال : يقول الله ، عزّ وجلّ : ابن آدم تفرّغْ لعبادتي أملأ قلبك غنىً ولا أكِلْك في طلب معاشك إلى طلبك ، وعليّ أن أسُدّ فاقتك وأملأ قلبك خوفاً منّي ، وإلاّ تفرّغ لعبادتي أملأه شغلاً بالدنْيا ثمّ أسدّها عنك وأكلك إلى طلبك .

وقال : لا تصلح الصنيعة إلاّ عند ذي حسب أو دين ، فمن سألكم بالله فأعطوه ومَن استعاذكم بالله فأعيذوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن اصطنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تكافئوه فاشكروه .

وقال : من حقّ جلال الله على العباد إجلال الإمام المقسط وذي الشيبة في الإسلام وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه . أربع من فعلهنّ فقد خرج من الإسلام : مَن رفع لواءَ ضلالة ، ومن أعان ظالماً أو سار معه أو مشى معه وهو يعلم أنه ظالم، ومن احترم بذمّة؛ ورجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القِيامة : أمير ظلوم ورجل غالٍ في الدين مارقٌ[1] منه ، والأمير العادل لا تردّ دعوته .

وقال : لا يشغلنّك طلب دنياك عن طلب دينك ، فإنّ طالب الدنْيا ربّما أدرك فهلك بما أدرك وربّما فاته فهلك بما فاته . الأكثرون في الدنْيا هم الأقلون في الآخرة إلا من قال هكذا ، وهكذا ، وحثا[2] بيده . وما أُعطي أحدٌ من الدنْيا شيئاً إلاّ كان أنقص من حقّه في الآخرة حتى سليمان ابن داوُد فإنّه آخر من يدخل الجنّة من الأنبياء لما أُعطي من الدنيا . ورأس كلّ خطيئة حبّ الدنْيا .

---

(١) المارق : الخارج من الدين بضلالة أو بدعة .

(٢) حثا : غرف .

وقال : جاء الموت بما فيه الراحة والكرّة[1] المباركة إلى جنّة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم ، وجاء الموت بما فيه الشقوة والندامة والكرّة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتُهم .

وقال : أفضل ما توسّل به المتوسّلون الإيمان بالله ، والجهاد في سبيل الله ، وكلمة الإخلاص ، فإنّها الفطرة ، وتمام الصلاة فإنّها الملّة ، وإيتاء الزكاة فإنّها مَثْراة[2] في المال منسأة[3] في الأجل ، وصدقة السرّ فإنّها تكفّر الخطيئة وتطفيء غضبَ الربّ ، وصنائع المعروف فإنّها تدفع ميتة السوء وتقي مصارع الهوان . ألا فاصدقوا فإن الصادق على شفا منجاه وكرامته ، وإنّ الكاذب على شفا مخزاه ومهلكه . ألا وقولوا خيراً تُعْرَفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، وأدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم ، وعُودوا بالفضل على من جهل عليكم .

وقال : مَن تعرض لسلطان جائر فأصابته بليّة لم يؤجر فيها ولم يرزق الصبر عليها ، فحسب المؤمن عزاءً إذا رأى المُنْكَر أن يعلم الله من قلبه أنّه كاره .

وقال : إنّ لله عباداً من خلقه يخصّهم بِنعَمِه يقرّهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها نقلها منهم وحوّلها إلى غيرهم .

وقال : ما عظمت نعمة الله على عبد إلاّ عظمت مؤونة الناس عليه ، فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرّض النعمة للزّوال .

وقال لِبني سَلمة : من سيّدكم اليوم يا بني سلمة ؟ قالوا : الجَدّ بن قيس ، يا رسول الله . قال : فكيف حاله فيكم ؟ قالوا : من رجل نبخّله .

---

(١) الكرّة : الغفوة .

(٢) المثراة : الثروة والغنى .

(٣) منسأة : تأخير وتأجيل .

قال : وأيّ داء أدوأ من البخل ! لا سؤدد لبخيـل بل سيّدكم الأبيض الجعد[1] عمرو بن الجَموح . أو قال ، قال : قيس بن البراء .

وقال لوافدٍ وفد عليـه واطّلع منه على كـذبة : لـولا سخاء فيـك ومعك الله تشرب بلبن وافد .

وقال : خلّتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق .

وقال : تجافوا عن زلّة السخيّ فـإن الله ، عزّ وجـلّ ، يأخـذ بناصيتـه كلما عثر .

وقال : الجنّة دار الأسخياء .

وقـال : الشاب الجـواد الزاهـد هو أحبّ إلى الله من الشيـخ البخيـل العابد .

وقـال : إن الله جـواد يحبّ الجـود ويحـبّ مكـارم الأخـلاق ويبغض سفسافها[2] .

وقال : إن لله عباداً خلقهم لحوائج النـاس يفزع[3] النـاس إليهم فهم الآمنون يوم القيامة .

وقـال : أحْسِنوا مجـاورة نعم الله ولا تملّوها ولا تنفّـروها فـإنّهـا قلّمـا نفرَتْ من قوم فرجعتْ إليهم .

وقـال : الحوائج إلى الله ، وأسبابهـا إلى الناس ، فـاطلبـوهـا إلى الله بهم ؛ فمن أعطاكموها فخذوها عن الله بشكر ، ومن منعكُموها فخذوها عن الله بصبر .

وقال : إنّكم لن تسعوا النـاس بأمـوالكم فليسعهم منكم بسط الوجـوه وحسن الخلق .

---

(١) الجعد : البخيل اللئيم .

(٢) سفسافها: رديئها .

(٣) يفزع : يلجأ .

وقال : رأس العقل بعد الإيمان مداراة الناس ، فإن عرض بلاء فقدّمْ مالَكَ قبل نفسك ودينك ، فإن تجاوز البلاءُ فقدّمْ مالَكَ ونفسك دون دينك ، واعلم أنّ المحروب من حُرِبَ دينه[1] ! .

وقال : إنّ لكلّ شيء شرفاً ، وإن أشرف المنازل ما استقبل به القبلة . مَنْ أحبّ أن يكون أعزّ الناس فلْيتّقِ بالله ، ومَنْ أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ، ومَنْ أحبّ أن يكون أقوى الناس . فليتوكل على الله . ثمّ قال : ألا أُنَبّئكم بشرار الناس؟ مَنْ أكل وحده ومنع رِفْدَه وجَلَدَ عبده . ألا أنبّئكم بشرّ من ذلك ؟ مَنْ لا يُرْجَى خيرهُ ولا يؤمن شرّه . ألا أُنبّئكم بشرّ من ذلك ؟ مَن يبغض الناس ويبغضونه .

وقيل له : ما أفضل ما أُعطي العبد ؟ قال : نحيزة[2] من عقل يولد معه . قالوا : فإذا أخطأه ذلك ؟ قال : فليتعلّمْ عقلاً . قالوا : فإن أخطأه ذلك ؟ قال : فليتّخذ صاحباً في الله غير حسود . قالوا : فإن أخطأه ذلك ؟ قال : عليه بالصمت . قالوا : فإن أخطأه ذلك ؟ قال : فميتة قاضية .

وقال لرجل من ثقيف : ما المروّة فيكم ؟ فقال : الصلاح في الدين وإصلاح المعيشة وسخاء النفس وحسن الخلق . فقال : كذلك هي فينا .

وقال : مَن اتّقى ربّه كَلّ لسانُه ولم يشف غيظه ، إنّ الله عند لسان كلّ قائل فلينظر قائلٌ ما يقول .

وقال : ما أتاني جبرائيل إلاّ ووعظني ؛ وقال في آخر قوله : إيّاك والمشازرة[3] فإنّها تكشف العورة وتذهب بالعزّ .

وسأله رجلٌ ، فقال له : ما عندي شيء . فقال له : عدني . فقال : إنّي لأستعمل الرجل وغيره أن يكون أنفض عيناً وأمثل رجلةً وأشدّ مكيدة ،

---

(١) حُرب دينه : سُلِب .

(٢) النحيزة : الطبيعة . يُقال «هو كريم النحيزة» .

(٣) المشازرة هنا : الغضب .

وإنّي لأعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه أعطيه تألّفاً .

وقال : مَن لم يحمد عدلاً ويذمّ جوراً فقد بارز الله بالمحاربة .

وقال : أشرف الأعمال ثلاثة : ذكرُ الله ، عزّ وجلّ ، على كلّ حال ، وإنصاف الناس من نفسك ، ومواساة الإخوان .

وقال : موت البنات من المكرمات .

وقال : الصبر عند الله ضدّ الغيرة ولا يكمُلُه أحد ، وعظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإذا أحبّ الله عبداً ابتلاه .

وقال : إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً .

وقال : كلّ معروف صدقة وما وُقي به اللّسان صدقة ، فقيل لمحمّد ابن المنكدر : وما ذاك ؟ قال : إعطاء الشاعر وذي اللّسان .

وقال : ما من ذنب إلاّ وله عند الله التوبة إلاّ سوء الخلق إنّه لا يخرج من شيء إلاّ وقع في شرّ منه .

وقال : إيّاك ومهلك ، فإنّ ذا مهل قتل أخاه ونفسه وسلطانه .

وأتاه رجل فقال له : أَلَكَ مأكل ؟ قال : نعم مِنْ أُكل المال . فقال : إذا الله أنعم عليك بنعمته فليثن عليك .

وقال : لا يدخل الجنّة مَن في قلبه مثقال ذرّة من كِبر . فقال رجل : يا رسول الله ، إنّي لأحبّ أن تكون دابّتي فارهة[1] وثيابي جياداً ، حتى ذكَر شراك[2] نعله وعلاقة سوطه ؛ فقال : إن الله جميل يحبّ الجمال ، فإنما الكبر أن يمنع الحقّ ويغمض الباطل .

وسأل سائلٌ رسولَ الله فقال : ما أصبح في بيت آل محمد غير صاع

---

(١) فارهة : نشيطة .

(٢) شراك النعل : سيره على ظهر القدم .

من طعام وإنّهم لأهل تسعة أبيات فهل لهم عنه غنى ؟ ولم يردّ سائلاً قطّ . وإنه كان يعالج حظاءً[1] من جريد ، فمرّ به رجل فقال : اكفيكه يا رسول الله ؟ فقال : شأنك . فلما فرغ منه قال له : ألكَ حاجة ؟ قال : نعم تضمن لي على الله الجنّة . فأطرق طويلاً ثمّ رفع رأسه إليه فقال : ذلك لك . فلمّا ولّى ناداه : يا عبد الله أعني بطول السجود .

وخطب على ناقته فقال : يا أيّها الناس كأنّ الموت على غيرنا كُتب ، وكأن الحقّ على غيرنا وجب ، وكأن الذين يشيّعون من الأموات سَفْر[2] عما قليل إلينا راجعون نبوّئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنّا مخلّدون بعدهم ، قد نسينا كلّ واعظة وأمِنّا كلّ جائحة[3] ؛ طوبَى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس وأنفق من مال قد اكتسبه من غير معصية ورَحم وصَاحَبَ أهل الذلّ والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة. طوبَى لمن أذلّ نفسه وحسنت خليقته وصلُحت سريرته وعَزل عن النّاس شرّه ووسعته السنّة ولم يُبْعدْها إلى البِدعة .

وقال : وعظني جبرائيل فقال لي : أحبِب مَن شئت فإنك ميّت ، واعمل ما شئت فإنّك مُلاقيه .

وقال : مَن طلب الرزق من حلّه فليبذّر على الله .

وقال : استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا .

وقال : لا طلاق إلاّ بعد نكاح ، ولا عتق إلاّ بعد ملك ، ولا صمت إلاّ من غدوة[4] إلى الليل ، ولا وصال في صيام ، ولا رضاع بعد فطام ، ولا يتم بعد احتلام[5] ، ولا يمين لامرأة مع زوجها ، ولا يمين لولد مع

(١) الخطاء : السهم الصغير بلا نصل ، وهنا العصا .
(٢) سفر : مسافرون .
(٣) الجائحة : البليّة والتهلكة .
(٤) الغدوة : البكرة أو ما بين الفجر وطلوع الشمس .
(٥) الاحتلام : بلوغ سن الرشد .

والده، ولا يمين للمملوك مع سيّده، ولا تغرّب بعد الهجرة، ولا يمين في قطيعة رحم ، ولا نذر في معصية . ولو أنّ أعرابيّاً حجّ عشر حجج ثمّ هاجر كان فريضة الإسلام عليه إذا استطاع إليه سبيلاً ، ولو أنّ مملوكاً حجّ عشر حجج ثمّ عتق كان فريضة الإسلام عليه إن استطاع إليه سبيلاً .

وقال : أعظمُ الذنوب عند الله أصغرها عند العباد ، وأصغر الذنوب عند الله أعظمها عند العباد .

وقال : لا يُلسع المؤمن من جحر مرّتين ؛ والنّاس سواء كأسنان المشط ؛ والمرء كثيرٌ بأخيه ؛ ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك من الحقّ مثل ما ترى له ، واليد العُليا خير من اليد السفلى ، والمسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يَدٌ[1] على من سواهم ؛ والمستشار مؤتَمَن ؛ ولن يهلك أمرؤ عرف قدره ؛ ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم .

وذكر الخيل فقال : معقودٌ في نواصيها الخيرُ ، وبطونها كنز وظهورها حرز[2] ؛ وأجرى الخيل فجاء فرس له أدهمُ سابقاً فجثا على ركبتيه ثمّ قال : ما هو إلّا البحر .

وقال : يحمل هذا العلم من كلّ حلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

وقال : إنّ الله ، عزّ وجلّ ، يقول[3] : وَيْلٌ للّذينَ يخْتِلُونَ الدّنْيا بالدّين وَوَيْلٌ للّذينَ يَقْتُلُونَ الّذينَ يَأمُرُونَ بالقِسْطِ مِنَ النّاسِ وَوَيْلٌ للّذينَ

---

(١) أي يد واحدة ، متعاونين ومتكاتفين .

(٢) الحرز : الموضع الحصين .

(٣) قال الله تعالىٰ : ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ .

[سورة مريم ؛ الآية : ٣٧]

وقال تبارك وتعالىٰ : ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ .

[سورة الزمر ؛ الآية : ٢٢]

يَسيرُ المُؤْمِنُ فِيهِمْ بالتَّقِيَّةِ إِيّايَ يَغُرّونَ أمْ عليّ يَجْتَرِئونَ فإنّي حَلَفْتُ لأتِيحَنّهُم فِتْنَةً تَترُكُ الحَلِيمَ مِنْهُم حَيران .

ورُوي عنه أنّه قال : كان تحت الجدار الذي ذكره الله ، عزّ وجلّ ، في كتابه كَنْزٌ لَهُما . كانَ الكَنْزُ لَوْحاً من ذهب مَكْتوب فِيهِ بسم اللّهِ الرحمٰن الرحيم . عَجَباً لِمَنْ يُوقِنُ[1] بالمَوْتِ كيف يفْرَحُ . عَجَباً لِمَنْ يُوقنُ بالقَدَرِ كيف يحْزَنُ . عَجَباً لمنْ يُوقِنُ بالنّار كيف يَضْحَكُ . عَجَباً لِمَنْ رَأى الدنْيا وَتَقَلُّبَها بأهْلِها كيف يَطْمَئِنّ إليها . لا إله إلاّ الله ومحَمّد رسولُ الله .

وقال : للطاعم الشاكر أجرُ الجائع الصابر ، ولأن يُعافى أحدكم فيشكر خير له من أن يبيتَ قائماً ويصبح صائماً معجباً .

وقال : لا يحلّ لمؤمنٍ أن يذلّ نفسه . قيل : يا رسول الله فكيف تذلّ ؟ قال : بعرضها لما لا تطيق من البلاء .

وقال : اتّقوا فراسة[2] المؤمن فإنّه ينظر بنور الله .

ووُجد في كتاب عند أسماء[3] بنت عُميس من كلام رسول الله : الآجلات الجانيات المعقبات رشداً باقياً خير من العاجلات العابدات المعقبات غيّاً باقياً . المسلم عفيف من المظالم عفيف من المحارم . بئس العبد عبد هواه يضلّه ، بئس العبد عبدٌ رغب إليه بذلّة ، بئس العبد عبدٌ طغى وبغى وآثر الحياة الدنْيا .

وقال : أربع من قواصم[4] الظهر : إمام تطيعه ويضلّك ، وزوجة تأمنها وتخونك ، وجار سوء إن علم سوءاً أذاعه وإن علم خيراً ستره ، وفقير إذا نحل لم يجد صاحبه .

(١) يوقن : يؤمن .
(٢) الفراسة : علم معرفة الباطن من نظر الظاهر .
(٣) تقدّم ذكرها .
(٤) قواصم : قواطع .

وقال : ما من عبد إلّا وفي علمه وحلمه نقص ، ألا ترون أنّ رزقه يجري بالزيادة فيظلّ مسروراً مغتبطاً وهذان الليل والنّهار يجريان بنقص عمره لا يحزنه ذلك ولا يحتفل به ضلّ ضلاله : ما أغنى عنه رزق يزيد وعمر ينقص .

وقال : إن بني إسرائيل أذهَبوا خشية الله من قلوبهم فحضرت أبدانهم وغابت قلوبهم ، وإنّ الله لا يقبل من عبد لا يحضر من قلبه ما يحضر من بدنه .

وقال : من ازداد علماً ثمّ لم يزدد زهداً لم يزدد من الله إلّا بُعداً . مَن أعان إماماً جائراً ولم يخطّئه لم يفارق قدمه قدمه بين يدي الله حتى يأمر به إلى النار .

وأتاه رجل من بني قُشَيْر يُقال له قُرّة بن هبيرة فقال : يا رسول الله كانت لنا أرباب وربّات[1] فهدانا الله بك .

. فقال : أكثرُ أهل الجنّة البله وأهل علّيّين ذوو الألباب .

وقال : الأئمّة من قريش لكم عليهم حقّ ، ولهم عليكم حقّ ما حكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وعاهدوا فوفوا .

ووقف على بيت فيه جماعة من قريش فقال : إنّكم ستولّون هذا الأمر ومن وليه منكم فاستُرْحِمَ فلم يرحم وحكم فلم يعدل وعاهد فلم يفِ فعليه لعنة الله .

وقال : الدين النصيحة ، الدين النصيحة ! قيل : لِمَن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولنبيّه ولأئمّة الحقّ .

وقال بالخَيْف[2] من مِنىً : نضّر الله وجه امرىء سمع مقالَتي فوعاها

---

(١) أي آلهة وإلهات ذكوراً وإناثاً يعبدونها دون الله .

(٢) الخيف : وهو خيف بني كنانة ، والخيف : ما كان مجنباً عن طريق الماء .

[ياقوت : معجم البلدان]

حتى يبلّغها مَن لم يسمعها ، فربّ حامل فقه إلى منَ هـو أفقهُ منـه . ثلاث لا يُغلّ[1] عليهنّ قلب مؤمن : إخلاص العمل وصحّة الوَرَع والنّصيحة لولاة الأمر .

وقـال : للمسلم على أخيه المسلم من المعـروف ستّ : يسلّم عليـه إذا لقيه وينصح له إذا غاب عنـه ويعوده إذا مـرض ويشيّع جنـازته إذا مـات ويجيبه إذا دعاه ويشمّته إذا عطس[2] .

وقـال : انصر أخـاك ظالمـاً أو مظلومـاً . قالـوا : يا رسـول الله كيف ننصره ظالماً ؟ قال : بكفّه عن الظلم .

وقال : إذا مات الإنسان انقطع عنـه عمله إلاّ من ثلاثـة : من صدقـة جارية أو علم يُنتفع بهِ أو ولدٍ صالح يدعو له .

وقال : ثلاثةٌ لا يردّ لهم دعـوة : المظلوم وإمـام عادل والصـائم حتى يفطر.

وقال : ثلاث يتبعن ابن آدم بعد مـوته : سنّـة سنّهـا في المسلمين فعمل بها فله أجرهـا وأجر من عمـل بهـا ولا ينقص من أجـورهم شيء ، وصـدَقـة تصدّق بها من مالٍ أو ثمر فما جرت تلك الصدقة فهي له ، ورجل تركِ ذرّية يدعون له .

وقال في خطبته : شرّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعـة ضلالـة ولكلّ شيء آفة وآفة هـذا الـرأي الهوى .

وقال : اكفلوا لي ستّاً أكفل لكم الجنّة : إذا حـدّثتم فلا تكـذبوا وإذا

---

(١) يغل : يحقد .

(٢) شمّت العاطس وشمّت عليه : دعا له بقوله مثـلاً «يرحمـك الله» أو دعا لـه أن لا يكون في حالة يُشمت بـه فيها .

اؤتمنتم فلا تخونوا وإذا وعدتم فلا تخلفوا . كُفّوا ألسنتكم وغُضّوا أبصاركم وصونوا فروجكم .

وقال : يقول الله ، عزّ وجلّ : لا يزال عبدي يصدق حتى يُكْتَب صدّيقاً ولا يزال عبدي يكذب حتى يُكتب كذّاباً .

وقال : ويلٌ للّذي يتحدّث بالكذب ليُضْحِكَ به القوم ، ويلٌ له وويل له .

ورُوي أنّه قال : عليكم بالصدق وإن ظننتم فيه الهلكة فإنّ عاقبته النّجاة ، وإيّاكم والكذب وإن ظننتم فيه النّجاة فإنّ عاقبته الهلكة .

وقال : مَن خلف على مال أخيه ظالماً فليتبوّأ مقعده من النّار . فقال رجل : وإن كان يسيراً يا رسول الله ؟ فقال : ولو كان قضيباً من أراك[١] . ومن اقتطع حقّ امرىء مؤمن بيمينه فقد أوجب الله عليه النار وحرّم عليه الجنّة .

وكان أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان ، وقال : والّذي نفسي بيده لو كان لي مثل شجر تهامة[٢] نعماً لقسمته بينكم ثمّ لم تجدوني كذوباً ولا جباناً ولا بخيلاً .

وقال له رجل : يا رسول الله أعْطِني رداءك . فألقاه إليه . فقال : ما أريده . فقال : قاتلك الله ! أردت أن تبخّلني ولم يجعلني الله بخيلاً .

---

(١) الأراك : ضرب من الشجر ، طويل الساق ، كثير الورق والأغصان ، خوّار العود تتخذ منه المساويك .

[لسان العرب مادة أرك]

(٢) تهامة : في جزيرة العرب ، وسمّيت تهامة لشدة حرّها وركود ريحها ، وهو من التّهَم ، وهو شدة الحر وركود الريح ، يقال : تهم الحر إذا اشتد ، ويُقال: سميت بذلك لتغيّر هوائها ، يُقال : تهم الدهن إذا تغيّر ريحه .

[ياقوت : معجم البلدان]

وقـال : خياركم من يُـرجى خيره ولا يُتّقى شـرّه ، وشراركم من يُتّقى شرّه ولا يُرجى خيـرُه ، فإنّ اللّهَ أكـرمكم بالإسـلام فزيّنـوه بالسّخـاء وحسن الخلق .

وقـال : الخير أسـرع إلى البيت الذي يُغْشَى[1] من الشفـرة إلى سنام البعير .

وقال : إيّاكم والشـحّ ! فإنّمـا أهلَكَ مَن كان قبلكم ، الشـحّ ! أمرَهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا . اللؤم كفر والكفرُ في النار . قال الله ، عزّ وجلّ : **﴿ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسـه فأُولئـك هُمُ المُفْلِحون﴾**[2] .

وقال : رأس العقل بعد الإيمان مـداراة الناس ؛ وأهـل المعروف في الدنْيا أهل المعروف في الآخرة ؛ وأهلِ المنكـر في الدنْيـا أهل المنكـر في الآخرة ؛ وإنّ أوّل أهل الجنّة دخولاً أهلُ المعروف .

وقال : لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ولـو أن تعطـي صُلّة الحبـل ولو شسع[3] النعل ، ولو أنْ تُفْرغَ من دَلْـوِك في إناءِ المُسْتَسْقي ، ولـو أن تنحّي الشيء عن طريق الناس يؤذيهـم . ولو أن تلقى أخاك فتسلّم عليـه ، ولو أن تلقاه ووجهك إليـه منطلق ، ولـو أنّ رجلاً سبّـك بأمـر يعلمه فيـك تعلم فيه نحوه فلا تسبّه ليكون لك أجر ذلك ويكون عليه وزره .

وقال : إن الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبّـب إليهم المعروف وحبّب إليهم فعـاله ووجّـه طلّاب المعـروف إليهم ويسّر عليهم إعـطاءه كمـا ييسّـر الغيث إلى الأرض الجـدبـة ليحييهـا ويحيي بهـا أهلهـا ، وإنّ الله جعـل

---

(١) يعشى : يقصـد . وأعشى الرجـل : قصده ليـلاً ، هذا هـو الأصل ، ثم صار كل قاصد عاشياً .

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩ .

(٣) شسع النعل: سيره .

للمعروف أعداء من خلقه بغّض إليهم المعروف وبغّض إليهم فعاله وحظر على طلّاب المعروف الطلب وحظر عليهم إعطاءه كما يحظُرُ الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلها أو يعفو الله عنه أكثره .

وقال : الخلق كلّهم عيال الله فأحبّ الخلق إلى الله أحسن الناس إلى عياله .

وسأله رجل فقال : أي الناس أحب إلى الله ؟ قال : أنفع الناس للناس .

قال : فأيّ الأعمال أحبّ إلى الله ؟ قال : إدخال سرور على مسلم ، إطعام جوعته وكساء عورته وقضاء دَينه .

وقال : إنّ الله ، عزّ وجلّ ، ينصب للغادر لواءً يوم القيامة فيقال ألا إنّ هذا لواء فلان .

وقال له بعضهم : أخبِرْنا بخصال يُعرف المنافقُ بها ، فقال : مَن حلَف فكذب ووعد فأخلف وخاصم ففجر واؤتمن فخان وعاهد فغدر .

وقال : إنّ الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى إنّه يقول له : فما منعك إن رأيت المنكر أن تُنْكِرَه ؟ فإذا لقّن اللّهُ عبده حجّته قال : يا ربّ إنّي وثقت بك وخفت من الناس .

وقال : من أُعطي عطاءً فوجد فليجزِه ، فإن لم يجزِه فليثن به ، ومن أثنى به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره .

وقال له قوم من المهاجرين : يا رسول الله إنّ إخواننا من الأنصار واسونا وبذلوا لنا وقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كلّه . فقال : إلّا ما أثنيتم به عليهم ودعوتم الله لهم .

وقال : والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدٌ شيئاً بغير حقّه إلّا لقي الله بحمله يوم القيامة .

وقال : الهديّةُ تُذْهبُ السّخيمة[1] وتجدّد الأخوّة وتثبت المودّة .

---

(١) السخيمة : الضغينة .

وقال : لو أُهْديَ إليّ كُراع[1] لقبلته ، ولو دُعيت إليه لأجبت .

وقال : ما أحسن عبدٌ الصدقة إلّا أحسن الله الخلافة على تركته . وصدقة المؤمن ظلّه أو ظله من صدقته .

ورُوي عنه أنّه قال : ما من الأعمال شيء أحبّ إليّ من ثلاثة : إشباع جوعة المسلم وقضاء دَينه وتنفيس كربته . مَن نَفّس عن مؤمن كربته نفّس الله عنه كُرَب يوم القيامة ، والله في عون عبده ما كان العبد في عون أخيه .

وقال : إنّ المسألة لا تحلّ إلّا لثلاثة : لذي فقر مُدْقع ولذي عُسر مُفْظع ولذي دم مفجع .

وقال : مَن سأل وله أوقية ، والأوقية أربعون درهماً ، فقد سأل الناس إلحافاً[2] .

وسأله رجلان ، وهو يقسم مغانم خيبر ، فقال : لا حظّ لغنيّ ولا لقويّ مكتسب .

وقال : لا تحلّ الصدقة لغنيّ ولا لذي مرّة[3] سويّ .

وقال : من سأل وعنده ما يُغْنيه فإنما يستكثر من جمر جهنّم . قيل : يا رسول الله ما يغنيه ؟ قال : لغدائه أو لعشائه .

وقيل له : يا رسول الله ما الغناء ؟ قال : غَداء وعشاء .

وقال : مَن سأل عن ظهر غِنىً جاء يوم القيامة بوجهه كدوح[4] يُعرف

---

(١) الكراع : مستدق الساق من البقر والغنم .

(٢) ألحف السائل : ألحّ ، ومعنى الإلحاف الشمول بالسؤال ، ومنه اشتق اللحاف لأنه يشمل الإنسان في التغطية .

(٣) المرّة : القوّة والشدة والعزيمة .

(٤) كدوح : خدوش .

بها . قالوا : يا رسول الله ما ظهر غنىً ؟ قال : قوت ليلة أو قوت يوم .

وسأله حكيم بن حزام فأعطاه فقال : إنّ هذا المال خَضِرٌ حُلْوٌ فمن أخذه بطيب نفس بشير بورك له فيه ومن أخذه بإشراف لم يبارك له فيه فكان كآكل يأكل ولا يشبع .

وسأله الأنصار ؛ فلمْ يسألوه شيئاً إلاّ أعطاهم حتى أنفدوا ما عنده ، ثمّ قال ؛ أمّا بعد يا معشر الأنصار ما يكن عندنا من خير فلن أؤخّره عنكم وإنّه من يستغنِ يُغْنِه الله ومن يستعفِف يُعفّه الله ومن يصبر يُصْبِرْه الله ولن يُعْطى عبدٌ أفْضَل ولا أوسع من الصبر .

وقال : مَن يضمن لي خَلّة[1] أضمن له الجنّة . فقيل : ما هي يا رسول الله ؟ قال : ألاّ تسأل أحداً شيئاً .

وقال لأبي ذرّ[2] : يا أبا ذرّ أرأيت إن أصاب الناس جوعٌ شديد حتى لا تستطيع أن تنهض من فراشك إلى مسجدك كيف تصنع ؟ قلت : اللّهُ ورسوله أعلم . قال : تتعفّف .

وقال : لا يفتح رجل على نفسه باب مسألة[3] إلاّ فتح الله عليه باب فقر .

وقال : الأيدي ثلاث : فيد الله العُليا ويدُ المعطي التي تليها ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة ، فاستعففْ عن السؤال ما استطعت .

وقال لبعضهم : ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مشرف فخُذْه فتموّلْه أو تصدّق به .

وقال : لا صدقة إلاّ عن ظهر غنىً وابْدأ بمن تَعول ولا تلام على كفاف .

---

(١) الخلة : الخصلة أو العادة .

(٢) أبو ذر الغفاري ، وقد تقدم ذكره .

(٣) المسألة : السؤال والطلب .

وقال : المسألة خروج في وجه الرجل يوم القيامة إلّا أن يسأل سلطانَه[1] أو مَن لا بدّ منه .

وقيل له : أيّ الصدقة أفضل ؟ فقال : أن تصدّق وأنت صحيح تخاف الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا .

وقال : من أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهو له صدقة ، ومَن سرّه الإنساء[2] في الأجل والمَدّ في الرزق فليصلْ رحمه .

وقال : ما من ذنب أجدر أن يُعجّل اللّهُ عقوبتَه في الدنْيا مع ما يُدّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم .

وأتاه رجل فقال : مَن أبرّ ؟ قال : أمّك وأباك وأخاك وأختك وأدناك أدناك .

وقال : يقول الله ، تبارك وتعالى : مَنْ وقّر أباه أطَلْتُ في أيّامه ومَنْ وقّر أمّه رأى لِبَنِيه بَنِين .

وقال : ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر ؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور .

وقال : مَن ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة .

وقال : أربع مِن سننِ المرسلين : الحياء والنكاح والحلم والسواك[3] .

وقال : قال الله ، سبحانه وتعالى[4] : لتأمُرنّ بالمعروف ولَتَنْهُنّ عن

---

(1) سلطانه هنا : رئيسه أو سيده .

(2) الإنساء ؛ التأخير والتأجيل .

(3) السواك : تنظيف الأسنان بالمسواك وهو عود دقيق .

(4) يقول الله عزّ وجلّ : ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة﴾ .
[سورة التوبة؛ الآية: ٧١] =

المُنكـرِ أو لأوَلِّيَنّ عَلَيْكُمْ شِـرَارَكُمْ ولأجْعَلَنّ أمــوالكم في أيـدي بُخـلائكم ولأمْنَعَنّكُم قطْرَ السماءِ ثمّ ليدعوني خياركم فلا أستجيب لهم ، ويسترحموني فلا أرحمهم ، ويستسقوني فلا أسقيهم .

وقال : أربع مَن كُنّ فيه كمُل إسلامه، وإن كان ما بين قَرنه إلى قدمه خطأ : الأمر بالمعروف ، والحياء ، والشكر ، وحسن الخلق . وأربع مَن كنّ فيه بنى الله له بيْتاً في الجنّة : إيواء اليتيم ، ورحمة . . . .(1) ، ورفق بمملوكه ، وشفق على والديه .

وقال : التودّد إلى الناس نصف الإيمان ، والرفق نصف العيش ، وما عال امرؤ وفى اقتصادُه .

حجّة الوَداع (2)

وحجّ رسول الله حجّة الوداع سنة ١٠ ، وهي حجّة الإسلام . خرج رسول الله من المدينة ، حتى أتى ذا الحُلَيْفَة(3) وقد لبس ثوبين صُحاريّين إزاراً ورداءً . وقيل : خرج من المدينة وقد لبس الثوبين ودخل المسجد بذي الحليفة وصلّى ركعتين وكان نساؤه جميعاً معه ، ثمّ خرج من المسجد فأشعر بُدنه(4) من الجانب الأيمن ثمّ ركب ناقته القصوى فلمّا استوت به

= ويقول تعالىٰ : ﴿الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله﴾ .

[سورة التوبة؛ الآية: ١١٢]

(1) بياض في الأصل .

(2) أنظر تاريخ الطبري والبداية والنهاية ج ٥ لابن كثير .

(3) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال ، ومنها ميقات أهل المدينة . وذو الحليفة أيضاً الذي في حديث رافع بن خديج قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذي الحليفة من تهامة فأصبنا نهب غنم ، فهو موضع بين حاذة وذات عرق من أرض تهامة وليس بالمهد الذي قرب المدينة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(4) البدنة : الناقة المسمّنة .

على البيداء أهَلّ بالحجّ .

وقال الواقديّ[1] عن الزهريّ عن سالم عن أبيه وعن الزهريّ في إسناد له عن سعد بن أبي وقّاص قالا : أهَلّ رسولُ الله متمتّعاً بالعمرة إلى الحجّ ؛ وقال بعضهم بالحجّ مفرداً . وقال بعضهم بحجّة وعمرة .

ودخل مكّة نهاراً من كَداء[2] ، وهي عقبة المدنيّين ، على راحلته حتى انتهى إلى البيت . فلمّا رأى البيت رفع يديه فوق زمام ناقته وبدأ بالطواف قبل الصلاة .

وخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر ويوم عَرَفة ، حين زالت الشمس ، على راحلته قبل الصلاة من غد يوم مِنىً . فقال في خطبته : نضّر الله وجه عبد سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثمّ بلّغها من لم يسمعها ، فربّ حاملِ فقه غير فقيه ، وربّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه ، ثلاث لا يُغلّ عليهنّ قلبُ امرىء مسلم : إخلاص العمل لله ، والنّصيحة لأئمّة الحق ، واللّزوم لجماعة المؤمنين ، فإنّ دعْوتهم محيطة من ورائهم . ودعا بالبُدن فصفّت بين يديه وكانت مائة بَدَنة ، فنحر منها بيده ستّين بدنة ، وقيل أربعاً وستّين . وأعطى عليّاً سائرها ، فنحرها وأخذ من كلّ ناقة بَضْعَة ، فجُمعت في قِدْر واحدة فطبخت بالماء والملح ، ثمّ أكل هو وعليّ ، وحسا من المرَق ، ورمى جمرة العَقَبَة على ناقته ، ووقف عند زمزم[3] وأمر ربيعة بن أمية بن خلف فوقف تحت صدر راحلته ، وكان صبيّاً ، فقال : يا ربيعة ! قلْ يا أيّها النّاس إنّ رسولَ الله يقول : لعلّكم لا تلقونني على مثل حالي هذه وعليكم هذا . هل تدرون أيّ بلد هذا ؟ وهل تدرون أيّ شهر هذا ؟ وهل تدرون أيّ يوم

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) كداء : بأعلى مكة عند المحصّب دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذي طُوىً إليها .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) سميت زمزم لكثرة مياهها ، والماء الزمزم : الماء السلسبيل . وهي بئر مباركة على طريق مكة .

هذا ؟ فقال الناس : نعم ! هذا البلد الحرام والشهر الحرام واليوم الحرام . قال : فإنّ الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة بلدكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وكحرمة يومكم هذا . ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : واتّقوا الله ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولاتعثوا في الأرض مفسدين . فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها . ثمّ قال : الناس في الإسلام سواءٌ ، الناس طفّ الصاع [1] لآدم وحوّاء لا فُضّل عربيّ على عجمي ولا عجميّ على عربيّ إلّا بتقوى الله ، ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : لا تأتوني بأنسابكم وأتوني بأعمالكم ، فأقول للناس هكذا ، ولكم هكذا ، ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : كلّ دم كان في الجاهليّة موضوع تحت قدميّ ، وأول دم أضعُه دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان آدم بن ربيعة مسترضعاً في هذيل ، فقتله بنو سعد بن بكر ، وقيل في بني ليث ، فقتلته هذيل ، ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : وكلّ رِباً كان في الجاهلية موضوع تحت قدميّ ، وأوّل رِباً أضعه رِبا العبّاس بن عبد المطّلب ، ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : يا أيّها الناس إنّما النّسيء[2] زيادة في الكفر يُضَلّ به الذين كفروا ، يُحِلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا[3] عدّة ما حرّم الله ؛ ألا وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلَق الله السموات والأرض ، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حُرُمٌ : رجب الذي بين

---

(١) يريد أن الناس كلهم أبناء آدم وحواء ولا يفضُلون عن بعضهم البعض إلّا بالإيمان .

(٢) النسيء هنا : تأخير وتأجيل القيام بالواجبات الدينية كالصوم والصّلاة وسواهما مما يفرضه الإسلام ، والإدمان على شرب المحرّمات كالخمر وسواها .

(٣) واطأ : وافق وساهم .

جمادى وشعبان يدعونه مُضَر ، وثلاثة متوالية : ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم . ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : أُوصيكم بالنّساء خيراً ، فإنّما هنّ عوانٍ[1] عندكم لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً ، وإنّما أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكتاب الله ، ولكم عليهنّ حقّ ، ولهنّ عليكم حقّ كسوتهنّ ورزقهنّ بالمعروف ، ولكم عليهنّ ألاّ يوطئن فراشكم أحداً ، ولا يأذنّ في بيوتكم إلا بعلمكم وإذنكم ، فإن فعلن شيئاً من ذلك فاهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ ضرباً غير مبرّح ، ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : فأوصيكم بمن ملكت أيمانكم[2] فأطعموهم ممّا تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، وإن أذنبوا فكِلوا عقوباتهم إلى شراركم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد .

ثمّ قال : إنّ المسلم أخو المسلم لا يغشّه ولا يخونه ولا يغتابه ولا يحلّ له دمه ولا شيء من ماله إلاّ بطيبة نفسه ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : إنّ الشيطان قد يئِس أن يُعبَد بعد اليوم ، ولكن يُطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحتقرون ، فقد رضي به ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : أعدى الأعداء على الله قاتلُ غير قاتله وضارب غير ضاربه ، ومن كفر نعمة مواليه فقد كفر بما أنزل الله على محمّد ، ومن انتمى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : ألا إنّي إنّما أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلاّ

---

(١) أي عون لكم وفي خدمتكم .

(٢) أي من العبيد والجواري والسرايا .

الله ، وإنّي رسول الله ، وإذا قالوها عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّ ، وحسابُهم على الله ، ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : لا ترجعوا بعدي كفّاراً مضلّين يملك بعضكم رقاب بعض ، إنّي قد خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا : كتابَ الله وعترتي[1] أهلَ بيتي . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشهد .

ثمّ قال : إنكم مسؤولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب . ولم ينزل مكّة ، وقيل له في ذلك : لو نزلت يا رسول الله بعض منازلك ؟ فقال : ما كنت لأنزل بلداً أُخرجت منه . ولمّا كان يوم النّفر[2] دخل البيت ، فودّع ونزل عليه : ﴿**اليوم أكملتُ لكم دينكم ، وأتممتُ عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[3] . وخرج ليلاً منصرفاً إلى المدينة ، فصار إلى موضع بالقرب من الجُحْفَة[4] يقال له : غَدِير خُمّ ، لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة ، وقام خطيباً وأخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : فمن كنت مولاه ، فعلي مولاه ، اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه .

---

(١) العترة : وُلد الرجل وذريته أو عشيرته ، والمراد هنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وذريته .

(٢) يوم النفر : اليوم الثالث عشر من عيد النحر (الأضحى) وهو اليوم الذي ينفر فيه القوم من منى إلى مكة .

(٣) سورة المائدة ؛ الآية : ٣ .

(٤) الجحفة : قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة ، وسمّيت الجحفة لأن السيل اجتحفها وكان اسمها مهيعة .

[ياقوت : معجم البلدان]

ثمّ قال : أيّها النّاس إني فَرَطُكُم[1] وأنتم واردِيّ على الحوض ، وإني سائلكم ، حين تردون عليّ ، عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما . وقالوا : وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله سببٌ طرفه بيد الله وطرفٌ بأيديكم ، فاستمسكوا به ولا تضلّوا ، ولا تبدّلوا ، وعترتي أهل بيتي .

الوفاة

ولمّا قدم المدينة أقام أيّاماً وعقد لأسامة[2] بن زيد بن حارثة على جلّة المهاجرين والأنصار ، وأمره أن يقصد حيث قتل أبوه من أرض الشأم ، وروي عن أُسامة أنه قال : أمرني رسول الله أن اغْزُ يُبْنَى من أرض فلسطين صباحاً ثمّ احرق .

وروى آخرون أنّ رسول الله أمره أن يوطىء الخيل أرض البلقاء[3] ، وكان في الجيش أبو بكر وعمر ، وتكلّم قوم وقالوا : حدث السنّ ، وابن سبع عشرة سنة ! فقال : لئن طعنتم عليه ، فقبله طعنتم على أبيه ، وإن كانا لخليقَين للإمارة .

واشتكى رسول الله قبل أن ينفذ الجيش ، وكان أُسامة مقيماً بالجُرف[4]، فلمّا اشتدّت عليه قال : أَنفذوا جيش أسامة ! فقالها مراراً ،

---

(١) فرطكم : سيدكم ونبيكم . وقولهم : «أنا فرطكم على الحوض : أي أتقدم إليه»
[لسان العرب مادة فرط]

(٢) أُسامة بن زيد : من مواليد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لقّب «حب رسول الله وابن حبه» . ركب وراءه عند ذهابه إلى مكة ودخل معه الكعبة وقاتل بشجاعة في حُنين رغم صغر سنه . وهو من رواة الحديث . توفي سنة ٦٧٣ م .

[أعلام الشرق والغرب]

(٣) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٤) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . وفيه بئر جُشم وبئر جمل . =

واعتـلّ أربعة عشـر يومـاً ، وتوفي يـوم الاثنين لليلتين خلتـا من شهـر ربيـع الأول ، ومن شهور العجم آذار ، وكان قران العقرب .

قال ، ما شاء الله ، المنجم : كان طالع السنة التي توفي فيهـا رسول الله ، وهو القران الرابـع من مولده ، الجـدي ثماني عشـرة درجة ، والـزهرة في . . . . . .[1] سبع عشرة درجـة ، والشمس في الحمل دقيقـة ، والقمر في الحمـل درجتين وثـلاثين دقيقـة ، وعـطارد . . . . . .[2] إحـدى عشـرة درجـة وثـلاث عشرة دقيقـة ، والمشتري في الميـزان ثلاثـاً وعشـرين درجـة وأربـع دقائق راجعاً ، والمرّيخ في الجدي خمس دقائق .

وقال الخوارزميّ[3] : كانت الشمس يوم تـوفي رسول الله في الجـوزاء ستّ درجات ، والقمر في الجوزاء ثلاثاً وعشرين ، وزحل فـي القوس تسعاً وعشـرين درجة ، والمـرّيخ في الحـوت إحدى عشـرة درجـة ، والزهـرة في السرطان ثماني عشرة درجة ، وعطارد في الجـوزاء ثمانيـاً وعشرين درجـة ، والرأس في الجدي خمساً وعشرين درجـة ، وكان سنّـه ثلاثـاً وستّين سنة ، وغسله عليّ بن أبي طالب ، والفضل بن العبّاس بن عبد المـطّلب وأسامـة ابن زيد يناولان المـاء ، وسمعوا صـوتـاً من البيت ، يسمعـون الصـوت ولا يرون الشخص ، فقال : السلام ورحمة الله وبَرَكاته عليكم أهل البيت ، إنّه حميـد مجيـد ، إنّمـا[4] يـريـد الله لِيُـذْهِبَ عنكم الـرّجسَ ، أهـلَ البيت ، ويُـطهركم تـطهيراً ، كـلّ نفس ذائقةُ المـوت ، وإنّما تُـوَفَّـوْنَ أُجـوركم يـوم القيامة ، فمَنْ زُحْزِحَ عن النار ، وأُدخل الجنّة فقـد فاز ، ومـا الحياة الـدّنْيا إلا متـاعُ الغُرور ، لَتُبْلَوُنّ في أمـوالكم وأنفسكم ، ولَتسمعُنّ من الذين أُوتوا

= سمي الجرف لأن تُبعاً مر به فقال : هذا جرف الأرض . وكان يسمى العرض .
[ياقوت : معجم البلدان]

(١) بياض في الأصل .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) تقدّمت ترجمته .

(٤) من سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ وما بعدها .

الكتاب من قَبْلِكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً ، وأن تَصْبِرُوا وتَتّقوا فإنّ ذلك من عزم الأمور ؛ إنّ في الله خلفاً من كلّ هالك وعزاء من كلّ مصيبة ، عظّم الله أجوركم ، والسلام ورحمة الله . فقيل لجعفر بن محمّد : من كنتم ترونه ؟ فقال : جبرائيل ! وكُفّن في ثوبين صُحاريّين وبرد حِبَرة[1] ، ونزل قبره عليّ بن أبي طالب والعبّاس بن عبد المطّلب ، وقيل الفضل بن العبّاس وشُقْران مولى رسول الله ، ونادت الأنصار : اجعلوا لنا في رسول الله نصيباً في وفاته كما كان لنا في حياته ! فقال عليّ : ينزل رجل منكم . فأنزلوا أوس بن خَوَليّ أحد بني الحُبلى ، وكان حفر قبره أبو طلحة بن سهل الأنصاري ، ولم يكن بالمدينة من يحفر غيره وغير أبي عبيدة بن الجرّاح ، وكان أبو عبيدة بن الجرّاح يشقّ ويحفر وسطاً وأبو طلحة يلحَد[2] ، فقيل إنّهما سابقا حفراً ، فسبق أبو طلحة بالحفر ، وصلّي عليه أيّاماً ، والناس يأتون ويصلّون أرسالاً ، ودفن ليلة الأربعاء في بعض الليل ، وطرحت تحته قطعة رحله وكانت من أرجوان ، وربّع قبره ولم يُسنّم[3] ؛ ولمّا توفي قال الناس : ما كنّا نظنّ أنّ رسول الله يموت حتى يظهر على الأرض ، وخرج عمر فقال : والله ما مات رسول الله ولا يموت ، وإنّما تغيّب كما غاب موسى بن عمران أربعين ليلة ثمّ يعود ، والله ليقطعنّ أيدي قوم وأرجلهم . وقال أبو بكر : بل قد نعاه الله إلينا فقال : إنّك ميّت ، وإنّهم ميتون . فقال عمر : والله لكأني ما قرأتها قط . ثمّ قال :

لَعَمْري لقد أيقنتُ أنّكَ مَيّتٌ ... ولكنّما أبدى الذي قلتُهُ الجَزَعْ

ولم يخلف من الولد إلا فاطمة ، وتوفيت بعده بأربعين ليلة ، وقال قوم بسبعين ليلة ، وقال آخرون ثلاثين ليلة ؛ وقال آخرون ستّة أشهر ، وأوصت

---

(١) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

(٢) يلحد : يدفن .

(٣) لم يسنم : لم يرفع عن وجه الأرض ، بل تساوى «قبره» صلّى الله عليه وآله وسلّم مع الأرض .

عليّاً زوجها أن يغسلها، فغسلها وأعانته أسماء[1] بنت عميس، وكانت تخدمها وتقوم عليها، وقالت: ألا ترين إلى ما بلغت؟ أفأُحمل على سرير ظاهراً؟ قالت: لا لعمري، يا بنت رسول الله، ولكني أصنع لك شيئاً كما رأيته يُصنع بالحبشة. قالت: فأرينيه! فأرسلت إلى جرائد[2] رطبة فقطعتها، ثمّ جعلتها على السرير نعشاً، وهو أوّل ما كانت النعوش، فتبسّمت، وما رُئيت متبسّمة إلّا يومئذٍ، ودفنت ليلاً، ولم يحضرها أحد إلا سلمان وأبو ذرّ؛ وقيل عمّار[3].

وكان بعض نساء رسول الله أتينها في مرضها فقلن: يا بنت رسول الله! صيّري لنا في حضور غسلك حظّاً! قالت: أتردن تقلن فيّ كما قلتن في أُمي؟ لا حاجة لي في حضوركنّ.

ودخل إليها في مرضها نساء رسول الله وغيرهنّ من نساء قريش فقلن: كيف أنت؟ قالت: أجدني والله كارهة لدنياكم، مسرورة لفراقكم، ألقى الله ورسوله بحسرات منكنّ، فما حُفِظ لي الحقّ، ولا رُعيت مني الذمّة، ولا قُبلت الوصيّة، ولا عُرفت الحرمة؛ وكان سنّها ثلاثاً وعشرين سنة.

صفة رسول الله

وكان رسول الله فخماً مفخَّماً، ظاهر الوضاءة[4]، مبتلج[5] الوجه، حسن الخلق، أطول من المربوع، وأقصر من المُشَذّب[6]، لم تعبه

---

(١) تقدّم ذكرها.

(٢) الجرائد: قضبان النخل المجرّدة من خوصها.

(٣) يريد أبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وهما من الصحابة.

(٤) الوضاءة: الإشراقة.

(٥) مبتلج: ضاحك.

(٦) المشذب: المفرط في الطول.

ثُجْلَة[١] ولم تُزْرِ به صعلة[٢] ، وسيماً ، قسيماً[٣] ، لم يماشه أحد من الناس إلّا طاله ، وإن كان المماشي له طويلاً ؛ عظيم الهامة ، رَجِلَ[٤] الشعر إن تفرّقت عقيقته[٥] انفرقت فرقاً ، لا يجاوز شعرهُ شحمة أذنه ، أزهر اللون ، مُشْرَباً حمرة ، في عينه دَعَجٌ[٦] ، وفي أشفاره وَطَفٌ[٧] ، وفي صوته صَحَلٌ[٨] ، وفي لحيته كثافةٌ ، وكان أكثر شيبه في لحيته حول الذقن وفي رأسه في فودي رأسه ؛ سهل الخدّين ، ضليع الفم ، حلو المنطق لا نزر ولا هدر[٩] ، دقيق المَسْرُبَة[١٠] ، معتدل الخلق ، عريض الصدر والكتف ، بعيد ما بين المنكبين ، واسع الظهر ، غير ما تحت الأزرار من الفخذ والساق ، أنْوَر المتجرَّد[١١]، موصول ما بين اللّبة[١٢] والسرّة بشعر يجري كالخطّ ، عاري ما سوى ذلك من الشعر ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحتين ، شَثْن[١٣] الكفّين والقدمين ، شائل[١٤] الأطراف ، خمصان الأخمصين[١٥] ، ذريع[١٦] المشية ، إذا مشى كأنّما ينحطّ من صَبب[١٧] أو

---

(١) الثجلة : عِظم البطن .
(٢) الصعلة : دقة الرأس والعنق .
(٣) قسيماً : جميلاً ، حسن الوجه .
(٤) رجل الشعر : بين الجعودة والاسترسال .
(٥) عقيقته هنا : شعره .
(٦) الدعج : شدّة سواد العين مع سعتها .
(٧) الوطف: القليل من الشعر .
(٨) صحل : بحّة وخشونة .
(٩) هدر : ثرثرة .
(١٠) المسربة : مجرى الدمع ، أو مجرى الغائط .
(١١) المتجرد : ما بان من عري جسمه .
(١٢) اللبة: موضع القلادة من الصدر .
(١٣) شثن : غليظ .
(١٤) شائل : مرتفع .
(١٥) خمصان الأخمصين : ضامر القدمين .
(١٦) ذريع : سريع .
(١٧) صبب : سيل عال ينحدر من نهر أو طريق .

=

يتقلّع من صخر ، وإذا التفت التفت معاً خافض الطرف ، نـظرُه إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، جلّ نـظره الملاحـظة ، يبدأ من لقي بـالسلام ، وكان جلّ جلوسه القُرْفُصَى ، وكان يأكل على الأرض ، وكان إذا دعاه رجل فقال : يا رسول الله ! قال : لبيك ؛ وإذا قال : يا أبا القاسم ! قال : يـا أبا القاسم ؛ وإذا قال : يا محمّد ! قال : يا محمّد ؛ وإذا أخذ الرجل بيـده لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها ؛ وإذا نـازعه رداءه لا يجـاذبه حتى يخليـه؛ وإذا سألـه سائـل حاجـة لم يردّه إلاّ بحـاجتـه أو بميسـور من القول .

المشبهون برسول الله

وكان المشبّهون بـرسول الله جعفـر بن أبي طالب . قـال رسول الله : أشبهتَ خَلقي وخُلقي ؛ والحسن بن عليّ . وكـانت فاطمـة تقول : بـأبي ! شبيهٌ بأبي غيرُ شبيه بعليّ ؛ ويقال : إنّ أبا بكر قال له ، وقد لقيه في بعض طرق المدينة : بأبي! شبيه بالنبيّ غيرُ شبيه بعليّ ؛ وقثم بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبـد المطّلب ، وأسهـد بن العرة[1] ، وهاشم بن عبد المطّلب بـن عبد مناف ، ومسلم بن معتّب بن أبي لهب .

نسبة رسول الله وأمهاته إلى إبراهيم والعواتك والفواطم اللاّتي ولدنه

هو محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ، بن هاشم بن عبـد مناف بن قُصَيّ بن كـلاب بـن مـرّة بن كعب بن لؤيّ بن غـالب بن فهـر بن مـالـك بن النضر بن كنانة بـن خُزَيمة بن مدركة بن الياس بن مضـر بن نزار بن معـدّ بن عــدنــان بن ادّ بن أُدد بن هميســع بن يشجب بن أمين بن نبت بـن قيــذار بـن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ساروغ بن أرغو بن فـالغ بن عـابر بن شـالخ بن

= (١) دون نقط في الأصل .

ارفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ ، وهو إدريس النبيّ[1] ، بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ، وأم رسول الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وأمّها برّة بنت عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصيّ .

وأمّ عبد الله بن عبد المطّلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ؛ وأمّ عبد المطّلب ، وهو شيبة الحمد بن هاشم ، سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجّار ، واسمه زيد مناة ، ويقال : بل اسمه تيم اللات ، ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج .

وأمّ هاشم عاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثة بن سليم .

وأمّ عبد مناف ، واسمه المغيرة بن قصيّ ، حبّى بنت حُليل بن حبشيّة بن سَلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة .

وأمّ قصيّ ، واسمه زيد بن كلاب ، فاطمة بنت سعد بن سَيَل بن عامر الجادر . . . . .[2] من الأزد أزد شنوءة ، وهم حلفاء بني نُفاثة بن عديّ بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

وأمّ كلاب بن مرّة هند بنت سُرَيْر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة .

وأمّ مرّة بن كعب بن لؤيّ ماويّة بنت القين بن جسر بن شيع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

---

(١) أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) بياض في الأصل .

وأمّ كعب بن لؤيّ وحشيّة بنت شيبان .

وأمّ لؤيّ بن غالب سلمى بنت عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن خزاعة .

وأمّ غالب بن فهر ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر .

وأمّ فهر بن مالك جَنْدَلة بنت الحارث بن جندل بن عامر بن سعد بن الحارث بن مضاض بن عامر بن دبّ بن جرهم .

وأمّ مالك بن النضر عاتكة ، وهي عِكْرِشَة ، وهي الحَصان بنت عدوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر .

وأمّ النضر بن كنانة برّة بنت مرّ بن ادّ بن طابخة بن الياس بن مضر .

وأم كنانة بن خزيمة هند بنت قيس بن عيلان .

وأم خزيمة بن مدركة سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار .

وأم مدركة بن الياس خِنْدِف ، وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

وأم الياس بن مُضر الحَنْفاء بنت إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان .

وأم مضر بن نزار شقيقة بنت علّك بن عدنان بن ادد .

وأم نزار بن معدّ ناعمة بنت جوْشم بن عديّ بن دبّ بن جرهم .

وأمّ معد بن عدنان تيمَة بنت يشجب بن يعرب بن قحطان . . .[1] .

وأم أدّ بن أدد العحا[2] بنت عمرو بن تبّع بن سعد ذي فائش بن حمْير .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) دون نقط في الأصل .

وأم أدد بن الهميسع حيّة بنت قحطان .

وأم الهميسع بن يشجب حارثة بنت مراد بن زرعة بن ذي رعين بن حمْير .

وأمّ يشجب بن أمين قطامة بنت عليّ بن جرهم ....[1] .

وأم إسماعيل بن إبراهيم هاجر أمة كانت لسارة أم إسحاق ، وهي قبطية ، ويزعم آخرون أنّها روميّة .

وأم إبراهيم ، وهو إبراهيم بن تارح ، ادنيا بنت برّ[2] بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ .

وروي أن رسول الله كان يكثر أن يقول : أناابن العواتك ، وربّما قال : أناابن العواتك من سليم ؛ واللّاتي ولدنه من العواتك اثنتا عشرة عاتكة : عشر منهنّ مضريّات ؛ وقحطانيّة وقضاعيّة ؛ والمضريات : ثلاث من قريش وثلاث من سليم ، وعدوانيّتان ، وهذليّة ، وأسدية ، فأمّا القرشيّات فولدنه ، من قبل أسد بن عبد العزّى ، أم أسد بن عبد العزّى الحُطَيّا ، وهي ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرّة ، وأمها قبلة بنت حُذافة بن جُمح ، وأمها أميمة بنت عامر بن الحان بن الحارث ، وهو غسّان بن خزاعة ، وأمها عاتكة بنت هلال بن وهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهر ، وأم هلال بن وهيب عاتكة بنت عُتْوارة بن الطِّرب بن الحارث بن فهر ، وأمّها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة بن خزيمة .

وأمّا السليميّات ، فولدنه ، من قبل هاشم ، أمّ هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرّة بن هلال بن سليم بن منصور ، وأمّ مرّة بن هلال عاتكة بنت مرّة بن عدّي بن سليمان بن قصيّ بن خزاعة ؛ ويقال : هي عاتكة بنت جابر بن قُنْفُذ بن مالك بن عوف بن امرىء القيس بن بُهْثَة بن سليم .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) دون نقط في الأصل .

وأمّا العدوانيّتان فولدتاه من قبل أمّهات أبيه عبد الله ، ومن قبل مالك بن النضر ، فأمّا التي ولدته من قبل عبد الله ، فهي السابعة من أمّهاته ، ويقال الخامسة ، وهي عاتكة بنت عامر بن ظرب بن عمرو بن يشكر بن الحارث ، وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ؛ ومن قال : هي الخامسة ، فيقول عاتكة بنت عبد الله بن الحارث بن وائلة بن ظرب بن عمرو ؛ وأمّا العدوانيّة الثانية فأمّ مالك بن النضر بن كنانة ، وهي عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان .

وأما الهذليّة فوالدته من قبل هاشم ، وأم هاشم عاتكة بنت مرّة بن هلال ، وأمّها ماويّة بنت حَوْرة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن ، فأمّ معاوية بن بكر بن هوازن عاتكة بنت سعد بن هذيل .

وأمّا الأسديّة فوالدته من قبل كلاب بن مرّة ، وهي الثالثة من أمّهاته ، وهي عاتكة بنت دودان بن أسد بن خزيمة .

وأمّا القحطانيّة فوالدته من غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وأم غالب بن فهر ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة ، وأمّها سلمى بنت طابخة بن الياس بن مضر ، وأمّها عاتكة بنت الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وهي الثالثة من أمّهات النضر بن كنانة .

وأما القضاعيّة فوالدته من قبل كعب بن لؤي ، وهي الثالثة من أمهاته ، عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جهينة بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

تسمية من ولدنه من الفواطم

قال : وأخبرني غيرُ واحد من أهل العلم أنه كان يكثر يوم حنين[1] ويقول : أنا ابن الفواطم ؛ فأخبرني النسّابون أنّه ولده من الفواطم أربع فواطم : قرشيّة ، وقيسيّتان ، وأزديّة ، فأما القرشيّة ، فوالدته من قبل أبيه

(١) لمّا سمعت هوازن برسول الله وما فتح الله عليه ، جمعها مالك بن عوف النصري ، =

عبد الله بن عبد المطّلب ، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمْران بن مخزوم ؛ والقيسيّتان أمّ عمرو بن عائذ بن عمران ، وهي فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزّى بن رزام بن بكر بن هوازن ، وأمّها فاطمة بنت الحارث ابن بهثة بن سليم بن منصور ، والأزديّة أم قصيّ بن كلاب ، وهي فاطمة بنت سعد بن سَيَل .

وكان عمّال رسول الله ، لمّا قبضه الله ، على مكّة : عتّاب[1] بن أسيد بن العاص ؛ وعلى البحرين : العلاء بن الحضرميّ والمنذر بن ساوى التميميّ . وبعضهم يقول مكان العلاء : أبان بن سعيد بن العاص ؛ وعلى عمان عبّاد وجَيْفر ابنا الجُلَنْدا . وقال بعضهم : عمرو[2] بن العاص ؛ وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ؛ وعلى اليمن معاذ بن جبل وأبو موسى عبد الله بن قيس الأشعريّ يفقّهان الناس ؛ وعلى مخاليف الجَنَد وصنعاء المهاجر بن أبي أميّة المخزوميّ ؛ وعلى حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري ؛ وعلى مخاليف اليمن خالد بن سعيد بن العاص ؛ وعلى ناحية من نواحيها يَعْلى بن مُنْيَة التميميّ ، وعلى نجران فروة بن مسيك المراديّ ، وقال بعضهم : أبو سفيان بن حرب ، وعلى صدقات أسد ، وطيّء عديّ بن حاتم ، وعلى صدقات حنظلة مالك بن نويرة الحنظليّ ، وقال بعضهم : على صدقات بني يربوع ؛ وعلى صدقات بني عمرو وتميم سمرة بن عمرو بن جناب العنبريّ ؛ وعلى صدقات بني سعد الزبرقان بن بدر ؛ وعلى صدقات مقاعس والبطون قيس بن عاصم .

= وخرج رسول الله من مكة معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه ، واستعمل على مكة ابن أسيد . فالتقوا بحنين «وهو مكان قريب من مكة ، كما قيل : هو وادٍ قبل الطائف» فجال المسلمون ثم كروا على عدوهم ، فهزم الله المشركين .
[سيرة ابن هشام ج ٢ ٤٣٧ ومعجم البلدان لياقوت]

(١) أنظر الهامش السابق .

(٢) عمرو بن العاص : أسلم سنة ٦٢٩ م . وهو من أشهر الفاتحين ، كان في أجنادين واليرموك وفي فتح الشام . ناصر معاوية على علي بن أبي طالب في صفين . توفي سنة ٦٦٣ م .



الفهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
مولد إبراهيم ابن رسول الله	٤١١
خطب رسول الله ومواعظه وتأديبه	٤١٣
حجة الوداع	٤٣٨
وفـاة رسول الله (ص)	٤٤٣
صفة رسول الله	٤٤٦
المشبهون برسول الله	٤٤٨
نسبة رسول الله	٤٤٨
تسمية من ولدنه من الفواطم	٤٥٢
الفهرس	٤٥٥